وجيز الكلام

في

الذيل على دول الإسلام

تأليف

المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي

تحقيق

الدكتور بشار عواد معروف عصام فارس الحرستاني

الدكتور أحمد الخطيمي

الجزء الثالث

مؤسسة الرسالة

وجيز الكلام

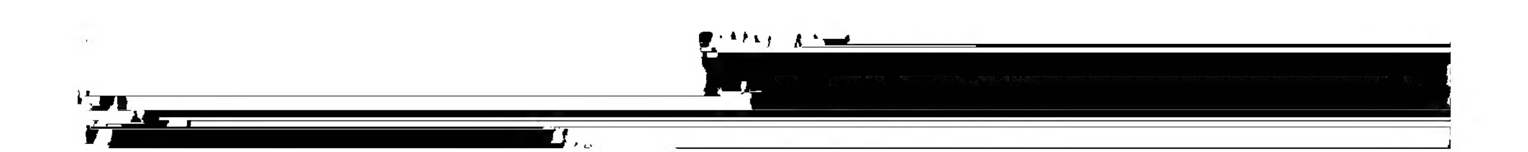
في

الذيل على دول الإسلام

الطَّبْعَة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م



مؤسسة الرسالة / بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ ص.ب ٧٤٦٠ برقيا: بيوشران



سنة إحدىٰ وثمانين وثماني مئة

في ثاني محرمها برز الأتابك وأمير سلاح في خَلْقٍ من المقدَّمين والأربعينات والعشراوات والمماليك لجهة البحيرةِ بسبب عصيان لبيد، وقرعهم على عزالة، وقتلهم شَيْخَها، ثم عادوا في الذي يليه إلّا أمير سلاح ففي ربيع الآخر بعد طرد المفسدين، وأخذهم شيئاً كثيراً من إبلٍ وغنم.

وفي صفر، سافر الدوادار الكبير لجهة الصَّعيد، ثم رجع في أثناء جمادى الأولى ومعه سليمان وأحمد ابنا عيسى بن يوسف بن عمر أميرا هوارة، وابن الأحدب، أحد مشايخ العربان المتسحب من السِّجن، فسُلِّمَ للوالي، ثم سليمان كذلك على مالٍ معيَّنٍ بعدَ أن خُلع عليه وعلى أخيه حين وصولهما، وبقي أحمد، وهو خيرهما في الإمرة.

وفي ربيع الأول ماتت ابنةُ الشيخ جعفر المقرىء بالطاعون، ثم تظاهر شيئاً فشيئاً، إلى أنْ تكاثرَ واستمر، حتى ارتفع في التي تليها، وكذا كان بالغربيةِ ونواحيها، وبغزة ونو احيها، وبغيرها من البلاد الشامية، كحلب والشّام، ولم ينفصل إلا في التي بعدها.

وفي ليلة ربيع الآخر وقع حريق بالإسطبل السلطاني، تَلِفَ فيه بعضُ الخيول، وتداركوه قبل استحكامه.

وفي جمادى الأولى كان النزاعُ فيمن تزوج من أقرَّ لها برضاعٍ محرّم، زاعماً الغلطَ والنسيان، وتكرّر فيها عَقْدُ المجالس عند السلطان والدوادار وغيرهما، وكان فيها تعصب عظيم، ولغَطٌ جسيم، واستُرضيَ المقِرُّ حتى طلق ثلاثاً، وأنّه كلّما تزوجها فهي طالق. ولكاتب السِّرِّ مع الحنفيِّ فيها اليدُ البيضاء.

وفيه وصل الخبر بموت نائب إسكندرية قانم قشير[1] بعد إساءته التدبيرَ في أيامهِ مع قِصَرِها، وأرسل وَرْدَبْش أحد المقدمين صورة نائب، ولضبطِ موجودهِ، فضَعُف فتوجه قجماس أمير آخور نائبها قبل قانم.

وفي رجب كان بين خيربك حديد والدوادار الكبير تنافسٌ، ولم يجد أوّلُهما مَنْ يَسْتَنْصِرُ به.

وفي شوال قدم دولات باي النجمي، وكانه مُتَسَحِّباً ببلاد الروم.

والسيد علي بن بركات أخو صاحب الحجاز من جهة القُصَيْر مُتسحباً من أخيه، فأكرمهما السلطان.

وبرز الحاج وأمير المحمل تَنْبك الجمالي[2]، والأول أقبَرْدي البشمقدار.

---

(١) الضوء اللامع ٦/٢٠٠

(٢) هو تنبك الجمالي الظاهري جقمق أحد المقدمين، قدم القاهرة ومات بها، ويذكر بعقلٍ ووقار وميلٍ للعلماء والصالحين. الضوء اللامع ٣/٤٢.

وكذا سافر قراجا الخازنداري جانبك الجداوي شاد جدّة. وأمر الدوادار بإزالةِ ما تحتَ شبابيك المؤيدية من جهةِ باب زويلة من الأخْصَاصِ التي جُعلت توسعةً في الحوانيت وغيرها قصداً لتوسعةِ الشارع، وكذا فعل بالأشرفية وغيرها، وتُعُدِّيَ فيها وفيما بعدها زيادة على الحدِّ، ولكن في أثنائه تَجَدَّدَ جامعُ الصالح والفكاهين وغيرهما. وظهرت مختفيات من مساجد وغيرها. وعلى كل حال، فقد حصل للمارَّة غاية الرَّاحة بعْد مَزيدِ المشقَّة بما يحفر بجانب ما يُترك.

وفي ذي الحجة نزل السلطان إلى الأزهر، واجتمع عنده القضاة وغيرهم، وحكم المالكي بهَدْم الخلاوي المتجدِّدةِ بسطحه ونقده باقيهم.

١٩٩٣- ومات في ربيع الأول، عن خمس وستين، شيخُ فضلاء العصر في الفنون التقيُّ أبو بكر[١] بن محمد بن شادي الحصني الشافعي، قدم القاهرة، فتصدّى لنفعِ الناس طبقةً بعد أخرى، مع الدِّيانة، والأمانة، والتواضع، والتهجُّدِ، والتلاوة، والانجماع، وسلامة الصَّدر، والفُتوَّة، مع التقلّل، وحُسن الخط. وأعطاه السلطان مشيخة الشافعي بعد إمام الكاملية، مع سَعْي مَنْ هو أفقه منه فيه. وهو ممّن أخذ عنه أخي، بل حضر أجلاساً له، وقرّض بعضَ تصانيفي، فأبلغ.

١٩٩٤- وفي ربيع الأول، عن ستين سنة، القاضي صلاح الدين[٢] أحمد بن محمد بن بَرْكُوت المكينيُّ القاهري الشافعي، ربيب ابن البلقيني.

---

(١) الضوء اللامع ١١/٧٦، وشذرات الذهب، ٧/٣٣١، وبدائع الزهور ٣/١١٩.

(٢) بدائع الزهور ٣/١٢٠.

ممَّن أقرأ بجاهه، وأفتى، وباشر الوظائف السَّنية، والأحكام الجليلة، ومما وليه الحسبــة، ثمَّ استقـل بعده مُديدةً بقضاء مصر. وكان عاقلاً، درباً، متودِّداً، حَسَنَ التَّصوّر، متقناً للموسيقى ونحوها.

١٩٩٥- وفي ربيع الأول، وقد زاحم السبعين، عالمُ غَزَّةَ الشمسُ أبو الـوفـاء محمـد[1] بن أحمـد بن محمـد بن خضـر الشّافعيُّ، ويُعرف بابن الحمصي. ممَّن دَرَّسَ، وأفتى، وخطبَ، ووعظ، ووليَ قضاء بلده وغيرها. وانتشرت تلامذته، مع حُسن الشكالة، ولطيفِ العشرة، ومزيد التواضع. ومما كتبه إليَّ:

يا خادِمــاً أخبــارَ أشـرفِ مُرسَـلٍ وسـخـا فنِـسبتـهُ إليه سَخـاوي
وحـوى السياسـةَ والرياســة ناهجاً منــهــاجَ خَيْرٍ للمــكــارمِ حاوي

ولم يخلف هناك بعده في مجموعه مثله.

١٩٩٦- وفي ربيع الآخـر، بدمشق، العـلامـة الشهـابُ[2] أحمد ابن البرهان إبراهيم بن أحمد بن محمد الزرعي الأصل الدمشقي الشافعي. تميَّزَ في المعقولات، وانتفع به جماعة، مع الدين والتؤدة والسكون والانجماع.

١٩٩٧- وفي ذي الحجـة، وقد جاز السِّتِّين مطعوناً، البهاء أبو الفتح محمد[3] ابن شيخ الإسلام، الشمس محمد بن علي بن يعقوب، القاياتيُّ

---

(١) الضوء اللامع ٦١/٧.

(٢) الضوء اللامع ٢٠٨/١.

وهذه الترجمة أضافها السخاوي بخطه بحاشية المخطوطة.

(٣) الضوء اللامع ١٦٦/٩.

الأصل، القاهريُّ الشافعي، شيخ البيبرسية، بل باشرَ في حياة أبيهِ مشيخةَ سعيد السعداء. ودرس بالأشرفية. وكان ساكناً جامداً، أرجح من أخيه فضيلة وصلاحاً.

١٩٩٨- وفي رجب، بالفالج، وقد جاز السبعين بمكة، شيخ حَجَبتِها -كأسلافه- السِّراج عمر[١] بن محمد بن علي الشّيبي الحَجبي المكّي الشافعي. ممَّن راج في المشيخة وتأثل، وبنى دُوراً، مع مزيد عقلٍ وسكون وتودّد وإجلال لبيت الله. ولم يخلف في جماعته مثله. واستقرَّ بعده في السِّدانةِ ابنُ أخيه أبو البركات ابن الجمال يوسف.

١٩٩٩- وفي ربيع الأول، عن نحو الستين، الفقيهُ المتقنُ الخيِّرُ البدر حسن[٢] بن علي بن أحمد الدّماطيُّ الأزهري الشافعي الضرير. ممَّن درّس الفقه والقراءات، وانتفع به الفضلاء فيهما، مع مشاركة ما فيما عَدَاهُما، ونعمَ الرّجلُ كان.

٢٠٠٠- وفي ذي القعدة، عن بضع وثمانين، محقِّقُ الحنفيةِ سيفُ الدِّين محمد[٣] بن محمد بن عمر بن قَطْلُوبغا البكتمري القاهري، شيخُ الشيخونية وغيرها. وممَّن أخذ عنه الأكابر، مع سلوكهِ طريقَ السَّلَفِ، ومداومته على العبادة والتهجُّد والجماعة، والمحاسن الوافرة، بحيثُ كان كلمة إجماع. واستقرَّ بعده في الشَّيخونية المُحِبُّ ابن الشِّحنة بعد علاجٍ

(١) الضوء اللامع ٢/١٢١.
(٢) الضوء اللامع ٣/١٠٦.
(٣) شذرات الذهب ٧/٣٣٢.

كبيرٍ دام نحو نصف سنة، وفي التفسير بالمنصورية، ابن حجي، وفي الفقه بالصالح البدر ابن الغرز، وبالناصرية، الكمال ابن أبي الصَّفا، وبالأقبغاوية النور الصوفي، وبالأشرفية القديمة بعضهم.

٢٠٠١- وفي جمادى الآخرة، بحلب، عن ستين، القاضي الشمسُ محمد[1] بن محمود بن خليل الحلبي الحنفي، ابنُ أختِ الشهاب المرعشي، ويُعرف بابن أجا. وليَ قضاء العسكر، وسافر رسولاً مِنَ السُّلطان والدوادار إلى عدَّة ممالك، كتبريز والرُّوم وغيرهما. وحُمدت عِشْرَتُه، لعقلهِ وذكائه ومعرفته وتواضُعِه وتودُّده وحِشْمَتِهِ. وقد ترجم «فتوح الشام» للواقدي بالتُّركي نظماً في اثني عشر ألف بيت، وعمل سَفْرَةَ سوار فبالغ.

٢٠٠٢- وفي ذي الحجة، عن خمس وثمانين، ممتّعاً، بحواسِّه، القاضي عز الدّين عبدالعزيز[2] ابن شيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد ابن عثمان البساطي القاهري المالكي. ممن تميّز في استحضار الفروع، مع مشاركةٍ في العربية، وذُكِرَ بجملةٍ من الوقائع والنوادر. دَرَّسَ وأعاد بأماكن، وناب في القضاء قديماً وحديثاً، وكان طارحاً للتّكلُّف والاحتشام، حريصاً على التّحصيل.

٢٠٠٣- وفي جمادى الأولى، عن سبع وستين، الشمسُ محمد[3] بن أحمد بن عبدالدّائم الأشمونيُّ، ثم القاهري المالكي، ابن أخت الشيخ

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٤٣، وشذرات الذهب ٧/٣٣٣.

(٢) الضوء اللامع ٤/٢٢٧.

(٣) الضوء اللامع ٦/٣١٦.

مَدْيَن. ممَّن تصدى للتسليك وجمع الناس على الذكْرِ والتلاوةِ، مع مزيد التـواضع والاحتمال، والرغبة في إلفاتِ الناسِ إليه، وقد تَبَرَّمَ عندي مما يخالفُ عقيدة أهل السنة وحلف على ذلك.

٢٠٠٣ب ـ وفي جمـادى الآخـرة، عن ست وسبعين، بغـزة، قاضي المالكية بها، الشهاب أبو العباس أحمد[١] بن محمد بن محمد بن علي بن محمد النويريُّ، الغزي، ثم القاهري، ممن شارك في القراءات وغيرها، مع التواضع، وطرح التكلُّفِ، وإدامة التلاوة، والاستعانةِ في معيشته بالتِّجارة، ثم بعقد الأزرار. لَقِيتُه بمكةَ وغيرها.

٢٠٠٤ـ وفي رمضـان بنـابلس، عن تسعين، قاضي الحنـابلة ببيت المقدس وغيرها البدر محمد[٢] ابن الشرف عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر ابن عثمان الجعفريُّ المقدسي النابلسي. من بيت علم وجلالة وقضاء. باشر قضاء بلده وغيرها، كبيت المقدس، ثمّ أعرض عنه، وأقبل على ما يهمه.

٢٠٠٥ـ وفي شوال، وقد زاحم الثمانين، الشهاب أحمد[٣] بن الجمال عبـدالله بن العـلاء علي بن محمـد بن علي الكناني العسقلاني القاهري الحنبلي، قريب عالم المـذهب وقـاضيه العز الكناني. ممَّن سمع وأسمع وسمع منه الطلبة، مع تكسبه بالشهادة.

٢٠٠٦ـ وفي جمـادى الثاني، عن أربع وستين، سيدي محمد[٤] ابن

(١) شذرات الذهب ٧/٣٣١.

(٢) الضوء اللامع ٨/٦٩، وشذرات الذهب ٧/٣٣٣، والأنس الجليل ٢/٢٦٧.

(٣) الضوء اللامع ١/٣٦٢.

(٤) الضوء اللامع ١٠/٨٦، وبدائع الزهور ٣/١٢٥، وشذرات الذهب ٧/٣٣٣.

الشرفي يعقوب ابن المتوكل على الله محمد ابن أبي بكر العباسي الهاشمي المصري، أخو أمير المؤمنين بعدُ المتوكل على الله العزي عبدالعزيز. ممَّن ذُكِرَ بفضل وخير، وكونه خليقاً للخلافة، مع التّقلّل والانجماع.

٢٠٠٧ـ وفي صفر، بمكة، عن بضع وستين، الشرفي موسى[١] بن علي ابن محمد بن سليمان الأنصاريُّ التتائي، ثم القاهري الأزهري. ممَّن قرأ القرآنَ، واشتغلَ، ثم تَرَقَّى للتجارة وللوظائفِ، كالجوالي، والكسوة، والبيمارستان، ووكالة بيت المال، ثم الجيش والخاص، بل كان مُدبِّرَ المملكةِ وقتاً، إليه المرجعُ، وأنشأ القُصور الهائلة، وتزايد تَعَبُه بأخرة جداً، مع الرئاسةِ والشَّهامة وعلو الهمّة. وكثرةِ التودُّدِ للعلماء والصَّالحين، وحُسْن اعتقاده فيهم، وتأدبه معهم، ومزيدِ التواضع والبذل والخير والصبر والخبرة بالسياسة، والقيام بكل ما أُسندَ إليه، عفا الله عنه.

٢٠٠٨ـ وفي صفر، قبل بلوغ التسعين، القاضي ناصر الدين محمد[٢] ابن الشّهاب أحمد ابن القاضي أصيل الدين محمد بن عثمان الأشليميُّ الأصل، القاهري، الشافعيُّ، ويعرف ـ كأبيه ـ بابن أصيل. ممن كتب التوقيع، وأتقن المباشرة، وترقى لنظر الجوالي والبيمارستان وغيرها في الأيام الإينالية، وهو في آخر عمره أحسنُ حالاً وطريقة.

٢٠٠٩ـ وفي المحرم، عن نحو الثمانين، نقيبُ الجيش ناصر الدين محمد[٣] ابن الصاحب تاج الدين عبدالرزاق ابن أبي الفرج، أخو الأمير

---

(١) الضوء اللامع ١٠/١٨٤.
(٢) الضوء اللامع ٧/٧٦.
(١) الضوء اللامع ٨/٥٥.

الفخر عبدالغني صاحب الفخرية، ويُعرف بابن أبي الفرج. ممن وليَ الأستدارية وغيرها، وامتحن غيرَ مرةٍ، بل امتحن الناس به، ورسخت قَدَمُهُ في نقابة الجيش، إلى أنْ عجز، بحيث كان ابنهُ يُباشرها عنه، ولذا استقرَّ بعده فيها، ولكن لم تطل مدَّتهُ.

٢٠١٠ـ وفي رمضان، قبل إكمال الثلاثين، كريم الدين عبدالكريم[1] ابن العلم أبي الفضل بن جلود كاتب المماليك وابن كاتبها. وكان ـ مع صغره ـ ذا وجاهةٍ وبراعةٍ في المباشرة، وحذقٍ وشهامة، وبذل وإنعام، وعُلُوِّ همّةٍ، وللملك إليه مَيْل، وعليه إقبال بحيث يُرجى ويخشى، وبلغني أنّه قرأ القرآن، وحفظ بعض «المنهاج»، وربما تردد إليه البكري وغيره، ورأيتُ منه معي أدباً وافراً، عفا الله عنه.

٢٠١١ـ وفي جمادى الآخرة الشمس محمد[2] بن علي الأزرقي القاهري. أحد الكُتَّاب، ممَّن جلس للتَّعليم، مع الحذق بالتذهيب، وإلمامٍ بضرب العود والشَّعبذة ونحوهما، ومزيد الخمول والفاقة.

٢٠١٢ـ وفي رمضان جانبك[3] الأشرفي برسباي أحد المقدَّمين، ويعرف بالمشد، بطالاً، وكان رامياً معدوداً، متديناً، مبجّلاً.

٢٠١٣ـ وبالبُرج، سليمان[4] بن عيسى بن يوسف بن عمر بن عبدالعزيز

(١) الضوء اللامع ٤/٣١٦.
(٢) الضوء اللامع ٨/٢٢٨.
(٣) الضوء اللامع ٣/٥٤، وبدائع الزهور ٣/١٢١.
(٤) الضوء اللامع ٣/٢٦٨.

الهَوَّاريُّ البنداريُّ، أمير هوَّارة، والمصروف عنها بأخيهِ أحمد خير الرجلين.

٢٠١٤- وفي ذي الحجة طوغان[1] شيخ الأحمدي. وليَ إمْرة الرَّاكز بمكة مدّة، وكان يُزاحمُ الفقهاء، مع بَلادةٍ وعدم معرفة.

---

(١) الضوء اللامع ٤/١٠.

سنة اثنتين وثمانين وثماني مئة

في محرّمها انْتُزِعَ من ورثةِ البلقيني ما كان اقترضَهُ لجهةِ الحرمين من ثمنِ ما استُبدل من أوقاف الطيبرسية بعد الاستفتاء في أن المطالب به إنما هو ناظر الحرمين، لكون الاقتراض إنما هو لجهتهما.

وفي صفر أُهين النابلسيُّ المُرافع بالضّرب وغيره، بحيث استُخْلِصَ منه ما يفوقُ الوصف، وفُعِلَ ذلك في دمشق بولده إلى أن ذهب كأمسِ الذّاهبِ[1].

وفي ربيع الأول كان مسيرُ السُّلطان بعساكره إلى الثغر السَّكَنْدريِّ، فدامتْ غَيبتُه إلى أواخر الذي يليه، ورأى المكان الذي أمر ببناء البرج فيه، ودخل بُرجَ الظَّاهر وغيره من الأماكن للزيارة وغيرها، وكذا رأى في رجوعه بُرجه برشيد، وأمر ببناءِ سورٍ لدمنهور، وبغيره من المصالح. ورجع ممّن كان في خدمته قبله العلمي ابن الجيعان[2]، فكانت خيرّة، حيث أدركته

(١) بدائع الزهور ٣/١٢٩، هو برهان الدين النابلسي وكيل بيت المال، قبض عليه السلطان، وسلّمه للأمير يشبك الدوادار ليستخلص منه الأموال، فاستمر يشبك يعاقبه حتى مات تحت العقوبة.

(٢) هو شاكر بن عبدالغني بن شاكر، علم الدين ابن الجيعان، ستاتي ترجمته في وفيات السنة (رقم ٢٠٢٧).

المنيةُ في محل استيطانه وبين عياله، وسافر حفيدهُ البدري أبو البقاء يوم وفاته، فأدرك السلطانَ بالنَّجيلة، فأظهر هو والجماعة مَزيدَ أسفٍ عليه، وبالغ في إكرامِهِ والتَّلطُّف به، وأجرى أمورهم على ما كانت عليه، ثم ألبس أجلّ أولاده الشرفي يحيى خلعة في جمادى الأولى.

وفي ربيع الأول ـ أيضاً ـ طرق السَّيِّد محمد بن بركات صاحبُ الحجاز جازان من اليمن، لكون صاحبها أبي الغوائر أحمد[1] بن دُرَيب لمّا وفد إليه أخوهُ مغاضباً له، لم يمشِ في إزالةِ الوَحْشَةِ، بل مَكَّنَهُ وأعانه على التَّجهُّز في البحر ومشاققته، ودار الكلامُ بينَ الفريقين في بذْل الطّاعة، فما أسعد أهلها بالموافقة، لكون أكثرِهم ممَّن يستعمل الأفيون، وثار رعاع الجانبين، بحيث أحرق البلد، ونهب ما وُجد به من متاعٍ وكُتب وغير ذلك.

وفي ثالث عشري جمادى الأولى، سافر السلطان في جماعة من أمرائه وخواصِّه، ثم تلاحق به غيرُهم إلى غزة، ثمَّ لطرابلس، ثم لجبلة، ثم لعنتاب، حتّى وصل إلى الفرات، ثمّ لقلعة الرُّوم، ثم ركب على ظهر الفرات إلى البيرة، واستمر راجعاً إلى حلب، ثمَّ إلى الشّام، ودخلها في المحفَّةِ لضَعْفِه فدام بقلعتها حتّى أشرف على العافية.

وجاءت البشارةُ، فزُيِّنت القاهرةُ، وأكرم كلُّ أحدٍ المبشِّرَ، وأدرك السلطان عيد الفطر بالصالحية، وبرز الشافعي، فخطب به، وكان طلوعه القلعةَ في يوم الخميس رابع شوال بعد أن زار في سَفْرته ما شاء الله مِنْ

---

(١) الضوء اللامع ١/ ٢٩٩.

مشاهدِ الصَّالحين، كإبراهيم بن أدهم، وصلّى الجمعة بكرك نوح[1]، ورأى أبراج طرابلس.

واستقـر في قضاء الحنفية بالشّام، بالشّرف ابن عيد، لموت قاضيها، وبحلب بالعزِّ ابن العديم. والشافعيَّة بغزة، بالشمس ابن النحاس بعد صرف المحيَوي ابن جبـريل. وفي نيابة القدس، بالنّاصري محمد بن حسن بن أيوب، بعد صرف شراقطلي، ولم يُفقد من جماعته سوى نقيب الجيش.

وفي رابع عشر شعبان، ركبَ الأتابكُ نيابةً عن السلطان في أُبَّهةٍ زائدةٍ إلى المسطبة بقرب زاوية كنفوش من الصَّحْرَاءِ، فالتبس الصوفَ، بل وألبس أمير سلاح جانبـك الفقيه إمـرةَ المحمـل، وأقبردي إمرة الأول، وبالغ في الدُّعاء بسلامة السلطان، ومزيد الحُزْنِ لغيبته.

وصلى عيدَ الفطرِ بجامعه الهائل، الذي أنشأه، وفي خدمته مَنْ بالقاهرة من المقدَّمين وسائرِ الأمراء، بل والدَّوادار الكبير، فكان كلٌّ منهما يوماً مشهوداً.

وفي خامس ذي الحجة استقر الولوي أبو البركات ابن الجيعان في نيابة كتـابة السِّرِّ بعد موت ابن الأنبابي بإلزام السلطان له، مع تصريحه بالعجز وعدَم المعرفة، واجتهاد غيره في السّعي فيها، وخَفَّفْتُ عن والده ما رأيته عنده بسبب ذلك.

---

(١) قريةٌ قرب بعلبك بها قبرٌ طويل، يزعمُ أهلُ تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام، معجم البلدان: ٤/٤٥٣.

وفي ثامن عشره استقر جانم ابن أخت السلطان شاد الشربخاناه بعد أن نُقل متوليها دولات باي حمام لنيابة إسكندرية. وانفصلت هذه السَّنة والأسعارُ في رخاء زائدٍ، مما لم يُعْهَدْ مثله من سنين.

٢٠١٥- ومات في ذي الحجة، قتلاً، شهيداً، عن ست وخمسين، قاضي الشافعية بطيبة الزكي محمد[١] ابن قاضيها فتح الدِّين محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن صالح الكنانيُّ المصري الأصل، المدنيُّ، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن صالح. وكان وجيهاً، عظيمَ الهِمَّة، متودِّداً للغُرباء، ذا فضلٍ وإفضالٍ، وتأسَّفَ النَّاسُ على فقده.

٢٠١٦- وفي سلخ ربيع الآخر، عن ستين، قاضي جدّة الكمال أبو البركات محمد[٢] بن علي بن محمد بن محمد بن حسين القُرشي المكي الشافعي، أخو عالمِ الحجاز البرهاني، ويعرف ـ كسلفه ـ بابن ظهيرة. مِمَّن حفظ «المنهاج» وغيره، واشتغل، وخطبَ بالمسجد الحرام، وأنشأ بمكة وغيرها دوراً حِساناً، وهادنَ وهادى، وصادقَ وعادى، وكان عالي الهِمَّة، نافذَ الكلمة، متودِّداً لأحبابهِ، حَسَنَ العِشْرة معهم، زائد الصفاء، سريع البادرة، مُحْسِناً لجمهور أقاربه، قائماً مع أخيه بما لا ينهض به غيره، بحيث كان معه في غاية الرّاحة، وقد عوّضه الله ممّن هو أعلى وأغلى.

٢٠١٧- وفي شوال، عن ثمانين، الشيخ ناصر الدين محمد[٣] بن

(١) الضوء اللامع ٣٦/٨.
(٢) الضوء اللامع ٢٠٨/٨، وشذرات الذهب ٣٣٦/٧.
(٣) الضوء اللامع ٢٩٢/٨.

قرقماس الأَقْتَمُري القاهري الحنفي، ويعرف بابن قرقماس. مِمَّنْ نظمَ ونثر، وصنَّفَ، وكتب الخط الفائق، واشتمل على فنون، مع التّواضع والكرم والتودد والنَّضارة والبهجة، وحُسْنِ المحاضرة، لولا ثِقَلُ سَمْعِه، وانقطاعه عن الناس كافّة، وتهجُّدهِ، وتلاوته، واعتقاده في الصَّالحين، بل كان ممن يقصد للزيارة. ومما كتبته عنه:

يا خليليْ أصاب قلبي المعنّى يوم سارَ الظُّعونُ والرُّكبانُ
ظاعنٌ طاعن برمح قوام قد علاه من مقلتيه سنانُ

٢٠١٨- وفي ذي الحجة، وقد جازَ السبعين، العز عبدالعزيز[1] بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن عمر العُقيلي - بالضّم - الحلبي الحنفي، ويُعرف - كسلفه - بابن العديم. ممَّن تميَّز وشارك، سيّما في الأدب، مع حشمة، وأصالة، ولطف عِشرة، وباشر تدريس الحلاوية وغيرها، وحدّث باليسير، ووليَ قضاء بلده قُبيل موته بقليل، مع امتناعه منه قديماً.

٢٠١٩- وفي ليلة الخميس، سلخ صفر، بالطّاعون، شهيداً، قبل الأربعين، لسان الدين أحمد[2] بن الأثيري محمد بن المحبي محمد بن محمد بن محمد الحلبي، قاضيها، ويُعرف - كسلفه - بابن الشّحنة. ممّن تولَّع بالفضائلِ، وشاركَ في الفرائضِ، وناب عن جدّه في كتابةِ سرِّ مصر، وولي قضاء الحنفيّة ببلده.

---

(١) الضوء اللامع ٤/٢١٨، شذرات الذهب ٧/٣٣٥.
(٢) الضوء اللامع ٢/١٩٤.

وقال حين عزله[1] بابن الديري:

كتابة السِّرِّ قد أضحت مُبَهْدَلةً ... لمَّا قلاها محبّ الدِّين قد هانت
وأصبح النَّاسُ يدعون المحبَ لها ... كيما يرقَ عليها بعدما بانَتْ

٢٠٢٠- وفي تاسع شعبان، قاضي الحنفية بدمشق، معزولاً، العلاء علي[2] ابن الشهاب أحمد بن الزين عبدالرحمن بن محمد بن محمد الزرعي الأصل الدمشقي، ويُعرف كسلفه بابن قاضي عجلون. ويقال: إنه لم يكن قائماً بشيء من العلم.

٢٠٢١- وفي ربيع الأول، عن ستٍّ وستين، قاضي المالكية بمكّة النورُ علي[3] ابن قاضي الشافعية بها أبي اليمن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن عبدالعزيز العَقيلي - بالفتح - النويريُّ المكِّيُّ. ممَّنْ تفنَّن وتقدَّم ودرَّس، وأفتى، وقضى، مع الفصاحة، والتلاوة، والطّواف، والتودُّد للغرباء، وحُسن العِشْرَةِ، ولو انضمَّ لمحاسنه المداراةُ، وتَجَنُّبُ كثيرٍ منَ الألفاظِ، لكانَ أجمل به.

٢٠٢٢- وفي صفر، وقد جاز السِّتِّين، أبو المواهب محمد[4] بن أحمد ابن محمد بن داود التُّونسيُّ المغربي، ثم القاهري المالكي، ويُعرف بابن زَغْدان. ممَّن تميَّز في الفضائل، وصنَّف، مع حُسن الشّكل والفصاحة،

(١) أي: عزل جَدِّهِ.

(٢) الضوء اللامع ١٦٨/٥، وهذه الترجمة أضافها المؤلف بخطهِ في حاشية النسخة في الورقة ٦٨/٢.

(٣) الضوء اللامع ١٢/٦.

(٤) الضوء اللامع ٦٦/٧، وشذرات الذهب ٣٣٥/٧.

ورقيق النَّظم، والخوض مع المتصوِّفة، بحيث عقد ناموس المشيخة، وعمل عدّة أحزابٍ، وصارَ ذا أتباعٍ وشهرة.

ومن نظمه:

ضِرْغَـامُ نفسـك طَلَّابٌ فَريسَتَـهُ	ونـائـلٌ منـك ما يرجـو ويقتصـد
وأنتَ ترجُـو المعـالي دون مَعْملها	فليس دونَ قتـالٍ يُؤخـذ الأسَـدُ

٢٠٢٣ـ وفي صفر، بحلب، منفصلاً، شهيداً، عن ستّ وستّين، قاضي الحنابلة بدمشق وغيرها، العلاء علي[١] بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح الدِّمشقي الصَّالحي، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن مفلح. ممَّن وَلِيَ قضاء حلب والشّـام غير مرَّة، ونظر جيش الأولى، وكتابة سرّ الثّانية، وكان خبيراً بالأحكام، ذا إلمامٍ بالوعظ، مُشَارِكاً في الجملة، كريماً، متواضعاً، متودّداً، محباً في الحديث وأهله.

٢٠٢٤ـ وفي ذي القعدة، الشيخ المعتقدُ إدريس[٢] اليماني الحُدَيْدي. ممَّن كان يُكثر التّردُّدَ لمكة في الحجِّ، مع حُسْن هدْيٍ وسكونٍ.

٢٠٢٥ـ وفي جُمادى الثاني، عن سبعين، الشريف علي[٣] بن محمود ابن محمد بن أبي بكر الحسيني الكُرْدي، الحلبيُّ القُصيري، ثم القاهري الشافعي، ويُعرف بالشّريف الكُردي. ممّن حجّ، وغزا، ورابط، وسافر في

---

(١) شذرات الذهب ٧/ ٣٣٥.
(٢) الضوء اللامع ٢/ ٢٦٦.
(٣) الضوء اللامع ٦/ ٣٦.

الرُّسلية لصاحب الغرب، ورقَّاهُ السلطان لنظر الأشراف والخانقاه وغيرهما، وتموّل جدّاً بعد الفاقة. وكان خَيِّراً، صافياً، شجاعاً، رَيِّض الخُلق، حَسَنَ العشرة.

٢٠٢٦ـ وفي جمادى الثاني، عن-دون الثمانين، نائب كاتب السِّرِّ النور علي[١] بن أبي بكر بن محمد الأنصاريُّ الأنبابيُّ القاهري الشافعيُّ، ويُعرف بابن الأنبـابي. ممَّن تميَّزَ في التـوقيعِ والكتابةِ، وصار رأسَ جماعته، مع تواضعٍ وسياسة، وبشاشة وحشمةٍ، ومحبَّة في الفضلاء، وربما تردَّد بعضهم إليه لإقرائه.

٢٠٢٧ـ وفي ربيع الآخــر، وقـد جاز التِّسعين، العلمي شاكـر[٢] بن عبـدالغني بن شاكـر بن ماجـد بن عبـدالـوهاب القاهريُّ الشّهير، ويُعرف ـ كسلفـه ـ بابن الجيعان. ممّن ترقى حتّى صار مرجعاً في الدول، وعُرف بجودة الرّأي، وحُسْنِ التّدبير، ووفور العقل، مع السُّكون والتّواضع، وترك رعونات النَّفس، وقوّة الجأش والهمّة، والصَّبر، والقُرب من الفقراء، وصدْق اللَّهجة، والبذْل الخفيّ، والمآثر الظّاهرة كجامع البركة، وخانقاه سرياقوس. ورأيتُ له بعـد موتـه بمُـدَيْدَةٍ مناماً يشهد له بخير. وربما أجاز في بعضِ الاستـدعـاءات لإجـازة ابن صُدَيق، والـزَّين المـراغي، والمجد اللُّغوي، وخلق، له في استدعاء مؤرّخ بسنة ستٍّ وثماني مئة.

---

(١) بدائع الزهور ٣/١٣٥، والضوء اللامع ٥/٢٠٦.

(٢) شذرات الذهب ٧/٣٣٤، والضوء اللامع ٣/٢٩١.

٢٠٢٨ـ وفي المحـرَّم، شهيداً بالـطّاعـون، دولات[1] باي النَّجميُّ الأشـرفيُّ بَرْسَبـاي، حاجب الحجّاب بدمشق. ممَّن تَسَحَّبَ لبلاد الرّوم، وحضـر مع ملكها بعض الوقعات، ثمَّ قدم فأكرمه السُّلطانُ، ولم يلبث أن مات، ونزل فصلى عليه.

٢٠٢٩ـ وفي ذي القعدة، فجاءة، وقد جاز السَّبعين ظَنَّاً، ناصر الدِّين محمـد[2] بن عبـدالله بن طغـاي الـدّمشقيُّ الكمـاليُّ، نسبـةً للكمال ابن البـارزي. ممَّن رقّاه الظاهر خشقدم، وزادت وجاهته وأمواله، مع تواضعه وعقله وأدبه ووقوفه مع قدرة، وصُودر منه ومن غيره، واختفى ثمّ ظهر، ولزم بيته، مع إحسان لبعض الفقراء.

٢٠٣٠ـ وفي جمادى، أو رجب، حسن[3] بك بن علي بك بن قَرَايَلُوك، مُتَمَلِّكُ العراقين وأذربيجان وديار بكر، ويُعرف بالطويل، بعد أخذِ ابن عثمان ملك الروم جُنده، واستقرَّ بعده ابنه الأكبر خليل، ولم يلبث أن قتله أخوه.

٢٠٣١ـ وفي صفـر، عن دُونِ الخمسين، الشّرفُ موسى[4] بن يوسف البُـوتيجي المصـري القـاهـري، ويُعـرف بابن كاتب غريب. ممّن ترقّى للأستادارية وغيرها، وكان في الظلم بمكان.

---

(١) بدائع الزهور ١٢٧/٣، والضوء اللامع ٢٢١/٣.

(٢) الضوء اللامع ٩٢/٨.

(٣) الضوء اللامع ١١٢/٣، وشذرات الذهب ٣٣٤/٧ (وفيه: قرايلو ك).

(٤) الضوء اللامع ١٩٢/١٠، وبدائع الزهور ١٢٧/٣.

٢٠٣٢ـ وفي المحرم الشَّرف يحيى[١] المصري، ويُعرف بابن صنيعة. ممَّن خـدم بالكتابة، بل باشر التّوقيع، وترقّى للوزر قليلاً، وكان عشيراً.

٢٠٣٣ـ وفي صفر جوهر[٢] الحبشي شراقطلي الخازندار الزمام، واستقرَّ بعده خَشْقَدم[٣] الأحمدي اللالا شاد السواقي.

(١) بدائع الزهور ٣/١٢٧، والضوء اللامع ١٠/٢٦٨.

(٢) الضوء اللامع ٣/٨٢، وبدائع الزهور ٣/١٢٧.

(٣) خشقدم الظاهري جقمق الرومي اللالا، صار أحد السقاة في أيام الأشرف قايتباي ورأس نوبة السقاة وشاد السواقي ورأس نوبة الجمداري، ثم ترقى حتى أصبح وزيراً، ثم خازنداراً بعد وفاة شراقطلي، فظلم وعسف وذُكِرَ بكل سوء وأهين، ثم جدد زاوية قطاي تحت القلعة، الضوء اللامع ٣/١٧٦.

سنة ثلاث وثمانين وثماني مئة

في محرَّمها انتشر جرادٌ كثيرٌ، خِيفَ منه، فلم يلبث أن هلك بالسُّموم الزَّائدة، وكذا وقع بمكة، لكن في أثنائها، وأثَّر.

وأُمسك أمير المحمل جانبك الظاهري الفقيه أمير سلاح من العقبة، فأودع بالقدس بطالاً، وما تمت السَّنة حتَّى مات، واستقرَّ في وظيفته بعد أشهر الدَّوادار الكبير.

وفي صفر كانت كائنةُ الإمام البرهان الكركي، بسبب الذي نُسب إليه أنَّه ضربه، ودفعه برجله، ومات بعد أيَّام، وتكرّر فيها الاجتماع عند رأس نوبة النوب والسلطان، وآل الأمرُ إلى التباري من الجانبين في باب المالكي.

وفي جمادى الأولى، رجع الدَّوادار الكبير من الصَّعيد بعد إرساله بَرأسَي يونس بن إسماعيل بن عمر أمير هوارة، ومازن بن أبي خُليف، فَعُلقتا، ومعه الآن ولدان، لأولهما وأخوه أحمد، وولد لثانيهما في طائفة من أبنائهم وأتباعهم، فَعُلِّقَ منهم سبعة وهم أحياء بباب زويلة كسوار، فمات الثلاثة الأولُون، وَدُلِّيَ من بقي، فأودع السِّجن، ووسّط من الأتباع تسعة عشر نفساً، وبلغ الدوادار غرضه بالانتقام من يونس، فإنَّه حين كان كاشفاً في سنة إحدى وسبعين جَرحَه بجرحة، بل وقتل ثلاثين من مماليكه.

وفي جمادى الثّاني، كان النِّزاعُ بين شيخ الشافعي والتّقي ابن الأوجاقي بسبب حوانيت جارية في وَقْفِ الشافعي أو في استحقاقه، وتكرّر النِّزاع، وانتشر الكلام، وآلَ الأمرُ إلى إعذار الثّاني، وأسعد الأول بتوعك الحنفي، وشرع في عمارتها لجهتها.

وفي رجب كان دخول جانم ابن أخي[1] السلطان على زوجته أخت خوند[2]، وكانت لذلك مقدمات هائلة أعظمها زفافه من بيته لبيت العروس، فهو أمرٌ زائدِ الوصف، لمشي المقدمين وغيرهم مِنَ الأمراء بين يديه بالشّاش والقماش، وإمساك الدّوادار الكبير وحاجب الحجّاب بلجام فرسه يميناً ويساراً، ولغير ذلك.

وفي شعبان، استقر البدر ابن الكُوَيْز في نظر الخاص مضافاً للمعلمية بعد تَمَنُّعٍ كبير، والمجد ابن البقري في الأستادارية، كلاهما عن التّاج ابن المقسي، وصودر كثير من أعوان الوظيفتين.

وفي رمضان، توجّه السَّيِّد محمد بن بركات صاحب الحجاز إلى المدينة النَّبوية، لينظُرَ في العَيَاسى قَتِلة قاضيها الزَّكيّ ابن صالح، فلم يقابله أميرها ولا غيره ممَّن يحصل الغرض، فترك مجمولاً الحسني من بني إبراهيم مع ثلاثين فارساً وغيرهم مِنَ الرِّجال لحفظها، وعادَ بعد أحد عشر يوماً، وراسل في عَزْل الفارِّ منه، وتقرير قُسيطل بن زُهير الحسيني، فأُجيب، وفرح جمع

(١) في نسخة «ب»: أخت، والمثبت من نسخة «ك».

(٢) تزوج جانم الأشرفي قايتباي من شقيقة خوند زوجة السلطان، وهي ابنة العلاء علي بن خاص بك. الضوء اللامع ٣/٦٤.

من المدنيين، وجاءت الأخبارُ في السنة القابلة بالثناء عليه.

وفي شوال: سافر أبو الفتح المنوفي[1] مع الحجّ على نظر بندر جدّة بعد انقطاعه عنها بقراجا المترادف التّشكّي من ظُلْمهِ وجَوْرِه، مع عدم الرّضا الآن من المستقر بما كان يؤخذ منه.

وكان أمير المحمل أمير آخور قجماس، وبرز في تجمل زائد، وحَسُنَتْ سيرتهُ.

وفي ذي الحجّة، ورد المبشر، وجاءت الأخبار بالغلاء الزّائد بمكّة، بحيث لم يُسْمَعْ في هذه الأزمان بمثلهِ، وقيل: إن غَنِيَّها افتقر، وفقيرَها مات، هذا مع الرَّخاءِ الزَّائدِ بمصر في كلّ شيء، بحيث كان إردب القمح النهاية بنصفِ دينار، والأمن في الموضعين متزايد، والأسباب كاسدة، والدّرهم جامد.

وكملت مدرسة السلطان التي جدّدها بالرُّواقِ الشرقي من المسجد الحرام، وغالب رباطه.

ومات نائب الشام جانبك الأشرفي برسباي، ويعرف بِقُلْقْسِز[2]، وتوجَّه البدريُّ أبو البقاء ابن الجيعان لضبطِ مَوْجُودِه، فكان شيئاً كثيراً، ونقل

(١) يوسف بن محمد بن محمد الجمال بن البدر أبي الفتح المنوفي الأصل القاهري الماضي أبوه، كاتب المماليك، ويُعرف بابن أبي الفتح المنوفي، استقر في كتابة المماليك بعد عبدالكريم بن جلود، ويذكر باحتشام، وقد صادره السلطان مرة. الضوء اللامع ١٠/٣٣٣.

(٢) الضوء اللامع ٣/٥٥. وستأتي ترجمته في وفيات السنة.

قانصوة اليحياوي[1] من نيابة حلب إليها.

٢٠٣٤ـ ومات في رمضان، بطيبة، وقد جاز الثمانين، العالمُ القدوة الزَّاهد، الشهاب أحمد[2] بن إسماعيل بن أبي بكر الأبشيطيُّ، ثم القاهري الشافعي، أحد السّادات. ممّن صنَّف، ونظمَ ونثر، وأقرأ، وقطَنَ طَيْبَة دَهراً، فانتفع به الشَّارد والوارد. ومما سمعته من نظمه:

المنجيات السَّبع منها «الواقعة» وقبلها «يسٓ» تلك الجامِعَةْ
والخمس: «الانشراحُ» و«الدخانُ» و«المُلْكُ» و«البروج» و«الإنسان»

٢٠٣٥ـ وفي المحرم بمكة، عن بضع وستّين، الفاضل النّحوي، أبو العَزْم محمد[3] بن محمد بن يوسف القدسيُّ الحلاويُّ الشافعي، نزيل مكة. ممَّن فرَّ إليها بعد كائنة الكنيسة، فقطنها مُديماً للاشغال والعبادة، مع ارتفاقه ببِرِّ أهلِ المعروف، وكان لا بأس به.

٢٠٣٦ـ وفي شعبان، وقد زاحم الثَّمانين، القاضي العلاء علي[4] ابن التّاج محمد ابن قاضي القضاة الجلال عبدالرَّحمن ابن شيخ الإسلام السّراج عمر، البلقيني الأصل، القاهري الشافعي. ممَّن درّس بأماكن، وناب في القضاء، وكان مفيداً، قويّ الحافظة، بحيث كان جدّه يُقدِّمُهُ للهروي، كثير

---

(١) قانصوه اليحياوي الظاهري جقمق نائب الشام، ولي نيابة إسكندرية، ثم طرابلس فحلب، ثم نيابة الشام ثانية، الضوء اللامع ٦/١٩٩.

(٢) الضوء اللامع ١/٢٣٥ـ٢٣٧، وشذرات الذهب ٧/٣٣٦ـ٣٣٧.

(٣) الضوء اللامع ١٠/٣٥.

(٤) الضوء اللامع ٥/٣١٠ـ٣١١.

التَّودُّد والتَّواضع، محباً للرَّاحة، وما مات حتّى ضَعُفَ حاله جدّاً.

٢٠٣٧- وفي رجب، بصالحية دمشق، عن دون السِّتِّين، العالمُ المصنِّفُ، التقيُّ أبو بكر[1] بن زيد بن أبي بكر الجرَّاعي، الدِّمشقي الصَّالحي الحنبلي. ممَّن تصدَّى لنفع الطَّلبة والإفتاء والتَّصنيف، مع الذّكاء والفصاحة، وطلق العبارة، وطرح التَّكلُّف، وربما نظم. ومحاسنهُ جمّة.

٢٠٣٨- وفي رجب جانبك[2] بن طُطُخ الظاهري جقمق، ويدعى بالفقيه. ممَّن ترقى حتّى صار أمير سلاح، وحجَّ بالنَّاس، فلم يُحْمَد تَصَرُّفُه في سَيْرِهِ، مع تواضعه مع العلماء والصَّالحين، وبِرّه وخيره، ومآثره التي منها تربةٌ جوار تُربة الظَّاهر خشقدم، وبها جماعة، وسبيل عند رأس سويقة مُنْعم، هدمه الدوادار للمصلحة ـ فيما زعم ـ لكونه كان في الطَّريق، وهو فيما قيل المُغْري للسلطان به حتى أمسك كما قدَّمته.

٢٠٣٩- وفي ذي الحجة جانبك الإينالي الأشرفي برسباي[3]، ويعرف بقُلَقْسِزْ، ومعناه: بغير أُذن، فَقُلَقْ هو الأُذُن، وسِزْ نَفْيٌ. ممَّن ترقى لنيابة الشّام، وحجَّ أمير المحمل وقتاً، وكان في الفروسية بمكان، ومع ذلك فأُسِرَ في كائنة سوار، وشُلَّ إبهام يده، وبكَّتَ السلطانُ بذلك سوَّاراً فيما عدده من مساوئه، ورفع من شأن هٰذا.

٢٠٤٠- ودولات[4] باي الأشرفي، ويعرف بحمام، بإسكندرية. ممَّن

---

(١) الضوء اللامع ١١/٣٢-٣٣، شذرات الذهب ٧/٣٣٧.

(٢) الضوء اللامع ٣/٥٣. (٣) الضوء اللامع ٣/٥٥، وبدائع الزهور ٣/١٥٠.

(٤) الضوء اللامع ٣/٢٢٠، وبدائع الزهور ٣/١٤٨.

تنقـل لشدِّ الشربخاناه، ثم لنيابة إسكندرية، واستقر في النِّيابة بعده إينال الأشرفي قايتباي.

٢٠٤١- وفي ذي القعدة، رأس نوبة الجمدارية أبو يزيد[1] بن طَرَباي الأشرفي برسباي، والد الفاضل حافظ الدين محمد الحنفي. وكان محباً في العلمـاء والصَّـالحين، راغباً في الإطعام والبرّ في الجملة، وللسلطان إليه مَيْلٌ، بل يقال: إنه رفيقه في الجلب، واستقر بعده في الوظيفة.

٢٠٤٢- وفي ربيع الثاني، عن بضع وسبعين، ملك اليمن في عصرنا، أبـو الحسن علي[2] بن طاهـر بن تاج الدِّين. ممَّن وُصف بالعدل والعقل والشجاعة والبذل والمآثر، كمدرسةٍ بتعز وغيرها، بل قيل: إنَّه وقف جميع ما كان في مُلْكِهِ من عقارٍ على المسلمين. واستقر بعده ولَدُ أخيه.

٢٠٤٣- ويونس[3] بن إسمـاعيل بن يوسف بن عمـر الهواريُّ، أميرها ورأسُ الموجودين من بني عُمر، قتل هو وأخوه الأمير شهاب الدين أحمد، كما تقدَّم.

٢٠٤٤- وفي ذي الحجة، بإسكندرية، وقد جاز الثمانين، التَّاجرُ الخيِّرُ، يعقوب[4] بن محمد بن صديق البرلسيُّ، أحد من أُسِرَ ثم خَلَص، وكان غايةً في الخير والعبادة، مديماً للتلاوة، صادق اللهجة، متواضعاً، وأوصى بِقُرَبٍ فُعِلَ الكثيرُ منها.

---

(١) الضوء اللامع ١١/١٤٩-١٥٠.

(٢) الضوء اللامع ٥/٢٣٣، وشذرات الذهب ٧/٣٣٨.

(٣) الضوء اللامع ١٠/٣٤١، وبدائع الزهور ٣/١٤٦.

(٤) الضوء اللامع ١٠/٢٨٥-٢٨٦.

سنة أربع وثمانين وثماني مئة

في محرمها، طلع الحنفي مع القضاة بعد تَعَلُّله مُدَّةً، ثم طلع في عاشره، فألبس كاملية، وعجز في رجوعه، بحيث نزل بجامع الصّالح للاستراحة، وكان رفقته معه تجملاً، فنزلوا معه.

وفي سادس عشريه، بُويع العزي عبدالعزيز بن الشرفي يعقوب[1] ابن المتوكل على الله مِنَ السُّلطان، ثم القضاة، وأهل الحلّ والعقد بالخلافة بعد موت عمّه، ولُقّب كجده، وسُرَّ الناس لمحاسنه وشريف خصاله وأوصافه.

وفي أواخر صفر، أمسك حاجب الحجَّاب أُزْدَمُر الطويل، وجهز لمكَّةَ بطالاً، وبعد أشهر استقرّ في الحجوبية الأمير برسباي قرا.

وفي ربيع الأول، استقر قانصوه الأشرفي خمس مئة دواداراً ثانياً بعد صرف تَنْبَك قرا، مع سياسته ودُربته، وصار مقدماً.

وفي ربيع الآخر، كان التجاذبُ بين ابنة السفطي الكبرى وابن أختها ابن الشحنة الصَّغير في النَّظَرِ على أوقافِ أبيها، وأنكرَ السلطانُ تقديمه عليها، ولَوَّحَ، بل صَرَّح بما هو معلوم.

---

(١) بدائع الزهور ٣/١٥١.

وفي سَلْخِه، قدم المؤيدُ أحمد ابن الأشرف إينال من اسكندرية، لكونِ أمِّه على خطة، واستمر حتَّى ماتت، وشهد دفنها ومأتمها، ثمّ عاد في أثناء رجب بأحمالها وأموالها بعد مزيد إكرامه واحترامه ومعاملته من السلطان، فَمَنْ دونه بما يليقُ بجماله وخصاله.

وفي رابع جمادى الأولى ـ وهو سلخ ـ أبيب كُسِرَ سَدُّ النيل بعد الوفاء من أمْسهِ، واستُغرب الوفاء في أبيب، مع وقوعه في سنة خمس وأربعين، في سابع عشريه كما قدَّمته[1].

وفي عاشره سافر السلطانُ في جَمْعٍ من أمرائه وحاشيته إلى إسكندرية حين إقامة المؤيد بالقاهرة، فرأى بُرجه الذي أمر بإنشائه بها حين دخلها تلك المرّة، وكذا بُرْجَهُ برشيد، وزار مشاهد جماعة أوليائها وبغيرها، ثمَّ عاد في يوم الثلاثاء ثامن عشريه.

وفي رجب، صُرِفَ الشَّرف ابن عيد عن قضاء الحنفية بدمشق بالتاج عبدالوهاب ابن عربشاه بكلفة تأثر لها حالاً ومآلاً، مع الإسراع بصرفه.

وكان الحريق في الجامع الأموي بدمشق.

وفي شعبان، نُفي معروف شاد الحوش إلى الصَّعيد، ولم يلبث أن مات، واستقر بعده في الشادية سرور الحبشي الجرباشي.

وكانت كائنة البقاعي بسبب انتقاده كلاماً لحجة الإسلام الغزالي، وتصنيفه في الرَّدِّ عليه، لعدَم فَهْمِ مقاله، كان اللائق إخماده، بالإعراض

(١) بدائع الزهور ٣/ ١٥٥.

كما لمسلم أن القول المطرح أحرى لإماتته وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهاً للجُهَّال عليه.

وفي شوال، نفي مثقال الحبشي مُقَدَّمُ المماليك، واستقر في التقدمة بعده نائبهُ خالص النوري، لكن في السنة الآتية.

وفي رمضان، استقرَّ شاهين الجمالي أمير الأول.

وفي شوال استقرّ أخُوه يشبك الجمالي في الزردكاشية. وسافرا مع خشقدم الزمام أمير المحمل في خدمة السلطان للحجّ، تأسِّياً بمن قبله من الملوكِ، كالظاهر بيبرس، والنّاصر محمد بن قلاوون، فبدأ بالزِّيارة النبوية، ثمَّ بمكَّة، وتصدَّقَ على أهل الحرمين بالكثير، وقَرَّرَ آمرَ مدرسته ورباطه، ورجع بعد ثمانين يوماً، وقد ظهرَ من تواضُعِه وخشُوعه في طوافه وعبادته ما عُدَّ في حسناته، بل بلغني عن بعض الصّالحين أنّه أخبر برؤية النبي ﷺ في المنام تلك الأيام، وأخبر بأنه من الفرقة الناجية، بارك الله للمسلمين في حياته(١).

وممَّن كان معه: البدري أبو البقاء ابن الجيعان، وله في مقدمات سفره ولواحقها وما بينهما من التدبير الناشيء عن يقظته وفطنته ما زاحمَ به أبَاهُ وجدَّهُ، وأخوه نائب كاتب السِّرِّ الولوي أبو البركات.

وفي ذي الحجّة، سافر الدوادار لجهة دمياط، وضحَّى بمنية غَمْر، ولم يلبثْ أنْ رجع بعد وصوله إلى المنصورة في ثاني عشره لثورانِ عارضه، بحيث

---

(١) بدائع الزهور ١٥٩/٣.

ركب المحفّة من بولاق لبيته.

وانسلخت هذه السَّنــة، والـرَّخـاء زائـد جداً، مع يبْسِ الـدرهم في المكاسبِ، وتعطيلِ أكثرِ جهاتِ الفقهاء بالمزاحمة في رَيعها، واستضعاف جانبهم، لكثرةِ الدَّخيل فيهم، وعدم تنزيلهم منازلهم.

أنـا فَ الـذُّ نابـا على الأَرْؤسِ فَغَــمِّضْ جُفـونــكَ أو نَكِّسِ
وضَــائِــلْ سَوادكَ واقــبضْ يديكَ (م) وفـــي قَعْــرِ بيتــك فاســتــجلِسِ
وعــنــد مليكــك فابْــغِ الــعُـلُوَّ (م) وبــالــوحــدة الــيوم فاســتــأنسِ
فإنَّ الـغِـنَـى في قلوب الــرجــال (م) وإنَّ الــتــعــزُّز للأنــفسِ
وكــائــن ترى من أخــي عُسْــرَةٍ غنِــيٍّ وذي ثروةٍ مفــلسِ
ومــن قائــم شخــصــه ميتٌ على أنّــه بعْــدُ لم يرْمَسِ

٢٠٤٥- ومات في صفر، ببولاق، عن نحو ستين، الشَّرفُ موسى[1] بن أحمـد بن عمـر بن غنـام الأنصـاري، السنكلونيُّ البرنكينيُّ، ثم القاهري الأزهري الشافعي، شيخ الجيعانية ببولاق. ممَّن درس، وأفتى، مع التفنن والتواضع، وحسن العشرة، والانجماع عن بني الدنيا، والتَّقنّع، ونعم الرّجل كان.

٢٠٤٦- وفي ذي القعــدة، عن ستٍّ وستين، مُحَــدِّثُ حلبَ، وابن حافظهـا، موفق الـدّين أبو ذرّ أحمد[2] ابن البرهان إبراهيم بن محمد بن خليل، الطرابلسي الأصل، ثمَّ الحلبيُّ الشافعيُّ، وهو بكنيته أشهر. ولم

(١) الضوء اللامع ١٠/١٧٥.
(٢) شذرات الذهب ٧/٣٣٩، والضوء اللامع ١/١٩٨ و ١١/١١٠.

يخلف هناك في مجموعه مثله. ممَّن صنَّف، ونظم، ونثر، ووعظ، وأسمع، وقرأ على العامَّة، وحفظ كثيراً من المُبْهَم والغريب، وفاق ذكاءً وتواضعاً، وطرحاً للتَّكلُّفِ، وخفّة روح، أثنى عليه شيخُنا، وكتب عنه مما سمعته من قائله:

لك طَرْف أحْور حوى رقى غنج نعاس
وقَدْ قَدُّ القَنَا أهيفٌ نَضِر ميَّاس
ريقُك ماء الحياة يا عاطِرَ الأنفاس
عذارك الخِضْر يا زيني وأنت آلياس

٢٠٤٧ـ وفي ربيع الأول، وقد ناهزَ الأربعينَ، في حياة أبويه، البدر محمد[1] ابن التاج محمد بن إبراهيم بن عبدالوهاب، الإخميميُّ الأصل، القاهري الشافعي. ممَّن تميَّز، وشارك، وناب في القضاء، وتكلَّم في جهات، مع التودُّد والاحتشام.

٢٠٤٨ـ وفي أثناء رمضان بحماة، قبل إكمال الأربعين، في حياة أمّه، التَّقيّ عبدالكافي[2] بن عبدالقادر بن الشّهاب أحمد بن أبي بكر، الحمويُّ الأصل، القاهري، الشافعي، سبط العلمي البُلْقِيني، ويُعرف بابن الرَّسّام. ممَّن تميّز، وناب في القضاء، ودرس بجامع أَصْلَم، وأثرى، وكان لا بأس به، عوضه الله الجنة.

٢٠٤٩ـ وفي شوال، وقد جاز التِّسعين، الشَّرف محمد[3] ابن القاضي

(١) الضوء اللامع ٨/٢٩٨. (٢) الضوء اللامع ٤/٣٠٣.
(٣) الضوء اللامع ٩/٢٦٣ـ٢٦٤.

جمال الدّين محمد بن عمر بن علي القرشيُّ الطنبديُّ، القاهريُّ، الشافعيُّ، والد الشيخ نجم الدين، ويعرف ـ كسلفه ـ بابن عرب.

٢٠٥٠ـ وفي ذي القعدة، وقد جاز التسعين أيضاً، المسند الفريد، الشهاب أحمد[١] بن عبدالقادر بن محمد بن طريف، الشّاويُّ الأصل، القاهري، الحنفي، ممَّن تفرَّد برواية الصَّحيح بالسَّماع المتَّصل مع العلوّ، وحدّث به غير مرّة، وكان أصيلاً، قانعاً، صابراً، جلْداً، مُمَتَّعاً بحواسِّه.

٢٠٥١ـ وفي ذي القعدة، عن بضع وسبعين، الشّمس محمد[٢] بن أحمد بن علي بن خليفة الدكماويُّ، المنوفيُّ، ثم القاهري، الأزهري الحنفي، إمام المدرسة السودونية وخطيبها، بل المتكلّم في أوقافها، ويلقب حُذيفة. وكان حَسَنَ الشكالة، تامَّ الكرم، عظيم الهمّة مع من يقصده، كثير التودُّد والعقل. وهو أخو الشيخ نور الدّين أخي حذيفة.

٢٠٥٢ـ وفي المحرم، عن أربع وثمانين، أحمد[٣] بن عبدالله الزواويُّ اللوليُّ المالكي، نزيلُ الجزائر. من المشهورين بالصَّلاح والعلم والورع والتَّحقيق. أفاده لي بعض المغاربة.

٢٠٥٣ـ وفي شعبان، وقد قارب السبعين، قاضي الحنابلة بدمشق، البرهان إبراهيم[٤] ابن أكمل الدين محمد ابن الشرف عبدالله، ابن العلامة صاحب «الفروع» الشمس محمد بن مفلح المقدسي، الرَّامينيُّ الأصل، ثم

(١) الضوء اللامع ١/٣٥١-٣٥٢.
(٢) الضوء اللامع ٧/١٢.
(٣) الضوء اللامع ١/٣٧٤، وفيه: الملوي.
(٤) شذرات الذهب ٧/٣٣٨-٣٣٩، والضوء اللامع ١/١٥٢.

الـدمشقي الصـالحي، ويُعـرف ـ كسلفه ـ بابن مفلح. ممَّن صنَّف ودرس وأفتى، وانتفع به الفضلاء، وحُمِدَتْ سيرتُه، وعُيِّنَ لقضاء مصر، فما وافق، مع الرّئاسة والوجاهة والفصاحة والشكالة. واستقرّ بعده في قضاء دمشق ابنه النّجم عمر.

٢٠٥٤ـ وفي المحرم، عن ستٍّ وثمانين، أمير المؤمنين المستنجد بالله أبـو المظفَّر يوسف(١) ابن المتوكّل على الله أبي بكر بن سليمان الهاشمي العباسي، آخر الإخوة الخمسة المستقرين في الخلافة، وكان ساكناً بهيَّاً، مُجابَ الدَّعوة.

٢٠٥٥ـ وفي شعبـان، جانم السيفي تمـربـاي(٢). مِمَّن رقَّاه السلطان للزردكـاشية، وسافر لسوار مرة، وابتنى بجوار منزله بالقرب من زقاق حلب سبيلاً، ومكتباً للأيتام، وكان مثرياً، قليل الخير.

٢٠٥٦ـ وفي ربيع الآخر، وقد جاز العشرين، جانم الأشرفي قايتباي، وابن أخيه. مِمَّن بالـغ في ترقيه، فأعـطاه الجـوالي، ثمَّ الكسوة، ثمَّ شاد الشربخاناه، ثمَّ قَدَّمه، وزَوَّجَهُ أخت زوجته، بل عزم على إعطائه الدَّوادارية الكبرى، فلم يلبثْ أنْ مات، وكان شاباً، ساكناً، عاقلاً، حَيِيَّاً، غايةً في الجمال.

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٣٢٩، وفيه: يوسف بن محمد بن أبي بكر بن سليمان بن أحمد بن حسين أمير المؤمنين المستنجـد بالله أبـو المظفر بن المتوكل على الله، شذرات الذهب ٧/٣٣٩، وبدائع الزهور ٣/١٥١.

(٢) الضوء اللامع ٣/٦٤ـ٦٥.

سنة خمس وثمانين وثماني مئة

استهلت والخليفة المتوكل على الله العالمي العاملي العزي عبدالعزيز ابن الشرف يعقوب ابن المتوكّل على الله العباسي الهاشمي.

وفي صفرها ركب السلطان في جمعٍ من أمرائهِ وخاصَّتهِ إلى القُرين مكان بنَى فيه مدرسة وحوضاً وغيرهما، فباتَ به، ثمَّ إلى الصَّالحية، وخطبَ به القطب الخيضريُّ للجمعة فيها[1].

وفي ربيع الأول، نظر الدّوادار الكبير في حالِ الضُّعفاء، وصرفَ لأهلِ المؤيدية نحو سنتين، ثم لأهلِ سعيد السعداء سنةً فما دونها، ثمَّ للبيبرسية ثُلثَ سنة.

وتأسَّى به كثيرٌ من النُّظَّارِ، بحيث صُرِفَ لجماعة البرقوقية خمسة عشر شهراً.

ثمَّ في الذي يليه سافر للبلاد الشامية في عسكرٍ هائلٍ، فكان مع نُواب البلاد الشامية وعساكرها، ومن انضمّ إليها بحلب، وقُدِّر تحسين مسيره للبلاد العراقية، فأرسل مَنْ كبَسَ حَرَّان، وفعل فيها الرَّعاع القبيح، وأرسل نائب

(١) بدائع الزهور ٣/١٥٣ـ١٥٤، والضوء اللامع ٣/٦٤.

(٢) بدائع الزهور ٣/١٦٤.

الشام بعساكره فاستولى عليها إلا القلعةَ لتَحَصُّنِها، وقبض على جماعة، ورجع الجميع، ووصل عِلْمُه ليعقوبَ ابن حسن باك، صاحب ديار بكر، والعراقين، وقاتل أخيه فجهز وهو بتوريز[1] أحد أمرائهم أمير باين دُرْ في طائفة من أمرائه وغيرهم لكشفه، مع وصيتهم بعدم ابتداء قتال.

وحينئذٍ توجه الدوادار بالعساكر كلها نحو البيرة، واستدعى يُبْداق بن دُلغادر أخي سوار، فوافاه عندها، ثم قطع بهم الفُراتَ، وتوجّه إلى الرُّها مُجدّاً في حصار القلعة، متحفظاً على نفسه وعساكره، مع كون العسكر العراقي بمرأى منه ومَسْمع، إلى أن راسلوهُ في الصُلح، فامتنع، وأمهلهم لوقت، فقَبْلَ انقضائه كبَسُوا المناخ، وأخذوا بعض جماله، فاستشاط غضباً، ورَكِبَ بعد عَصْرِ أثناء رمضان بالجيوش، حتّى التقيا، فحمل نائب حلب[2] ـ وهو في الميسرة ـ على ميمنة أولئك، فأزالها، وكادت الكسرة عليهم بحسب الظاهر، فاتفق انفلالُ ابن دلغادر، وكان في الميمنة ـ بعد مُناوشةٍ يسيرة.

وعاد نائب حلب لقلب العسكر ليكون تحت الصنجق السلطاني، فظنُّوه ـ أيضاً ـ منهزماً، ففَتَّ في عضدهم، وانتهز عسكر أولئك الفُرصة، فولى العسكر المصري، وثبت الدوادار حتّى قبض عليه غروبَ يومه، فضُربت عُنُقه صبراً بعد أنْ كلّمه بكلماتٍ مزعجة أجابه بها عن قوله: ما الحاملُ لكَ على القتالِ في رمضان؟ وحُمل رأسه مع الأمراء المقبوض عليهم ليعقوب بعد أن قتل بين الفريقين خلقٌ، الأقل جداً من أولئك[3]. وتكدَّرت الخواطرُ، وارتجت الدِّيارُ المصرية، وعين السلطانُ الأتابكَ وغيره، فتوقف رأس نوبة

(١) هي تبريز المعروفة.

(٢) نائب حلب: أزدمر.

(٣) بدائع الزهور ٣/١٦٥، ١٧٠، ١٧١.

النُوب وخير بك من حديد، وطرد أولهما جماعةَ بابهِ، وقطنَ ببيتهِ، والثاني بمـدرستـهِ، مع إظهـارِ كلٍّ منهما التَّنصلَ من الإمرةِ، ولم يلبثْ أنْ طلع الأول، وخلع عليه للاستمـرار والـرضـا، وأخرج الثاني مع عسكرِ الأتابك المشتمـل على بعض المقـدمين، فَمَنْ دونهم من الأمـراء، فسُجن بقلعة دمشق، ولكون العساكر بحلب، مع التَّأكيد في عدم مجاوزتها، وما كان إلاّ اليسير.

ووصـل كتـابُ تَنْبَك قَرَا [1] بخلاصه بالحيلة من الأسر حتّى وصلها، وكتاب ثانيهما بأنه عند العرب، ويطلبُ مبلغاً لخلاصه. وكذا أرسل بخلاص نائبي الشّام وحلب وغيرهما.

وعــرض السلطانُ جميع أبنـاء النـاس، وطلب من كُلِّ البـلاد القبليّة والبحرية جماعة، وكذا من مشايخ العربان، وأظهر الجد في السَّفر منتظراً ما يطالعـه به الأتـابك. وجِيءَ بجُثّة الدّوادار في ليلة الجمعة ثامن عشر ذي القعدة من محل قَتْلِه، وتلقّاها السلطانُ وجميع المقدّمين فَمَنْ دونهم، ودُفنت بتـربة صاحبها التي أنشأها بالصّحراء، وصُلّيَ عليه من الغد صلاة الغائب بجامعي الأزهر والحاكم، واضطُربَ في صحتها، لكون جُثته خارج السُّور قريب البلد، ولكن أفتى البكري بالصِّحَّة.

وعين قجمـاس لنيابـة الشّـام، لغيبةِ قانصوة اليحياوي، والتكدرِ منه، وألماس [2] لصفد، واستقر أقبردي قريبهُ في الدوادارية الكبرى مجرّدة عمّا كان

(١) هو تنبك قرا الأشرفي إينال حاجب الحجاب، تنقل إلى أن عمل الدوادارية الثانية في أيام الأشرف قايتباي، ثم صار أحد المقدمين، ثم حاجب الحجاب. الضوء اللامع ٤٣/٣.

(٢) خلع السلطان على «الماس» وقرره في نيابة صفد، بدائع الزهور ١٧٨/٣.

مضافاً إليها، فأضافه الأستاذ لنفسه، وسكن المستقر ببيته وخازنداره تغري بردي القادري[1] في النظر على خانقتي سعيد السعداء والبيبرسية والصّالح والتكلم في المضافات المشار إليها، بل ألبسه الأستادارية على كُرْهٍ، والأمير تمراز[2] في إمرة السلاح في السّنة الآتية.

وفي ربيع الثاني، استقر البدريُّ ابنُ مزهر في الحسبة بعد شغورها مدّةً.

وفي جمادى الأولى، شُنق التّاج ابن المقسي وقاسم بن بقر، وانفرج ما كانا فيه من التّهديد والتّشديد.

وفي شوال، خرج الحاج على العادة، وأمير المحمل تغري بردي ططر الشمسي المحمدي أحد المقدّمين، وأمير الأول يشبك بن حيدر الإينالي الوالي، وكنتُ ممّن توجّه في رَكْبِهِ، مُستصحباً الوالدةَ والعيال، راجياً القبولَ.

وفي ذي القعدة، استقر الشيخ ناصر الدين الإخميمي، أحدُ أئمةِ السلطان في مشيخةِ البرقوقية، والشّرف ابن عيد، وقد جِيءَ به من دمشق في قضاء الحنفيّة، كلاهما بعد موت الأمشاطي.

وفي ذي الحجّة، استقرَّ أحدُ أئمة السّلطان أيضاً المحب ابن المسدي

---

(١) تغري بردى بن يلباس القاهري الحنفي الخازنداري، بل الأستادار حضر دروس الأمين الأقصرائي واختص بإمام الكاملية وكان متولي أعمال يشبك، وندبه السلطان لعمارة بعض الأماكن كالمطهرة لجامع الأزهر، وجامع السلطان، وحمدت سيرته، ونظر خانقتي سعيد السعداء، والبيبرسية والاستادارية. الضوء اللامع ٣/ ٣٠.

(٢) تمراز الشمسي الأشرفي برسباي العزيزي، تنقل في الوظائف إلى أن أصبح بعد مقتل يشبك أمير سلاح. الضوء اللامع ٣/ ٣٦.

في مشيخةِ تُرْبةِ الظاهر خشقدم بعد موتِ شيخها الشريف قاسم الحداد.

وقدم مبشر الحاج، فأسرع جدّاً، وأخبر بأن الوقفةَ كانت الجمعة، وهو خلاف ما عند المصريين، ولكن لم نسمع مَنْ تَفَوَّه هناك بخلافه، بل كانت صحيحة باتّفاق، وكان الموت هناك فيه وفي الذي قبله فاشياً، بحيث بلغت العدّة في بعض الأيام نحو السَّبعينَ فيما قيل.

وانقضت السنةُ والرخاءُ كثير، والأحوال كاسدة.

٢٠٥٧- ومات في ربيع الأول، وقد جاز الثمانين، شيخ الشافعية السِّراجُ عمر[١] بن حسين بن حسن بن علي العباديُّ القاهريُّ الأزهريُّ الشافعيُّ. ممَّن درَّس قديماً وحديثاً، وأخذ عنه الأكابرُ، وألحق الأحفادَ بالأجداد، وأفتى، واشتهر اسمه، وبَعُدَ صِيتُه، وصار شيخَ الشافعية بدون مُدافعٍ، عليه مَدَارُ الفُتيا، وإليه النهاية في حفظ المذهب وسرده، مع نَظْمٍ ونثر، وعبارة جيدة، ومحاضرة حسنة، وامتهان لنفسه، وهمّةٍ عَلِيَّةٍ، واحتمال وصفاء، واستقر بعده في مشيخةِ سعيد السعداء الجمالُ عبدالله الكُوراني[٢]، وفي نَظَرِ الأحباسِ الشرفُ ابن البقري، وفي تدريسِ البرقوقية أكبرُ ولَدَيْهِ، وفي مشيخةِ الباسطية الآخر بعد أنْ وثب ابن قاسم عليهما.

٢٠٥٨- وفي رمضان، عن ثلاث وسبعين، محدث الحجاز النجم عمر[٣] ابن التقي محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد الهاشمي المكيُّ الشافعيُّ، ويُعرف -كسلفه- بابن فهد. ممَّن تقدَّم في التخريج

(١) الضوء اللامع ٦/٨١.

(٢) سترد ترجمته فيما بعد.

(٣) الضوء اللامع ٦/١٢٦.

والانتقاء وأسانيدِ الشيوخ، والعالي والنَّازل، بحيث حدَّث، وصنَّف، وخَرَّجَ، وكتبَ الكثير، وعوَّل أهلُ الآفاقِ عليه في ذلك، مع ثقتهِ، وتمامِ مروءته، وشهامته، وتواضعه، وإنصافه، وإفضاله على أصحابه بنفسه، وكُتبهِ، ومحاسنه الجمَّة. وقد عظَّمه الأكابر، كشيخنا، بل نقل عنه في بعض تصانيفه، وكذا المقريزي، وأثنى عليه البرهان الحلبي، وكان فَرْداً في معناه، جزاه الله عَنَّا أوفرَ الجزاء، فنعم الحبيب كان.

٢٠٥٩- وفي ذي القعدة، عن سبع وثلاثين فأزيدَ، ولده المحيويُّ أبو زكريا يحيى[١]. وكان فاضلاً، جَمَّ الفضائل، مفنناً، ذكيًّا، فهّامة، ساكناً، عاقلاً، صالحاً، نيِّراً، سيماءُ الخيرِ عليه لائحة. جمع، واختصر، وألَّف، مع التودّد، وعدم التَّكثُّر، والخبرة التامة بكثير من الأمور. ممن كان لأبيهِ وأخيه وأحبائه به جمالٌ وأنسٌ. عَوَّضَهُ اللهُ الجنَّة.

٢٠٦٠- وفي رجب بدمشق، عن ستٍّ وسبعين، البرهانُ أبو الحسن إبراهيم[٢] بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي البُقاعيُّ، نزيلُ القاهرة ثم دمشق، وصاحبُ تلك العجائب والنَّوائب والقلاقل، والمسائل المتناقضة المتعارضة. ممَّن صنَّف، وانتقى، وحدّث، ودرّس، وشارك في الجملة، ولكنْ أهلكه التِّيهُ، وحبُّ الشَّرف والسُّمعة، وأنزل نفسه محلاً لم يَنْتَهِ لعُشْره، بحيثُ زعم أنّه قيِّمُ العصريين بكتابِ الله وسنةِ رسوله، وأنَّه أبدى ببديهته جواباً مكث التقيُّ السبكي واقفاً عنه أربعينَ سنة، وأنّه لا يخرجُ عن الكتاب والسُّنة، بل هو متطبع بطباع الصَّحابة، مع رَمْيهِ للنّاس بما يقابله الله عليه،

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٢٣٨.

(٢) الضوء اللامع ١/١٠١، وبدائع الزهور ٣/١٦٩.

حتى إنَّـه طعن في حافظ الشـام ابن ناصـر الـدِّين إلى غيره من الأكـابر، كالقاياتي والنويري، وما سَلِمَ منه أحدٌ، وليس بثقةٍ ولا صَدُوق.

وقد أفردت ترجمته ووقائعه في مجلد، وممَّا قرأته بخطه، سؤالُه لابن قُرَيبَـة المحلي أنْ يسـأل كاتب السِّـرِّ أنْ يكتب لقـاضِيَي الشـام المـالكي والحنبلي حين إقامته بالشام بما نصه: إنَّ شيخنا فلاناً ـ يعني نفسه ـ ما فارقنا إلا عن كراهـة منـا لفـراقه، ومحبة عظيمة لقربه، وجميع الأعيان بالقاهرة والصُّلحـاء راضـون عنه، متألمون لفراقه، وقد اختاركم على بقية الناس، واختار بلدكم على بقية البلاد، فلمّا وصل إليكم، أرسل بالثناء عليكم، وقال كثيراً من ذلك، وهو ممن يشكر على القليل. نحن نعرف ذلك منه. وقد بَلَغَنَا في هذه الأيام أن داء الحَسَدِ دَبَّ إلى بعض النّاس، فصار يتكلم فيه بعض السِّفلة، ونحن نعرفه من خمسين سنة، ونعرف أنه لا يُشاحنُ أحداً في دنيا، بل هو مشتغلٌ بحاله، فلا يتكلَّمُ فيه إلاَّ مُتهمٌ في دينه، وهم الرعاع والجهلة، كمـا قال الشافعي أو الإمام علي رضي الله عنه: «والجاهلون لأهل العلم أعداء» فكان المظنونُ بكم أن تردعوا من يتكلَّمُ فيه غايةَ الرّدع من غير طلبٍ منـه لذلك من باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فإن من يريد ثَلْمَ عالم، إنَّما يريد بذلك هدم السُّنَّة.

والمعروفُ من عادته أنّه إذا تكلّم أحدٌ فيه يَصبْر ويحتسب، فإذا فعل هو المندوب، وجَبَ على النَّاس الذب عنه. وكيف لا، وأغلب أحواله سَعْيُهُ في نفع أصحابه، لا سيما الشّاميين. ما كان إلاَّ كهفاً لهم، كانوا يتردّدون إليه لمّا كانوا محتاجين إليه وهو في بلدِ العِزِّ لينتفعوا به، فأقلُّ مالَهُ عندهم أنْ يفعلوا معه ما كان يفعل معهم، وأهون من ذلك تَرْكُهُ وما هو عليه من نفعٍ

عبادِ الله بالتَّدريس والتَّذكير بالميعاد، ونحو هذا. قال: فإنه ـ أي الكتاب ـ لهما بذلك ينفع غاية النفع، ثم قال له: ولا تُظهر أنّي كتبتُ إليك في هذا الأمر، ولا ترسل بالكتاب إليَّ، بل إليهما، مع إعلامي به، فانظر وتعجَّب!

٢٠٦١ـ وفي جمادى الأولى، عن إحدى وسبعين، ذُو الرِّئاستين الشرفيُّ أبو زكريا يحيى[١] ابن العلمي شاكر بن عبدالغني بن شاكر القاهري الشافعي، ويعرف كسلفه بابن الجيعان. ممَّن فاق ذكاءً، وحفظاً، وخطاً، بل تقدَّمَ في فنون، وترقَّى للإقراء، والإفتاء، والخطابة، وتزاحم الفضلاءُ عنده، مع سرعةِ الإدراك، والفصاحة، وحُسْنِ العبارة، ومزيدِ التواضع، والأدب، والعقل، والاحتمال، والدُّرْبَةِ، والسِّياسة، والتَّودّد لأحبابه، سيّما الفضلاء منهم، والإحسان إليهم بالمال والجاه، والمثابرة على التَّهجُّدِ، والتَّحري في الطَّهارة والنِّية، والإعراضِ عن اللَّهو واللَّغو جملة، والمحاسنِ الوافرة، بحيث كان جمالَ الممالك، وكنتُ عنده بمكان، وتأسَّفنا على فقده.

٢٠٦٢ـ وفي رجب، عن تسع وستين، الشهاب أحمد[٢] بن عبيد الله بن محمد السجيني، ثم القاهري الأزهري الشافعي الفَرَضِيُّ. فقيه بني الذي قبله وصاحبه. ممَّن تميَّز في الفرائض، والحساب، وتقدَّم في العمليات، والمساحة، بحيث كتب على «المجموع» و«الرحبية»، وانتفعَ به الفضلاءُ، مع التّواضع، والتَّقشُّفِ، والرّياضة، وطرحِ التَّكلُّفِ والتقنع، ونعْمَ الرّجل كان.

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٢٢٦ـ٢٢٩، وبدائع الزهور ٣/١٦٨.

(٢) الضوء اللامع ١/٣٧٦ـ٣٧٧، وسُمِّيَ السجيني: نسبة لسجين المجاورة لمحلة أبي الهيثم من الغربية بمصر.

٢٠٦٣ـ وفي جمادى الآخرة، عن ستٍّ وخمسين، الزّينُ عبدالرحمن[1] ابن سليمان بن داود المنهليُّ، ثم القاهري، الشافعي. ممَّن درَّس، وأفتى، مع الإتقانِ والتَّحرِّي، ومتينِ الدِّيانةِ، والتَّواضع، ولُطفِ العشرةِ، والانجماع عن بني الدّنيا، والاشتغال بما يعنيه. ومن نظمه:

تُفْتِي القُضاةُ بهَدْمِ الحيط إنْ نَجستْ ما لم تكنْ لهُمْ فالماءُ يَكْفِيها

٢٠٦٤ـ وفي صفر، عن ستين، بمكة، قاضيها الشّافعي المحب أبو الطيب أحمد[2] ابن قاضيها الجلال أبي السعادات محمد بن محمد بن محمد بن حسين القرشي المخزوميُّ المكِّيّ، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن ظهيرة. باشرَ القضاءَ مرَّةً بعد أُخرى، ودرّس وأفتى، مع الفضيلةِ والفهم، وقصور العبارة. ورأيتُ له بعض التّصانيف.

٢٠٦٥ـ وفي صفر، بمكة، وقد جاز الخمسين، الشَّمسُ محمد[3] بن أحمد بن أحمد بن حسين المسيري، ثم القاهري الشافعي، نزيلُ مكة وشيخُ رباط السلطان بها. ممَّن انتفع به الطلبة، مع ديانته، ومَزيدِ عقلهِ، وتواضعه، وانطراحه، وتقنعه باليسير. واستقرّ بعده في المشيخةِ نور الله العجميُّ بعد عَرْضها على ابنِ العماد والشّرف عبدالحق السنباطي، وأبيَاهَا، وما أفْلَحَ ولا أنجحَ.

٢٠٦٦ـ وفي ذي القعدة، وقد جاز السِّتين، البرهانُ إبراهيم[4] بن أحمد

---

(١) الضوء اللامع ٤/ ٨٠-٨٢.

(٢) الضوء اللامع ٢/ ١٩٠-١٩٢.

(٣) الضوء اللامع ٦/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٤) الضوء اللامع ١/ ١١، ١٢.

ابن حسن بن أحمـد العجلونيُّ، القدسيُّ، الشافعي، نزيلُ القاهرة. ممَّن تقدّم بوفور ذكائه، وقوّة حافظته، وطلاقته، وبراعته، بحيث أقرأ الفُضلاءَ، وأفتى، وأخذ عنه الأماثلُ، مع مجازفته، وقِلَّةِ أمانته، ولذا كان مُمْتَهناً. عفا الله عنه.

٢٠٦٧- وفي رمضـان، عن بضـع وسبعين، قاضي الحنفية الشمسُ محمـد[1] ابن الشهـاب أحمـد بن حسن بن إسمـاعيل العينتـابيُّ الأصـل القـاهـري، ويُعرف بابن الأمشاطي. ممَّن تَقَدَمَ بديانته، وعِفَّته، وتَحَرِّيه، وفضائله، ودرَّسَ بأماكن، وأفتى، مع متانة تحقيقه وتصويره، وإنْ كان غيرهُ أفصـحَ منـه. ووليَ قضـاءَ مصـر ومشيخـةَ البـرقوقية مسؤولاً، وتحرَّى في الاستبـدالات وغيرها. وكابد وناهد، وعارض وفاوض، وثبت في مواطن لا يحتملهـا إلّا مخلص، ولله در القائـل: إنْ ذَمَمْنَا منه خصلةً أو خصلتين، حمدنا منه كثيراً، وقول غيره: وفاتُه ساءت كلَّ عَدْل. وبالجملة، فهو من تنفيسات الزمان، وفي المحاسن بمكان. جوزي خيراً.

٢٠٦٨- وفي المحرم، عن ستٍّ وخمسين، قاضي الحنفية بمكّة الجمالُ أبو النَّجا محمد[2] ابن قاضيها البهاء أبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد القرشي العُمريُّ، الصّاغانيُّ الأصل، المكّي، ويعرف ـ كسلفه ـ بابن الضّياء. ممَّن درس بأماكن، وولي القضاء حتّى مات. واستقرّ بعده ابنه الشّرف أبو القاسم محمد.

---

(١) الضوء اللامع ٦/٣٠١، وبدائع الزهور ٣/١٧٠.

(٢) الضوء اللامع ٩/٤١.

٢٠٦٩- وفي جمادى الأولى، فجاءة، بالقاهرة، العلاء علي[١] الكركي المالكيُّ، ويُعرف بابن المزوار، مِمَّنْ وَلِيَ قضاءَ بلدهِ وكتابةَ سِرِّها مدةً، وكذا قضاء غزة، ثم القدس غير مرَّة. سامحه الله.

٢٠٧٠- وفي جمادى الآخرة، عن خمس وستين، تَخميناً، مصنِّف الحنابلة الإمام علاء الدين علي[٢] بن سليمان بن أحمد بن محمد المرداويُّ، ثم الدمشقي الصَّالحي. ممَّن درس، وأفتى، وصنَّف، وانْتُفِعَ به وبتآليفِه في حياته وبعدها. وكان في استحضارِ فروع المذهب بمكان، بحيث لم يخلف بعده في ذلك مثله، مع التَّواضعِ والإنصافِ والرُّجوعِ إلى الحق، وذكره بالتَّعفف والورع والإيثار أحياناً.

٢٠٧١- وفي شوال نقيبُ الأشرافِ البدرُ حسين[٣] بن أبي بكر الحسني القاهري ابن الفَرَّاء، ويعرف بالشَّاطر، دام في النقابة مدَّة، وكان مع نقصه متساهلاً في الإدخال في الشرف. واستقر بعده في النقابة محمد بن حسن الحسني خازن الشَّرَبخاناه.

٢٠٧٢- وفي رمضان، مقتولاً كما قدّمنا، عظيمُ الممالك الأمير يَشْبك[٤] من مهدي الظاهري جقمق، ويُعرف بالصُغَيِّر. ممَّن ارتقى لِمَا لم يصلْ إليه في وقتنا غيره من أبناء جنسه، بحيث صارت أمورُ الممالك كلها إليه، ووليَ

---

(١) الضوء اللامع ٦/٥٦-٥٧.

(٢) الضوء اللامع ٥/٢٢٥-٢٢٧، وشذرات الذهب ٧/٣٤٠.

(٣) الضوء اللامع ٣/١٣٨.

(٤) الضوء اللامع ١٠/٢٧٢-٢٧٤، وبدائع الزهور ٣/١٧٣.

إمرةَ السِّلاح مع الدوادارية الكبرى وغيرها، وأنشأ القصور الهائلة والمساجد والسُّبُلَ وغيرها، مما يُذكر به دهراً، مع الصدقات المنتشرة، والعطايا الغزيرة، والرغبة في إلفاتِ ذوي الفضائل، والفنون إليه، وعُلُوِّ الهمّةِ، ومَزيدِ الشَّهامة، ومتين التصوُّرِ والفَهم، وسُرعة الحركة. وسيرته غير خفية، وتحتمل مجلداً.

٢٠٧٣- وفي ربيع الآخر، خَنْقاً، بأسيوط، حين كونه منفياً بها، حاجبُ الحجاب أزْدَمُر[١] الإبراهيميُّ الظاهريُّ جَقْمق، ويُعرف بالطويل. وكان شجاعاً، فارساً، مقداماً، يتلو القرآن، ويقرأ مع الجوق رئاسة، مع بذلٍ وتكرُّمٍ وفَهْمٍ في الجملة، وقُوَّةِ نَفْسٍ، وخوضٍ فيما لا يعنيه، وسُوء عقيدة.

٢٠٧٤- وفي صفر - ظنّاً - ببيت المقدس، منفياً، قَرَاجا[٢] الأشرفي إينال، ويعرف بالطويل. ممَّن ناب بحماة وقتاً، فظلم وعسف.

٢٠٧٥- وفي ربيع الأول بُرْدبَك[٣] التاجي الأشرفي برسباي المبتلى.

٢٠٧٦- وفي ليلة الجمعة ثالث رجب، قتلاً، في مخيمه بطما من أسيوط، سيباي[٤] العلائي الأشرفي إينال كاشفُ منفلوط. ممَّن تموَّلَ وظلم، مع صُحْبَتِه جماعةً من الفقهاء والفقراء ونحوهم، والرغبة في سماعِ القرآن والإنشاد.

---

(١) الضوء اللامع ٢/٢٧٣، وبدائع الزهور ٣/١٦٧.

(٢) الضوء اللامع ٦/٥١٤.

(٣) بدائع الزهور ٣/١٦٨.

(٤) الضوء اللامع ٣/٢٨٨.

٢٠٧٧ـ وفي جمادى الأولى، وقد جازَ الخمسينَ، شنقاً، وهو صائم، التـاجُ عبدالله(٤) بن نصر الله بن عبدالغني، سبط الشيخ محمد القُدسي، ويُعرف بابن المقسمي، نسبة للمقسم ظاهر القاهرة. باشر كتابة المماليك، ثم نظر الجيش، ثم الخاص، وجمعهما وقتاً، ثم الأستادارية. وأُهينَ غير مرة، إلى أنْ أُتلف. وكـانت فيه حشمـةٌ ورئاسة وتواضعٌ وتَودُّدٌ، ولكنه فيه بالكلام والملق أكثر، مع ذوقٍ وفهم للنكتة، واستحضارٍ لكثيرٍ من محاسنِ الشعـر وغيره، ومصاحبة لذوي الذوق من الفضلاء وغيرهم، وإحسانٍ كثيرٍ إليهم، بحيث لم يخلف في أبنـاء طريقته مثله. وأما في معرفة المباشرة، فجبلٌ لا يجارى.

٢٠٧٨ـ وفي شعبـان، عن ثلاث وستين، البـدر محمـد(٢) ابن البـدر سليمان بن علم الدين داود بن الكُويز ابن أخي الزين عبدالرحمن. ممَّن وليَ نظر الخاص مع معلمية الصناع، وكان أخف وطأة من عمّه.

٢٠٧٩ـ وفي جمادى الأولى، شنقاً، قاسم(٣) بن بيبرس بن بقر، وحزن العـامـة عليه. وهـو صهـر الشيخ نور الـدين ابن البـرقي، زَوَّجـه ابنَتـه، واستولدَها، وأتلف عليها في محنته جهازها: بل وتحملت دُيُوناً.

٢٠٨٠ـ وفي رجب، قتلاً، على يد غَوْغَاءِ حلبَ، وقد جازَ السبعين،

---

(١) الضوء اللامع: ٥/٧١ـ٧٣.
(٢) الضوء اللامع ٧/٢٥٩.
(٣) الضوء اللامع ٦/١٨٠.

محمد[1] بن حسن بن شعبان الباعوري، نزيلُ حلب، ويُعرف بابن الصَّوَّة. ممَّن ترقى، حتّى صارت أمورُ المملكة الحلبية وكثير من غيرها مَغْذوقاً به مع عاميِّته، وآل أمره إلى أن أتلف، ثم حرق، وتألم السلطانُ لذلك، ولم تنتطح فيه شاتان.

---

(1) الضوء اللامع ٧/٢٢٣، والباعوري نسبة إلى قرية من أعمال الموصل، وبدائع الزهور ٣/١٧٧.

سنة ستٍّ وثمانين وثماني مئة

استهلت وأنا ـ ولله الفضل ـ بمكة، بل استوفيتُها فيها، مُترجِّياً القَبُولَ.

وفي مستهل المحرم أُقيمت الجمعة بالمدرسة القجماسية بالقُرب من خوخة أيدغمش والدرب الأحمر، وكان الخطيبُ يومئذٍ الشيخ ناصرُ الدين الإخميمي موافاةً للواقفِ، وإلا فالخطيب غيره، ولم يلبث الواقفُ أن استقر في نيابةِ الشام، وصار أمير آخور عوضه قَانصوه بن طَرَاباي خمس مئة، ودواداراً ثانياً عوضه قانصوه الألفي(١).

وفي سابع عشره، قبيل الغروب، كانت زلزلةٌ هائلة لم يُعهد في هذه الأزمان مثلها. صارت الأماكنُ تهتزُّ كالشجرِ عند هبوب الرياح، وخرج الناسُ من بيوتهم رجالاً ونساءاً، بل بَرَزَ بعضهن من الحماماتِ عاريات، وظنَّ قيامُ الساعة، وسقط أماكن وجُدُر وشراريف(٢).

استُشهد قاضي الحنفية الشرفُ ابن عيد(٣)، بساقطٍ في الصالحية منها، وجُنَّ غيره، ولله دَرُّ البدر التقي محمد بن جعفر القنائي الشافعي حيث قال

---

(١) بدائع الزهور ٣/١٧٩.　　(٢) بدائع الزهور ٣/١٧٨.

(٣) الضوء اللامع ١٠/١٧٩، وهو موسى بن أحمد الشرف أبو البركات ابن الشهاب العجلوني الأصل الدمشقي الحنفي، وبدائع الزهور ٣/١٧٨، وستأتي ترجمته في وفيات السنة.

في زلزلة سنة اثنتين وسبع مئة:

مجازٌ حقيقتها فاعبروا ولا تعمرُوا هوِّنوها تَهُنْ
وما حُسْنُ بيتٍ له زُخرفٌ تراه إذا زُلزلت لم يكُنْ

وقال الشهاب المنصوري:

زلزلت مصر يوم مات بها قاضي القضاة المهذب الحنفي
ما زال طول الحياة في شرَف حتى انقضى العمر منه بالشُّرُف

وتُحُدِّثَ بأنَّ الزلزلةَ كانت أيضاً بِرُودس، وخرب بسببها أماكن، وتحوَّلَ منها خلْقٌ.

وفي صفر، كائنة الشريف الأكفاني، حيث نُسب إليه قتل زوجته، فضُرب وسجن بالمقشرة، وأُهين جداً، ولم يقرّ، ثمّ أُطلق.

وفي ربيع الأول: أُودع المَجْدُ ابن البقريِّ المقشرة في الحديد والخشب مبالغةً في التضييق عليه بعد تكرّر إهانته.

وفي رجب، انفصل الشافعي بالزيني زكريا الأنصاري، والمالكي بالمحيوي ابن تقيّ، بتعيينِ الأول له حين كونه مرغوباً فيه مخطوباً.

وألبس كاتبُ السّرّ خلعةَ الرضا بعد أن أُقيمت الجمعةُ بالمدرسةِ التي أنشأها بجوارِ بيته، وخطيبها الجمالي سبط شيخنا، وفيها تصوّفٌ ودَرْسُ تفسير وحديث وفقه وغير ذلك، ثمَّ كانت وليمةُ خِتَانِ بَنِيه في بيته من بركة الرطلي حين كانت مُطنَّبَة، وأَرْدَفَها بليلة بهجة زائدة الوقود. استدعي فيها

بأخي ملك الروم ابن عثمان، وكان قَدِمَ وافداً على السلطان من قريب مُفَارِقاً لأخيه، فأكْرَمَ مَوْرِدَهُ، ثم عند الموسم جَهَّزَهُ للحج، وما تمَّت حتى حصل التكَدُّرُ بإصابةِ منارةِ جامعِ أبي مدين من بعض النفطية، بحيث لم يمكن إطفاؤها إلّا بهَدْمٍ، عمَّرهُ صاحبُ الوليمةِ من ماله.

وفي رمضان، كان نزولُ الصاعقة التي احترق بنارها المسجدُ الشريف النبوي :سقفه وحواصله وخزائنِ كتبه وربعاته، وهلال منارته الرّئيسيَّة، ولم يبق من قناطره وأساطينه إلا اليسير جداً، وصار كالتَّنورُ مع جماعة كثيرين من الأعيان وغيرهم، ولم يتعدَّ لغيره لمشاهدةِ جماعةٍ طيوراً بيضاءَ قَدْرَ الإوز يحومون حول المسجد الشريف، ويردُّونَ النارَ أن تتعدى لغيره، بل رأى بعضُ العرب ممن وصف بالصدق قبل الحريق بليلة أنَّ السماء فيها جراد منتشر، ثمّ أعقبته نار عظيمة، فأخذ النبيُّ ﷺ النارَ وقال: أمسكتُها عن أمتي.

ولمّا وقع ذلك اجتمع لطَفْئِه جميع من اشتمل عليه سُورُ المدينة من أميرٍ وشريفٍ وفقيه وفقير وقوي وضعيف، فأعجزهم أمرُها، وكانوا كلّما حاولوا إطفاء شيءٍ منها، لم يزدها ذلك إلّا اشتعالاً، وكأن الماءَ زيتٌ، فأجمع رأيهم على هَدْمِ شيءٍ من السقف رجاء انقطاع مشي النار، وشرعوا فيه، فسبقتهم النار، بحيث كانت تسير كالطالب للهارب، وحينئذٍ قيل: ارفعوا رؤوسكم وانجوا[1].

وبالجملة، فالعبارة ـ كما قاله الثقات ممن شاهده ـ تَقْصُر عن وصفه، ثم شَرَعَ جميعُ أهل الحضرةِ الشريفة ـ كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم، أميرهم وفقيرهم ـ في نقل ما في مقدمة المسجد لأخرياته، بحيث نَظَّفُوا

(١) بدائع الزهور ١٨٧/٣.

للمصلين مكاناً، وظهرت الروضةُ والمنبر، وبُني موضعُ القبر الشريف.

فكان بهذا مع الزلزلة، وما وقع في رجب العام قبله من حريق الجامع الأموي، وفي ذي القعدة العام الآتي من سيل مكَّة لمن نَوَّرَ الله قلبه أعظم اعتبار، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّه الحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿وما نُرْسِلُ بالآياتِ إلا تَخْوِيفاً﴾ [الإسراء: ٥٩].

وأما مَنْ عداهم، فكلٌّ يَعْمَهُ في سَكْرَتِهِ، ويجرُّ ذيل خطرته، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد احترق جانبٌ من صخرةِ بيتِ المقدس كما أسلفته في سنة إحدى وخمسين، بل احترق المسجدُ النبوي أيضاً في ليلة أول رمضان سنة أربع وخمسين وست مئة.

وقال الجمال أبو زكريا يحيى الصرصري لما بلغه شأنه:

أَتَتْنَا أحاديثُ الحجاز عشيةً ... أُعيذُكَ يا مولايَ من كلِّ ما جرَى
وحاشى حِمَى ذاك الجناب ينالهُ ... من النار شيءٌ كلُّ ما قيل مُفْتَرى
وكيف وأنتَ الذخرُ في يوم بَعْثنا ... وأنت محل الضَّيف والرحب والقِرَى
عسى النارُ قد خافتْ من الله فالتَجتْ ... إليك، وهذا الأمر ـ لا شك ـ قد جرى

وتبعه في المعنى بعضُ الفضلاء في حريق تاريخه.

وقال الجمال أبو عبدالله الأقشهري في ذاك أيضاً:

أتتنا أحاديثُ الحجاز عشيّة ... وأن الزخاريف التي فيه مُحَرَّقُ

شهـدتُ بأن الله لا ربَّ غيره وأن الـذي قال الـرسـولُ مُصَـدَّق
روينـا صحيحـاً أنّـه قال بَعْـدَهُ يُزَخْـرَفُ بيتُ اللهِ ثمّ يُزَوَّقُ
وأنّ بُيوتَ الله تُرفـع أرضـهـا إلـى جنـةِ المـأوى وفيهـا تحلّق
وأن الـذي ـ حقّـاً ـ يدومُ بقـاؤه وأن الـذي زور فبـالنـارِ يُحـرقُ

ووجد ببعض جُدران الحرم فيه أيضاً:

لم يحتـرق حرمُ النبيِّ لريبـةٍ تُخشـى عليه ومـا بهِ من عَارِ
لكنـه أيدي الـروافض لامستْ تلك الـرسـوم فَطُهِّـرَتْ بالنـارِ[1]

وفي شوال ـ بعد تَكَرُّرِ طلبِ يعقوب بن حسن باك الصُّلْحَ، واعتذاره بوصيتـه لعسكرِهِ بعدمِ ابتداء بقتالٍ، وإنكارهِ على بَاشه ما فَعَلَهُ من قتلٍ وغيره، والتـزامـهِ بردِّ جميع ما عنـدهم من رجـالٍ وسلاح، ومجيء بعض الأمراء، ثم قاصده مرة بعد أخرى مع هدية، وإكرامِ السلطانِ له بالإهداء، ورجوعه على وجه جميل، وصل الأتابك ومَن شاء الله من المقدمين وغيرهم ممَّن كان معه أو رجع من التجريدة الأولى، كأَزْدَمُر نائب حلب، سوى من انجـر قبـلُ، بعد أن جَهَّزَ خيربك من حديد مِنْ قلعة دمشق لمكّة، وأودع قانصوه اليحياوي ببيت المقدس وغيره، كسودون الطويل الأشرفي بغيره.

وصار برسباي قَرَا رأسَ نوبة عِوَضَ الأميرِ تمراز، والمستقرّ أمير سلاح بعد الدوادار، وتغري بردي ططر حاجباً كبيراً بعد برسباي، وازدمر أمير مجلس بعد لاشين، ووَرْدَبش عوضه نائب حلب، وجكم قرا نائب إسكندرية، وبرز

(١) جاء البيتان في بدائع الزهور ١٨٨/٣ على الشكل التالي:
لم يحتـرق حرم النبي لحـادث يُخشـى عليه ولا دهـاه الـعـار
لكنـمـا أيدي الـروافض لامست ذاك الـجـنـاب فطهَّـرتـه الـنـار

يشبك بن حيدر الوالي أمير المحمل، والشّهابي أحمد ابن ناظر الخاص أمير الأول، ونائب جدّة الأمير شاهين، وصحبته جام بن عثمان المشار إليه فيما تقدم لمكة.

٢٠٨١- وفي ذي القعدة وصل لمكة أنَّ ملك التجار الكمال محمود[١] المدعو خواجا جهان، والمشهور بقاوان، قتله سلطان كَلْبَرجَه افتئاتاً بتدبيرٍ من خاصّته مع داعية منه لكَفّه له عن أكثر شهواته، وذلك في صفرها.

وفي ذي الحجّة وصل الركبُ العراقي، ولم يمكن من دخول محمله، ورُسم على أميره وغيره من أعيان ركبه، حتّى جيءَ بهم إلى القاهرة، وكأنه لعدم انتظام ما تقدّم، ثم شفع فيهم الأتابك.

٢٠٨٢- ومات في جمادى الأولى، بمكة، عن بضع وسبعين، الفقيه نورُ الدين علي[١] بن محمد بن عيسى بن عُطيف العدَنيُّ اليماني الشافعي، نزيل مكة، ويُعرف بابن عطيف. ممّن درَّس وأفتى، وانتفع به الفضلاء، وكان لا بأس به.

٢٠٨٣- وفي شوال، عن بضع وسبعين، البرهان إبراهيم[٢] بن محمد بن صالح النَّيْنِيُّ الدمشقي الشافعي القادري، نزيل القاهرة، ويُعرف بالقادري. ممَّن شارك في الفضائل، وأكثرَ من المحفوظِ، مع لينِ الكلمةِ والتَّواضع، والرَّغبة في الفائدة، وسلوكِ الاستقامة، والمداومة على التّحصيل، وكانت

---

(١) الضوء اللامع ٦/٤، وشذرات الذهب ٧/٣٤٤.

(٢) الضوء اللامع ١/١٢١، والنيني: نسبة لنين من أعمال مرج ابن عامر.

تجـري على يديه مَبرَّاتٌ لناظرِ الخاص الجمالي، لاختصاصه به، وغيره، ونعم الرجل كان.

٢٠٨٤ـ وفي رمضان، في حريق المدينة، عن نحو الخمسين، الشمسُ أبو السعادات محمد[١] بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد، المصري الأصـل، المدني الشافعيُّ، رئيس المؤذنين بطيبة، وابن رئيسهم، ويعرف بالـرئيس. ممَّن تفقَّه، مع الذَّكاء والنَّظم المتوسّط. استقرّ به خير بك في تدريس الشَّـافعية بالمـدينة، فكان مجتهداً في المطالعة والتَّحفظ، ثم في إلقائه، بحيث انتفع به جماعة فيه.

٢٠٨٥ـ وفي رمضان، في الحريق أيضاً، عن ستٍّ وأربعين، الشمس محمد[٢] بن محمد بن عبدالله العَوْفيُّ المدني فرَّاشها الشافعي، ويُعرف بابن المسكين، وبالعَوْفي. مِمَّنْ بَرَعَ في العربية، والفرائض، والحساب، وشاركَ في الفقه وغيره، وجمع أشياء، بل نظم ما ليس بطائل.

٢٠٨٦ـ وفي شوال، أحَدُ المعتقدين، الشمسُ محمد[٣] بن أبي بكر بن عبدالرحمن الساسكونيُّ الحلبيُّ، نزيلُ القاهرة، ويُعرف بالذّاكر. مِمَّن أقام بالقاهرة على طريقة حسنة من العبادة والذكر، وكان له مَشْهَدٌ حافل، ودفن بتربة كاتب السّرّ.

٢٠٨٧ـ وفي المحرم بالقاهرة، شهيداً عن نحو الستين، قاضي الحنفية

---

(١) الضوء اللامع ٧/٧٩.

(٢) الضوء اللامع ٩/١٢٩ـ١٣٠.

(٣) الضوء اللامع ٧/١٧١.

بالشـام، ثم بالقاهرة يسيراً فيهما مخطوباً الشرف أبو البركات موسى[1] بن أحمـد بن محمـد العجلونيُّ الأصل، الدمشقي، ويُعرف بابن عيد. ممَّن درّس، وأفتى، وقضى، وشُكـرت سيرتـه، مع العقـل، والتودّد، والديانة، والمحـافـظة على التـلاوة، ووظائف العبادة، والرغبة في المذاكرة بالعلم، وحسن الشكـالة والوقار، واللحية النَّيِّرةِ. ورأيتُ له نظماً ونثراً وفوائد. ومن نكته، وقد طلب منه عَود ابن داود، وقيل له: إنه يكتب التاريخ، قوله بعد شرحِهم لحالِه عنده، هو نفسه تاريخ ، واستقرّ بعده الشمس الغزي ابن المغربي.

٢٠٨٨ـ وفي ذي القعدة، عن نحو السَّبعين، التاج عبدالوهاب[2] بن أبي بكـر بن عمـر الطَّمُّويُّ القاهري الحنفي، ويُعرف بالهُمامي، لملازمة خدمةِ ابنِ الهمام والتَّلَمُّذِ له. مِمَّن شارك في الفضائل، وأقرأ قليلاً، مع الخير والتقنع والتواضع.

٢٠٨٩ـ وفي جمـادى الآخـرة بالروم، حسن[3] شلبي ابن ملاَّ شمس الـدين محمـد شاه ابن العـلامة الشمس محمد بن حمزة الروميُّ الفناري الحنفي، حفيد العــالم الشهير. ممَّن تقـدَّم في الفنـون، وذُكـر بالتحقيقِ والتَّصنيفِ والنظم والنثر، وقدم القاهرة وقتاً، فلم يرتضها.

٢٠٩٠ـ وفي ربيع الأول، وقد جاز الخمسين ظنّاً، القاضي سعدالدين إبراهيم[4] بن محمد بن محمد بن عمر بن محمود القاهريُّ الحنفيُّ، سبطُ

---

(١) الضوء اللامع ١٠/١٧٩ـ١٨١.

(٢) الضوء اللامع ٥/٩٩.

(٣) الضوء اللامع ٣/١٢٧.

(٤) الضوء اللامع ١/١٦٠.

قارىء «الهداية»، ويعرف بابن الكماخي. مِمَّنْ شاركَ في الفضائلِ، ووليَ التدريسَ بأماكن، وباشرَ في جهاتٍ، واعتمده الأمشاطيُّ أيّامَ قضائه، مع العقلِ والتودّد والاحتشامِ والأصلِ، وحُسْنِ العشرة، وغير ذلك. وله نظم، كتب عنه الشهاب الحجازي منه قوله:

إنْ كنتَ في العالم ذا مَرْحَمَهْ ... مِن رحمةِ النّاس فلا تَيْأَسَنْ
حَقٌّ على الرحمن أن يَرْحَمَهْ ... فمن يكن في الناس ذا رحمةٍ

٢٠٩١- وفي رمضان، عن نحو السِّتِّين، الشمس محمد[1] ابن الشيخ شهاب الدِّين أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن هاشم الصنهاجيُّ السكندريُّ القاهري، المالكي، الأشقر، نزيلُ الحسينية، ويُعرف بابن هاشم. ممَّنْ تميَّز في الشروط، وصار مرجعاً، سيَّما في خطته، مع نقص كتابته، وخبرته بالأكل من الأخصام، ولكنه كان مذاكراً بكثيرٍ من الفوائد، محبّاً في الصَّالحين. عفا الله عنه.

٢٠٩٢- وفي شوال، عن نحو السَّبعين، الشمس محمد[2] بن يوسف بن عوضَ البحيريُّ، ثم الأزهري المالكي، ويُعرف بالخِراشي. مِمَّن حضر الدُّروس، وتنزل في الجهات، وخطب بالجيعانية نيابة. وكان خيِّراً، سليمَ الفطرة.

٢٠٩٣- وفي رمضان بالبيمارستان، وقد جاز السبعين، ظنَّاً، إبراهيم[3] الدمشقيُّ الصَّالحي الحنبلي، الفَرَّاء، نزيلُ المدرسة الصالحية بالقاهرة، ويُعرف بالأبْلَه. وكان صالحاً مُنوَّراً، سليمَ الفطرة، صحبَ الأكابرَ من

(١) الضوء اللامع ٧/٨٠.
(٢) الضوء اللامع ١٠/٩٨. (٣) الضوء اللامع ١/١٨٣.

الحنابلة، وحفظ عنهم آداباً وفضائلَ، ولكنه ـ لسذاجته ـ لم يَعْدَم من يُحسِّنْ له الكيمياء، ولا ينفك عن اعتقاد تملك ابن عثمان الديار المصرية. وبالجملة، فكان في الخير بمكان.

٢٠٩٤ـ ومحمد[1] بن مُراد بك بن محمد بن بك بن أبي يزيد بن عثمان، صاحب بلادِ الروم، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن عثمان. استقرَّ في المملكةِ بعد أبيه، واقتفى أثره في المثابرةِ على دفع الفرنج، مع وصفهِ بمزاحمةِ العلماء، ورغبته في لقائهم، وتعظيمِ من يَرِدُ عليه منهم، وانخفاضه عن أبيه في اللذَّات، وله مآثر كثيرة. وكان لما بلغه قتل الدوادار، تَحَرَّكَ خوفاً من التَّجري عليه، وعَدَّى بَحْرَ إسطنبول، ومشى قليلاً، فأدركه أجله في المرحلة الثانية، واستقر بعده في المملكة ابنه الأكبر أبُو يزيد يَلْدِرم، ومعناه: البرق.

٢٠٩٥ـ وفي جمادى الأولى، وقد كَبُرَ، أميرُ مجلس لاجين[2] الظاهري جقمق، ويُعرف بالـلالا. ممن يُذكر بعقلٍ وسكون وفضل وإحسان في الجملة. وهو صاحبُ الجامع الذي بناه في أيام أستاذه بالجسر الأعظم عند الكبش.

٢٠٩٦ـ ووالد زوجةِ الأمير مَلَج نائب القلعة.

٢٠٩٧ـ وزوجةِ البدر ابن مزهر المحتسب.

٢٠٩٨ـ وزوجةِ ابن الشهابي حفيد العيني.

(١) الضوء اللامع ١٠/٤٧، وشذرات الذهب ٧/٣٤٤.

(٢) بدائع الزهور ٣٠/١٨٢، والضوء اللامع ٦/٢٣٢.

٢٠٩٩ـ وفي ربيع الآخـر عَلاَّن[1] بن طَطَخ الأشـرفي برسبـاي أحـدُ العشراتِ، وأمير ركب الرجبية في سنة إحدى وسبعين، وصاحبُ السبيلِ في أثناء طريق بركة الحاج.

٢١٠٠ـ وفي المحـرم، بالمـدينـة، شيخ الخـدام بهـا، إينال[2] شيخ الإسحـاقِيُّ الـظاهري جقمق. استقر في المشيخة بعد مرجان[3] التقوي، فكان شديداً، سريع البادرة. ممن يصفه السلطان بالدين واليُبْس. واستقر بعده قانم[4] المحمدي.

٢١٠١ـ وفي المحـرم أيضـاً، عن نَيِّفٍ وستين، الزين أبو بكر[5] ابن الـزيني عبـدالباسط بن خليل، الدمشقي الأصل، القاهري، ويُعرف بابن عبدالباسط. ممَّن تكلَّم في الجوالي وغيرها، فلم يُحمد، حتّى ولا في أوقاف أبيه، مع مَزيدِ الإسراف على نفسه، وتَمَقُّتِهِ لمن لا يخافُ جاهه من ضعفاء المستحقِّين، بل هو بذيءُ اللسان، بعيد الإحسان، وما خلفه فيما كان فيه ـ مع ذلك ـ مثله، إذ لا يمضي زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه[6]. نسأل الله حسن الخاتمة.

---

(١) الضوء اللامع ٥/ ١٥٠.   (٢) الضوء اللامع ٢/ ٣٢٦.

(٣) مرجان التقوي الظاهري، ولي مشيخة الخدام بعد سرور الطربيهي سنة أربع وسبعين إلى أن عزل في سنة ثمان وثمانين، استقر بعده إينال الفقيه. الضوء اللامع ١٠/ ١٥٣.

(٤) قانم المحمدي الظاهر جقمق ولد سنة ٨٣١هـ، واستقر في مشيخة الخدام بالحرم النبوي بعد إينال الإسحاقي. الضوء اللامع ٦/ ٢٠٠.

(٥) الضوء اللامع ١١/ ٤٢.

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل ٣/ ١١٧، ١٣٢، ١٧٧، ١٧٩.

سنة سبع وثمانين وثماني مئة

استهلت وأنا بمكة، بل استوفيتها ـ بحمد الله ـ بالبلدين المُشَرَّفَيْن.

في محرّمها رجع الحاج[1] على العادة، ومعهم ـ كما قدَّمت ـ أخو صاحب الروم، مُكَرَّماً مُبَجَّلاً، ثم لم يلبثْ أنْ أضافَهُ السلطانُ بالقُبة الدوادارية، ثمَّ سمح بتوجهه للبلادِ الحلبيةِ ليختبرَ شأنه مع رعيَّةِ أخيه، فسافر في أوائل صفر، وترك أمّه وعياله، وركب معه الأتابكُ وغيره من الأمراء، ويقال: إنَّ السلطانَ أنعمَ عليه بمالٍ وخيولٍ وغيرها، مع إقطاع بحلب، ولو استمرَّ تحت نظره، كالسَّيِّد علي أخي صاحب الحجاز كان أجمل وأولى. وكان الموت في أواخر المحرّم بمكة فاشياً، والأمراض بالحُمَّى ونحوها قَلَّ خُلُوُّ أهلِ بيتٍ منها.

وحصل الشروع في عمارة المسجد النبوي بمشارفة سنقر الجمالي، وقد جاءها قريباً بعد الحج من مكة، وابتدأوا بهَدْم المنارة الرَّئيسية وعمارة الروضة الشريفة، واستصغر نفسه عن هذا المقام، ولم يلبث أنْ أردف بالخواجا الشمس ابن الزمن، ليكون ناظراً على عادته قبلُ، فكان وصوله في ربيع الأول ومن معه من الصُّنَّاع والرجال والمهندسين والآلات وغيرها الكثير. ورأيتُ من نهضته وخدمته وأدبه جملة. وأمطرت السماء في دَمَرَوْه وغيرها من

(١) بدائع الزهور ٣/١٩١.

جهة الغربية بَرَداً كباراً . زنة واحدة منه ثمانية عشر درهماً أو أكثر، ألقى الطيرَ من الجو ميتاً.

وفي صفَر، ثارَ بعد العصرِ ريحُ عاصفٌ، سقط منه أماكن كثيرة، وخُودة منارة جامع الأستادار ببولاق، بحيث أتلفتْ سقفَهُ، مع إلقاءِ أشجار ومراكب، وأما المشمشُ، فسقط غالبهُ، وكان شيئاً مَهُولاً.

وعقد للدوادار الكبير أقبردي على أختِ خوند المُنْتَقِلِ عنها بالوفاةِ جانم قريبهُ، بل قريبُ السلطان بين يديه، وبحضرة المقدمين بجامع القلعة بعد الجمعة، ثم كانَ الدخولُ في الذي يليه.

واستقر السيِّد الشَّمسُ الوفائيُ المَقْسيُّ الحنفي في إمامةِ القجماسية وغيرها من وظائفها بتعيينِ البدريِّ أبي البقاء ابن الجيعان وغيره بعد انفصال الشمس النوبيِّ أحدِ خواصِّ الأمير، وسكنَ بها ودرس فيها العلم.

ثم في ربيع الأول أرسل واقفها باستبقائه في تدريس الحنفية بها عوضاً عن قاضي الحنفية الغزي.

وفي ربيع الآخر، استقرَّ الصلاحُ الطرابلسي في مشيخةِ الأشرفيةِ برسباي تصوُّفاً وتدريساً لغضبِ السلطانِ على إمامهِ واختفائه، والتاج ابن عربشاه في وظيفة المستقر مشيخة فقه الصرغتمشيَّة، وباشر كلٌّ منهما في يومه.

وفي جمادى الأولى، وصلنا من مكَّة إلى المدينة، وكان السَّيد ابن بركات سبقنا إليها، وأُلْبِسَ زُبيري إمْرَتَها بحضرته والقضاة والأعيان، واستمرت الإقامةُ بها إلى أن رُكِّبَ سقفُ الروضة، واليسير من غيرها بعد أن

كانتْ مُستترةً بسعَفِ النخل أوَّلَ قدومنا.

وتمت المنارةُ مع مَيلانٍ يسير، لكن قال لي المهندسُ: إنه غير مؤثر. ثم حصل العَوْدُ لمكة في ثامن عشري شعبان.

وفي أثناء ذي القعدة كان بمكة السيلُ[1] الهائلُ الذي لم يَعْهَدُوا مِثْلَهُ. دخل من أعلاها، ثم من جميع أبواب المسجد، بتلك الجهة أو غالبها كبابِ السلام وبازان وعَلِي، ومَرَّ في جهة المسفَلَة، فالتقى مع سيل أجياد، فتزايد تكاثُرُهُ، بحيث جاوز حَلَقَ بابِ الكعبة، بل كاد أن يصل لأسكُفَّة الباب، وذُرِعَ بذراعِ الحديد، فزاد على سبعة أذرع، وقاربَ محاذاة سقفِ مقام الحنفية، واستترت العُمد المحيطةُ ببوايكِ المسجد فما كان منها بالجهات المنخفضة، كباب إبراهيم، كادَ أنْ يستترَ جميعه، بل استتر وما عداها فبدون نحو ذراع منها، وسقط كثير من العُمد التي حول البيت، وأكثر الأخشاب الرابطة لها مع قناديلها، وصار المسجدُ كاللُّجةِ العظيمة، وللسّيل حِسٌّ كالصواعقِ، حتى إنه حملَ المنبرَ مع مزيدِ ثقله، لقُرب باب المجاهدية ملاصقاً للبوايك، واقتلع كثيراً من أبواب المسجد مع قُوّتها وتمكُّنها، وتلف الكثيرُ ممّا كان بقبةِ العبّاس وقبة الفَرَّاشين، وغيرهما من الربعات والآلات وغيرها، بل أتلف سائر ما بالأماكنِ المُطِلَّةِ على المسجد أو غالبه، ومن بيوتِ مكةَ مالا ينحصر، خصوصاً ما كانَ في طريقهِ، كسوقِ الليل والمسفلة، بحيث سمعتُ مَنْ يقول: إنَّ الأماكن التي تلفت تزيد على رُبع بيوتها، وتلف لأهلها وللمجاورين مالا يدخلُ تحت الحصر.

---

(١) بدائع الزهور ٣/١٩٨.

وأما من مات فيه، فَخَلْقٌ لا يُحصيهم إلا الله، أكثرهم غُرباءُ، والذي وجد منهم بالمسجد خاصة زيادة على المئة.

ولو لم يكسر السيل باب إبراهيم، لغرقت مكة كُلّها.

وتعطل المسجد من إقامة الجماعات أياماً، وأقيمت جمعةٌ بِسَطْحِه، وشمّر عالم الحجاز ساعدَه في تنظيف المسجد الحرام وتجهيز ما ظفروا به من الأموات ودفنهم، واقتفى أثره مَنْ أراد الله به الخير، بحيث ما دخل الحج إلّا وقد انتهى، فصار ما أُزيل من الطين ونحوه نحو ثلاثين هرماً، كل هرمٍ كالجبل الصغير، إلى أن نُقل بعد انفصال الموسم.

وكان المطرُ عامّاً بعرفة وبطن مَرّ ومنى وجدّة، وطاح من بيوتها الكثيرُ، وملأ الصهاريج، وفاضَ إلى جهة البحر، وامتلأت طرقُ المدينة أيضاً من الأمطار.

وبالجملة، فكان من الآياتِ العظام، ومع ذلك فلم يَرْعَوِ الخطيبُ، حيث لوَّح، بل صرّح بألفاظٍ فظيعة أجنبية فاصلة بين أركان الخطبة أو بينها وبين الصَّلاة ممّا لو حُكِيَ لي ما قَبِلْتُه، وهو مُبطلٌ لها، ولا يَرْضَاه مَنْ له أدْنى عقلٍ ودينٍ حول بيتِ رَبِّ العالمين.

ووصل الحاج لمكّة وأمير المحمل أزْبَك اليوسفي الظاهري الخازندار أحد المقدمين، والأول دولات باي الحسني الظاهري شاد الشُّوَن، وكان الوقوف الأحد، بل بِتْنَا ليلتَها بعرفةَ احتياطاً.

٢١٠٢- ومات في صفر، عن ستٍ وثمانينَ، فقيهُ اليمن أبو حفص

عمر[1] بن محمد بن مُعيبد الزبيدي اليماني الشافعي، ويُعرف بالفتى. ممَّن درس، وأفتى، وصنّف، وألحق الصغار بالكبار، ورحلوا إليه، وما لقيتُ أحداً من أصحابه إلا ويذكرُ عنه في الفقه عجباً، مع لطافةِ طَبْعٍ، ونظمٍ، ومحاسنَ، ولم يخلف بعده مثله.

٢١٠٣ـ وفي جمادى الأولى، عن ستٍ وسبعينَ، أبو الصّفاء إبراهيم[2] ابن علي بن إبراهيم بن يوسف الحسينيُّ العراقيُّ المقدسي الشافعي، ويُعرف بابن أبي الوفاء. ممَّن درّس، وصنَّفَ، وأفتى، ووعظ، وقدم القاهرة غير مرة، فأخذ عنه جماعة، وبسببه كانت إثارة الكلام في ابن الفارض، حيث أقرأ تائيَّته، وانجرَّ الكلامُ لِمَا لا خيرَ فيه. وهو والد كمال الدين محمد، أحد الفضلاء.

٢١٠٤ـ وفي شعبان، عن بضع وثمانين، الزين عبدالغني[3] بن يوسف ابن أحمد بن مُرتضى الهيتميُّ القاهري الشافعي المقرىء. ممَّن تصدَّى للقراءات، فأخذها عنه الفضلاءُ، وصنَّفَ فيها، وكان لا يَرَى مَنْ يلحقه فيها، مع تَعْتعةٍ وسُوء خُلُق.

٢١٠٥ـ وفي رمضان، بالمحلة، على قضائها فجاءة، عن أربع وستين، القاضي أوحدُ الدين محمد[4] بن أحمد بن أبي بكر بن رسلان البُلْقِينيُّ

---

(١) الضوء اللامع ١٣٢/٦، وشذرات الذهب ٣٤٧/٧.

(٢) الضوء اللامع ٧٥/١، وشذرات الذهب ٣٤٦/٧.

(٣) الضوء اللامع ٢٥٨/٤.

(٤) بدائع الزهور ١٩٦/٣، والضوء اللامع ٢٩٦/٦.

المحليُّ الشافعي. قاضي المحلَّة، وخاتمةُ رؤسائها، وابن قاضيها، ويُعرف بابن العُجَيْمي. مِمَّن أقرأ وأفتى، وولي قضاء إسكندرية أيضاً، ودام بالقاهرة مصروفاً مدة على طريقةٍ شريفة، تلاوةً وتواضعاً وتودداً، مع مزيدِ ذكاءٍ، وجودة فَهْمٍ، ومحاسن.

واستقرَّ بعده ابنه البدر أبو السعادات محمد.

٢١٠٦- وفي ربيع الأول، عن اثنتين وستين، الشيخُ الصَّالح الورع الزاهد الثقةُ الضابط، الشمسُ محمد[1] بن محمد بن علي بن محمد بن محمد البُلْبَيْسيُّ الشافعيُّ، نزيل القاهرة، ويُعرف بابن العماد. ممَّن تميَّز، وكتب بخطِّه المتقنِ الحسنِ الكثيرَ، ونظم وأفاد، واختصر تفسير «البيضاوي» وغيره، مع كتمه لفضائله وأفضاله، وكان تامّ العقل، مهذَّباً، كثيرَ المحاسن. تأسَّفْنا على فقده.

٢١٠٧- وفي صفر، الفاضل الأمين محمد[2] بن محمد بن أحمد العباسيُّ، ثم القاهري، نزيلُ سعيد السعداء، ويُعرف بأمين الدين العباسي. ممّن تميَّز في الفضائل، وتَفنَّنَ، ودرس، مع حُسْنِ الكتابة، وجودةِ العقل.

٢١٠٨- وفي منتصف ذي القعدة، شهيداً بالسَّيل فجاءة، عن سبعٍ وثلاثين، السِّراج عمر[3] ابن القاضي أمين الدين أبي اليُمن محمد بن محمد ابن علي العقيليُّ النويري المكي الشافعي، ويُعرف بابن أبي اليُمن. ممَّن

---

(١) الضوء اللامع ٩/١٦٢.

(٢) الضوء اللامع ٩/٢٥. (٣) الضوء اللامع ٦/١٢٥.

حفظ كُتباً، وأكْثَرَ التلاوةَ، والطوافَ، والصّيام، وحضر الدروس، وتودَّد للغرباء، مع لسان حادٍّ.

٢١٠٩ـ وفي جمادى الآخرة، عن بضعٍ وثمانين، وجيه الدين عبدالرحمن[١] بن عبدالله بن عبدالرحمن العلوي، ثم العكي الزبيدي الحنفي. ممَّن تقدّم في معرفة الأوقات، مع النسك والطريق المرضي، وحُسْنِ الخلق، والموافاة لأحبابه.

٢١١٠ـ وفي ربيع الثاني، عن سنٍّ عالية، الشَّمسُ أبو عبدالله محمد[٢] ابن عمر بن عبدالله الدَّميريُّ، ثم المحليُّ الشافعي، ثم المالكي، ويُعرفُ بابن كُتَيْلة. ممَّن درس وأفتى ووعَظ، وصار شيخ ناحِيته علماً وخيراً وإرشاداً، مع مزيد التواضع، وبهاء المنظر، وإكرام الوافدين، ومحاسنُه جمَّةٌ.

٢١١١ـ وفي جمادى الثاني، وقد زاحم التسعين، شاعرُ الوقتِ الشهابُ أحمد[٣] بن محمد بن علي بن محمد السُلميُّ المنصوري الشافعي، ثم الحنبلي، ويُعرف بابن الهائم، وبالشهاب المنصوري. ممَّن تعانى الأدبَ، وطارح الشعراء، وصار بأخرةٍ أوحدَ شعراءِ القاهرة، بل كان قاضي الحنابلة العز الكنّاني يُرَجِّحهُ على كثيرين، مع مزيد التّقلُّلِ والتقنُّعِ والتواضع، وشعره سائر، وهو القائل:

إنَّ البقاعيَّ بما قد قالَهُ مُطالبُ

---

(١) الضوء اللامع ٤/٨٨. (٢) الضوء اللامع ٨/٢٤٨.

(٣) الضوء اللامع ٢/١٥٠، ١٥١، وشذرات الذهب ٧/٣٤٦، وبدائع الزهور ٣/١٩٤.

لا تحْسِبوهُ سَالماً وقَلْبهُ يُعاقَبُ

٢١١٢- وفي ربيع الأول، عن سبع وسبعين بدمشق، الشرف قاسم[١] الحنفي. ممن أقرأ وأفتى، ثم ترك الإفتاء تَوَرُّعاً.

٢١١٣- وفي ربيع الأول، شهيداً مَبْطُوناً غريباً بمكّة، الأميرُ الثقة الفاضلُ، الراغبُ في الخيرات، المشتملُ على المحاسنِ الباهرات خير بك[٢] بن حديد الأشرفي برسباي. ممَّن كتب الخط الجيد، واشتغل بالقراءات، وبالفقه، وأصول الدين، وزاحمَ.

٢١١٤- وفيه، أو فيما قبله، جكم[٣] قَرَا العلائي الظاهري نائب إسكندرية، ويُعرف بأمير آخور الجمال. ممَّن اشتغل ومال إلى العلم وأهله، مع علو الهمّة، ومزيد التودُّد، وأنشأ تربة بالقرب من مقام الشافعي، ودُفن فيها.

٢١١٥- وصاحب كَلْبرجَة قاتل ملك التجار، ولم يُمَتَّعْ بعده.

---

(١) الضوء اللامع ٦/١٩٣. وهذه الترجمة أضافها المؤلف بخطه في هذا الموضع على هامش الورقة ٢/٨٦.

(٢) الضوء اللامع ٣/٢٠٧، وبدائع الزهور ٣/١٩٤.

(٣) الضوء اللامع ٣/٧٥-٧٦، وبدائع الزهور ٣/١٩١.

٢١١٦- وفي جمادى الثاني شاذ[١]بك الجلباني أتابك دمشق، وصاحب المدرسة بالقنوات منها. وبها دفن منفصلاً عن الأتابكية بجانم الجَانبكي نائب جدة، وقد حجَّ بالرّكب الشّامي غير مرّة[٢].

٢١١٧- وفي ذي الحجة أمير الينبُوع سبع[٣] بن هجان، واستقرّ بعده دراج[٤] بن مُعَزَّى.

(١) الضوء اللامع ٣/٢٩٠.

(٢) ما بين المعقوفين أثبتناه من نسخة «ك».

(٣) الضوء اللامع ٣/٢٤٣.

(٤) هو دراج بن معزى الحسيني استقر في أواخر سنة ٨٨٧ هجرية. الضوء اللامع ٣/٢١٧.

سنة ثمان وثمانين وثماني مئة

استهلت ونحن باليَنبُوعِ راجعونَ إلى الديار المصرية.

وفي صفرها تَغيَّظ السلطانُ على ناظرِ الجيش، ورام ضَرْبَهُ، لظهورِ خَلَلٍ في ديوانِ جيش الشام، بانَ أنّه لا ذنبَ له فيه، وأرسل من كَبَسَ بيتَ مثقال[1] الساقي لنسبته للكِيمياء، ثم عفا عنه، ثم أرسله لمكة في موسم السنَّة القابلة.

وهَدّد جماعة النحانقية بسبب العصائبِ المقترعات عملاً وبيعاً، بل وضَرب بعض النِّسوة والأمراء وراء هذا.

وفيه وفيما بعده قام على الحنفي بعض نُوابه، واستعان بغيره ممَّن لم يكن بعضهم في كائنةٍ إلّا وقفت، ونسبُوه إلى التَّقصير في أوقافِ الحرمين والصَّدقات، ومَنْعِه الصَّرْفَ لكثيرين، بل ونُسِبَ إلى الرّشا وقَبولِ الهدية والضيافةِ، فأُمِر بمجيئه لرأس نوبة النُّوب مرةً بعد أخرى، فكان فيهما، بل وفي مجلس السلطان ما لم أرتضه لواحدٍ من الفريقين، فنَقْصُ واحدٍ قد يجرُ لغيرهِ، سيما ولا ينتج غير يسيرٍ من حُطام الدُّنيا، دون مصلحةٍ عامة.

وفي ربيع الأول، في ليلة المولد بالقلعة أشهد عليه السلطان بما حبَّسه

(١) بدائع الزهور ٣/٢٠٠.

على المدينة النبوية وأهلها والوافدين إليها مما يحمل منه إليها أزيد من سبعة آلاف أردب قمح، لِيُفرَّقَ على كبيرِهم وصغيرِهم، غنيهم وفقيرهم، حُرِّهم وعبدهم، ذكرهم وأنثاهم، بالتَّسوية بينهم، خمسة أمداد كل شهر، ويُعمل منه دشيشة[1] في كل يوم للغرباء ونحوهم غير المتأهلين، مع قُرْصين، ورُسم بإبطالِ المكوسِ التي بها في الخُضَر ونحوها، كالحدائق والبساتين، وتعويض أميرها عنه.

ثم جهَّز مع الحاج مقصورة من حديد[2]، عملت للحجرة النبوية، فيها تخريم وأشياء، من جُملتها نقشُ تاريخها واسمُ السلطان.

وكذا في ربيع دُلِّيَ بعض الغطاسين لتنظيف بئر زمزم من الأتربة والأوساخ التي اجتمعت فيها من السَّيلِ وغيره، فإنها ملحت جدّاً، فنزع من بأعلاها منه قليلاً، وطلع لوجه الماء للاستراحة، ثم عاد، فلم يطلع إلَّا ميتاً.

وفيه طلعت هدية الفرنج صاحب نابل، وأبو المقيم بالقاهرة، وتشتمل على زَرْدَخانة ودكة يَعْلُوها طيرٌ من أعاجيبِ الصُّور، وغير ذلك، مع نحو عشرينَ من أسارى المسلمين، سوى ما كانَ معها لولده، فأرسل السلطان بالدكةِ للأتابكِ، ونزل القاصدَ لمحلٍّ سكنه في ركبةٍ عظيمة. وكان حين وصوله للساحل أطلق أهلُ مركبه مدفعَ نفطٍ على العادة، فجفل من ذلك ثورٌ كان بمركبٍ للمسلمين، فانقلب بما فيه، ومات منه واحدٌ أو أكثر، ثم اجتاز بعضهم بجّامع الأزهر، وصحبته بتاتي خمر[3]، فغار بعضُ أهله، وتبعه من

(١) دشيشة: طعام قوامه برٌّ مرضوضٌ. (٢) بدائع الزهور ٣/٢٠٣.

(٣) بتاتي خمر: إناء يوضع فيه الخمر وأظن أنه يقال لها في الشام «بطحة» وفي العراق «بُطل».

العبيد والعامَّة مَنْ شاء الله فأريقت، فكان فيه نوع ذُلّ ٍ وجَبْر ما، ولله الحمد.

وفي ربيع الثاني، سافر قاصد محمود صاحب كُجرات من بلاد الهند مع إرسال ما أُثيب به مرسله على هديته الواصل بها في رمضان العام الماضي، وهي كثيرة أولاً وثانياً.

وكذا سافر في الذي قبله جماعةٌ من أعيان مملكة هَرَاة، وفيهم بعض فضلائها ممن أخَذَ عني بمكَّة بعد حجِّهم ورؤيتهم الأهرامَ، ثم الجامع الذي جدّده السلطانُ بالرَّوضة، وضيافتهم بالموضعين وغيرهما، وإكرامهم وإنزالهم.

وفي ربيع الثاني أيضاً، كانت مَقْتَلَةٌ بين مماليكِ أمير مجلس والدوادار الكبير، قُتلَ فيهـا منهمـا جماعةٌ، بحيث كادت تكونُ بين الأميرين فتنةٌ، فَسَكَّنها السلطانُ[1].

وفي الـذي يليه: كان تَعَـرُّضُ جمـاعةٍ من الأجلاب لبيت رأس نوبة النُّوب[2]، وأخذ جميع ما فيه، بل وأضرموا النارَ في شونته، فانجرَّ الحريق لكثيرٍ من أمـاكن الجيران وغيرهـا، ونهبهـا منهم ومن الغـوغاء حتى تعدُّوا لخـلاوي المدرستين، الأبو بكرية والفخرية، وكان في كلّه زائد الوصف، وقتل بعض الأجلاب، وجرح بعض مماليك الأمير، بل قُطعت يَدُ بعضهم من غير سببٍ محققٍ ظاهر له. ثم آلَ الأمرُ إلى إخمادِ السلطانِ الفتنةَ، وتَتَبَّعَ مَنْ

(١) بدائـع الـزهور ٢٠١/٣ (ثارت فتنة بين مماليك آقبردي الدوادار وبين مماليك أزدمر أمير مجلس، الذي كان نائب حلب).

(٢) بدائع الزهور ٢٠٢/٣ (ثار جماعة من المماليك الجلبان وتوجهوا إلى دار برسباي ونهبوها).

نُسِبَ إليه النَّهبُ، حتى اجتمع منه الكثيرُ مما لا نسبةَ له بالمأخوذِ، وصار مَنْ ظفر بشيءٍ له يأخذه، وربما أخذ الشّيءَ غيرُ صاحبه، وأنعم السلطانُ على جماعةٍ فضلاء ممَّن فُقِدَ لهم بذهب، وكذا على الأمير ليرتفق به في عمارة بيته، بل آثره ـ فيما قيل ـ بخبيئةٍ[1] وجدها في أثناء الهدم.

وفي جمادى الثاني، طلع قاصد ابن حسن بك إلى القلعة بعد قدومه من أيام، وأنزلهُ كاتبُ السر ببيتهِ في البركة، ثم أضافَهُ يومَ جمعة في بيتهِ الشهير، وصَلَّى معه الجمعة في مدرسته، وخطب بهم الشرفُ يحيى ابن شيخنا الرشيدي[2]، مع أن الخطيب بها الجمالي سبط شيخنا.

وفيه كانت حادثة أثارها الحُليبي[3] وأضرابُه، كان الوقت في غُنية عنها، سيما مع عدم الدُّربة والسياسة، بحيث أُهين، و لولا كاتب السِّرِّ، لكان مالا خيرَ فيه، وما وجدتُ المحلّ قابلاً فسكتُّ، ولكن لَخّصتُ في المسألة كراساً مفيداً جدّاً، كتبه عني جماعةٌ من الأعيان، سوى مؤلفي الحافل فيها، المسمّى: «القول المُنْبي عن ترجمة ابن عربي».

وفي أثناء رجب سافرتْ لحلب تجريدة باشها أزدمر أميرُ مجلس ليتقوى بها مَنْ هو متوجه لدفع علي دولات أخي سوار الخارج عن الطاعة.

وفي شعبان كتب لي من المدينة النبوية أنَّ حرمها ومنبرها الشريف كَمُلا إلا بعضَ البياضِ اليسير من المنبرِ الذي عُمل من رُخامٍ، وكالذي قبله في

(١) الخبيئة: الذهب المدفون في الأرض.

(٢) هو يحيى بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم الشرف، الضوء اللامع ١٠/٢٤٩.

(٣) بدائع الزهور ٣/٢٠٣.

كونه على القبلة بدون انحراف، غير ملتفتين لما شَذَّ به بعضُ المؤرخين، ولا ينهض للمعارضة.

وكذا نجز غالبُ المدرسة التي أُنشِئت للسلطانِ في محل الحصن العتيق، وأُدخل في جملتها دار الشباك التي عند باب الرحمة وبعض الجوبانية، وعُملَ مما يَلِي البابَ المذكور سبيلٌ عظيم ومجمع وقاعة عظيمة بأواوينَ أربعة متقابلة، وبها خلاوي بشبابيك كثيرة على الحرم غير شبابيك المجمع والسبيل بعد الاستفتاء بموافقة أمر السلطان ليكونَ حجةً للناظر، كما اتفق لِمَنْ أفتى جوهر بفتح شباك في جدار جامع الأزهر، وبجانبها رباط بخلاوي كثيرة، وغالب الربع الذي يعلو الوكالة التي عملت مكان دار العَبَاسى التي لأجلها عدى مَنْ نسبت إليهم على الزكي ابن صالح، وكان الناظرُ تكلّم معي حين كنتُ متشرِّفاً بالإقامةِ هناك في أنْ تكونَ المدرسةُ تجاه الحجرةِ الشريفة، بل تُشاهد من شبابيكها، وأجَبْتُه سِرّاً بالمنع منه ومن الشبابيك، وأبديتُ له محذورهما، فما ألْوَى، ثم أفتى في خصوص مطلق الشبابيك كما أشرت إليه. وشرع في إصلاح عينٍ قديمة أصلها بقُباء ومغيضُها عند مساجد الفتح، تَحصَّلَ بها خيرٌ كثير.

وفي شوال سافر الحاج[1] على العادة وأمير المحمل أزْدَمُر الظاهري تمساح، والأول أزدمر الأشرفي برسباي، وسافر شاذ بك الجمالي ليكون باش المماليك الذين معه، ويرجع أولئك مع باشهم بيبرس الطويل الأشرفي.

٢١١٨- ومات في جمادى الأولى، عن ثمانين، الشيخ شمس الدين

---

(١) بدائع الزهور ٢٠١/٣.

محمد[1] بن علي بن محمد بن قاسم القاهري الشافعي، ويُعرف بابن المُرَخّم. ممَّن جمع، ودرّس في أماكن، كالفَخْرية والمُؤَيّدية والأُلْجِيهية، وناب في القضاء قديماً، ولم يتصدّ لذلك، بل ذُكِرَ بعْدُ للقضاء الأكبر، وربما أفتى، وأنشأ الدور، وتربةً بجوار مصلى باب النصر، ليكون فيها شيخ وصوفية. كُلُّ ذلك مع العقلِ، والخبرة بدنياه، والسياسة، والانجماع غالباً، وأصيب قبيل موته بفقد مالٍ، يقال: إن ولده اختلسه، ولذا لم يفلح بعده.

٢١١٩- وفي ربيع الآخر، عن نحو سبعين، الشهاب أحمد[2] بن أحمد ابن علي بن زكريا الجُدَيِّدِيُّ البدرانيُّ، نزيل دمياط، وشيخ مُعينيتها. ممَّن درس، وأفتى، وصنَّف، ونظم، ونثر، وانتفع به الطلبة، مع الذكاء ومتانة الكتابة، والاقتدارِ على التعبير، والتوددِ، والكرم، والاحتمال، وقلة التشكي.

ومن نظمه في أول أبيات:

طلع الحبيبُ لنا من الزوراء   في بهجةٍ تزهُو على الجوزاء

٢١٢٠- وفي جمادى الأولى، وقد جاز السبعين، الفقيه الزين عبداللطيف[3] بن علي الشارمساحيُّ ثم القاهري الأزهري الشافعي. ممَّن تميَّز في الفقهِ والفرائضِ، وتَصَدَّى للإقراء، فانتفع به، سيما في «الحاوي»، وأفتى، وناب في القضاء، وسكن ببولاق، فنفع تلك الخطة، وكان خيراً،

(١) الضوء اللامع ٨/٢٠٥-٢٠٧، وشذرات الذهب ٧/٣٤٧-٣٤٨.

(٢) شذرات الذهب ٧/٣٤٧. والجديدي نسبة لقرية من قرى منية بدران.

(٣) الضوء اللامع ٤/٣٣١.

حَادَّ الخُلُقِ، مُتَقَنِّعاً.

٢١٢١- وفي المحـرم، عن بضع وخمسين بمقتضى ما قاله، العلاَّمة العلاء علي[1] بن محمد بن حسين السَّعديُّ الحصنيُّ ثم القاهري الشافعي. ممَّن تقـدم في العقليات، وتصـدَّى لها، فانتفع به الأماثلُ، لحُسْنِ تقريره وتَفَنُّنِـهِ، وتعبيره، وطلاقةِ لسانه، مع مَزيدِ أدبه وتواضعه وكرمه وعُلُوِّ هِمَّتِه، وموافاته، وبهاء منظره، واختص بغير واحدٍ من الأمراء والأعيان، وسافر سفيراً لبعض ملوك الأطراف، رحمه الله.

٢١٢٢- وفي ربيع الأول، عن خمسين، العـلامـةُ النجمُ يحيى[2] بن محمـد بن عمـر ابن حِجِّي السعـديُّ، الحسبانيُّ الأصل، الدمشقي، ثم القـاهـري الشـافعي، سبط ابن البارزي، ويُعرف بابن حجي. ممَّن تفنن ودرس، مع الرئاسة، والأصالة، والفتوة، والمحاسن الجمة، والإخلاص في محبة الفضلاء وتقريبهم وإرفادهم بالكتب وغيرها. ومما وَلِيَهُ تدريسُ التفسير بالمنصورية، سوى ما صار إليه بعد موتِ أبيه من التداريس الجليلة، بل وَلِيَ نَظَرَ جيشِ القاهرةِ وقتاً، وكان في الرئاسة بمكان، وَوُجِدَ في كتبه من تصانيفِ ابن عربي مالم يجتمعْ عند غيره.

٢١٢٣- وفي صفر، عن نحو سبعين، المحب أبو حامد محمد[3] بن خليل بن يوسف، البُلْبَيْسِيُّ الأصـل، الرَّمْليُّ المقدسي الشافعي، ويُعرف بأبي حامد. ممَّن أكثر التحصيل، ولم ينجب، مع أنه صَنَّفَ فيما لم يتأهَّلْ

(١) الضوء اللامع: ٥/٢٩٩-٣٠٠، وقوله: «بمقتضى ما قاله» يعني بذكره لمولده بحيث أصبح عمره بضعاً وخمسين.

(٢) الضوء اللامع ١٠/٢٥٢-٢٥٤. (٣) الضوء اللامع ٧/٢٣٤-٢٣٧.

له، والغـالبُ عليه الصفـاءُ والتـرفُّعُ ومزاحمةُ الكبار، بحيث أُوذيَ مرةً بعد أخرى،وربما أقرأ الطلبة.

٢١٢٤- وفي المحرم، عن بضع وستين، العز عبدالعزيز[1] ابن البهاء محمـد بن عبـدالعـزيز بن محمـد بن مظفـر، البُلْقِينيُّ الأصـل، القاهري الشافعي. ممَّن درّس بأماكن، وناب في القضاء قليلاً، وربما أقرأ، مع ذكاء وصفاء وخفَّة، بحيثُ حَدَّثَ نَفْسَهُ بالقضاء الأكبر.

٢١٢٥- وفي شعبـان، خنقاً شهيداً، عن قريب الستين ظنّاً، المُحِبُّ محمـد[2] بن دِمِرْداش الحسينيُّ سكناً، الحنفي الواعظ. ممَّن انفرد بأخرة فيه، بسعةِ الحفظ، وقوةِ السَّردِ، والإتيان بالفوائد، وانتشر الثناءُ عليه بذلك، سيما مع إتقانهِ فيما يُورده، وتحرِّيهِ لما لَعَلَّهُ يُنتقَد، هٰذا مع اقترافه لما أرجو أنْ يكون أنابَ منه، وحدَّة لسانه، وقد رُؤيت له بعد موته مناماتٌ صالحة.

٢١٢٦- وفي ربيع الآخـر بمكة، وقد زاحم الثمانين ظناً، العلامة أبو زكريا يحيى[3] بن أحمد بن عبدالسلام القُسنطيني المغربي المالكي، ويُعرف بالعُلَمِي. ممَّن تصـدَّى لنشـر العلوم، وانقـطع له بمكَّـة، مع الإكثـار من الـطواف، وتوجُّههِ للعبادة، وكونه في استحضارِ فروعِ المذهب كالمُنْفَرِدِ، وعُرِضَ عليه قضاءُ الشام ومكّة فأبى.

٢١٢٧- وفي صفـر، وقـد جاز الستين ظنّـاً، الفقيهُ موسى[4] المغربي

---

(١) الضوء اللامع ٤/٢٣٢-٢٣٣. (٢) الضوء اللامع ٧/٢٤١-٢٤٢.
(٣) الضوء اللامع ١٠/٢١٦-٢١٧. (٤) الضوء اللامع ١٠/١٩٣.

المالكي، ويُعرف بالحاجبيِّ، كأنه لمعرفته بكتاب ابن الحاجب، أو حفظهِ لَهُ، ثم انقطع بمكّة للإقراء، مع الخير والتقلُّل والانجماع.

٢١٢٨- وفي ربيع الأول، عن بضع وثمانين، النور علي[1] بن محمد ابن أحمد بن يوسف الهيتميُّ، ثم الطَّبَنَاويُّ القاهري المالكي. ممَّن تميَّز وكتب «البخاري» وغيره، وقرأه على شيخنا، وشَارَكَ في الفضائل، واعتُقد بين كثيرين، كالمُنَاوي، وانتقده آخرون، ونُسب لعلم الحرْفِ، وربما صنَّف ونظم. وأدخله الظاهر جقمق المَقْشَرة مدَّة.

٢١٢٩- وفي جمادى الأولى، عن نحو خمس وثلاثين، المحب أبو الفضل محمد[2] ابن أبي المراحم محمد ابن أبي الفضل عبدالرحمن بن أحمد القاهريُّ الشاذلي، المالكي، شيخ الوفائية، وأحد الأذكياء الذائقين، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن وفاء، بعد أن عرض له جَذْبٌ أو غيره، بحيث صار يكثر الكلام، وربما طلع إلى السلطان وشَافَهَهُ، بما حَسُن اعتقادهُ فيه من أجله، وأهانَ مَنْ تَعَرَّضَ له. وخَلفه في المشيخة ابنه أبو المكارم إبراهيم[3]، مع كونه كان مُبْعداً عن أبيه، بحيثُ عجز الأكابر عن استرضائه عنه.

٢١٣٠- وفي شعبان، عن خمس وثلاثين، الشمس محمد[4] بن عثمان بن حسين الجزيريُّ، ثم القاهري الحنبلي. ممَّن تميَّز، وشارك بذكائه وجودة فهمه، وتنزل في الجهات، وأذن له في العقود، مع العقل التام،

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٨٧-٢٨٨.

(٢) الضوء اللامع ٩/٩٠. (٣) الضوء اللامع ١/١٦٤.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٤٢-١٤٣. وشذرات الذهب ٧/٣٤٧.

والتُّؤدة والتواضع، وقد كتب جزءاً في الحيض أجاده، وشرع في ترتيب فروعِ «قواعد» ابن رجب، ولو عُمِّرَ وتفرَّغ للاشتغال، لسادَ. عوَّضه الله الجنَّة.

٢١٣١- وفي ربيع الآخر، وقد جاز الستين، كريمُ الدين محمد[1] بن علي بن أبي بكر، البُوَيْطيُّ الأصل، القاهري الحنبلي، خالُ قاضي المذهبِ البدر السعدي. ممَّن اشتمل على فضائلَ، وحجَّ وجَاورَ وغَزا غير مرَّةٍ، مع ذكاءٍ وأدبٍ، وقوَّة في المباشرة والكِتابة، وربما ارتفق بالشهادة، ولكنه لم يحصل على طائل.

٢١٣٢- وفي أوائلها أميرُ المدينة النبوية زُبَيْري[2] المستقر فيها في العام الماضي عَوْداً على بدءٍ، واستقر بعده ابنُه حسن.

٢١٣٣- وجانم[3] السيفي الخازنداري جانبك الجدّاوي. ممّن قرأ القُرآن، وكتب المنسوب، مع الفروسية، والرغبة في ذوي الفضائل. ناب بحماة وقتاً، ثمَّ كان أميراً كبيراً بالشام حتّى مات بها.

٢١٣٤- وفي رجب، بمكة، عن ثمان وخمسين، الرئيس الشرف يحيى[4] بن عبدالله المُزيِّن. ممن ترقى في صنعته، مع جودة الخط، وخدمَ الأكابرَ، فقرَّبوه لعقله، بحيث أثْرَى، وتزايَدتْ وجاهته، وعمّر داراً هائلةً، مع تواضعه وحشمته.

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٧٥، وشذرات الذهب ٧/٣٤٧.

(٢) الضوء اللامع ٣/٢٣٢-٢٣٣.

(٣) الضوء اللامع ٣/٦٥.

(٤) الضوء اللامع ١٠/٢٣٠.

سنة تسع وثمانين وثماني مئة

استهلت وقد كمل الحرمُ الشريف المدني كلّه، ولم يَبْقَ منه شيءٌ أصلاً، وكذا لم يبق من المدرسةِ السلطانية غير الترخيم وبعض تتماتٍ من أعلاها، وسُكن بعض خلاويها، وانتهى الفُرنُ والطاحون.

وما تمَّ مُحرَّمُهَا حتَّى وصل شاد عمائر الحرمين منها لمكة، وناظرها للقاهرة، وقبل انتهائه أيضاً، ورد المرسومُ لشيخ الخدام بها بجمع قُضاتِها وفقهائها وغيرهم، ثم كتابة محضرٍ في الناظر، وضمَّ إليه ما قيل: إنه شُوهد في القُبة العُظمى التي عُملت على الحجرة الشريفة من نحو عشرة شُقوق نافذة، إنْ أُهملتْ ضرَّتْ، وذلك إن كان الكتبة غير مُكْرَهين، وهم ممن يُرجع إليهم في مثله، إنما المُلامُ فيه المهندس.

وحينئذٍ عَيَّنَ السلطانُ البدري أبا البقاء لكشفها ولتقرير أمر المدرسة والدشيشة وغيرها.

وسافر في أول شوالها في ركْبٍ مستقل فيه جَمْعٌ من المنتمين إليه وغيرهم، فكان ممَّن فيه الشيخُ أبو العباس بن الغمري والسَّيد الشَّمس شيخ الطائفة القادرية، وربما كان فيه في الرجوع الشيخ عبدالقادر الدَّشْطَوْطِي[1].

---

(١) هو رجل متقشف، يحب سماع القرآن وكلام الصوفية، وقيل له الطشطوطي نسبة لقرية من =

وابتدأ بالمدينة، وأقام فيها أياماً، وصَرَّفَ الأمورَ فيها، وفي مكة كما ينبغي. ودرَّس للشافعية بالمدينة السيد السمهودي، وللحنفية بها شيخ الرباط الشيخ عثمان الطرابلسي[1]، وسكن فيها بعياله.

وفي المحرم - أيضاً - كان إجلاسُ الجمالي أبي السعود ابن عالم الحجاز البرهاني بالمسجد الحرام بحضرة أعيانه، أبدى فيه من الأبحاث والمناقشات ما أبهرهم مما لا أستكثره، وأزْيَدَ منه عليه، وكان ممَّن حضر: عَمُّه، وكأنَّها كانت إشارة، لأنه هو الذي يقوم بما كان قائماً به في الحرم، فإنه لم تتم السنة حتّى مات.

ثم ختم الجمالي بالحرم - أيضاً - «جمع الجوامع»، وحضره أبوه مع جميع القضاة والمشايخ والأعيان وناظر الجيش الكمالي، ثم ختم «تلخيص المفتاح» أيضاً في الحرم وكذا شرحي «لألفية» العراقي.

وفي صفرها، كان التقاءُ طائفة من العساكر الأشرفية مِصْريُّها وشاميُّهَا بعلي دولات التركماني فترك وطاقه كما هو، وفَرَّ بعْدَ أنْ كادَهُمْ بالكمائنِ، فبادَرُوا لنهْبِه، فانثنى الكمِينُ عليهم حين اشتغالهم به، فقتل بين الفريقين طائفة، وجهز أولئك رؤوس جماعة من أعيان هؤلاء إلى ابن عثمان، فعيَّن السلطانُ مَدَداً، وكان التقاء الفريقين ثانياً في رمضان، وقد استظهر أولئك بما أمـدّهم به ابنُ عثمان، بحيث قُتل خَلْقٌ منهم نائب حلب ورْدَبش، ولولا

= كورة البهنساوية بالصعيد المصري. الضوء اللامع ٤/٣٠٠.

(١) سوف ترد ترجمته في وفيات سنة ٨٩٣ هجرية.

اللطفُ، لفَنُوا عن آخرهم[1].

وعين أَزْدَمُر لنيابة حلب عَوْدَاً على بدء، وبيبرس الأشرفي قايتباي لطرابلس لأَسْرِ نائبها إينال، ولم يلبث أن خلص، وأُعيدَ بعد.

وفي ربيع الأول أمسك جماعة بآلات الكيمياء ونحوها، فَعُفِي عن بعض المستورين وأُهينَ غيرهُم، فكان أخفُّهم إهانةً مَنْ نُفِيَ لمكّة.

وفي ربيع الثاني استقر يوسُف الزرازيري وزيراً عِوَضَ خَشْقَدم الزمام، ثم لم يلبث أن استقرَّ فيه الزين قاسم شُغَيْتَة، ثم الشرف ابن البقري ناظر الدولة.

وفي جمادى الثاني كان إجراءُ عينِ عرفات بأمر السُّلطانِ حتى وصل العملُ لقريب المزدلفة، والناس يتَرجَّوْنَ وصُولها لمكةَ على مجيء الحاج، وهم مفتقرون إليها، ولكن بلغني تعذُّرُه.

وفي شعبان استقر الشمس ابن المزلّق في قضاء الشافعية بدمشق بعد صَرْفِ الشهاب ابن فَرفُور المستقر بعد ابن الخيضري ببذلٍ كثيرٍ.

وفي سابع عشريه كان ختم «البخاري» بالقلعة، ولم يحضر السلطان في طول الشهر غيره.

وفي شوال سافر الحاج على العادة، وأميرُ الأول برسباي العلائي الظاهري جقمق البواب، ومعه ربيبه منصور ابن الظاهر خشقدم، وأميرُ

(١) بدائع الزهور ٣/٢٠٦.

المحمل أَزْدَمُر تمساح، وفي رَكْبه ناظرُ الجيش.

وقدم للحج المغاربةُ والتكاررة، وفيهما مَنْ له عناية بالعلم، بحيث أخذ عني غيرُ واحدٍ من أعيانها.

وكذا ممَّن سافر، مثقال الساقي مغضوباً عليه، والشريف إسحاق صهر ابن قاوان. ورجع من العقبة حين بلغه موته.

ثم في البحر بعد أيامٍ قانصوه الخصيف الأحمدي الأشرفي إينال، بطالاً نقلاً له من دمياط.

وفي ذي القعدة صُرف أمير حاج ابن أبي الفرج عن نقابة الجيش بالشرف موسى بن شاهين الشجاعي ابن الترجمان بالبَذْلِ.

وفيها تجدد في المُقَسِّمِين جماعةٌ أفقههم ابن قاضي عجلون الدمشقي، وكان ورد القاهرة بطلبٍ، أحسن الله رجوعه.

٢١٣٥- ومات في رجب شبه الفجاءة، عن سبع وستين، العلّامة المفنن الشمسُ محمد[1] بن عبدالمنعم بن محمد بن محمد الجوجريُّ، ثم القاهري الشافعي. ممَّن صنَّف، ونظم، ونثر، ودرَّس قديماً، وأفتى، وانتشرت تلامذته، واتّسعت حلقته، وأُشيرَ إليه بمزيدِ الذكاء، والمسارعةِ إلى الجواب، والإفتاء، واستقرَّ في تدريس المُؤَيَّدية قبيل موته، وفي غيرها من

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٢٣-١٢٦، وشذرات الذهب ٧/٣٤٨، والجوجري: نسبة إلى بلدة جَوْجَر من جهة دمياط في كورة السَّمَنُّودية. معجم البلدان ٢/١٧٨.

الوظائف، مع تودُّدٍ، وتواضع، وحُسْنِ عشْرَةٍ، وعليٍّ همّة، ومحاسن. وناب بعده عن ولده الكمال ابن أبي شريف، ثم أخوه البرهان.

٢١٣٦- وفي رمضان، وقد جاز الخمسين بقليل، العلامة الفخر أبو بكر[١] بن علي ابن أبي البركات محمد ابن أبي السعود محمد بن حُسين القُرشي المكي الشافعي، شقيق عالم الحجاز البرهاني، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن ظهيرة. ممَّن أكبَّ على العلم، وتفنَّن، ودرس، وأفتى، وخطب، وقَضى، وصنَّفَ، وولي خطابةَ المسجدِ الحرام والقضاء بجدَّة على كُرْهٍ منه فيه، وحُمدتْ سياسته ودُرْبَتُه وتودُّده، وبلاغته في التقرير، وقوّته في المباحثة والمناظرة، ومحبَّته في المذاكرة، إلى غيرها من المحاسن، ولذا حصل التَّأسُّفُ الزائدُ على فقده. عوّضه الله الجنّة.

٢١٣٧- وفي ذي الحجة، وقد جاز التسعين، الشهاب أحمد[٢] بن محمد بن حسن اللاميُّ الأصْل الصندليُّ القاهري الأزهري الشافعي، ويُعرف بالصندلي. ممَّن اشتغل بالعلم، ثم لزم التلاوةَ والعبادة، مع السكون والانجماع والتوجه، حتى صار أحد المُشَارِ إليهم، بل لم يكن عند إمام الكاملية من يُوازيه.

٢١٣٨- وفي ربيع الأول، وقد جاز الستين، الزين شعبان[٣] بن عبدالله بن محمد الدمنهوري الشافعي، ويُعرف بابن مسعود. ممَّن تصدى للإرشاد والتربية، وعظُمَ الانتفاعُ به في تلك الناحية، وتزايد اعتقادُ الناس

---

(١) الضوء اللامع ١١/٥٨.

(٢) الضوء اللامع ٢/١٠٩.

(٣) الضوء اللامع ٣/٣٠٠.

فيه، وكثر الثناء بالجميل عليه، وتأسَّف أهلُ تلك النواحي على فقده، وبلغني أنَّه قرأ ليلة موته ختمةً.

٢١٣٩- وفي ذي الحجة، وقد جازَ السبعين، السيدُ الآمرُ بالمعروف والنَّاهي عن المنكر: مُحِبُّ الدِّين محمد[١] بن محمد بن محمد بن عبدالمؤمن الحصنيُّ الأصل، الدمشقي الشافعيُّ، ابن أخي العالم الشهير التقي الحصني. ممَّن اشتد حرصُه على الانجماع عن بني الدُّنيا، مع وجاهته وجلالته، وكثرة تلاوته، ومحاسنه، بحيث لم يخلف هناك على طريقته مثله.

٢١٤٠- وفي جمادى الثاني، عن ثمانٍ وسبعين، البهاء أبو الفتح محمد[٢] ابن أبي بكر بن علي بن عبدالله المشهديُّ القاهري الأزهري الشافعي، ويُعرف بالمشهدي. ممَّن درَّس بالأقبغاوية وغيرها، وأقرأ الطلبة، وأفتى، وحدَّث، ووعظ، وجمع أشياء، ولم ينفك عن الإقبال على العلم والتَّحصيل، مع التقلّل، والتقنّع، ومقاساة نَكَدِ العيال. ونعم الرّجل كان.

٢١٤١- وفي شوال، عن نحو السبعين، الخواجا الشيخ محمد[٣] ابن الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد، الكيلانيُّ الأصل الشافعي، نزيلُ مكة، ويُعرف بابن قاوان. ممَّن كان وافر الذكاء، حسن التصوُّرِ، زائدَ الإقبال على العبادة، مع مزيد التواضع، والأدب، والرّئاسة، والبذل الذي قَلَّ أن يُوازَى فيه، ووفور العقل، والإكرام لجليسه، بحيث أرجو أن يكون ممَّن جمع الله

---

(١) الضوء اللامع ٢٣٦/٩.

(٢) الضوء اللامع ١٧٩/٧.

(٣) الضوء اللامع ٥٣/٧-٥٤.

له خيرَ الدَّارين.

٢١٤٢- وفي ذي القعدة، عن سبع وأربعين، أخوه زين العابدين الحُسين[1]. ممَّن تميَّز وصنَّف، وأقرأ، وتعبَّد، مع سلامة الفطرة جدّاً، والمحبة في الفضائل، ومزيد الخشوع والأدب، والتَّرك للفضول، والخوض فيما لا يعنيه.

٢١٤٣- وفي رجب، بدمشق، الإمام المحبُّ محمد[2] بن خليل البصرويُّ الدمشقي الشافعي.

٢١٤٤- وفي ليلة مستهل صفر، وقد قارب الخمسين، عبداللطيف[3] بن عبدالمجيد، الجَنَانيُّ الأصل - بالتخفيف - الصحراوي الحنفي، سبط الشيخ سليم، وأحدُ نُواب الحنفية، بل إمام تُربة السلطان. وبلغني أنَّه كان ليِّن الجانب، متواضعاً.

٢١٤٥- وفي رجب، عن بضع وسبعين، العلامة المفنن شيخ المالكية ومفنّهم النور أبو الحسن علي[4] بن عبدالله بن علي النُّطوبسيُّ ثم السنهوريُّ، ثم القاهريُّ الأزهريُّ الضَّريرُ، ويُعرف بالسنهوري. ممَّن درس، وأفتى، ونظم، مع التَّحرِّي في تقريره ومباحثِه، بحيثُ تطمئنُّ النفوسُ الزكيَّةُ لما يُبْدِيه، ولذا تزاحم الفضلاءُ عنده من سائرِ المذاهب. ودَرَّسَ الفقه بالبرقوقية وغيرها. وكنت ممَّن أحبَّه.

---

(١) الضوء اللامع ٣/١٣٥-١٣٧.

(٢) الضوء اللامع ٧/٢٣٧. وهذه الترجمة أضافها المؤلف بخطه على حاشية النسخة.

(٣) الضوء اللامع ٤/٣٢٩-٣٣٠. (٤) الضوء اللامع ٥/٢٤٩-٢٥١.

٢١٤٦- وفي جمادى الأولى، وقد قارب السبعين، الشريفُ الشهابُ أحمد[٣] بن حُسين بن علي الحسني الأرْمِيُونيُّ، ثم القاهري الأزهري المالكي. ممَّن أقرأ الطلبة، وتصدَّى للإفتاء، وكان المقصود فيها بأخرةٍ، وسُدِّدَ فيها، مع تواضعه ورغبتِهِ في الفائدة، وقيامه في قضائه برَدْع كثيرٍ من المُتَمرِّدين، ثم سكن.

٢١٤٧- وفي ربيع الأول، وقد جاز الخمسين، الزين عباس[٤] بن أحمد ابن عباس القرشي المغربي المالكي، نزيل القاهرة. ممَّن تميَّز في الفضائل، مع الاستحضار وقلة الإتقان، ومزيد التَّطفُّل على بني الدُّنيا، حتى كاد أن يطرح، وتأخر عن مَنْ هُو أمثل منه.

٢١٤٨- وفي المحرم، وقد زاحمَ السبعين، الجمالُ أبو المحاسن يوسفُ[٥] ابن شيخ المذهب المُحِبُّ أحمد بن نصر الله بن أحمد، البغداديُّ الأصل، القاهري الحنبلي. ممَّن درَّس بأماكن، كالمؤيديَّة والمنصوريةِ والبَرْقُوقيةِ، ونابَ في القضاء، بل ذكر للقضاء الأكبر، وربما أفتى، مع التبذير وعدم التدبير.

٢١٤٩- وفي أحد الجمادين بإسكندرية، غريباً، وقد قارب ظنّاً الستين، الكمال محمد[١] ابن البدر محمد بن عبدالقادر بن محمد الجعفريُّ المقدسيُّ النابُلُسي الحنبلي، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن عبدالقادر. ممن فضل

(١) الضوء اللامع ١/٢٨٨-٢٨٩.

(٢) الضوء اللامع ٤/١٨-١٩، وبدائع الزهور ٣/٢٠٧.

(٣) الضوء اللامع ١٠/٢٩٩، وشذرات الذهب ٧/٣٤٩.

(٤) الضوء اللامع ٩/١١٠، وشذرات الذهب ٧/٣٤٨-٣٤٩.

في مذهبه، وناب في القضاء، بل وليَ قضاء القدس وغيره استقلالاً، ولم تُحْمَدْ سيرتُه فيه، مع خبرته بالأحكام، وتميُّزِه في الصناعة، وتودّده وكرم أصله.

٢١٥٠- وفي ذي القعدة، عن بضع وسبعين، الزين عبدالباسط[١] ابن العلم شاكر بن عبدالغني بن شاكر بن الجيعان. ممَّن تميَّز في المباشرات وأتقنهـا، وتكلَّم في جهـاتٍ، وأنفدَ جُلَّ أوقاته في ذلك، مع مزيدِ صلابةٍ وتظاهُرٍ بعدم محاباةٍ، ولم يخلف بعدُه في معناه مثله.

٢١٥١- وفي شعبان، عن أربعين، الولوي، أبو البركات أحمد[٢] ابن الشرفي يحيى ابن العلمي شاكر بن عبدالغني بن الجيعان، أوسط إخوته. ممَّن اشتغـل، وتميز بذكائه، وأدبه، وتودّده، ونيَّته، سيَّما في المباشرات، وخطب لنيابة كتابة السر بعد النوري الأنبابي، فانطبع فيها، وازدحم الناسُ ببابه، وقضى أشغالاً يَجْبُنُ غيره عنها، مع سلوكهِ التواضعَ والاحتشام، وأوفر الأقسام من أنواع الكلام، والبذل والإنعام. وكثر الأسفُ عليه. وخلفه في النيابة أخوه العالمي الصَّلاحي.

٢١٥٢- وقتـلاً، كمـا تقدّم نائب حلب وَرْدَبش[٣]، ويقال بهمزة بدَل الواو، الظاهري جقمق، ويُسمَّى - فيما قيل - جانبك، واستقرَّ بعده في النيابة - عوداً على بدء - أزْدَمُر.

---

(١) الضوء اللامع ٤/٢٧-٢٨.

(٢) الضوء اللامع ٢/٢٤٢ و١١/٢٤١، وشذرات الذهب ٧/٣٤٨، وبدائع الزهور ٣/٢٠٩.

(٣) الضوء اللامع ١٠/٢١٠.

٢١٥٣ـ وقتلاً أيضاً، نائب صفَد ألماس[١] الأشرفي قايتباي، واستقر بعده إينال[٢] الأشرفي أيضاً، ويُعرف بالخصيف.

---

(١) بدائع الزهور ٣/٢١٠.

(٢) الضوء اللامع ٢/٣٢٧.

سنة تسعين وثماني مئة

في صفرها سافر أمير آخور ثاني جانبك حبيب لملكِ الروم ابن عثمان في الصلح، وحَسْم مادّةِ الفتن، ومعه هديةٌ من السلطان فيها مصحفٌ هائل، فتَعلَّل وللعاقبة ما تأمَّل، فإنه ما عُرض الصُّلح على أحدٍ وأَبَاهُ إلَّا نَدِمَ، سيما فيما ينشأ عنه إرَاقةُ دماء المسلمين ونحوها. ثم رجع وطلع القلعة في أواخِر ذي القعدة وهو بخلعة ملك الرُّوم.

وفي ربيع الثاني، سافر عسكر رأسه رأسُ نوبة النُّوب، وفيه من المُقَدَّمين، فَمَنْ دونهم جماعة، مدداً آخر لأولئك لما حَلَّ بهم، كما أُشيرَ إليه في التي قبلها، ثم أردف بعسكر آخر في خدمة الأتابك سار في شوال بعدما حلّ بالناس من جُهَّالهم في بغالهم ونحوها ما هو أشهر وأظهر.

وكان سفر الأتابك بعد أن قرر بجامعهِ صُوفيةً شيخُهم الشهابُ الجوهري خادمُ البرقوقية مع وظائف أخر، لا يخلو مجموعُ ذلك عن مستحقٍ.

وفي جمادي الأولى شد الكمالي[1] ناظر الجيش الرّحْلَ من مكَّة في قافلة للزِيَارة النبوية، ومعه الزّينُ عبدالرحمن السنتاوي وآخرون، ونزل فيها

---

(١) هو: محمد بن يوسف بن عبدالكريم الكمال ابن الجمال القاهري سبط الكمالي ابن البارزي، ويُعرف بابن كاتب جكم، وسيأتي في وفيات السنة.

ببيت ابن صالح، ثمَّ بمجمع الأشرفية وسبيلها الذي يَلِي بابَ الرّحمة إلى أن عادَ لمكّة في شعبانها، ولم يلبث أنْ ماتَ، وغُبِطَ بكل ما اتّفقَ له.

وكذا في جمادى الثاني سافر البدري أبو البقاء ابن الجيعان من القاهرة بعيالِه ومعه البدري سبط المارداني وجماعةٌ، كالحاج رمضان المهتار لزيارةِ بيت المقدس والنظرِ في مدرسةِ السلطان هناك وغيرها من مصالحه، ورافقه الكمــال ابن أبي شريف المستقـر فيه في مشيختهـا بعـد موتِ الشهـابِ العُميري، ثم عادُوا إلاّ الشيخ في شعبان، وهرع الخلقُ للقائه، وقد تزايَدتْ وجَاهتُه وجَلالته.

وفي سادس عشري رمضان خُتِمَ «البخاري» بالقلعةِ مع عدمِ القراءة قَبْلَهُ للخوفِ على بغال الجماعة.

وفي شوال سافر الحجاج على العادة وأمير المحمل أزْدَمُر بن محمود شاه الـظاهري أحد المقدمين، والأول برسباي الظاهري، وكان ممَّن سافر قَبْلُ منها بحراً ابنُ عمّ ابن قاوَان، وهو ملكُ التجار النوري علي المقتول والِدُه، والشريفُ إسحاق بعد تَزَوُّجِهِ سِتَّ الخلفاءِ ابنة أمير المؤمنين، وتركها في عصمته.

وفي شوال استقـرَّ الشهابيُّ أحمد ابن الجمالي ناظر الخاص في نظرِ الجيشِ بعد موتِ أخيه، ولم يتخلف عن الركوب معه كبيرُ أحدٍ.

وسافر أبو عبدالله البرنتيشيُّ المغربي إلى إسكندرية لضبط تركةِ الزينِ عبْدالقادر ابن عُلَيْبَة مع ضبط أماكنه بالقاهرة مما هُو في حَوزته وحوزة أخيه،

بل كُتب بضبط ما بمكة وجُدَّة مما يضافُ إليهما. كل ذلك ليستوفي السلطان ما قيل إنه للذّخِيرة، غيرَ ناظرين لما في جهته للنّاس، وهو شيءٌ كثير.

وفي ذي القعـدة قَدِمَ نائبُ جدة ومعه في الحديد الحاج جوهر مولى الخواجا ابن الزمن مطلوباً، فدام في الترسيم أياماً، ثمّ أرسلَ به لمولاه على مالٍ كبير جداً، ولم يسمح بسفره [إلى أثناء سنة ٩٢][1].

وفي ذي الحجة دار الحمام الذي أُنشيء بالمدينةِ النبوية من جهةِ بابِ السلام، ولم يُعْهَدْ بها قَطُّ حمام، وكانوا في غُنْية عنها.

وأعيد أمير حاج ابن أبي الفرج لوظيفتهم نقابة الجيش بعد صَرْف ابن التُرجمان، وبذل كلّ منهما المال.

ووصل مبشر الحاج في اثني عشر يوماً، وكانت الوقفةُ السبت، ولكن لزَعْمِ بعض الشاميين رؤية الهلال ليلة الخميس مما لم يثبت هناك حصل التوجُّه للمبيتِ بعرفة في ليلة السبت احتياطاً في الجملة.

وانفصلت والأسعار بمكّة مُتَحسِّنة، والموتُ للآن بها في الفقراء مُتزايدٌ، ولا يكاد يوجد من يُواريهم إلاّ بشيءٍ يسير، يُجْبَى من السُوقة ونحوهم، لعدم توجّـه الأغنياء غالبـاً للأحياء، فضـلاً عن الأموات، ووقوفُ الحال منتشر، وجهات الفقهاء استولى عليها الأكَلَةُ من الأعلى إلى الأدنى، وتعطّل غالبها. والجوالي، مع كونها ـ بحكم الثلث ـ للضعفاء، لا تصرف إلاّ بعد ثلاثة أشهر من السنـة الجـديدة، مع الابتـلاء في الفِضّةِ بالمقصوصِ والمُحَيَّر، وفي

(١) ما بين الحاصرتين: زيادة من نسخة «ك».

الفلوس بالـرَّصاص ونحوه، وغُلُوِّ الأسعار في كلّ شيءٍ، وعدم النَّظر في: «إنما تُرزقون وتُنصرون بضُعفائكم»[1]، فالله يحسن العاقبة.

٢١٥٤ـ ومات شهيداً، إن شاء الله، عن نحو سبعين، قاضي الشَّافعية البدر أبو السَّعادات محمد ابنُ التاج محمد ابن شيخِ الإسلام الجلال أبي الفضل عبدالرحمن[2] ابن شيخ مشايخِ الإسلام السراج أبي حفص عمر بن رسـلان، البلقينيُّ الأصـل، القـاهـري، البهائي، وهو بكنيته أشهر. ممَّن درَّس، وأفتى، وصنَّف، وحدَّث وبحث، وناظر، وانتفع به الفضلاء، واشتهر اسمـه، مع الفصـاحـةِ والـطلاقـة، ووفور الذكاء، ومزيد الصفاء، وسرعة الحـركـة، والمحاسن المشوبة، بما يطابقُ به أكثر أهل بيته، ولكن لعدمِ مداراته ـ أحياناً ـ لم يعدمْ حاسداً. وقد عظَّمه الأكابر كشيخنا، ووليَ قضاء العسكر، بل قضاء الديار المصرية وقتاً، وكان يترقبُ العَوْدَ، ويترامى على الصَّالحين وغيرهم، ومحاسنه كثيرة، وكنتُ أودّه، والكمال لله، وقيل فيه بعد موته:

رعَـى الله قَبْـراً ضمَّ أعـظُمَ عالِـم ... بتحقيقـه حاوي الجـواهـر كالبحـر
فَمُـذْ غاب فيه أظـلم الجـوّ بعـده ... وكيف يُضيءُ الجـو مع غيبـة البـدر

وأعطى الزيني زكريا تدريس الحديث بالأشرفية القديمة بعده للشهاب الأبشيهي مع محبته لنا، وأضاف السيفي لنفسه، وحَمِد قراؤه تَصَرُّفَ المتوفى معهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٧٠٢) من حديث أبي الدرداء، وبعضه عند البخاري (٢٨٩٦) من حديث سعد.
(٢) الضوء اللامع ٩/٩٥ـ١٠٠.

٢١٥٥- وفي شوال، عن نحو التسعين، عالم الخانكاه وقاضيها الشمس أبـو الفتـح محمـد[1] بن محمد بن عثمان بن محمد الوَنَائيُّ ثم المصري الخـانكيُّ الشافعي، ويُعرف بالونائي، بعد أن فُجع بوَلَدٍ له ليس معه ذَكَرٌ غيره. ممَّن درَّس، وأفتى، وانتفـع به أهـل تلك النـاحية، خصـوصـاً بعد البـوشي، وولي القضـاء دهراً، واجتمع الناسُ على الثناء عليه لِلينِ جانبِهِ وتواضعه وفتوته، وإكرامه للواردين، ومَيْلِهِ للصالحين، بحيث ذكر فيمن تولى قضـاء مصـر، ولم يخلف هنـاك مثله. واستقر بعده في القضاء صهره أبو الغيث، ولكنه لم يُمَتَّعْ.

٢١٥٦-وفي جمادى الثاني، وقد جاز التسعين، النور أبو الحسن علي ابن التاج محمد[2] ابن الجمال أبي المحاسن يوسف بن عبدالله الكورانيُّ، العجمي الأصل، ثم القَرَافيُّ القاهري الشافعي، ويُعرف بسيدي علي ابن العجمي. ممَّن انفرد بأخرة بكثير من الأجايز، وتردّد إليه الطلبةُ، وخَرَّجَ له بعض فضـلاء جمـاعتنا مشيخةً أجادها، وكان خيِّراً متواضعاً وقوراً، سليم الفطرة، محبّاً في الطلبة، يستحضر أشياء، وخلف طفلاً من أَمَةٍ حبشيَّة.

٢١٥٧- وفي المحرم، بسمنود، عن أربعٍ وستين، الجلالُ محمد[3] بن أحمد بن علي بن محمد بن علي المحلي، ثم السمنوديُّ الشافعي الرفاعي، ويُعـرف بابن المحلي، وبـالجـلال السمنودي. ممَّن تصدَّى هناك للإقراء والإفتـاء والـوعظ، ممتنعـاً من القضـاء، مع الخير، والقنـاعة، والتَّعفُّف، والعقل، والتودّد، والمشاركة في الفضائل، بحيث نظم، ونثر، وصنَّف في

---

(١) الضوء اللامع ٩/١٣٩-١٤٠ وسمي الونائي: نسبة إلى وناء من بلاد الصعيد بمصر.
(٢) الضوء اللامع ٦/٢٧-٢٨.
(٣) الضوء اللامع ٧/١٦-١٧.

أدب القضاء كتاباً مفيداً، وفي غير ذلك من مصنفاته. شرح تائية ابن السبكي المسماة: «هدية المسافر إلى النور السافر». وخَطَبه الخيضري ليكون شيخ المكـان الـذي عمله بجـوار ضريح الشافعي، فما قُدِّرَ. ولم يخلف بتلك النواحي في مجموعه مثله.

٢١٥٨- وفي ربيع الأول، عن ثمـانٍ وخمسين، الشهاب أحمد[١] بن عمر بن خليل العُميريُّ القدسي الشافعي الواعظ، ممَّن تصدّى للوعظ، فراج أمرُه فيه، سيما بين العوام والتُّرك ونحوهم، وعقد المجلس بالأزهر وبمكة حين مجاورته بها، وببلده، وغيرها، بل وأقرأ وأفتى، وزاحم في الفضائل وقَرَّره السلطانُ في مشيخة مدرسته القدسية. وكان خيِّراً، فاضلاً، متودّداً، على سنن الصُّوفية. ولم يخلف بعده في طائفته مثله.

٢١٧٣- وفي صفر، عن خمس وسبعين، الشيخ نور الدين علي[٢] بن أحمـد بن علي بن خليفـة الـدكمـاوي المنـوفي، ثم القـاهـري الأزهري الشافعي، ويُعرف بأخي حذيفة. ممن شاركَ في الفضائلِ، مع مزيدِ عقلٍ وسياسةٍ وتواضعٍ وتودّدٍ، وميلٍ للصَّالحين، وفتوةٍ في الإطعام وغيره، بل ربما أقرأ. وخالط الأكابر فَحُمِدَ التوسُّلُ به عندهم. ونعمَ الرجل كان.

٢١٦٠- وفي شعبان، بمكة، عن سبع وثلاثين، الكمال محمد[٣] ابن الجمال يوسف بن عبدالكريم القاهريُّ، سبطُ الكمالي ابن البارزي، وناظر الجيش، وابن ناظره. ممَّن حفظ القرآن، وكتباً، واشتغل عند المناوي وغيره،

---

(١) الضوء اللامع ٥٢/٢.

(٢) الضوء اللامع ١٧٢/٥.

(٣) الضوء اللامع ٩٤/١٠.

ووليَ نَظَرَ الجـوالي، ثم الجيش، وتَشَاهم وتَضَاخَم، ثمَّ تراجع وتواضع، وحَسُنَ حاله بأخَرة جدّاً. عَوَّضَهُ الله الجنة.

٢١٦١- وفي المحرم، عن خمس وثمانين، وقد قارب الاختلاطَ، قاضي الحنفية بالدّيار المصرية المحب أبو الفضل محمد[1] ابن المحب أبي الوليد محمـد ابن الكمال أبي الفضل محمد ابن الشمس أبي عبدالله محمد بن محمود ابن الشهاب غازي الثقفيُّ الحلبيُّ، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن الشِّحنة. ممَّن ترقّى للمنـاصب ببلده، وولي كتـابة سر القاهرة مرَّةً بعد أخرى، ثمّ القضـاء كذلك، وامتُحِنَ غير مرَّة، ودرَّس، وأفتى، وصنَّف، ونظم، ونثر، ودَرَّسَ للمحـدثين بالمؤيدية، ثم بعد عزله عن القضاء بسنين، استقرّ بعد علاجٍ في مشيخـةِ الشيخـونية إلى أن عجز عن مباشرتها، فاستخلف ابنه الصّغير فيها، وكان ذا محاسن، ولكن المحل يضيقُ عن بسط أحواله. ومن نظمه مما يقرأ على قافيتين:

قلتُ لَهُ لمـا وفـى موعـدي ... ومـا بقـلبـي لسـواه نفـاق
وجـاد بالـوصـلِ على وجهـه ... حتّى سمـا كلّ حبيب وفـاق

٢١٦٢- وفي جمادى الأولى، أو ربيع الأول، عن نحو ثمانين، سعد الله[2] بن حسـين الفـارسيُّ السلَمـاسيُّ الحنفي، المقـرىء، نزيل بيت المقـدس، وإمـام الحنفية بالأقصى. باشـرها على هَدْي واستقامةٍ، وشيبةٍ حَسَنَةٍ ووقار، وصولة، وحُرمةٍ، وشهامة، وصَدْعٍ بالحق، متصدّياً للقراءات

(١) الضوء اللامع ١٠/٣، وشذرات الذهب ٣٤٩/٧.
(٢) الضوء اللامع ٢٤٦/٣.

وغيرها، بل ربّما أفتى، وأشرك السلطانُ في الإمامة مع ولد له، نجيبٍ فَطِنٍ ابن سَبْع اسمه إمام الدين أبو السعود محمد آخر.

٢١٦٣ـ وفي جمادى الآخرة بتُونس، عن دون سبعين، قاضي الجماعة مصروفاً مقهوراً أبو عبدالله محمد[١] بن عمر بن محمد القُلْجَانيُّ التُونسي المغربي المالكي، قدم القاهرة، فراجَ شأنهُ عند كثيرٍ من أربابها، بحيث استقرَّ به السلطانُ في مشيخة تُربته، ثم رجع إلى بلاده، فدام بها خاملاً حتّى مات. عفا الله عنه.

٢١٦٤ـ وفجاءة فيها، عن أزيد من سبعين، مفتي تُونس، والمرجوع إليه فيها، مع مباشرته أماكن، تدريساً وغيره، الفقيه يوسفُ[٢] المالكي رحمه الله.

٢١٦٥ـ وفي ذي القعدة بالحَمَّام، فجاءة، عن ست وتسعين فيما بلغني، الشيخ عباس[٣] بن أحمد بن محمد المناوي، ثم الأزهري. أحد المُعْتَقَدِين، ممَّن يغتسل عرياناً بالماء البارد صيفاً وشتاءاً على طريقة عمر الكُردي. وبلغني أنَّه عقب صلاة الصبح من يوم موته جاء رجل من أهل القرافة ممَّن اشتهر بالخير، وقال له: ثَبَّتَكَ الله عند لقاء منكر ونكير.

٢١٦٦ـ وفي شوال بإسكندرية، وقد زاحم الخمسين، التاجر المحيوي عبدالقادر[٤] ابن البرهان إبراهيم بن حسن المناويُّ الأصل، القاهري،

---

(١) الضوء اللامع ٨/٢٥٧.

(٢) بعد هذا بياض في الأصول قدر كلمة، وفي الضوء اللامع: ١٠/٣٤٠ جاء ما يلي فقط: يوسف الأندلسي المالكي مفتي تونس مات.

(٣) الضوء اللامع ٤/١٩. (٤) الضوء اللامع ٤/٢٥٩-٢٦٠.

ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن عُلَيْبة. ممَّن تعانى التجارة كأبيه، ولكن فارق طريقته فيها، ومشى على طريقةِ كبارِ المباشرين، وآلَ أمرهُ إلى أن اجتمع عليه من الديونِ ما يفوقُ الوصفَ، ودخل فيما لم يَرْضَهُ له عقلاءُ أصحابه، مع تزايد وجاهته، وجلالته، ومزيد عطائه، وبذله، وشهامته، ومحبته في الصَّالحين، فالله يُرضي عنه أخصامه.

٢١٦٧ـ وفي جمادى الأولى، عن نحو خمسين بجدة، وحمل لمكة فدفن بمعلاتها، التاجرُ سراجُ الدين عمر[١] بن محمد بن أحمد بن عمر بن علي الحوراني. وكان في الخيرِ والبذلِ للفقراء والانقياد معهم بمكان، رحمه الله، وخلفه في بيته خيراً[٢].

٢١٦٨ـ وفي ربيع الأول، وقد جاز الستين ظنًّا، عبدُ القادر[٣] بن علي ابن محمد السنباطيُّ، ثم القاهري الحماميُّ، ثم الجابي. ممَّن قرأ القرآن وارتقى، وحُمد في مداراتهِ للناسِ على مراتبهم، بحيث ما بقيَ الوقتُ يسمح بمثله في تَجَمُّلِهِ واحتشامه. عفا الله عنه.

٢١٦٩ـ وفي ذي القعدة حمزة[٤] بن عبدالرزاق ابن البقري، أخو يحيى، وابن عم الشرف والمجد. ممَّن باشر في الإسطبل وغيره، ويقال: إنه أسنُّ أقربائه.

---

(١) الضوء اللامع ١١٧/٦.

(٢) ما بين الحاصرتين من «ك».

(٣) الضوء اللامع ٢٧٩/٤ـ٢٨٠.

(٤) الضوء اللامع ١٦٥/٣.

٢١٧٠- وبيبرس[1] الأشرفي قايتباي. تَرَقَّى حتى عمل شاد الشربخاناه، ثم أرسله أستاذه نائب طرابلس بعد أسر إينال، فدام بها قليلاً، ثم مات، فأعيد إينال، وكان قد فدى نَفْسَهُ من الأسرِ، ويُذْكَرُ بعقلٍ وتدبُّرٍ.

---

(١) الضوء اللامع ٣/٢١.

سنة إحدى وتسعين وثماني مئة

استهلت وجُلُّ الأمراء بالبلاد الحلبية.

ودخـل الحاج وقد قاسى شدةً من غُلُوِّ الأسعار وموتِ الجمال، وعدَم الأمن، بحيث تأخر عن عادته يوماً، مع رجوعِ كثيرين في البحر من الينبوع غلبة، ولم يحصل للأول ما حصل للمحمل.

وفي صفر كان خسوفٌ وكسوف معاً، ومَقْتَلَةٌ بين العرب والفلاحين، ومن انضم إليهم من أمير عُربـان جَرْم وشيخي جبل نابلس وبني صعب، وبيْن جيش أولاد إسماعيل، فكان الظفر لهم، مع أنهم أقلُّ من نصف أولئك، لخبْرتهم ومَزيدِ دهائهم، وجاءت الأخبار بذلك من نائب غزة، وأن ممن قتل أستادار الأغوار، فخرج الدوادار الكبير في طائفة من المماليك وغيرهم، وكان بروزُهم للريدانية في عاشر ربيع الأول، حتَّى نظم الأمر، ثم سارَ من نابلس إلى اللجُّون ونحوها في تجهيز رجال للعساكر وغير ذلك، ودامت غيبته التي كان من حوادثـه فيها غضبه على موقعه ابن يُوشع، وأودعه القُدس إلى أنْ جِيء به، ثم نُفي، وقيل: إنه أعدم، وطلع حين مجيئه القلعة في يوم السبت تاسع عشر شعبان بعد أن هرع الناسُ لملاقاته، ونزل بخلعتهِ إلى بيته، وقد تَزَايدتْ ضخامتهُ وعظمته. ولم يلبثْ أن عُين لإخمادِ فتنةٍ بالبحيرة، وسافر إليها في سادس شوال، ثم رجع بعد يسير، وأضيف إليه الوزر في ثالث ذي

القعدة، وانفصل شُغَيْثَة. واستقرّ في نظر الدولة شخص يُسمَّى موفق الدّين ابن البُحْلاق. كان باشرها قبل ذلك سنة انتهت بهربه في رمضان سنة ثمان وثمانين، بل وتكلَّم في جهات الزمام على مالٍ يقوم به.

وفي ثالث عشر ربيع الأول كان المولدُ بالقلعة، وكان اليومُ شديدَ الريح جدّاً، بحيث سقطت المدوَّرة المُعدَّة لذلك ونحوه، بل تمزَّق بعضُها، وقصف بعضُ عُمُدِهَا، ولو لم يبادر لطيّها لتمزَّقت كلُّها. وحضره من المقدمين ثلاثة فقط، لغيبة باقيهم، وجلس القضاةُ بالمقعد، ثمَّ مُدَّ السماط تحت دكة الحوش.

وفي رابع عشره، استقر البدريُّ محمد بن الكمالي ابن كاتب جكم في نَظَرِ الجيش وظيفةِ أبيه وجَدّهِ مع صغر سنّه عوَضاً عن عمّه. وكثر - قبل ذلك وبعده - تردُّدُ جماعةٍ من الفضلاءِ إليه جرياً على عادتهم، وحَسَّنوا له التدريسَ، فقسموا عنده في العام الماضي، ثم في هذا «المنهاج» وختمه في العامين بالأزهر في جمعٍ أوَّلهما أحفل، وخلع وبذل وأطعم، وذُكِرَ بذكاءٍ وفَهْمٍ وغير ذلك. نفعه الله ونفع به.

وفي سابع عشره: لبس الأمير شاهين الجمالي مشيخةَ الخدام بالمدينة النبوية والنَّظر في عمارتها، مع إضافة حسبتها كأخيه سنقر بمكَّة، وذلك عوض قانم المحمدي وغيره، لمزيدِ عقلهِ ودُرْبته فيما يُفَوَّضُ إليه، سيما وهو الشاد لعمارةِ السلطان بالبندقانيين، ثم بالخشابين.

وسافر بَعْدُ مع الحاج في الركب الأول، ومعه السيد أحمد بن السيد علي وغيره من عيال أبيه، ليوصله لعمّه صاحب الحجاز، ثم بعد الحجِّ يرجع

لمحلِّ ولايته.

وأبو عبدالله البرنتيشي المغربي، أوحدُ الفضلاء، المتجر السلطاني بإسكندرية عوض المحيوي ابن عُلَيبة، وسافر أيضاً بَعْدُ لمحلِّ ولايته. لَطَفَ الله به.

وفي صفر، التقت العساكرُ الأشرفية بالعثمانية، وكان الظفرُ للأولين، مع أنّه قُتل بينهما جماعة، فمن الأولين اليسير، ومن أولئك الجمّ الغفير، وأُحيط بابن هَرسك صهر لابن عثمان بعد أنْ قُطعت جملةٌ من أصابعه وبِوَلَدَي سوار اللذين كانا بقلعة أدَنة، وتَسَلَّمُوها مع غيرها من القلاع، وظفروا بشيءٍ كثير من سلاح ودواب وغير ذلك، وبِخَلْقٍ كثيرين جداً، وفيهم طواشي مقـدَّم عندهم، وبعضُ مماليك سلطانية، ممَّن تَسَحَّبَ قبل إليهم، وما تم الشهرُ حتى جاء المبشر بهذا، فخلع عليه السلطانُ، وأظهر هو وغيره البشرى، وفي الباطن لم يعجبه - فيما قيل - ذلك، ثمَّ حصل التَّكدُّر لسقوطه عن فرسه، بحيث انصدَع شِقُّهُ الأيمن، بل كانت سلامته على غير القياس، وفي الحال جُهز قاصد للعساكر وغيرها بما يطمِّنُهم وارْتَجَّ البلدُ، وتسارعَ الأعيانُ فَمَنْ دُونَهم للسَّلام، سيما أول ربيع الآخر، بل نُوديَ ثانيه بالزينة للرؤوس التي أرسل بها العساكر، وكان الاجتياز بها من الغد، وهم - فيما قيل - زيادة على مئة وستين، ومعهم كاتب للعسكر العثماني أسِرَ، فعُلقت، ومُنَّ بإطلاق الكاتب.

ونزل بمدرسة المقر الأشرفي الزيني كاتبُ السر لِيُدَاوى إلى أنْ توجَّه مع الحاج، ثم رجع مع الركب في السنة الآتية، وسافر هو وابنُ هَرْسك وغيرهما لبلادهم كما سيأتي، وأكرم الواصل بهم من السلطانِ فَمَنْ دُونَهُ حتَّى من

القُضاةِ، ثم لم يلبثْ أنْ كَوتِبَ السلطانُ في طَلَبِ مددٍ لتكاثر العثمانية ومَنِ انضم إليهم، مع أن مع الأشرفية السلطانية يعقوب بن حسن، بحيث أُرسلت له هدية، فبادر لتجهيزِ عسكر مُقَدَّمه، يشبك الجمالي الزردكاش، أحد المقدمين، وسافروا في جمادى الثاني شيئاً فشيئاً إلى أن كان ظهور كبيرهم في يوم الخميس سادس عشريه في ركبة جليلة وطُلْب حسن.

واستُفيض في شوال رجُوع العساكر بدون إذْن، بل دخل عدَدٌ منهم خفيةً، وشرَع أتباعُهم وأهلوهم في التشاغل بما يلائم مجيئهم سابقاً ولاحقاً. وزعموا أن يعقوب بن حَسن التزم بكف الفريقين، وأرسل علي دولات ولدَه وغيره إلى الأتابك مُظهراً الإذعان للطاعة، ولكنه لم يقابل.

ثمَّ تكاثر رجوعُ العساكر، وتظاهروا وشرعوا في الاستيلاء على عدة شُوَن للسلطان وغيره، وحَوَّلُوا منها كثيراً من القمح ونحوه، وأعلنوا بأنَّ قصْدهم الرجوع بالأسعار، سيما الخبز، ليكون كالبلاد الشامية، وانضم إليهم كثيرٌ من الغلمان والعوام، وقصدوا بيتَ المحتسب ليلاً، ثم نهاراً، فكَفَّهُمُ الله تعالى بلطْفِهِ لحُسْنِ نية والده، وبادرا للاختفاء وتعزيل أماكنهم، ثم ظهر الأبُ. صرف الله عنه وبه كلَّ مكروه.

واستمر الابن حتى استقر كسباي الأشرفيُّ في شادِّ شُوَنِ الدخيرة في الحسبة في ثالث ذي القعدة، فظهر، ولكنه لم يركب، وانحل السعر من القمح والخبز قليلاً، ثمَّ رجع أشدَّ مما كان، وتكامل دخولُ العساكر بأمرائهم وأتباعهم في أواخر ذي القعدة، وكان يوماً مشهوداً ومعهم من أُمسك، ممَّن أشرتُ إليه قريباً في الحديد، فالمذكورون منهم رُكوب، وضعفاؤهم ـ وهم

مئين من العـدد ـ في أسوأ حال مشاة، فأُودع البعضُ البُرجَ أو المقشرة أو غيرهمـا، ثمَّ فُرِّقَ المشـاةُ أو جُلُّهُم على كثيرٍ من الـرُّؤسـاء، كالقضـاة والمباشرين ونحوهم، فأودَعُوهم الحُبُوسَ وغيرها، وأُجري على أكثرهم من أوقافِ الفقهاء ونحوها، كما شرحتُه في محله.

ثم بعد قدوم الحاج من السنة المقبلة، أضاف السلطانُ الكاتب المشار إليه فيما تقدم، وابنَ هَرْسَك وغيرهما، وأنعم عليهم وأكرمهم، ورجعوا في أوائل صفرها إلى محالهم بعد التزامهم فيما قيل إخماد الفتنة، وبعد تكامل ورود العسـاكر ركب المماليكُ على أستاذهم في أول ذي الحجة، فداموا يومين، ثمَّ تُكُلِّمَ معه في المصالحة عمَّا طلبوه بصرْف خمسين ديناراً لكلِّ جَلَب، ونصفها لمن عَدَاهم، ففعل على رَغم منه، ومع ذلك فالبلاء بهم منتشر. وقبل ذلك بعد مضي أربعٍ وخمسين يوماً من وقت عارض السلطان تجشّم المشقّـة، وركب على حين غفلة من دكة الحوش إلى أن جاء من الباب الجديد، ثم اجتاز بعمارته عند الأزهر، إلى أن ظهر من الخراطين، وعَطف من جهة باب زويلة، طالعاً القلعة من الميدان.

وزُيِّنت البلدُ لذلك أياماً، وخُلِعَ على الأطباء والجرائحية، وفُرِّقَ على الـرجال والنساء شدود هرموزي سلطاني، وطاف بعضُ الأتباع على أرباب الدولة حتى القضاة لطلبِ حلاوةِ العافية، بل وفُرِّقَ في غضون ذلك على بعض الفقراء والصوفية من خمسة أنصاف فما دونها، كما سمعتُ.

ثم لمّـا طلع القضـاة والمشـايخ لتهنئتـه بجمـادى الثـاني، وكان في الحوش، قام لهم قدوماً ثم ذهاباً، وتكرر ركوبه بعد ذلك.

وعملتُ حينئذٍ كُرَّاسةً سمَّيتها: «الامتنان بالحَرَس من الافتتان بصَدْع الفَـرَس»، وأرسلتُ له به، ثم ألحقتُ فيه شيئاً، وطلعتُ له به في ثالث شعبـان، فقرأ منه بحضرتي حَسْبَ إشارته جانباً بفصاحةٍ وتدبُّرٍ. ألهمه الله رُشْده، وأكرمه بما يخلّد ثوابه بعده.

ثم كان شهودُه للجمعة في يومها حادي عشر شعبان، جاء إلى الجامع الناصري راكباً، ثم عاد ماشياً إلى أن جلس عند باب الستارة قليلاً، ثم دخل.

وأبلغ الشافعيُّ في الموعظةِ والنصيحة، واستمرَّ يجيءُ للجمعة راكباً، ولما فرغ من صلاة العيد به ركب إلى الحوش، وجلس على الدّكة به، وخَلَعَ على من شاء الله، وقام للقضاة وهو فوقها، مع الإنحناءِ لهم، وكذا لم يختم «البخاري» - أيضاً - إلا بالحَوش، مع كونه لم يقرأ فيها - كالماضية - سواه، كل ذلك لِثِقَلِ المشي عليه لذاك العارض.

وخَصَّ المالكيَّ من بين القضاةِ باستدعائهِ للفطرِ معه في بعض ليالي رمضان، وطال جلوسُهُ معه، وتحدَّثا فيمن يَصْلُحُ لقضاء الحنفية، وغير ذلك فيما قيلَ، وأمره بالسُّكنى في جوار الصَّالحية النجمية بسكن ابن العديم الذي كان يسكن فيه التاج الإخميميُّ، فسكنه من أثناء ذي القعدة، وتحوَّلَ من جوارِ المشهدِ النفيسيِّ سَكَنِ أبيه، ثم لم يلبث أنْ عادَ له. وقد قيل:

يمـوتُ الفتى من عثـرةٍ بلسـانـه ... وليس يموت المرءُ من عثرة الرِّجْلِ
فَعـثْـرتُـه من فِيه ترْمـي برأسِـه ... وعَثْرتـه بالـرِّجْل تَبرى على مَهْلِ

وفي ربيع الآخر استقرَّ جلال الدين ابن الأسيوطي في مشيخةِ البيبرسية بعد الجلال البكري بعناية أميرِ المؤمنين، لكونه قرأ على أبيه، وماج الناسُ، مع كون الناظر كان قرر كمال الدين الطويل لملازمته له، فخاب صنيعهما. ولله دَرُّ القاضي عبدالوهاب المالكي:

متى تصِل العطاشُ إلى ارتواءٍ ... إذا استقت البحار من الرَّكايا

ومن يحمي الأصاغر عن مرادٍ ... وقد جلس الأكابر في الزوايا

فإنَّ ترفُّع الوُضعاءِ يَوْماً ... على الرُّفعاءِ من إحدىٰ البلايا

إذا اسْتَوتِ الأسافلُ والأعالي ... فقد طابَتْ مُنادَمةُ المنايا

وفي أواخره عَاثَ اللصوصُ بحيث طرقوا أحد المُدَرسين المنقطعين للعلم، وهو البدر حسن[1] المناوي الأعرج بمسجده في النحانقيين من سوقِ أمير الجيوش، فأخذوا ما وجدوه له من ثياب ونقدٍ نحو ثلاث مئة دينار لم يكن يظن به بعد ضربٍ يسير، وأنعم عليه جماعة ـ أجَلُّهم أميرُ المؤمنين بعشرة دنانير.

وزاد تجرِّيهم في هذه السنة، بحيث إنهم في صفرها قتلوا سُويدان مقدم الوالي عند باب الصَّاغة. وفي رجبها قتلوا في ليلةٍ جماعةً. واجتهدوا في تتبُّعهم، بحيث أُمسك جماعةٌ وعُوقبوا، ثم أودعوا السِّجن بعد موتِ بعضهم.

ثم في عشري رجب طِيْفَ بثلاثةٍ منهم على خشب احتكم لهم بعد ضربهم، ثُم وُسِّطُوا، وخرج لرُؤيتهم مَنْ لا يُحصىٰ، ولم يلبث أن أمسك

(١) الضوء اللامع ٣/١١٧.

جماعة منهم نصراني، فوُسِّطَ مُعظمهم أيضاً. وكان القصدُ أن يُقرُّوا - أو بعضهم - بمالٍ، فما تيسَّر. وبالجملة فقد حصل رَدْع كبيرٌ، مع أن بعض المفسدين وثب على ابنٍ للنبراوي الحنبلي في بعض ليالي رمضان برحبة الأيدَمُري، فاستلبه بعد أن ضَربه. وكذا فعل فيها بالباطلية ببعض مؤذني الأزهر. وبعد ذلك في ذي القعدة أمسك جماعة فيهم شخص يلقب بالدَّنَف كَثُرَ فساده، فوُسِّط أيضاً.

وفي جمادى الأولى ورد بدوي من مكة بمطالعة من السيد صاحب الحجاز وغيره تتضمن الإشارة إلى أنَّ محب الدين النويري أحد خطيبيها استرسل فيما أحدثه في الخطبة من الكلام الأجنبي، وأفحش بحيث صار كثير من المجاورين ونحوهم يصلون الظهر بعد فراغه، وكَلَّمُوه في ذلك فتحامقَ، فوثبوا وهم بالمسجد عليه، ولولا جماعة الشريف لقتل.

ومما حكي عنه أنه قال في خطبته بعد ذبحِ اللصوص لبدر الكماليِّ وامرأة بجدة. وقد قُتِلَ فيه أنثى وذكر، وكُسف الشمس والقمر، وعَمَّ بالحكام الضرر.

وقال مرّة: اللهم إن كنتُ أبغضُ السيد ابن بركات، فافعل بي كذا، وإنْ كان القاضي إبراهيم وابنه أبو السعود يُغَيِّرانِ خاطره عليَّ، فافعل بهما كذا.

وإن الشريف بعد هذه المقتلةِ منعه من الخطبة، وأمر إمامَ المقام المحبَّ الطبري بالخطبةِ حتّى يرد عليه ما يعتمده، فأجيب بأنَّ أمرَ الحجازِ له أو نحو ذلك، ويُصرف معلومُ الخطابة للممنوع، فإذا جاء ابنُ عمِّه من سفره خطب.

ثمَّ في خامس رجب ورد بدوي من بَلِي بأخبارٍ من صاحب الحجاز أيضاً، منها أن بني إبراهيم طائفة نحو ألفَين تنزل بالسُّوَيق[1] من نواحي الينبوع خالفت عليه وهو متوجِّهٌ لصَدِّهم وردِّهم عن سوء قصدهم، فعاد الجواب عمَّا كتب به وبموت أخيه السيد علي.

ثمَّ بلغنا أنَّه ورد المدينةَ النبوية في أواخره للزِّيارة الشريفة، وعاد فنزل بالقُرْبِ من خُلَيص[2]، وترك قَريبه وزوجَ ابنته الشريف عنقا[3] مع طائفة كالمحاصرين لهم، بحيث إنهم إلى العجز أقرب.

وكتب إليَّ بعض المدنيين أنَّ عسكر الشريف أخرج المشار إليهم من السُّويق بعد أن قُتل منهم جماعة، بل قُطعت يَدُ شيخهم محمد بن بَذّال.

ومات عند خروجهم من الصِّغار والنساء عطشاً خَلْقٌ، ومن الرجال جماعة، وتمزَّقوا في البلاد، كخيبر[4] وغيرها.

ورَجَعَ ضَعَفَتُهم غَلَبَة إلى السُّوَيق على ما اختاره الشريف منهم، وهو أنهم خُدَّام للنخل خاصة.

قال: وكذا وقع فيها بين المراوحة أهل بركة طاز وبين بني عَمرو أهل الخيف فتنةٌ، فكانت الغلبةُ فيها للأولين، بحيث أخرجوا بني عمرو من

---

(١) انظر معجم البلدان ٣/٢٨٦.

(٢) حصن بين مكة والمدينة، معجم البلدان ٢/٣٨٧.

(٣) الضوء اللامع ٦/١٤٩، وفيه: عنقاء بن وبير بن محمد بن عاطف بن أبي دعيج ابن أبي نمي الشريف الحسني.

(٤) انظر معجم البلدان ٢/٤٠٩.

خيفهم، واستولوا عليه، وقتلوا منهم جماعة كثيرين.

ولهاتين الحادثتين غلتِ الأسعارُ بينبوع والمدينة، فنسألُ الله اللُّطفَ. وكُتِبَ مع الحاج بطلب قاضي مكةَ وولدهِ وابن عمهما الزين عبدالباسط، لكون أبيه نُسِب إليه أنه خلف شيئاً كثيراً، ولزَعْمِ بعض الحرافيش أنَّ أباه أيضاً وجَد خَبيئةً علم كل أحدٍ كذبه في ذلك، بل وأكْذَبَ هُو نفسَهُ. وبطلب الجمال ابن الطَّاهر ليستقر تاجر السلطان في إسكندرية عوضَ ابن عُلَيبةَ في آخرين. وقُرىء في مكة كالسِّر بحضرة الشريف وابن القاضي، لكون أبيه كان انتقل بالوفاة.

ولم يلبثْ أنْ جاء في أواخر ذي القعدة قاصدٌ ثالث من الشريف في بضعة عشر يوماً بموت عالم الحجاز ورئيسه البرهاني. وبالسؤال في استقرار ولده فيما كان معه، فساء السلطان فمن دونه فقْده، وسُرَّ حيث لم يعلم بالمرسوم السابق إرساله، ثم أجاب وقرّر ولده، وكتب للشريف ولأمير الحاج بذلك مع تجهيز الشريف، بل وبإبطال مجيء المطلوبين، وكذا من عيَّنهُ الخطيب في مُرافعته، مع مَنْعه من المجيء، فقُرىء المرسوم بذلك كلّه، ولَبَّسَ الجماليُّ أبو السعود التشريف المشار إليه، وجاءت الأخبار بأنه لم يُر في هذه الأزمان بمكة مثل هذا اليوم، وأنَّه لم يتخلف عن المشي مع القاضي أحدٌ من القضاةِ والأمراء والأعيان وغيرهم، بل ومشى الشريفُ لخَلْفِ المقام، فما مكنه القاضي، فرجع بعد جهدٍ، ثم جاءه هو وأولاده أفراداً بعد يسير لبيته، ولم يجلس، بل قرأ الفاتحة، ودعا، وأظهر جميعهم السرور التام.

وكذا لبس ابن الطَّاهر خلعة بالإعفاء عن المجيء، كل ذلك في ثاني

عشري ذي الحجة بعد انفصال الموسم.

وأدرك السيِّدُ عنقا في تَوَجُّههِ المعتاد إلى الديار المصرية محبُّ الدين الخطيب، وهو قاصدُ المجيء أيضاً، فرجعوا به، واختار المدينة النبوية، فأجيب إليها بعد أن أحسن له السيد وناظر جُدة وغيرهما. وفقه الله تعالى للخير.

وفي ليلة ثاني عشري رجب كان حريق أماكن من السبع قاعات بالقُرب من البيت الذي جَدَّدَهُ الصلاحي العالمي ابن الجيعان، بحيث وصَل لمحل الديوان وغيره من أماكنهم، وكان حريقاً هائلاً، تَلِفَ فيه شيءٌ جزيل وتسارع كُلٌّ للسلام عليهم، وكنتُ ممَّن سلم واغتم لهم بما وقع، مع العلمِ بأنهم حُفُّوا فيه بلُطفٍ كبير، ولولا دفعُ الله، لكانَ الأمرُ أشد، والابتلاء أزيد.

ثم في ليلة تاسع عشريه احترق من الروضةِ أعظم بيوتها فيما قيل، وهو بيت ابن أقْبُغا آص حين إقامة ابن الشحنةِ به عاريةً، ونُسِبَ لتقصيرٍ كبير، بحيث تُكُلِّمَ في تغريمه.

وفي مستهل شعبان حين التَّهنئة رُوفِعَ في الحنفي بحضرته، ونزل في الترسيم مع أعوان نقيب الجيش لبيته بالصَّالحية على خمسة آلاف دينار بعد وَزْنه من قريب لألفين، ثم أرْدف مع النقيبين بطواشي، ودام كذلك، والحَثُّ مترادفٌ عليه بالطلبِ مع التهديدِ والوعيد، وهو - وإن كان قبيح الحال والقال - فقد عَزَّ على الناظرين في المآل.

وارتقى للشافعي - كما سيأتي - في العام بعده، واجتهد غير واحد في السعي، كابن الشحنة، وكانت للشافعي في هذا اليوم مع خطبة الجمعة التى

أشرتُ إليها فيما مضى الراية البيضاء، ثَبَّتَ الله أقدامه، وأعلا في المهماتِ بالخيرات كلامه.

وبعـد تجهيزِ الحنفي المالَ الذي جُلُّه ثمن أبدال، ومن أوقاف، فُكَّ الترسيمُ عنه في يوم الخميس ثامن رمضان، وأسمعه نَقيبه كُلَّ قبيح، وكانَ معهم عليه، ثم جاءه بالعـزل في يوم الأحـد، حادي عشـره، وتحوَّل من الصالحية إلى الأبوبكرية، وسُمِّرَتْ خَلْوَتُه بالسيوفية، وحُجِبَ عنها، وآلَ أمرهُ إلى اختفـائهِ أو هَرَبهِ من السنة الآتية بعد مَزيدِ إهانتهِ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ثم بعد صَرفهِ استقر الشيخُ ناصر الدين الإخميمي أحدُ أئمةِ السلطان وشيخ البرقوقية في قضاء الحنفية منتصف شوال.

وفي خامس شعبان، وهو ـ ثاني عشر مسري ـ كسر سدُّ النيل بمباشرة أزْدَمُـر تمساح أحد المقدمين، ولا زال يرتقي في الزيادة إلى عشرة أصابع فأزيد من الـذراع العشـرين، والنـاسُ في سرورٍ بسببه وكَرْبٍ بارتفاع ثمن الغلال وغير ذلك مما لا فائدةَ في ذِكْرِ أسبابه. نسألُ الله اللطفَ وحُسْنَ العاقبة.

ثم في ليلة تاسع عشره غرق مَرْكَب المعدِّية بين حِكر الشامي والجسر بمن فيه، ومنهم بدر الدين الحجازي القَبَّاني أحد الخيار من طائفته.

وفي هذا الشهر كان غضبُ السلطان على أحد مماليكه أزبك[1] قَفص،

---

(١) هو: أزبك الأشرف قايتباي قفص، قتل في رمضان سنة ٨٩٣هـ، الضوء اللامع ٢/٢٧٣.

وعُقد له مجلسٌ في الصالحية بشيءٍ مما نُسِبَ إليه، فلم يُنْتج شيئاً، ثمَّ شفع فيه الدوادار الكبير، وأخذه عنده إلى أن حصل الرِّضَا عنه وأُطلق.

وأُمِرَ فيه بطلوعِ المحابيس، وتُوُهِّمَ إطلاقُ مَدْيونيهم، إما بالمصالحةِ عنهم، أو التقسيط، أو نحو ذلك، فما قُدِّر. نعم قيل: إنَّ الدوادار أطلق بعضهم.

واستهــل رمضــان والسلطانُ غائبٌ عن القلعــة، بحيث طلع القضــاةُ للتهنئة، فتعَذَّرت لغيبتهِ، وسار على ظهر البحر لجهاتٍ، إلى أن طلع في يوم الثلاثاء سادِسِه. وفيه قدم جماعةٌ من مكة والمدينة بحراً ثم برّاً، يَسَّرَ الله لهم أسباب الخير.

ووصل عدةٌ من مماليك الأتابك، ومعهم ـ فيما قيل ـ نائب صَهْيُون، وآخر ورَدَ عليه بمطالعةٍ من صاحبِ الروم إليه، وهما في الحديد، فهربَ ثانيهمــا ليلة مبيتهم بالمعَــرَّةِ، وعجــزوا عن إدراكهِ، فَتَغَيَّظَ السلطانُ جداً، وضربهم بالمقارعِ ونفاهم إلى قُوص، إما لإتهامه لهم بتواطئِهم له على هربه أو لغيره مما في نفسه.

وفيه ظهر أبو الفتح بن أحمد قاتل زوجته وقريبته ابنة عبدالناصر المحلي في أواخر العام الماضي بعد إشهاده على ابنته منها بإعفائه، فسُلم لنقيب الجيش، وكان ذلك مُحرِّكاً لإمساك الشريف الأكفاني صهر الشيخي الجمالي الكوراني لاتهامه كما تقدم بقتل زوجته أيضاً. وأُودع خاصة المقشرة التي بها الآن سوى أهلها من المباشرين وأبنائهم وأبناء الأمراء والترك ونحوهم، ممَّن لم تَجْرِ عادةٌ بإيداعهم بها، وكان أبو الفتح أحقَّ بذلك لبشاعةِ صنيعهِ، مع

اشتراكهما في تَجَدُّدِ كباءتهما، أظنه لقبح جريمتهما.

واتفق في رمضان إشهارُ سكرانٍ ومزوِّرٍ ولُوطيٍّ، وكذا أُمسك زانٍ ، ولكنه لم يُشهر.

وكَثُرَ تعدُّدُ الختوم للبخاري ونحوه جداً. كما تعدد المُقَسِّمُون والمُفْتُون والخُـطباء والوُعَّاظُ والمُصَنِّفُون، ليطابق الوارد في كونه؛ يأتي على الناس زَمـان كثيرٌ علمـاؤه، قليلٌ فقهـاؤهُ، كثيرٌ سُؤَّالُه قليل مُعْطوه. وحديث عليّ مرفوعاً: «من اقترابِ الساعة إذا كَثُرَ خطباؤكم»(١).

ولقـد رأيتُ سؤالاً شهيراً نقلياً كتبَ عليه ثلاثةُ أنفُسٍ، لم يتفق منهم واحد مع الآخر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وانفصل والجوجريُّ الذي كانَ في خدمةِ المحتسبِ علي العجمي، ثم قانم التاجر مجتهدٌ في استخلاصِ ما كُلِّفَ به أهلُ خانقاه سرياقوس عوداً على بدءٍ، والزمامُ مُطالبٌ بما زعم بعضُ أتباعه إثباته في جهته للسلطنة، وأهـل البرلس بما كُلِّفُوا به، ثمَّ رُسم على بعض أوصياء تركة شخص من أوساط التجار يقال له: ابن السمخراطي فيها أيتام وضَعَفَةٌ بمُرافعة من يُذكر بكلِ قبيح من زورٍ ونحوه، لكونه زعمَ للسطانِ فيها شيئاً. واستشهد مع نفسه بمغفَّـل أنكـر وبخـطيب هربَ، ولكن برز المـالكي فسجنه، ثم كُتب فيه محضـرٌ، وعُـزِّر بالصـالحية، ثم أُعيد لمحبسـه، وعَدَدْتُهُ من النوادر، فلله الحمد. ثمَّ أُطلق في أول ذي القعدة.

---

(١) كنز العمال ١٤/٢٤١.

وارتقى دار الضرب من أجل الفلوس خاصَّة، لتضمينه بمئة دينار أو نحوها كل يوم، ويقال: إنَّ أهلها - مع ذلك - في فائدة جمَّة. كل هذا في الحقيقة من الضعفاء والمساكين، وربما زادَ الدينارُ من الفضة ستة أنصاف فأكثر من الفلوس.

وجرت تتمات للفلوس يأتي في التي بعدها الإلمام بها[1] والتلفُّت لمثل هذا كثير دون أرزاق الضعفاء التي ضعفت، بل كادت تَضْمَحِلُّ بالمزاحمة فيها، والاستيلاء بأَضْرُبٍ من الحيل عليها، سيما بالخمس المبتكر أخذه من الأراضي. ولا شكوى إلا لله.

وآل أمرُ الزمام إلى أن صار كالمصروف بعد بذله مالا أحصره. كما أن الجوجري رسم عليه في الحَوش، حتَّى التزم بما لا أذكره، بل ضرب في العام الماضي إلى أن أُطلق في شعبانه للسَّعي فيما بقي عليه، وعوق ولد له صغير مكانه. فكان ابتلاءُ أبويه بذلك أشدّ، ولكن لم يتمَّ الشهر حتَّى أُطلق بشفاعةِ الزردكاش على ألفِ دينارٍ تأخرت من آلاف بعد إقراضه لأبيه ألفاً.

ثمَّ بعد هذا كلّه قرَّر في الخانقاه غيره، لكونهِ زادَ عليه ألفَ دينار، **﴿وما ربُّك بظلَّام للعبيد﴾** [فصلت: ٤٦]، **﴿وكذلك نُوَلِّي بعضَ الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾** [الأنعام: ١٢٩].

وكانت زلزلةٌ هائلة في ظهر يوم الأربعاء ثاني عشر شوال.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره برز المحملُ، وركب معه القُضاةُ الأربعة وقاضيه على العادة. وخرج أميرهُ أَزْدَمُر تمساح أحد المقدمين، وأمير الأول

---

(١) ما بين الحاصرتين: زيادة من نسخة ك.

خير بك الأشرفي كاشف الغربية وأحدُ مماليك إينال الأشقر.

وجاءت كتبُ العقبةِ بالرخاء بالنسبة لأسعارِ القاهرة مما كان الظنُّ خلافه.

ثمَّ جاءت الأخبارُ عن مكَّة بذلك أيضاً، ولكن مات بها وبالمدينة النبوية جماعةٌ كثيرون.

٢١٧١- ومات في ليلة الجمعة سادس ذي القعدة، عن ستٍ وستين فأزْيدَ، عالمُ الحجاز وقاضيه ورئيسه، بل نادرةُ الوقت علماً وحزماً وضبطاً وتودُّداً وبرّاً وتواضعاً ومحاسن، ما أعلم مَنْ يُشاركه فيها: البُرهان أبو إسحاق إبراهيم[1] بن علي ابن الكمال أبي البركات محمد ابن الجمال أبي السعود محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكي الشافعيُّ، ويُعرف كسلفه بابن ظهيرة. وارتج الآفاقُ لفقدهِ، ولم يخلفْ في مجموعهِ مِثْلُه، وترجمتهُ تحتملُ كراريسَ، يَضيقُ هذا المختصرُ عن بَسْطها، سيَّما وقد كتبتُ لولده وخليفته تعزيةً فيه وتهنئة له، وأرجو أن يكون أعظم خلف، بارك الله في حياته، ورحم سلفه.

٢١٧٢- وقَبْلَهُ في آخرِ رجب، عن دون سبعة وستين، ابنُ عمّه القاضي جمالُ الدين أبو المكارم محمد[2] ابن النجم أبي المعالي محمد ابن الكمال محمد بن ظهيرة. ممَّن ناب في قضاء جدة ومكة مع خطابتها وقتاً، ثمَّ انجمع عن ذلك، مع المداومة على الطواف وغيره من العبادات والسكون، وأوصاف

---

(١) الضوء اللامع ١/٨٨-٩٩.
(٢) الضوء اللامع ٩/٢٧٦.

شريفة، وفضائل متنوعة. وقد كتبتُ لولدهِ الزين عبدالباسط تعزيةً به وسروراً ببقائه. كان الله له، ورحمَ سلفه.

٢١٧٣- وفي ربيع الثاني، عن أربع وثمانين وأشهر، حافظُ المذهب وشيخُ البيبرسية الإمامُ الجلالُ أبو البقاء محمد[١] بن عبدالرحمن بن أحمد ابن محمد بن أحمد البكري الدهروطيُّ، ثم المصري، ثم القاهري الشافعي، ويُعرف بالبكري. ممَّن ناب في القضاء، ثم ترك. وتصدَّى للعلم والإفتاء، بحيث أفرد بعضُ طلبته جملة من فتاويه. وأخذ عنه الفضلاء، مع الكرم والصفاء الزائد، والبهاء والديانة، وأفرد نُكتاً على كلٍّ من «الروضة» و«المنهاج»، وغير ذلك. وحافظته أحسنُ من كتابته وفاهمته.

٢١٧٤- وفي أواخر صفر، عن سبع وسبعين، قاضي الشافعية بالديار المصرية زَمناً، منفصلاً عنه الولوي أحمد[٢] ابن الشهاب أحمد ابن السراج عبدالخالق بن عبدالمحيي، الأسيوطيُّ الأصل، القاهري الشافعي الناصري، ويُعرف ـ كسلفه ـ بالأسيوطي. ممَّن تقدَّمَ بمزيدِ عقلهِ، ودُرْبَتهِ، وسياستهِ، واحتمالهِ، وإتقانه للشروط، وترامِيه على الصَّالحين أحياءً وأمواتاً، مع كرمِ أصلهِ، ومشاركته في العلم والفضائل، بحيث دَرَّسَ، وأفتى، وخطب، ووعظ، وكثر الأسفُ على فقده.

٢١٧٥- وفي ربيع الأول، عن اثنتين وستين، العلامةُ المحقق الزين عبدالرحيم[٣] ابن الأستاذ البرهان إبراهيم بن حجاج الأبناسيُّ الأصل

---

(١) الضوء اللامع ٧/٢٨٤-٢٨٦.

(٢) الضوء اللامع ١/٢١٠-٢١٣.

(٣) الضوء اللامع ٤/١٦٤.

القاهريُّ الشافعيُّ، ويُعرفُ ـ كأبيه ـ بالأبناسي. ممَّن تقدَّمَ في الفنونِ، وأقرأ الفُضلاءَ، بل دَرَّسَ في إيوان الشافعي يوماً نيابةً عن شيخه الحصني، وربما أفتى، ونظم، مع كرمه وانجماعه، وتقنُّعِهِ بُرزيقات معه، وعَدَمِ مُزَاحمتهِ في وظائفِ الفقهاء، وسلامة صدره، وعليِّ هِمَّتهِ، وإقباله بأخرة على الذِّكْرِ والتصوف، مع صحّة العقيدة، ولكن مشيهُ في الخوضِ في تقريرِ كلامِ ابن عربي، ونحوه، وإخراجه عن ظاهره ببعيدِ التأويلِ، بحيث صار مرجعاً للطائفة ومحطّاً لرحالهم، طرَّق من لم يخالطه لنسبته لهم. وكنتُ ممَّن نَصَحَهُ غيرَ مرَّةٍ، فما أفادَ. وقد حجَّ قبيل موته بقليل. ونعم الرجل كان.

٢١٧٦ـ وفي منتصف المحرّم، عن سبع وخمسين، بطيبة، شَيْخُها ومسندها وقارىءُ الحديث بها الإمامُ الشمس أبو عبدالله محمد[1] ابن الإمام ناصر الدين أبي الفرج محمد ابن العلامة الزين أبي بكر بن الحُسَين بن عمر العثماني، المَرَاغيُّ الأصل، المَدَنيُّ الشافعي، ويُعرف ـ كسلفه ـ بالمراغي. ممَّن أجادَ قراءةَ الحديث، وتصدَّرَ لإسماعه بعد أبيه، مع فضيلته وتَمَيُّزه، وحُسْنِ عبارته وخطه، وجلالته ووجاهته وخيره ومتانة عقله، وتَوَدُّدِهِ للفقراء ثم الغُرباء، وعليِّ همته، ونقصِ حركته لعارِضٍ طرأ له في صغره أُقعِدَ منه، بحيثُ لم يَكُنْ يأتي المسجدَ من بيته إلَّا على تكة لها بَكَرٌ تُسْحَبُ بها، مما لم تكن بمانعٍ له عن الحج كلّ عام. وقد أخذ عنه الأكابر، بل سمع مني حين مجاورتي عندهم، وبالغ في إكرامي. ولم يخلف هناك مِثْلَهُ في مجموع أوصافه.

٢١٧٧ـ وفي ربيع الأول، عن أربع وسبعين فأزيد، صاحبنا المسند

(١) الضوء اللامع ٩/٥٦ و ١١/١٢٧.

المُكْثِرُ المفيدُ الضابطُ القُدوةُ: الشمس أبو عبدالله محمد[1] ابن العلم محمد ابن البهاء محمد ابن العلم محمد بن أحمد بن مسعود السنباطيُّ، ثم القاهري الشافعي، ويُعرف بالسنباطي. ممَّن صار ـ لكثرةِ ممارستهِ للسماعِ ـ ذا أُنسةٍ بالطلب، وذوقٍ للفن، وعِرْفان بالشيوخ ومالهم من المرويِّ غالباً، وضبط لكثيرٍ من ألفاظ الحديث والرواة، واستحضارٍ لفوائد متينة، ومسائل متنوعة، وإلمامٍ بوزن الشعر، بل ارتقى في الكتب، وبقي مرجعاً فيها، مع انطباعه في الكياسة، وحُسْنِ المعاشرة، وتَحَرِّيهِ في التطهير والتطهر، وتعفُّفه، وإحسانه لفقراء الطلبة ونحوهم. وهو من قُدماء أحبابنا، وممن رافقني سفراً وحضراً، وسمع مني، وسمعتُ منه، ووالاني بأفضاله، وحدَّث بالحرمين، وغيرهما، وكثر الأسفُ على فقده. جُوزيَ خيراً.

٢١٧٨ـ وفي ربيع الآخر بدمشق القاضي المحب أبو الفضل محمد[2] ابن البرهان أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالرحمن بن مخمد بن محمد الزرعيُّ الأصل، الدمشقيُّ الشافعي، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن قاضي عجلون. ممَّن ناب في القضاء عن الباعوني فمن بعده، ولكنه ترفع بأخَرة عن ذلك، وقدم القاهرة مراراً، وكان مذكوراً بالرِّئاسة والثروة، بل وصفه بعضُهم بالعلاَّمة.

٢١٧٩ـ وفي تاسع عشري رمضان، عن سبع وثمانين فأزيد، القاضي تاج الدين محمد[3] بن إبراهيم ابن التاج عبدالوهاب، الإخميميُّ الأصل، القاهري الشافعي، ويُعرف بالإخميمي. ممَّن صحب الرُّؤساء، ونابَ في القضاء، بَلْ وباشر الحِسْبَةَ وقتاً، وعمل أمانة الحكم وغير ذلك، وأثرى،

(١) الضوء اللامع ٩/٢٧٢.

(٢) الضوء اللامع ٦/٢٥٤.

(٣) الضوء اللامع ٦/٢٥٨.

وحـجَّ غير مرَّة، وجـاور، وأثكـل ولداً له، فصبر، وتوجَّعَ الناسُ له بسببه. وحدَّث بأخرة. سمع منه بعض الطلبة، وكانت لديه حشمةٌ وأدب وتودّد وهمة.

٢١٨٠- وفي جمادى الأولى، عن بضع وتسعين، وقد أضرَّ، وانهرم، ولزم الوِسَاد، الإمامُ الشمس محمد[1] بن موسى بن محمود بن قُريش الصوفي الحنفي، إمـامُ الشيخـونية، ويُعـرف - أولاً - بصهـر الخـادم، ثم بإمـام الشيخونية. ممَّن تقدَّم، وأقرأ الطلبةَ، وعَظَّمَهُ ابن الهمام، بحيث استنابه في مشيخةِ الشيخونية في بعض غيباته، وكان - مع ذلك - دَيِّناً صالحاً.

٢١٨١- وفي الشهر الذي يليه مات ابنُه الشهابُ أحمد، أحدُ النوابِ، عن بضع وستين.

٢١٨٢- وفي مستهلهـا بإسكنـدرية، عن اثنتين وستين، الشـريف أبو العباس أحمد[2] ابن أبي بكر بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي الحسينيُّ، القيروانيُّ الأصل، التونسي المالكي، نزيل مصر، ويُعرف بابن عوانة. ممَّن قدم القاهرة أول دولة إينال فحجَّ. ونوَّه الخطيبُ أبو الفضل النويري به، وعرَّفَهُ بالأكابرِ من الأمراء ونحوهم، وشاع بين العامة شَبَهُهُ بالنبيِّ ﷺ، فراج أمرهُ، وكان وجيهاً شهماً، عليَّ الهمَّة، راغباً في مساعدة من يقصده، بهيّاً وقوراً، ذا محاسن، ممَّن كثر تردّده إليَّ، بل سمع عليَّ بقراءة قاضي ركب المغاربة شيئاً من بعض تصانيفي وغيرها، وكنت أُحِبُّهُ ويحبني. نفعنا الله بذلك.

٢١٨٣- وفي ربيع الآخر، بمكة، عن أربع وسبعين فأزيد، الشمس أبو

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٦٣. (٢) الضوء اللامع ١/٢٤٨.

عبدالله محمد[1] بن عمر بن محمد بن أحمد بن عَزَم ـ بمهملة ثم معجمة مفتوحتين ثم ميم ـ التميمي التونسي المالكي، نزيل مكة، ويُعرف بابن عَزم. ممَّن اعتنى بالـطب وقتـاً، ودخـل البـلاد الشـامية والمصـرية، وزار بيت المقدس، ثم قَطَن مكَّة، وزاحم بكتابة الطِّباق والوفيات والتراجم، وعلَّق في ذلك جملة، مع مشاركةٍ في فضائل وصنائع أتقن منها جملة، وربما نظم. ولازمني كثيراً، واستمدَّ مني، ووصفني بشيخنا العلامة حافظ العصر، وعَذَلْتُه كثيراً عن اعتقاد ابن عربي وتحصيل تصانيفه، مع جهله بمغزاه، فما أفاد. وكان لا يزال شاكياً باكياً عاتباً ناحباً.

٢١٨٤ـ وفي ليلة الجمعة منتصف شعبان بمكة، الشهابُ أحمد[2] ابن الزين أو النجم عبدالكريم الحنفيِّ[3] ابن الشمس محمد بن محمد بن عبادة بن عبدالغني الدمشقي الصَّالحي الحنبلي، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن عبادة. ممَّن ولي قليلاً قضاء الحنابلة بدمشق كجدّه وعمّه بعد صرف البرهان ابن مُفلح، ثمَّ صُرف به أيضاً. وعَرَض له ضَرَبَانٌ في رجليه انقطع به مدة، وسافر لمكَّة فجاور، وكانت مَنِيتُهُ هناك.

٢١٨٥ـ وفي صفر، عن نحو المئة، الشَّرف موسى[4] ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد ابن أبي بكر الهاشميُّ العباسيُّ القاهريُّ، عمُّ أمير المؤمنين المتوكل على الله العزي، وأخو الخلفاء الخمسة، ومَنْ لولا خفَّةُ عقله لكانَ لهم سادساً.

---

(١) الضوء اللامع ٨/٢٥٥.

(٢) الضوء اللامع ١/٣٥٣.

(٣) كان والد المترجم عبدالكريم حنفياً، وقد تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٨٦٠، وأهل هذا البيت حنابلة معروفون.

(٤) الضوء اللامع ١٠/١٨٨.

٢١٨٦- ولم يلبث أنْ ماتَ ولده سيدي علي في ربيع الثاني.

٢١٨٧- وفي رجب، بالقاهرة، السيد علي[1] بن بركات بن حسن بن عجلان الحسنيُّ ابن صاحبِ الحجاز، وشقيقُ صاحبه الجمالي محمد، ودُفنَ بحوش الأشرفِ برسباي عندَ ولدٍ له اسمه أبو القاسم. كان أثكله في العام الماضي، واشتَّد حُزْنُهُ عليه. وكان قَدِمَها في شوال سنة إحدى وثمانين مُفارقاً لأخيه، مُتَسَحِّباً من جازان من بلاد اليمن، فدام بها في الحقيقة في مَدَد أخيه حتى مات. وقد زارني، ورأيتُه فَطِناً بَهِيًّا، كثيرَ الأدبِ، مُحْسِناً الإنشادَ والشِّعر، متودّداً للعلماء والصالحين. وما أحسن ما أنشده، إمَّا له أو لغيره:

لولا الضروراتُ لم تنقل لنا قدم ... إلى وجوه لها بالكفر إلمام[2]

٢١٨٨- وفي صفر، عن ستٍ وتسعين، أحدُ أعيان الأطباء: الكمال محمد[3] بن محمد بن علي بن عبدالكافي القاهري الحنبلي، ويُعرف -كسلفه- بابن صَغِير. بعد أن أُضِرَّ وانقطع بمنزله مدَّة. وكنتُ ممَّن أثقُ بعلاجه، لمزيدِ دُرْبته وتؤدته ولطفه، وحُسْنِ خطابه، وبهائه، وخفة وطأته، مع فضيلته، بل عالج شيخنا في مرض موته قليلاً.

٢١٨٩- وفي ربيع الأول، عن بضع وتسعين، الجمال عبدالله[4] ابن الشمس محمد بن عبدالحق، رئيسُ الجرائحية، وابنُ رئيسِ الأطباء، وخالُ

---

(١) الضوء اللامع ١٩٧/٥.

(٢) ما بين الحاصرتين من «ك».

(٣) الضوء اللامع ١٥٠/٩.

(٤) الضوء اللامع ٢٢/٥.

رئيس الأطباء الآن. ممَّن حجَّ غير مرة، وجاور، وكذا زار بيتَ المقدس وعمَّر وتَخَوْمَلَ، مع محافظةٍ على الجماعة، وطَيْش وجرأة في صناعته. غفر الله له.

٢١٩٠- وفي رجب، عن نحو خمس وسبعين، الجمالُ عبدالله[1] بن علي بن عبدالله بن محمد الهيتيُّ، ثم القاهريُّ الأزهريِ الشافعي المؤذن. ممَّن اشتغل واعتنى بالكتابة، وصار مرجعاً في رسمها، منفرداً بطرائقها، وصنَّف في ذلك شيئاً، وإنْ كان فيهم مَنْ هو أحسن كتابةً منه.

٢١٩١- وفي شوال، عن نحو الأربعين، في حياة أبويه، خطاب[2] بن عمر الدُنجيهيُّ، ثم القاهري الأزهري الشافعي، أحدُ الكتاب. ممَّن اسْتَكْتَبَهُ الدوادار يَشْبك وغيره، وتَصَدَّرَ في الجامع الأزبكي وغيره للتكتيب. وبلغني أنَّه كان يتعلقُ بالأدب، ويُشارك في العربية، مع دينٍ وبرٍّ لأبويه وكثير من أقربائه.

٢١٩٢- وفي جمادى الأولى، عن ست وثمانين، البدرُ حسين[3] بن علي ابن سالم بن إسماعيل، الفُوِّيُّ الأصلِ، القاهري، الشافعي، الشاذلي، الكتبي، خاتمةُ الجماعة، ويُعرف بالشاذلي. بعد أن هَشَّ وانقطعَ، وكان حريصاً على الجماعة والتلاوةِ، مع يُبْسٍ في صناعته. ممَّن لازم الشيخَ محمد الحنفي وغيره، وخَلَّفَ كُتُباً كثيرةً بِيعَتْ بالعدد، وكان يُذكَرُ بالميلِ لابن عربي.

---

(١) الضوء اللامع ٥/٣٤.

(٢) الضوء اللامع ٣/١٨١.

(٣) الضوء اللامع ٣/١٤٩-١٥٠.

٢١٩٣- وفي رمضان الأمير علي[١] بن شاهين، نائبُ قلعة دمشق بها، وأحدُ مَنْ حجَّ بالرَّكب الشامي في العام الماضي والذي قبله، وعُيِّنَ - لذلك - فيها، فعاجلته المنيّةُ، ودُفن بتربته قريباً من السيد أُويس القرني.

٢١٩٤- وفي أواخر شوال، عن أزيد من سبعينَ، آسية[٢] ابنةُ الملكِ المؤيد شيخ، وأمُّ يحيى ابن الأمير يشبك الفقيه، وقد كُفَّ بصَرُهَا، وضَعُفَ شأنها، سيَّما بعد موتِ ولدها، ودُفنت بجامع أبيها بعد أنْ صلَّى عليها السلطانُ. عفَا الله عنها.

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٣١.

(٢) الضوء اللامع ١٢/٢.

سنة اثنتين وتسعين وثماني مئة

استهلت والناسُ في شدةٍ زائدة بسبب الفلوس والغلاء مع عدَم النظر من الجمهور فيما يُرجى به التخفيف والسُّرور، بل التوجُّه للسعي في الاستمرار والزيادةِ متزايدٌ، ولا شكوى إلا إلى الله.

ودخل الحاج، وقد قاسى شدَّةً، لغُلُوِّ العليقِ والزاد، بحيث مات منهم خَلْقٌ، وهرب كثير من المُقَوِّمين. وكان الدوادار فمن قبله يرغبُ في إسعاف المنقطعين بإرسال شقادف وماء وبقسماط ونحو ذلك إلى الأزلم فما دونه، فانقطع بموتهم إلا ما شاء الله.

وفي أواخِر مُحَرَّمِهَا بنى السيد هيزع[1]ابن صاحب الحجاز بابنةِ عمه رُمَيْثة بن بركات بناحية اليمن خارج مكَّة على نحو مرحلتين منها، وانثالَ لذلك جمهور العامَّة، وكان مهمّاً حافلاً. وكان الضَّعف والموت بمكَّة فيه كثير جداً.

وسافر في أول صفرها ابن هَرْسك ومَنْ معه، كما أُشير إليه فيما تقدَّم.

وخسف القمر خسوفاً تاماً، وصلى له بمكَّة أبو السعادات الطبري إمامُها

---

(١) سترد ترجمته فيما بعد.

وابنُ إمامها، لكون مباشرةِ الخطابة الآنَ لأبيهِ.

وكذا وقع في أواخر رجبها كسُوفُ الشمس ، فاجتمع الكسُوف والخسُوف كالتي قبلها، ولم يبلغني الصّلاة لهما جماعةً عندنا في الأمكنة المعهودة، كما هو دَأبُ من منصبه يقتضي فعله، أو الأمر به في الكُسوفين والاستسقاء والقنوت في النوازل، ونحو ذلك مما هُو مشروع.

وكذا فيه سافر الدوادارُ الكبيرُ للصعيد لضمِّ الغِلال وتحصيل الأموال، ثم أرسلَ برؤوس كثيرة من عرب يقالُ لهم الأحَامدة[١]، طِيفَ بها، وبعد ذلك ذلك أرسلَ كثيراً من نسائِهم وأبنائهم، فَفُرِّقوا بالوجه البحري على المشايخ ونحوهم فيما قيلَ، ثم جاء وطلع القلعة في يوم الأربعاء تاسع رمضان، ونزل بخِلعةٍ هائلةٍ ومعه الخلق، ولم يتكامل وصُوله لبيته حتّى أتاهُ فيه الأتابك. وقبل وصُوله بقليل، وذلك في شعبان، سافر جان بلاط الأشرفيُّ أحد الخواص الذي قدمه للسلطان الدوادار الكبير يشبك، والشاد في أوقاف الملك وخانقاه سيرياقوس وغير ذلك، كدوادارية المناشير لطرابلس ونحوها رغبةً في تنميته، ومحبة لرفعته في نحو ما توجه له الذي قبله.

وكان في خدمته الزينيُّ عبدالقادر القصروي[٢]، وحصل بسفارته ـ فيما قاله بعضهم ـ التخفيفُ، سِيَّما عن الشاميين في الجملة، وحكوا له مع ابن النحاس شافعي غزة، والمَريني مالكيِّ الشام ما لم أُحَقِّقه.

---

(١) الأحامدة: بطن من الجمارسة من كنانة عذرة من كلب من القحطانية، كانت مساكنهم بالدقهلية والمرتاحية من الديار المصرية، معجم القبائل العربية، ١/٦.

(٢) الضوء اللامع ٤/٣٠١.

وعاد في سَلْخِ محرم التي تليها، وهَرَعَ الناسُ للُقيِّهِ، واحتفل به البدريُّ أبو البقاء ابن الجيعان ذهاباً ثم إياباً، وقيل: إنَّه أخبر عن حركةٍ لملكِ الروم ابن عثمان برَّاً وبحراً، فحرك ذلك على أرباب الوظائف، بل من يُذكر بمالٍ ما عمَّ وطمَّ، حتى إنَّه لم يقصر في حَقِّ القصروي كما سيأتي في التي تليها، وتكرر ذلك.

ودَرَّسَ في صفر من الحنفية الشهابُ أحمد[1] بن إسماعيل الحريريُّ بالحسنية، واستحسنتُ تأديته وفصاحته.

ثم في مستهل الذي يليه: العلاء المحلي النقيب للشافعي بجامع ابن طولون بحضرةِ مَخْدومه. والمالكي والحنبلي ونحوهم، كلاهما عوض النظام، ورغب الثاني عن إعادة كانت معه فيه لابن البدري ابن الغرس بسفارة أحمد النَّشيلي الذي انتزعَ تدريسَ مسجد خانِ الخليلي معَ غيره من المحب السيوطي أخي الولوي القاضي، وجَرَّ ذلك تعفف مَنْ كانَ يرفد مستحقيه بملاحظتهم بحيثُ تَعطلُوا، وكَان أحقّ بالإعادةِ البدر ابن جُمعة إمامُ قبة الدوادار المحاول أن يكون عوض أولهما، بل ربما كتب له بها، ولله الأمر. وفي أثنائهِ ختمَ الشافعيُّ شَرْحه «للروض» تقسيماً وتحريراً، وحضر عنده جمعٌ لذلك.

ويعده شَرَعَ البدريُّ ابنُ مزهر في تقسيم «المنهاج» عليه وعلى إمام مدرسةِ والدهِ وشيخها ابن قاسم. فأما أولهما فاشتغل عنه بمحنته البالُ عن الإكمال، وأما الآخر، فإنه ختم في شعبان بالمدرسة المشار إليها. وحصل

---

(١) الضوء اللامع ١/ ٢٤٠-٢٤١

بين المدرس وناظر الجيش مالا خيرَ في شرحه، وكان اللومُ على المدرسِ أزيد، ولكن الطبع لا يتغير، والعقل لا يكتسبُ.

ثم حضر المقر الزيني الواقف، وعزَّ عليه ذلك، لكون العقل والسِّياسة لا يرتضيه، ولذا أرسل المدرس مع ولده إليه فتراءس، وأنعم عليه بخلعةٍ، كما أنعم الزينيُّ على مادحه ومادحِ ولده في قصيدةٍ قيلَتْ بعد الختمِ بعشرةِ آلافِ درهم. وصارت الحكايةُ مثلاً.

ثم لم يتمَّ شعبان حتّى خَتَم ناظرُ الجيش تقسيمه «للوجيز» في صحن الأزهر بحضرةِ مَنْ شاء الله من القُضاةِ والأعيانِ والفُضَلاء، ومنهم كاتبُ السِّرِّ وابنه. ولم يحضر الشافعيُّ ولا الحنفيُّ، وخلع على القُرَّاء، وجيء برياحين وماءِ وَرْدٍ، وقيل بعض ما امتُدح به من القصائد، وحمد توجهُه لذلك زِيدَ توفيقاً. وبَلغني أنَّه أعطى الشاعرَ المُشَارَ إليه أوَّلاً أربعينَ ديناراً، معَ أنَّ فيمن مدَحـهُ مَنْ هو شيخُ العصـرِ في ذلك، ولكن رَامَ المقابلةَ، سِيَّما وقد كسر خاطره منه قبلُ.

وفي ربيع الأول عقـد في مكَّـة ببَيْتِ صاحبهـا مجلسٌ بقضـاتهـا إلاَّ المالكيَّ، لكن حَضَرَهُ الشهابُ ابن حاتمٍ المغربيُّ المالكي بسببِ أنَّ امرأةً زعمت أنها أرضعت وَلَدَهُ السيد بركات مرَّة من ثدي وأخرى من آخر، وشريفة تحته الآن مرَّةً، فدار الكلامُ بينهم، ثمَّ انفصل المجلسُ بحكم الشافعي بأن ذلك غير محرم، ونَفَّذَهُ مَنْ حضر.

وأُذِنَ للبرهان الكركي شيخِ الشيوخِ في حُضورِ المولد، وجَلسَ رأسَ الميمنة، وكان هو الدَّاعي، وسُرَّ له أحبابهُ، وباشر ما تأخَّر من تداريسهِ وجهاته.

فلمّـا كان في يوم الجمعـةِ العشـرين من شعبان صادف اجتماعهُ في صلاتها هو والجلال ابنُ السيوطي بجامعِ الروضة الذي استجدَّهُ السلطانُ، وتكلَّمَ في توجيهِ التفاوت بين آيتي الإنعام والإسراء، حيث قال في الأُولى: ﴿من إمـلاق نحن نرزقكم وإياهم﴾(1)، وفي الثانية: ﴿خشية إملاقٍ نحن نرزقُهُم وإيـاكم﴾(2) بمـا نازعَـهُ فيه الثاني، فَزَبَرَهُ أحسنَ زبر، وأغْلَظَ في تجهيلِهِ وتخـطئـةِ مقـاله، وإنكارِ إكثارِ أخْذِه عن الكافيجـي بما لم ينهضْ لمقاومتِهِ فيه تحقيقاً وبلاغةً.

وبمجـرد أنْ بلغني ذلك، قلتُ بديهة: يظهر أنَّه لمّا كانَ الإملاقُ في الأول واقعـاً، وكـان المـرءُ مأمُـوراً بالابتداءِ بنفسه، قدم الأب، ولما كان الإملاق في الثاني متوقَّعاً، وظُنَّ أنَّ الابنَ سببه، قَدَّمَ الابنَ، ثمَّ راجعت، فوجدته بأبسط في بعض التَّصانيف المفردة في هذا المعنى، فأرسلتُ له به، وأشرتُ حين بلغني توجهه للرَّدِّ عليه في كراسةٍ لكفِّه عن ذلك إلَّا مع المكافيء.

وكذا في ربيع أطلق المجد ابن البقري وحفيدٌ لجلبان نائب الشَّام كان وابن العظمة المحرِّك لمظالم عليه وزْرُهَا إلى يومِ القيامة من المقشرة بعد إيداعِهم فيها مُدَّة تَزيدُ لأوَّلهم على ستِّ سنينَ بشفاعةٍ فيهم مع استرضاءٍ، ولكنْ دامَ آخرهم في الترسيم لِيوردَ ما بقيَ مِمَّا قيل في جهتهِ، ثمَّ أُخِذَ وهو كذلـك ببـاب حاجب الحجـاب في استخـلاصِ شيءٍ من مظالمه لذلك بمشـارفـةِ مَنْ هو مَرْغُـومٌ في الجلوسِ معه، وكان أحق منه بالإطلاقِ من المقشرة قاضي الحنابلةِ بحلب الجمالُ يُوسفُ التادفيُّ(3)، وإنْ ذكر بجراءةٍ

---

(1) سورة الأنعام، آية ١٥١.

(2) سورة الإسراء، آية ٣١.

(3) الضوء اللامع ١٠/٣٢٠.

وإقدامٍ، ثمَّ أُطلق في أوائل سنةِ خمسٍ وتسعين، وعاد لحلبَ على وظيفتهِ بعـد صَرْفِ الشريفِ رَضيِّ الدين بن منصور ومَزيد إهانته وصَرْفِه عن نَظَرِ جيشِ حلبَ وكتابةِ سرِّها أيضاً قبل ذلك. وكذا أُودع المقشرةَ في هذه الأيامِ قاضي الحنفيةِ بدمشقَ العمـادُ إسمـاعيل النـاصري[1] الذي كان في خدمةِ العلاءِ ابن قاضي عجلون وأخُو أحدِ الفُضلاء المحيوي الحلبي بسببٍ غير مُحَقَّقٍ. هذا مع أن غريمه المستقر أواخرَ التي قَبْلَها عِوَضه في القضاء، وهو الزينُ عبدُالرحمن الحُسباني، لم يسافرْ لمحلِّ قضائهِ، لكونه لم يُورِدْ، بَلْ ولا ولدُه البدرُ أبو السَّعادات محمد المستقر في كتابةِ سرِّ دمشق عوضاً عن الشريف مُوفق الدين العباسي الحموي ما التزمَا به للعجز عنه، بحيث ضرب الولد، ثم بعد تَحَملهما من الديونِ بالربا الزائدِ مالا يَنْهَضَا لأدائهِ إلَّا يوم القِصاص.

استمرَّ الأبُ في الترسيم مع بقائِهِ في الوظيفة، وسافر الابنُ مصرُوفاً في شعبان، وآلَ أمرُ إسماعيل إلى أن أُطلق، وسافر في السنة الآتية فدخل الشامَ بإثر بعض العساكر، وأبرز مرسوماً قيل إنه مصلح بذون دربة، يزعم فيه بقاءه على وظيفته، فكان مالا أحققهُ، ويقال: إنَّه أُودع القلعة، فالله أعلم.

وأُعيد في ربيع ابن البقريِّ لمحبسه لتقاعده عن باقي ما صُودِرَ عليه، مع إظهاره لما زعم منافاته للعجز، إلى أن أُعدم في السنة الآتية.

ثمَّ مات أخوه، وأُخرجَ ابنُ العظمة من القاهرة، فركب البحر حتَّى وصَلَ لمكة كما سيأتي فيها.

---

(١) الضوء اللامع ٢/٢٨٢.

ثمَّ لم تتمَّ هذه السنةُ حتى أُعيد المُوَفَّقُ الحمويُّ لوظيفتهِ الأولى نظر الجَيْش في شَوَّالِها بعد موتِ عبدالقادر الغزاوي المستقر فيها بعد استعفاء الشهابي ابن الفرفور القاضي قبيل بأيام في رمضانها، ولكنه أخذَ كتابةَ السِّرِّ لابنِ أخته بعد شغورها مُدةً، ولم يُحْسِن المباشرةَ، ثم بلغني دُخولُ الموفق القاهرة، وأخذها لولدِه البدر عبدالرحيم أحدِ الفضلاء، ثم عادا لبلدهما في شعبان، وهما ضعيفان، فلم يلبث أنْ ماتَ الأبُ في رمضان كما سيأتي. ودخل أخوهُ القاهرةَ السنة الآتيةَ ليتنصل من إضافة نَظَرِ الجيش إليهم، فيقال: إنه أجيب، وكتب لأسلمي ـ لقب محب الدين ـ[1] بها، مضافاً لما معه من نظر القلعة والجوالي وغيرهما، فالله أعلم.

وفي ربيع أيضاً استقرَّ سعدُ الدين ابن عبدالقادر كاتب المماليك وغَيرها من الوظائفِ كانَ، وقريب قاضِي الحنابلة البدري السعدي، ويُعرف بكاتب العليق، في نَظَرِ ديوان المفرد، وأثني على كفاءَته لعقلهِ وأدبه وخبرته وشكالته، سيما وهو بقري[2].

وفي خامس ربيع الثاني توجهَ القضاة لدَهشور[3] إقطاعِ الخلافةِ من الأعمَالِ الخيرية لكشف ما هو بأرض منشأتها من رزقة وبركة لصيدِ السمك جارية الآن تحتَ نظرِ أميرِ المؤمنين بمقتضَى أنها وَقْفٌ من عمَّته مريم أختِ الخلفاءِ الخمسةِ بني المتوكِّلِ على الله. زَعَم أَحَدُ مُقطعي المنشأة هُوَ أسنباي الأشرفي المتكلم في شَدِّ الشربخاناه، ويُعرف بمبشِّرِ الحاج، مِمَّن

---

(١) ما بين الحاصرتين: من «ك». (٢) ما بين الحاصرتين: زيادة من «ك».

(٣) دهشور: قرية كبيرة من أعمال مصر في غربي النيل من أعمال الجيزة. معجم البلدان ٢/٤٩٢.

يُذْكَرُ بعقلٍ وأدبٍ، ورَأيتهما منه، دُخولُهما في إقطاعهِ، فبان عدمه عند من عَدَا المالكي من القضاة، واستظهر الشافعي ببعضِ قرائنَ ووافقه الآخران عليها بعد أنْ سمع نائبهُ المحيوي ابن مُظفر البينة وقَبِلَها، ثمَّ وقَع التكلمُ في ذلك أولَ جمادى الأولى في مجلس السلطان بحضرةِ أمير المؤمنين، وتكلَّم الشافعيُّ بما أرجو انتفاعهُ به مع القصدِ الجميل، وثبت النائب مع تعرض المالكي له بما يقتضي الإيقاع به، ولكن كفَّ الله، وإن لم يسلم من شيءٍ.

وبالجملة، فلم ينبرم أمْرٌ، ولكن سكتَ أميرُ المؤمنين عقلاً وغَلَبَةً كما سكتَ عن تركة ابنةِ عمهِ أمير المؤمنين المستنجد سبطة ابن البُلقيني، وصرَّح السُّلطانُ في سنة أربع[1] بعتب القضاةِ في عدم فصلِ القضايا، وعَيَّنَ هذه منها.

وفي أول ربيع الثاني سافر صاحبُ الحجاز لبلادِ الحجاز في بعضِ ضَرُوراته وابنه بركات بالعسكر ومعه الشريف دَرَّاج[2] ابن مِعْزى راعِي اليَنْبُعِ، ويحيى بن سبع بن هجان لناحية الشرق في مُسَمَّى الغزو، ولم يتنصف الشهرُ حتَّى عَادُوا لمكَّةَ بعد أن انتصرَ بركات، وَصُولحَ بسبعينَ بعيراً أنعم بها على ابن سبع، وتوجَّه لأبيه، ودَخَلوا جميعاً، ثمَّ سافرا سَريعاً لمحل إقامتهما.

وفي أحد الربيعين قفل دار الضرب بعد انتشار البلاء بارتفاع الأسعار في كُلِّ شيء من أجل ما أحدث على الفُلوس كل يوم، وكثرتْ جداً، بحيثُ عَزَّ وجُود الفضَّةِ، وقَلَّ الصَّرفُ منها للمستضعفِينَ، وارتقى الدينار لأزيد من

---

(١) ما بين الحاصرتين من «ك».

(٢) الضوء اللامع ٢١٧/٣.

نصفه[1] وكان ما يُطولُ شرحه، وآلَ الأمرُ لضربِ الملتزم لذلك، وهو محمد ابن العَشرة، أحد البارعينَ في فنونٍ، والحباكُ أبوه مرة بعد أخرى، وإهانته المستحق لإضعافها وإلزامه بحمل ما قيل: إنه حصَّل أضعافَهُ مما هو سَببُ الضرب والإهانةِ رجاء الحَوْز له، ونودِيَ بإبطال الصّرف، و بالاقتصار على الثلث من الفُلوس في المعاملة ونحوها.

ومـع ذلـك، فارتقى الـدينـارُ في جمادى الثاني لأزيدَ من أربع مئة، والأسعارُ لذلك غير منضبطة، بحيث لم يظهر لوُجود الغلال كبيرُ تأثيرٍ، سيَّما والحسبةُ مفسودةٌ، ولا زالَ البلاءُ يسترسلُ إلى أن تُحدِّثَ بتعزيرِ أهلِ الأسواقِ جَلِيلهم وحقيرِهم، كبيرِهم وصغيرهم لمخالفتهم - زُعِمَ - بجبايةِ عشرة آلافِ دينار منهم سِوى التوابعِ والغلط، وشرعوا في توزيعها توزيعاً يقتضي إضعَافَها لِمَا لا نهاية له.

وتسلط بواسطة ذلـك الأراذِلُ على الأشرافِ، وتحاسدَ الناسُ، فعظم الكَرْبُ، واشتدَّ الخَطْبُ، وصرتُ أرمي الدَّمَ بسببِ تألُّمي للمسلمين بذلك، سيِّما ووقع في الفكرِ الاسترسالُ في ذلك لأمورٍ بانت إصابة الفكر فيه كما سيأتي في التي بعدها. وكلّم الأتابك في الشفاعة في إبطاله، فأجيب بعد كيت وكيت، واجتمع عنده جماعةٌ من النواب والمحتسب، بَلْ وكاتبُ السر، ومَنْ شاء الله من الأعيانِ، وأشهـد على عدةٍ من أعيانِ أهـلِ الأسواق بأنَّ الرطل من الفلوس المختومةِ دون الرصاص والحديد يكونُ بنصفَين فقط. ولا يُزَادُ الدينار وزناً وعدداً على ثلاث مئة، ولا ينقصُ عن ذلك، ولا تُعطى المرأةُ في غَزْلِها سوى الفضة، وانفصل الأمرُ، ونودي بذلك.

---

(١) ما بين الحاصرتين: من «ك».

ولم يلبث أن أُمْسِكَ شخصٌ من الغزاوية خالفَ الأمر، فَضُرِبَ عند الأتابكِ أسوأ ضَرْبٍ، وطِيفَ به، وحُبس وغُرِّم، ثم أُطلقَ، ولم يسلم مع ذلك الناسُ من غرامةٍ للأتباعِ ونحوهم، اجتمعَ منها شيءٌ كثير، ومع ذلك لم ينقطع الصَّرفُ، لكنْ بشيءٍ قليل، والدينارُ من الذهب بستةٍ وعشرين نصفاً، ومن الفضةِ الجديدة بأربعة وعشرين نصفاً.

واستمر ابنُ العَشرة في الترسيمِ عليه بالقلعةِ إلى أن أُطْلِقَ في منتصف رمضان مِن السنة الآتية، وأُودعَ رفيقُه الوَرَّاقُ المقشرة.

وفي غضُون هذه المدة عزَّ وجُودُ الماء جداً لتسخير المماليك جِمالَ السَّقَّائين في نقلِ الدَّريسِ، بل وأخذهم البهائمَ للتَوجُّهِ بها إلى الربيع، وربما أُتْلِفَ مَنْ لم يُذْعِنْ لتسليمها، وقد يفتدي دابته بمالٍ من طائفة، ثم تدركه أخرى، فلا يتمكَّنُ من خَلاصِهَا منهم، بحيثُ تحامى كثيرونَ الركوبَ، ونَدَبَ ـ غالباً ـ منْ له خَدَمٌ خَدمهُ للاستسقاء، إما على رؤوسهم أو على ظهرِ البهائم التي لا يَعدمُونَ مَنْ يأخذها، إمَّا مع الجرار أو مجرَّدةً، وتولى الكثير من الفقراء ذلك للمعيشةِ وغيرها.

وارتفعَ ثمنُ جِرارِ الفُخَّارِ جدَّاً، لكثرة طلبها، بل رُبما عُجِّلَ ثمنها حتَّى تعملَ لعدم وُجْدَانها، وتزاحمَ مَنْ شاء الله من الفقراء وغيرهم على السُّبُلِ والصَّهاريج، وكذا على الطواحين، بل كثر الطحنُ على الرحى والانتداب لعملها وبيعها لتعطُّلِ الطواحين من قِلَّةِ البهائم وكثرةِ الأجرة. وتحارفَ بعْضُ السقائين بإعطاءِ بعض المماليكِ ثمانيةَ أنصافٍ فأقل أو أكثر كُلَّ يومٍ ليحمي له جِمَالَهُ، ويكون ثمن الرَّاوية حينئذٍ أربعة أنصاف أو نحوها.

وضَمن ابن مَسْعود الخشاب الجلودَ، فارتفعَ ثمنُ الملح أيضاً، وقاسى

النَّاسُ مما أُشير لأطرافه شدّة، وأكل خلقٌ الذُرة فما دُونها مِن قشور البطيخ ونحوها. ومَات مَنْ لا يُحصى جُوعاً وعَجْزاً، وشحَّت الأنفسُ الضَّيقة لعدم نظرها في: «الرَّاحمونَ يرحمهم الرحمنُ، ارحَمُوا مَنْ في الأرض يرحَمْكُم مَنْ في السمـاء»[1]»، «مَنْ لا يَرْحم لا يُرحم»[2]، «إنْ كنتم تريدونَ رحمتي، فارحَمُوا خَلْقي»[3]، «ليس المؤمنُ الذي يبيتُ شبعانَ ويبيتُ جاره إلى جنبه جائعـاً»[4]، «من احتكـرَ طعـامـاً أربعينَ صبـاحـاً ابتـلاهُ الله بالجُـذام والإفلاس»[5]، «المحتكرُ ملعُونٌ»[6]، «كلكُم راعٍ وكُلُّكم مسؤول عن رعيته»[7].

وقُـطِعَ الخبزُ من أكثر الخَوانقِ والمدارس أوقاتاً، وانجفلَ كثيرون إلى الأماكنِ التي لم يحل بها هذاالبلاءُ كغزة، ووَصَلَ عِلْمُ ذلك للفرنج، فجلب جَمْعٌ من تُجارهم قمحاً كثيراً، بِيعَ الأردب منه بثلاثةِ دنانير فأقل بعد أن كان بستة فأزيدَ، وشَقَّ ذلك على طالبِ الازدياد، وربما احتال بأمرٍ يُوصله لبعض غرضه، ثمَّ جاء الشعيرُ الجديد، فتوسَّع الناسُ به.

وبـالجملة، فلم نُدرك مِثْـلَ هذه الأيام، والعبـارة تَقْصُـر عن شرحِ

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٤١، الترمذي ١٩٢٤، أحمد بن حنبل ٢ / ١٦٠ من حديث عبدالله بن عمرو، ويسمى الحديث المسلسل بالأولية.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٩٧، مسلم ٢٣١٨ من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢١٥٥، أحمد بن حنبل ١/ ٢١ من حديث عمر بن الخطاب.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١١٢، والحاكم ٤/١٦٧، والخطيب في تاريخ بغداد ١٠/٣٩٢ من حديث ابن عباس.

(٥) ابن ماجة ٢١٥٥ من حديث عمر بن الخطاب، وإسناده ضعيف.

(٦) ابن ماجه ٢١٥٣، والحاكم ٢/ ١١ من حديث عمر بن الخطاب وإسناده ضعيف.

(٧) أخرجه البخاري ٨٩٣ من حديث عبدالله بن عمر.

تفصيله، والموتُ فيها منتشرٌ، والأبدانُ ضَعيفة.

واشتركت مكةُ والمدينةُ مع القاهرةِ فيه خاصة دون الأسعار، فهي بمكة رخيصةٌ جدّاً، لمزيد خصبها، بحيث بِيعت غرارةُ الحب الزيلعي، وهي نحو أردب ونصف بأشرفيين وشيءٍ، والتي أجودُ بدون الثلاثة، واللُّقَيميةُ بدون أربعةٍ، ومَنُّ السَّمنِ، وهو ثلاثون رطلاً بأشرفيٍّ وربع، وقنطار العَسَل ما بينَ ثلاثة إلى أربعة، والأمنُ فيها فاشٍ، لكن الدراهم بها لجُمهُور الناسِ قليلة، والمياه متحسِّنةٌ لخسَّة العين، ومع ذلك فلم تبلغ العشر من غُلوها هنا.

ثم بَلَغَنا أنَّه في أثناء ذي القعدة وصلَ الماءُ من عين أبي رُحمٍ إلى بازان التي عند الصَّفَا، فحصل لأهلِ مكّة والمجاوِرينَ بها أتمُّ سُرورٍ، ونزلت الراوية لنصف محلَّق، وتوسَّلُوا إلى الله أن يأتي بعين حُنين، فالعملُ الآن فيها.

وبلغني أنَّه مات من فُوَّه والمزاحِميتين وادكُو وسَكَندرية، وتلك النواحي مَنْ لا يحصى، وإن بأدكُو من الأراملِ أمهاتِ الأولادِ نحو مئة وخمسينَ امرأة.

وتزايدَ مَنْ لم يَخَفِ الله في تضمينِ بُحيرة السمك، فكان ذلك ـ أيضاً ـ سبباً لمزيد الضَّررِ، وبابُ الزيادةِ مفتوح.

واقتفى العبيدُ ونحوهم أثرَ المماليكِ في الفساد، وكلَّم الملك يشبك من حيْدر الوالي في أوائل شوال في تقصيره عَنْ دَفع العبيد، فأجابه بالحقِّ، وهو العجزُ للخوفِ من مماليكه الذي لم يستطع هو كَفَّهم، في كلماتٍ فيها غلظة

وخشـونة، وقَرنَ بذلك قلع شاشه ونحوه، فبادر للأمر بنفيهِ، وتسلمهُ نقيبُ الجيش، فتوجَّه به إلى الخانقاه، فلم يلبّث أن شفعَ فيهِ الأتابكُ من الغد، ولكن استقـرَّ في الـولاية مغلبـاي أستـادار الصُّحبـة، وارتـدعَ به كثيرٌ من المُفْسدين، وإنْ أمعن زيادة على الحَدِّ كما هي عادة أمثاله. واستمر ذلك ببَيْتِه بطالاً إلى أن استقرَّ في التي تَلِيها أميرُ آخور ثاني بعد موتِ جانبك حبيب.

وفي جمادى الثاني بعد اشتغال كثيرٍ من الجهات بسبب التعدِّي بجبايةِ الأحكار، سيما مِن جماعةِ الشافعي، فوض القاضي التكلّم في جامع يشبك الذي هو الحجة في التسليط بالحكر للدوادار الثاني، لتكرر شكوى شيخِ الصوفيةِ بخانقاته للسلطان عَدَمَ الصرف، وجَرَّتْ شكواه لإهانة المنازع له، مع مزِيد وجاهته، حتّى عند السُّلطانِ، بل لإسماعِ القاضي في أول رجَب مالا يحسنُ، مع كونـه لم يسكت، ثم رسم على أمينهِ ونقيبهِ وجماعة من مُباشريه وجُبَاتِه ونحوهم، كأبي الفضل اليعقوبي، وأحمد النشيلي، وانتدبَ البَـدْرُ بركـات الصَّـالحي للمحـاققة والحساب بحضرةِ كبارِ القُضاةِ الثلاثةِ بالبحـرة أيَّاماً، ثم بحضرة جماعةٍ مِنَ النواب، وكان في مدة طويلة إلى أثناء سنةِ خمسٍ وتسعين مع عدم الانتهاء ما تَضيقُ به الأنفاسُ ويُظلمُ القِرْطاسُ مِمَّـا زِدْتُ في بسـطهِ في غير هذا المحـلِّ، والقاضي مصمِّمٌ على الوثوق بجماعته، والخصم ينازعُ في أكثر ما خصم به الموصل، كمعاليم الأنظار والعمـائـر الفاحشة، التي جُلُّ البلاءِ فيها، سيَّما وفي بَعضها تغييرُ معالمِ الوَقْفِ، أو في خـط قريبٍ من الدثور، والبواقي التي عند الجُباةِ والمتأخِّرِ المُتعـذِّرِ اسْتخـراجـهُ، ولو حصل التَّوجُّه بالنظر في حال المستحقِّين، ولو بِصَرْفِ النصفِ فأقل، لا ندفعَ به مكروهٌ كبيرٌ.

وما أحسنَ ما أعلمني به الحنبليُّ عن صحيح مَذهبه في كونِ الواقفِ إنْ شَرَطَ تقديمَ العمارة اتبع أولاً، فيراعي كلا الجانبين، سيما في هذه الأزمان التي ضاقت فيها أرزاق طَلَبةِ العِلْم والفقهاء.

وفي غضون ذلك طُلِبَ قاضي دمياط والمحلَّة، ورُسِم عليهما، وأُطْلِقَ أولهما، وصارت دمياط شاغرةً، وقرر غير ثانيهما مُدة، ثم أُعيد، بل عزل القاضي من نظر القرافتين، وتوجّه إليه الأستادار، وهو المستقر، فأخذ منه ما هو تحت يده لجهته.

ثم عمل المولد عندَ ضريح الشافعي على العادة في ليلة تاسع عشري ربيع الأول، وأُطلقَ أولهما، وصارت دمياط شاغرةً، وقرر غير ثانيهما مدة ثم أعيد مِنَ التي تليها، وحضرهُ القاضي، ووعد القاضي جماعته بمساعدتهم من مَعاليم الأنظار ونحوها فيما كادَ وقُوع المرض عليهم به، وكلَّما تقاعدُوا تباعدُوا، والله يُحْسِنُ العاقبة.

وظهر بكل هذا صِحَّةُ منامين، رأى القاضي أحدهما في أوائلِ ولايته، والشهابُ الطُّوخي أحد الفضلاءِ، الآخرَ.

فأوَّلهما أنَّ القاضي جاء إلى بحرٍ لينزلَ فيه فهابَهُ، فأُكْرِه حتَّى نزله، فلما نزل استَهْوَنَهُ، وصَارَ يسْبَحُ فيه مُسرعاً والناسُ بجانبي البحر يُكْثِرونَ الصِّياحَ والتَّصفيق عليه، وهو غيرُ مُكترثٍ بهم، ولا يعدُّهم، وإذا بقائلٍ يقول: إنَّه قد استوفى مالَهُ، وهو ستة، فاطلعُوا، فطلع فعُبِّر إذ ذاك باستيفائه في القضاءِ ستَّ سنين، فكان استيفاؤها في أوائل رجبها.

وثانيهما أنَّ الشهابَ رأى أنَّ بالسابقيةِ حريقاً هائلاً، وجماعةً من أتباع

القـاضي بالإيوان الذي يجلسُ به نقيبهُ قد احترقُوا إلى أذيالهم، وبالإيوانِ المقابلِ له شخصٌ آخر قد احترقَ إلى حلقه، بحيثُ شاهدَ المنديلَ الذي على كتفه وهو بحبكةٍ سوداء احترق، فأمعن النظرَ فيه، فإذا هُوَ الأمينُ عُبيدٌ الصاني[1]، فبادر الرأيَ للنزُولِ من المدْرسة وقد امتلأت ناراً خوفاً من أن يصيبهُ شيءٌ من الحريق، فلَّما صار أمامَ المدرسة حمد الله تعالى لعدم إصابةِ النارِ لشيءٍ منه، وإذا بشخصٍ ظهر من بيتِ القاضي وهو يقول: لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله، احتـرقَ جماعةُ القاضي، ولم يسلم منه غيرهُ، لأنه لم يكن حاضراً معهم.

وهـذان المنـامـان مِن أعجب العجاب لظهورهما كفَلَقِ الصُّبحِ، وقد سمعتهما قبل وقُوعِ ما أشير إليه بِمُدَدٍ.

وفي جمادى الثاني أيضاً، سافر البدريُّ أبو الفتح المنوفيُّ نائبُ جُدَّة إليها في البحرِ بعد لبسه خلعةَ السفر، وبرزَ معه خَلْقٌ من الحُجاج وغيرهم، منهم الحاج جوهر الشمسي ابنُ الزمن[2]، وقد رُضِيَ عنه قَبْلُ، وزَيْرَك عتيقُ قاسمٍ الرومي[3]، وأمين الحكم، كان، البهاء ابن العلم، واستراح من جراء العافية له، مع أنه لم ينهضْ لأدنى تَبَعٍ لمن أشير له، وعليٌّ الجلالي ابن الأمانة، ولكنه رجع مع الموسم، واستمرَّ الأمينُ في السّنة الآتية، وضعفَ فيها حتّى مات، وكان وصولُ الناظر جدَّة في مستهل شعبان، ولما تم شغله

(١) هو عبدالقادر بن حسن بن عبيد بن محمد الجمالي الصاني الأزهري الشافعي، حفظ القرآن ولازم الشيخ الطنبداوي وآخرين، وأصبح أمينَ الحكم. الضوء اللامع ٤/٢٦٥-٢٦٦.

(٢) الضوء اللامع ٣/٨٢.

(٣) الضوء اللامع ٣/٢٣٩.

جاء لمكّة في ليلة سابع عشري رمضان، فطاف وسعى، ثم خرجَ إلى الزاهر، وفي الصباح تَلَقَّاهُ السيدُ ووَلدهُ وعسكرهما، فخلع عليهما، ودخلوا فتلقَّاهم القُضاةُ ونحوهُم، ثم قُرئت المراسيمُ على العادةِ، واستمرَّ إلى أن رجعَ مع الركب. وأظنها آخر قدماته، فإنه عجز عن الإرضاءِ، ولم يعامل بالإغضاء كما سيأتي في التي بعدها.

وكذا في جمادى سافرَ الفرنجيُّ ابنُ صاحبِ نابل من بلادِهم، وهي إلى تُونس أقربُ، لمحركٍ لسفره لم أتحققه بعد إقامته بالديارِ المصرية سنين جهز أبُوه في غضونها للسلطانِ هَدايا، ولِذا أُتْحِفَ هذا بأشياءَ لنفسه ولأبيه سوى ما وصلَ إليه في طول إقامته، مع مُلازمته للفساد وفِعْلِهِ لما أراد.

وفيه عمل المولد بالمقام الأحمدي بطنتدا، وكان المحمول إليه من الشُموع ونحوها من الأتراكِ فضلاً عن غيرهم ما لم يعهدْ نظيرهُ، وكأنَّ ذلك وفاءً لنذرٍ صَدَرَ منهم وهم في التجريدةِ، ويقال: إنَّ ذلك لم يَسلم للمقام.

وفي العشر الثالث منه حُمِلَ مَهْرُ ابنةِ الأتابك وسبطة الظاهر جقمق بن أمير آخور، ثم عُقد بعد يومين بعد صلاةِ الجمعة بين يدي السُّلطان بحضرةِ القُضاةِ وغيرهم، ولم يحضر الأتابكُ والأمير، بل كان الوكيلُ عن أولهما كاتبُ السّر وعن الآخرِ الخيضري، ثم سِيقَ الجهازُ لبيتِ العريس بنواحي قناطر السباع في أثناءِ الشهرِ الذي يليه، وأُردفَ بِمُهم العُرْسِ في حادي عشريه. وبرزَ الزوجُ في مسائه من باب السّلسلة في أُبَّهة شرحْتُهَا مع تتماتِ ذلك في «التِّبْرِ المسْبُوك» إلى أن وصل لبيتِ الأتابك بالأزبكيةِ، ولما تم الجلاء، رجع لبيته، ثم حُمِلَت العروسُ إليه في محفَّة، وبنى بها، وكانت ليلةً مشهودة، ولكن حصل فيها من فسادِ الأجلابِ ونحوهم في حريمِ المسلمين ـ حتى

الأبكارِ وأبنائهم ما يُسْتَحْيا من حكايته، وتكدَّرَ كُلُّ مَنْ في قلبه تُقىً بسببِهِ، واضمحلَّ في جَنْبه ما الناسُ مُبتلوْن به مِنْ قِبَلِ الأجلاب قبلَ ذلك وبعدهُ من نهبِ البضائعِ والفواكهِ والقماش والغلال، سيما الشعير والتبن، وتلقي البطيخ والغنم والدَّجاج ونحوه، بحيثُ قَلَّ التَّظاهرُ بذلك جلباً وبيعاً، وارتفعت الأسعار في المأكولات زيادة على ارتفاعها، وازداد أهْلُ الأسواقِ كساداً، والخيِّر مَنْ يدفعُ في مقابلِ ما يأخذُهُ دون رُبُع ثمنه أو نحوه، هذا مع التعرُّضِ لخطفِ العمائمِ وغيرها، بل وتجرَّؤوا بعد ذلك على الحريمِ والشَّباب جهاراً نهاراً،وهجموا كثيراً من البيُوت والأحواشِ بسببِ الدجاج ونحوه. وتحامى كُلُّ أحدٍ إلا مَنْ شَذَّ عن إنهاءِ ذلك للسُّلطانِ، ولكنه ضرب منهم واحداً في أواخرِ شعبانَ حين شكي إليه، بحيث كادَ أنْ يُتْلِفَهُ، بَلْ قيل: إنه نفاهُ، وآل أمْرُهم إلى أنْ ركبَ أكثرهم ملبسين وغَيرَ ملبسين في ثالث ذي الحجة، ووقفوا بالرُميلة، بل وكسرُوا بعض الأبوابِ بسبَب زعمهم الإجحاف بهم عن مُعْتَادهم في الأُضحية، وكَلَّمهم أمير آخور وغيرُهُ، فلم يرجِعُوا، وقالوا: لنا عوائدُ قُطِعَتْ، ولا نأخُذ إلّا خمسينَ ديناراً لكلِّ واحد.

واستمروا كذلك يومين، ووزع الأكابرُ ما في بُيوتهم من الأمتعةِ خوْفاً من هجمهم، وتوجَّه جماعةٌ منهم لبيتِ الأتابك، وأركبُوه معهم إلى القلعة، ومشى هُو وَأزْبَك الخازندار وغيرهما في إعطاءِ كُلِّ واحدٍ سبعةَ دنانير أو ستة مع خَرُوفٍ، ورجعَ الأتابكُ، فانقطع ـ لانزعاجه ـ ببيتهِ ضعيفاً مدَّة إلى أنْ عُوفيَ.

وفي رجب، عاد صاحِبُنا الشهابيُّ ابنُ المحوجب لدمشق بلده بعد إقامتهِ بالقاهرةِ سنين. عَوَّضَهُ الله خيراً، وجمع الشملَ به بالبلد الحرام ونحوه، فنعم الرجلُ عقلاً وتودُّداً ومحاسن، ثم بلغني عَوْدُه إليها صحبة كاتب السِّرِّ،

كما في التي تليها، وعَاد لبلده بعد موته، ثم استجيب دعائي، حيث اجتمعنا في سنة ثمانٍ وتسعين بمكَّة حين طلوعه من البحر - كما سيأتي - فحجَّ وعاد[1].

وفيه استقرَّ قاضي المالكية - كان - البرهاني اللَّقَّاني في الميعاد والتفسير بالبرقوقية مجّاناً بعد موت فتح الدين ابن البلقيني. وقال السلطانُ: إنَّه عَزَلَهُ بغير ذنبٍ، وأظهر التلفتَ لجبره، بل وجبر المستقرّ به، وتكرَّر الإعتذار عنه، وعُيِّن للخشابيَّة والشريفية وقضاء العسكر عوضاً عن الميت - أيضاً - ابن أخيه لأمِّه البدر ابن الصَّلاحي المكيني، قيل: بأربعة آلاف دينار رَغبَ في جمعها عما كان باسمه من أشياء أجلُّها تدريس الشافعية بالصالح للمحيوي ابنِ النقيب، قيل: بأربع مئة دينار مع ما اقترضه من عمته وغيرها، ومع ذلك، فلما طلع ليلبس وذلك في يوم الخميس عاشر رمضان، لم يسمح بالشريفية إلى أن أنهي أمره فيها بعد، وباشرهما في جمعٍ من الطلبة يومَ الأحدِ ثالث ذي القعدة، وتكلَّم في الخشابية بكلمات يسيرةٍ في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نفسٍ ذائقَةُ الموتِ﴾[2] ولم يزد في الأخرى على الدُّعاء.

وكذا لبسَ في يوم الخميسِ المُشَارِ إليه المُحيوي ابن الدهانة مشيخةَ المُؤيدية بعد موتِ التاجِ ابنِ الديري ومباشرةِ ابن عمه البدري لها حتَّى بعد موتِ التاج بإذن على لسانِ كاتبِ السِّر وغيره، فوثبَ المذكورُ بألفي دينارٍ فأزيد، وتألَّمنا للبدر، فإنه أحقُّ بها.

بل وبلغني استنــزالُ ابنِ النقيب أيضـاً في هذا، الآن، الجلاليّ ابن

---

(1) ما بين الحاصرتين من «ك».
(2) سورة آل عمران، آية ١٨٥.

العبـادي عن تدريسِ الفقـه بالبرقوقية، وشَحَّ على الصيرفي اليهودي بدفع أجرته في النقد، بل ضربه، فبادر اليهوديُّ لشكواهُ من باب شاد الشون، وكانَ مالا خيرَ فيه.

ثمَّ لا زال ابنُ النقيب يسترسـلُ حتى استنزلَ ابني إمامِ الكامليةِ دار الحديثِ عن مشيختها وظيفتي المغصوبة مني في شوال السَّنة الآتية بستين ديناراً أو نحوها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي ثاني عشـر شعبانَ وصل قاصدٌ يُقالُ له أخي فرج، يُنسب لطلبِ علم وأنَّ أبـاهُ كان أميراً بشيراز، من عند السلطان يعقوب بن حسن[1] بك، فأُنْزِلَ هو ومَنْ معه ببيتِ كاتبِ السر ببركة الرطلي، فأجري عليهم الراتب، ثم صَلُّوا الجمعةَ ومعهم المهمندار بالمدرسةِ المزهرية، وخطب بهم الأمينُ ابنُ النجار خطيب جامع الغمري دُونَ خطيبها الراتب، وصادف غيبة واقفها، فتوجَّهُوا لبيتهِ بالأزبكيةِ ليقرأ المطالعة التي حكى مِن مضمونها ما لم أُثبته، ثم طلع القاصدُ يومَ السبت فلم يفتح المطالعة حينئذٍ فيما قيل، وأضافَهُ كاتبُ السِّرِّ ببيتـهِ المجـاور لمدرستهِ في يوم الجُمعة سابع عشريّه، ثم السلطانُ بالبحرةِ من القلعةِ في اليومِ الذي يليه، وألبَسهُ كُلٌّ منهما خلعةً، وكذا أضافَهُ غيرهما، ثم أُلْبِسَ هو ونحو عشرين مِمَّنْ معَهُ خلع السفر في يومِ السبت ثالثَ عشر رمضان يوم عُرِضَت الكسوَةُ، بل وأعطي القاصد منها تبركاً.

وفي يوم السبت رابع عشره، وهو حادي عشر مُسْري[2]، وفى النيلُ ستةَ

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٢٨٣.

(٢) كتب على هامش النسخة «ب»، كذا ولعله يوم الأحد.

عشر ذراعاً مع أحدَ عشر أُصبعاً مِن السابع عشر، وكُسِر السَّدُّ من الغد بمباشرة الأتابك، وكان يوماً سارّاً، وترادفت الزيادةُ إلى ثلاثة أصابع مِن الذراع العشرين، ثم أخَذَ في النقص، وربما زاد في خلاله قليلاً. كلُّ ذلك والغلالُ مُترادفةُ الوصُول، والغلاءُ مستمرٌّ لإيداع أكثرها الحواصِل، والجَلَبُ الفرنجي كثيرٌ.

وفي يوم الخميس تاسع عشره استقرَّ الزينُ عمران بن غازي المغربي أحد التُّجار المُتموِّلينَ ووالد النُوري علي الذي أتلفَ عليه أموالاً جمَّة في المتجر السكندري عوضاً عن أبي عبدالله البرنتيشي بحكم إشرافهِ على التَّلفِ بعد مزيدِ مرافعةِ المُشَارِ إليه فيه، وزيادةِ الجهة عليه شيئاً كثيراً، خسر بسببه مالاً جَمَّاً، بحيثُ كان أعظمَ سببٍ في تعلُّلِه أشْهُراً، ولَم يلبَثْ أنْ مات كما سيأتي، وختم على بقية موجوده. عوَّضَهُ الله الجنَّة.

وابنا ابن عُليبة وابن عمهما في الترسيم لإيراد ما قيل: إنه تَأخَّرَ في جهةِ عبدالقادر وفي ذُلٍّ بعد عزٍّ، ثمَّ أُطلقوا في رمضان على ما بلغني، وتوالى الترسيمُ عليهما مرةً بعد أخرى.

واستهل رمضانُ بالعدد يوم الثلاثاء بعد تَرَائي الهلالِ على العادة في ليلةِ الاثنين، فلم يُرَ، ثم بعد الانفصال تُحُدِّثَ برؤيته؛ بل جاء كتابُ قاضي الخانقاه السرياقوسية بالإعلام برؤيته، ولكن بدون ما يقتضي اعتماده، وصامَ أهلُ الخانقاه ومَنُوف[1] لثبوتِهِ عند قاضيها، بَلْ صام أكثرُ أهلِ البلاد، فلما

---

(١) مَنوف: من قرى مصر القديمة لها ذِكْرٌ في فتوح مصر، ويقال لكورتها الآن المَنُوفية، معجم البلدان ٥/٢١٦.

كان في أول العشر الثاني منه ثَبَتَ، وكان التقصيرُ في ذلك من القاضيين بالمحَلَّيْنِ المُعَيَّنَيْنِ، وهو من ثانيهما أكثرُ، وصامَ أهلُ مكة الثلاثاء.

وفي أثنائه قدم طائفةٌ من المدينة النبوية في البرِّ صُحْبَةَ سِرْدَاح قاصدِ أميرها، منهم إمامُ الحنفيةِ البرهانُ الخُجَنْدِي والبرهان القطان. وكذا تَسحَّبَ منهـا خطيبُ مكة مُحِبُّ الدين النويري فيه بَرّاً، كما أشرتُ إليه في التي قَبْلَها، والبرهانُ ابن صالح قبيل بقليلٍ في البحر بسبب مخاصمته مع بعضِ أهلِ المدينة، واستصحبَ الخُجندي في عَوْدِهِ خلعةً للشيخ خير الدين ابن القصبي بقضاءِ المالكية بالمدينة عِوَض والده لشِدَّةِ ضَعْفه وسؤالهما في ذلك.

وكان ختم «البخاري» في يوم الأحد ثامن عشريه بالحوش من القلعة كالعـام الماضي، ولم يقرأ منه كالسنتين قبلها سِواهُ، وزِيْدَ فيها قطعُ صُرَرِ أصحابِ الخلع، وصرف الصُّرَر لِمَنْ عَدَاهم بحكم النصف تَوْفِرةً كما وُفِّرَ بعضُ القَدْرِ المُسَمَّى توسعة رمضان لمن شاء الله من الفقهاء ونحوهم. وقطع بعضهم أصلاً، والسُّحور المعتاد لاستكثارهما، بل وألزم مَنْ له عادة بحملِ حلوى بتعويضها سُكَّراً.

وجرَّ ذلك عدم تفرقة أمير المؤمنين عادته من الحلوى لضيق حاله، وأظنُه فعـل ذلـك في الأضحية، وطِيفَ على مَنْ لَعَلَّهُ تَعَجَّـلَ قَبْضَ صُرَّتـهِ، فاستُرجِعَتْ منه إنْ كان من أرباب الخلع، أو نصفها إنْ كان من غيرهم.

وفي أثنـاء شوال كثـرت الإشاعةُ بالتعدِّي للمياه بعجرود، ونخل، مع الاضطرابِ في أسبابه.

وخرج خشقدم الزمام في طائفةٍ من أتباعه ونحوهم للاجتهاد في الإصلاح لإضافةِ التكلّم فيهما قَبْلُ إليه، وتأخر لذلك بروزُ الحاج يسيراً، بحيثُ لم يَرْتَحل المحملُ من البركة إلَّا في رابع عشريه، ووجد الأمر كذلك بالنسبة لنخل خاصَّة، ولكن ما وصَل الحاج إليه إلَّا وقد تهيَّأ له ما كَفَاهُ وفضل.

وعاد خشقدم بعد الالتزام بذلك في الرجوعِ أيضاً، وقابل عامِرٌ البَدوي شيخ بلي المنسُوبُ له فِعْلُ ذلك لأجلِ قَبْضِهم على ولده، وحلف أنَّ الفاعلَ لذلك بعضُ أعدائه، فَرُوسِلَ بالسؤالِ في إطلاقِ ولده ليكون مستمراً على الطاعة.

وكان أمير المحمل والأول أزدَمُر وخير بك اللَّذَيْن كانا في التي قبلها، وقاضي المحمل الصدرُ محمد بن عبدالوارث، وكان الحاج - كالتي قبلها - قليلاً. وليس في هذه من الأرياف إلا النادر، وكنتُ أنا والوالدة والعيالُ والأخ عبدالقادر وولده وعيالهما ومَنْ شاء الله فيه.

وسافر مع الأول أَزْدَمُر الأشرفي برسباي أحدُ رؤوسِ النوب ومن كان تأمَّر على الأول في سنة ثمانٍ وثمانين، ويُعرفَ بقصبة، ليكون أمير الراكز بمكـة عِوَضَ شادِ بك المتـوفى ودخـل مكةَ في محفَّةٍ لشدة ضعفه، وأُذنَ لمثقال الحبشي السُودُوني الظاهري الساقي بالانتقالِ من مكةَ التي إقامته بها ثلاث سنين إلى بيتِ المقدس، فقيل: إنه عثر عليه في غزة بالجريمةِ التي كانت أصلَ الغضبِ عليه، فراسلَ نائبها بالإعلام بذلك، فأمرَ بما توسَّلَ عنده في إبطالهِ حتَّى أرسله لقلعة الصُّبَيْبَة، فالله أعلم.

وقـدم جماعةٌ من التكرور للحجّ، واشتروا من القاهرة بعض الكتب،

وفيهم شخصٌ اسمهُ عبدالعزيز، يُنْسَب لطلبٍ في الجملة، فاجتمع بي مرّة بعد أخرى، وأخذ عني.

وكذا قدم الرَّكبُ العراقيُّ ومعه محمل، والشاميُّ وأميرُه أميرُ مَيْسرة، والحلبيُّ وفيه زوجةُ النائب، ومَعها الخواجا عمر النيربي. وبرز الشريفُ للقاءِ الركوب ما عدا الأخير. وذُكِرَ عن المرأة في الرَّكْبِ خيرٌ وكَفٌّ لمن يَرُومُ الظلمَ، وماتت بحمصَ قبل وصُولها في السنة الآتية، ودُفنت بالقرب من مشهد خالد، عفا الله عنها.

ومِمَّنْ رجعَ مع الشامي، الشريفُ إبراهيم الغبيباتي صاحبُ تلك الاستغاثات والمناكبات، وكان جاء مع الركب المصري، فمشى فيها على طريقته وجرأته، وناكدَ نقيبَ الأشرافِ بها أحمد بن عجلان وغيره، فكان ذلك سبباً لاختفاء النقيبِ ووصُوله [السَّيِّء][1] إلى السلطان، فأمر بإحضار غريمهِ في الحديد، ثم ضربه أشد ضربٍ، وأودعه الحبس مَقْبُوحاً منهوراً، ورجع النقيبُ مَسْروراً مَجْبوراً، ثمَّ أُطلقَ إبراهيم بعد أشهرٍ بشفاعةِ شيخِ تربة السلطان، وكانت الوقفةُ الأحد.

وفي يومِ الخميس سادس عَشَره وصل من بيت المقدس قانصوه اليحياوي نائب الشام،كان، فخلع عليه وعلى ولديه وأكرمه بعد ارتجاجِ البلدِ لقدومه وتَلَقِّيه، وأُنزل ببيت جانبك الجداوي بنواحي قناطر السباع.

ثم في يوم الإثنين سابع عشري ذي الحجة أُلْبسَ خلعة بنيابة الشامِ

---

(١) ما بين الحاصرتين من «ك».

بحكمِ وفاةِ نائبها قجماس قبل مجيئه كما سيأتي، وقيل له فيما قيل: إنه دفعَ فيها مئة ألفِ دينار، فأعطيت لَهُ مجاناً، يعني ليكونَ على بصيرة. ثمَّ في مُستهلِّ السنة بعدها ألبِسَ خلعة السفر، ونزل ومعه جُلُّ الأمراء إلَّا الأتابك مجتـازاً من داخـلِ البلد إلى الرِّيدانية، وهَرع الأمراء للسلام عليه هناك، وعملَ له في الوطاقِ بعد يومين مَدَّةٌ هائلة حَضَرَها السُّلطانُ قيل، ومَدَّةٌ أيضاً في الخانقاه، وكذا عند مجيئه بها، ثمَّ بالقلعة، ثم ببيته، وبُولِغَ في إكرامه جداً.

٢١٩٥ـ ومـات من الشـافعية في ذي القعدة بالزَّحير، القاضي شهابُ الدين أحمد(١) ابن فتح الدين أبي الفتح محمد بن علي بن أحمد بن موسى الأبشيهي المحليُّ. نزيلُ القـاهـرة، وسِبْط قاضِي المحلَّة الشهـاب ابن العُجيمي. ممَّن اشتغـلَ في الفنون، وتميَّز، ونابَ في القضاء، مع عقلٍ ودُرْبةٍ، وسياسة، واحتمالٍ، وسعةِ باطن، وإظهار تعفُّفٍ، بَلْ حَلَّقَ للطلبة، ودَرَّسَ الفقه بالشيخونية بعد ابن القطان بعناية ناظرها إذ ذاك. وقام البكريُّ وقَعد، وصار من رُؤوس النواب، سيَّما في أيامِ شيخهِ الزين زكريا، بحيثُ نُسِبَ غالبُ ما يصـدرُ عنـه إليه، وخُصَّ بالأشغالِ النافعةِ بمواطأةِ النقيب والأمين، وأعطاهُ تدريسَ الحديث بالأشرفية القديمة وغير ذلك، وربما حَدَّثَتْهُ نَفْسُه بالقضاءِ الأكبر، وأظُنُّه ناهز الستين.

واستقـرَّ بعـده في الشَّيْخُـونية الجلاليُّ ابنُ الأمانة، وفي قراءة الميعادِ بجامعِ ابن طولون الشرفيُّ السنباطي، وفي الأشرفيةِ، ابنُ أخيه وولد القاضي رحمه الله وسامحه.

---

(١) الضوء اللامع ٢/١٤٣ـ١٤٤.

٢١٩٦- وفي جمادى الأولى، عن نحو ثمانٍ وخمسين، البدرُ محمد[1] ابن الشهاب أحمد ابن التاج محمد ابن شيخ الإسلام الجلال عبدالرحمن ابن السِراج أبي حفص عمر، البلقينيُّ الأصل القاهري الشافعي. ممَّن بَرَعَ في استحضار الفقه. واشتغَل بعلوم. وشاركَ وكتب بخطه الكثير. ونابَ في القضاء، وقُصِدَ فيه لسماحته، وعُوِّلَ عليه بباب الزينيِّ زكريا، لتميُّزه عليهم بالفقه والأحكام، مع عَدَم إنصافِ قاضيهم له، وحجَّ على قضاء المحمل، ودَرَّسَ بالآثار وغيرها، وكان طارحاً للتكلُّفِ، صابراً على جفاء أُمِّ أولادِه طوراً وحِدَّةً. ممَّن أكثر التردُّدَ لي، ويقال: إنه خَلَّفَ شيئاً كثيراً.

واستقرَّ بعده في جهاتِهِ وَلَدُه الزينُ عبدالباسط، أحدُ الفضلاء. رحمه الله وعفا عنه.

٢١٩٧- وفي رجب، عن سبعٍ وأربعينَ، القاضي فتح الدين أبو الفتح محمد[2] ابن شيخ الإسلام العلمي صالح ابن السراج أبي حفصٍ عمر، البلقينيُّ الأصل، القاهري. ممَّن حفظ كتباً، واشتغلَ قليلاً، ونابَ في القضاء، وقُرِّرَ بعد أبيه في جهاته شركةً لغيره، ثمَّ استقلَّ بها مع قضاءِ العسكر، ولم تَطُلْ مُدَّتُه كذلك. وكان ذكياً عاقلاً، ساكناً حَيِيّاً، وهو في آخر عمره أحسن. وما تَيَسَّرَ له الحجُّ، ويقال: إنَّ ابنَ قريبة حَجَّ عنه. عوَّضه الله الجنة وغفر له.

٢١٩٨- وفي أثنائها، عن نحوِ أربعٍ وخمسينَ، غريباً، الشيخُ الصالح

---

(١) الضوء اللامع ٧/٧٠-٧١.

(٢) الضوء اللامع ٧/٢٦٨-٢٦٩.

الفاضل المدرس الشمسُ محمد[1] بن سلامة بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الإذْكاوي. ممَّن قرأ في علومٍ، وتميَّزَ في الفقه، وشاركَ في الفضائل، وأقرأ الطلبة، وكتب على «أبي شجاع» شرحاً، وصار شيخَ ناحيتِهِ، وأبى قضاءَها، مع توجُّهٍ واستغراقٍ في أكثر أوقاته، وسُلوك وصفاء وتكسُّبٍ على طريقةِ أهل بلدِهِ. وهو ممَّن لازمني، وقرأ عليَّ كثيراً من تصانيفي وغيرها. وكان حَسَن الاعتقاد فيَّ. سَافرَ للحجِّ غير مرَّة، ثمَّ تَوجَّه مِن هناك لهرمُز، فباعَ ما مَعهُ، وأكرمه صَاحبُهَا، ورَجعَ فخرجَ عليهم السُّرَّاقُ، فما سَلِمَ من ذلك شيءٌ، فتوصَّل لعدن، وأكرمه ابنُ طاهر، وعَاد راجعاً راجياً وفاءَ دَيْنِه، فأدركته المنيةُ على ظهرِ البحر. عوَّضهُ الله الجنَّة ونفعني به.

٢١٩٩ـ وفي المحرم، عن سبعين فأزيد، الشمسُ محمد[2] بن عبدالرحمن بن أحمد بن عباسٍ البارنبارِيُّ الأصل، الدمياطيُّ ثم القاهري السُّكري، ويُعرفُ بابن سُولة. ممَّن عمل في الفقه وأصوله، والعربيةِ، والفرائض، والحساب، وغيرها، وشاركَ في الفضائلِ، وتصدَّى للإقراء، بل وشرح «الروض» لابن المقرىء شرحاً مطولاً، واختصره وشرحه، وغير ذلك، ورُبما أفتى. كُل ذلك مع إقبالِهِ على التكسُّب، وإعراضِهِ عن وظائفِ الفقهاء، بل عَرَضَ عليه رفيقُه الزينيُّ زكريا قضاءَ دِمياط فأبى، ولكنه أرضاهُ بمسمّى القَبُولِ عنه. وكان مديماً للتلاوة، مُقْبلاً على شأنه، والناسُ منه في راحةٍ. وقد حَضَرَ عندِي بعض الدروس[3]. وكنتُ أحبُّه ويحبُّني. رحمه الله وإيانا.

---

(١) الضوء اللامع ٧/٢٥٤ـ٢٥٥.

(٢) الضوء اللامع ٧/٢٨٣.

(٣) قوله: «بعض الدروس» من «ك».

٢٢٠٠- وفي ربيع الثاني، عن إحدى وسبعين فأزيد، الزينُ عبدالقادر[١] ابن علي بن شعبان القاهريُّ الزيات أبوه. ويُعرف بجده إمام جامع أَصْلم. ممّنْ تقـدمَ في الفرائضِ والحساب، وصنَّف فيهما، وأقرأهما الطلبةَ، مع مُشـاركـةٍ في الفضـائل، وتمام تَدَبُّرٍ وتودُّدٍ وعقلٍ، بحيثُ كان من خواصِّ البرهاني ابن ظهيرة، وزاد توجُّعُه لموتِهِ، وقد تكسَّبَ بالشَّهادةِ، وكان قانعاً متواضعاً. رحمه الله وإيانا.

٢٢٠١- وفي المحرم، عن دون الثمانين بيسير، العِزُّ عبدالعزيز[٢] بن عبدالسلام بن موسى بن أبي بكر، الشيرازيُّ الأصل المكيُّ، والدُ الجمال محمـد المتوفى قَبْلُ. ويُعرف بالزَّمْزَميِّ، نسبة لبئر زمزم. ممَّن اجتمع بي بالحـرمين. وحضر مجالسِي. وسمعتُ إنشادَهُ. وكان لطيفَ العِشرة، فقيراً قانعاً. رحمه الله وإيانا.

٢٢٠٢- وفي ثامن ذي الحجة، عن ثمان وستين، الشمسُ أبو الغيث محمـد[٣] ابن الشيخ أبي المحـاسن يوسف بن أحمد بن يوسُف، الصَّفِّيُّ الأصـل -بفتـح المهملة، ثم كسـر الفـاء المشـدَّدة نِسبَـةً إلى الصَّفِّ من الإطفيحية[٤] - القاهريُّ، ابنُ أختِ الجمال البدراني وإخوته، ويُعرف بأبيه. ممَّن اشتغـل في الفقه وأُصُوله، والعربية، وأكثرَ السماعَ ببلده ومكَّة وبيت المقدس والشام، وحَصَّلَ الفوائدَ، وألَمَّ بالطَّلب، وشارك في الجُملة، مع

(١) الضوء اللامع ٤/٢٧٧-٢٧٨.

(٢) الضوء اللامع ٤/٢١٩.

(٣) الضوء اللامع ١٠/٨٩-٩٠.

(٤) إطْفِيح: بلد بالصعيد الأدْنَى من أرض مصر على شاطىء النيل في شرقيه، معجم البلدان ٢١٨/١.

مَزيدِ الاستقامةِ والتواضع، والتَّقنُّع باليسير، والتعفُّفِ والتَّودُّدِ والانجماع عن الناسِ جملةً، والرغبةِ في لقاء الصالحين وزيارتهم أحياءً وأمواتاً، حتى صار كأحدهم. وهُوَ ممَّن لازمني دَهْراً، وقرأ عليَّ، بل واستملى واستعاد وأفادَ، وكان كثيرَ الاغتباط بي، وكنتُ ممن أستأنسُ به، وأتبرَّكُ بدعواتهِ غيبة وحضوراً. رحمه الله ونفعني به.

٢٢٠٣- وفي شوال، بالقدس، عن أزيد من سبعين، الخيِّرُ المُعتَقد عُثمان[1] بن محمد بن أحمد بن محمد بن عطية، السراجي ثم المحلي. ويُعرف بالحطاب - بمهملتين - حِرْفةً كانت له. نزيل السيفية المدرسة التي بين العواميد، بل هو الذي قامَ بتجديدها بعد خَرابها ودُثُورها، ونقل خطبتها إلى الإيوان الذي جَدَّدَهُ، وعُقد بها مجلسٌ حضره السلطان في سنة ستٍ وسبعين حين الشروع فيه. رحمه الله ونفعنا به.

٢٢٠٤- وفي ربيع الأول، عن ثمانٍ وأربعين، بالبطن شهيداً، الفاضلُ المفنن الصالح خيرُ الدين أبو الخير محمد[2] ابن الجمال محمد بن علي بن عمر بن عبدالله الفاكهيُّ[2] المكيُّ، أخو الشيخ نور الدين علي، وهو بكنيته أشهر. ممَّن تميزَ في فنون، بحيثُ أقرأ، وباحث، بل وصنَّف في الصلاةِ بالشباك المحاذي للمسجد وغير ذلك، ونظمَ ونثرَ، ودخلَ دمشق والقاهرة. ولمَّا كنتُ بمكة لازمني في قراءة شرحي «للألفية» وغيره، وسمع مني وعَليَّ أشياء. وكان حَادَّ اللسانِ والمباحَثةِ، ذا جَلَدٍ على العبادةِ والتوجُّه، وصبرٍ على الفاقةِ معَ العيال، ويقال: إنه أُخْبِرَ بجمعة موتهِ ثم بيومهِ، فكان كذلك. رحمه الله وعوَّضه خيراً.

---

(١) الضوء اللامع ٥/١٣٧.   (٢) الضوء اللامع ٩/١٥٧.

٢٢٠٥- وفي جمادى الثاني أبو القسم[١] ابن الشهاب أحمد بن محمد المتيجيُّ الفُوِّي. ممَّن تميَّز، ودرس، وأفتى، وناب في القضاء بسكندرية، ثم عن الزيني زكريا في البرلس، ولكنه لم ينجح في ذلك، وعقدَ الميعادَ بالأزهر وغيره، وأخذ عني قليلاً، وكان حِفْظُه أكثر من فَهْمِه، ولأبيه جلالةٌ. رحمهما الله.

٢٢٠٦- وفي شعبان، عن سبعٍ وعشرين، الأصيل نور الدِّين علي[٢] ابن الشيخ ناصر الدِّين أبي الفرج محمد ابن الجمال محمد بن أحمد بن محمد الكازرُوني المدني، وكان ذكياً فطناً، حسنَ الخط والعقل. ممَّن حفظ كتباً، واشتغل قليلاً، ولازمني حين مجاورتي بطيبة، وكتبَ بعضَ تصانيفي، وقرأ عليَّ أشياء. عوَّضه الله الجنة.

٢٢٠٧- وفي تاسع ذي الحجة، عن بضعٍ وستين، عالمُ الصعيد الشهابُ أحمد[٣] بن محمد بن صَدَقة ابن مسعود الدلجي، قاضيها، وكان وافرَ الذكاء، قويَّ الحافظةِ، يستحضرُ كثيراً من الحديثِ وشُروحه والتاريخ والأدب، مع مُشاركةٍ في الفقه والعربية، ومزاحمةٍ بذكائه في كُلِّ ما يرومُه، وصارَ المُعَوَّلُ عليه هناك قضاءً وإفتاءً، ولو تفرَّغ للاشتغالِ كما ينبغي، لكان أمَّةً. وهو مِمَّنْ أخذ عني، عفا الله عنه.

٢٢٠٨- وفي المحرم، بعلَّة الاستسقاء، عن اثنتين وأربعين، الشمسُ محمد[٤] بن محمد بن محمود ابن أبي بكر الجوجريُّ، ثم القاهريُّ، خطيبُ

---

(١) الضوء اللامع ١١/١٣٣.
(٢) الضوء اللامع ٦/٨.
(٣) الضوء اللامع ٢/١١٧.
(٤) الضوء اللامع ١٠/١٨.

شبرا وعاقدها، وأحدُ الفضلاء. ممَّن أخذ عنِّي، وكتب بخطِّه جملةً، وخَطُّه متقنٌ، وفَهْمُه جيدٌ، مع دُرْبةٍ وعَقلٍ، وربما نظم. عَوَّضَهُ الله الجنة.

٢٢٠٩- ومن الحنفية في شعبان، عن سبعٍ وتسعين، الشيخُ تاج الدين أبو محمد عبدالوهاب[١] ابن شيخنا شيخ مشايخ الإسلام القاضي سعد الدين سَعْد ابن القاضي الشمس محمد بن عبدالله المقدسي، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن الديري، بغزَّة، فحُمِلَ لبلده، ودُفِنَ بها عند جدِّه. ممَّن غلبتَ عليه سلامةُ الفطرة، مع نورِ شيبتهِ، وحِفْظه لأشياءَ من فقهٍ وحديثٍ وتفسير، ولكنه لطريقِ الوعظ أقرب. وقد وليَ قضاء بلده، ودرس بأماكنَ هناك، بل استقرَّ بعد أبيهِ في مشيخةِ المؤيدية، ثم تركها، ثم أُعيدَتْ له، ونُوِّهَ به في القضاء مراراً، ولم يكرهه مع شيخوخته وضَعْفِ حركته، رحمه الله وإيانا.

٢٢١٠- وفي صفر، عن ثمانٍ وستين، الشيخُ نظام الدين أبُو اليُسر وأبو المعالي محمد[٢] بن أَلْجِيبُغَا الناصري المصابُ بإحدى عينيه، ويُختصرُ فيقالُ له: نظام، أحدُ شيوخِ المذهبِ وأعيانهِ. ممَّن تصدَّى لنشر العلم، وأخذَ الناسُ عنه طبقةً بعد أخرى، ودرس بجامع ابن طولون والحَسنية، وكتب على «التوضيح» وغيره، وانجمع بأَخَرة، ولم يقصر عن الطلبةِ ونحوهم بالإطعامِ ونحوه، بل كان ربما يمدُّ الغُرباءَ، والغالبُ عليه الصَّفاءُ وسرعةُ الحركة وإكثارُ الكلام، وكان يُظْهِرُ لي مَزِيدَ المَحَبَّةِ والتبجيل. رحمه الله وإيانا.

٢٢١١- وفي المحرم، عن اثنتين وخمسين، المنصورُ الفخرُ أبو

---

(١) الضوء اللامع ١٠٠/٥.

(٢) الضوء اللامع ١٤٥/٧.

السّعـادات ابن الـظاهر أبي سعيد جقمق[1] بدمياط، ونُقِلَ منها فدفن عند أبيه. ممَّن استقرَّ في المملكة قليلاً بعد أبيه، ثمَّ فُصل وأُودع اسكندرية، ثم دمياط، وحجَّ في أُبهةٍ تامة. كلُّ ذلك وهو مُقْبلٌ على العلم، بحيث برع في الفقه، وكثر استحضارُه للمجمع وغيره، مع حرصه على الانعزالِ والمطالعة والتـلاوة والصيام، وصَـرْفِ أوقـاته في الطاعات، وتحرِّيه في نقل العلم، وحُسْنِ عشرته، وكثرةِ أدبه، ورقة طبعه، وتقدُّمه في أنواع الفروسية، وإعراضه عن التشاغل بها، بل جمع تذكرة فيها أمور مهمة. وكان عنده من تصانيفي «ارتياح الأكباد» وغيره. وله تلفتٌ لقُدومي عليه، فما تَيَسَّرَ. رحمه الله وعوضه الجنة.

٢٢١٢ـ وفي المحرم، عن بضعٍ وخمسين، بمكة، الشيخُ إسماعيل[2] ابن عيسى بن دُولات البلكشهري[3] نزيلُ الحرمين، ويُعرف بالأوغاني. ممَّن سلك واشتغل وتنبَّه قليلاً، بلْ عملَ بعض المقدمات، وكان أحدَ الصُّلحاء المائلينَ لإيواءِ الفقراء وإطعامِهم، مع المُداومة على التلاوة ووظائف العبادة والتقنُّـع. وكنتُ ممَّنْ أحبَّـه، ولمّـا قدم القاهرةَ لزيارةِ بيت المقدس وغيره قَصَدَني. رحمهُ الله وإيَّانا.

٢٢١٣ـ وفي جمـادى الثاني، عن نحو الستين، الشهابُ أحمد[3] بن علي بن عوَّاضٍ التروجي ثم السكندري، ويُعرف بابن عوَّاض. ممَّن يتعانى التجـارةَ، ويُذْكـر بخيرٍ وديانةٍ، ولكنه بذلَ في قضاء إسكندرية ثلاثةَ آلافِ

---

(١) الضوء اللامع ٥/١٢٧ وهو: عثمان بن جقمق المنصور الفخر أبو السعادات بن الظاهر أبي سعيد.

(٢) الضوء اللامع ٢/٣٠٤ـ٣٠٥.　　(٣) الضوء اللامع ٢/٢٩ـ٣٠.

دينار، عَجَّل ثلثها وصرف به الدرشابي، فمكثَ أزيدَ من شهرٍ بالقاهرة، ثم ماتَ بها، ويقال: إنه هُدِّدَ بالمقشرة في وَزْنِ الباقي. عفا الله عنه.

٢٢١٤- وفي ذي الحجة، عن نحو الستين، بمكةَ، وصليتُ عليه، الفخر أبو بكر(١) ابنُ العلامة نسيم الدين عبدالغني ابن الجلال عبدالواحد المرشديُّ الأصل المكي. ممَّن اشتغل، وكان يُنْسَبُ لِتَمَوُّلٍ. عفا الله عنه.

٢٢١٥- وفي رمضان، وقد جازَ الأربعين، بمكَّة، محيي الدين يحيى(٢) ابن أبي الفضائل محمد بن الجمال محمد، المُرْشديُّ الأصل، المكِّيُّ. قريبُ الذي قبله. ممَّن اشتغل، ودخل القاهرة غير مرَّةٍ، والشَّام مرَّتين، وأخذ عنِّي بمكَّة. عوَّضه الله خيراً.

٢٢١٦- ومن المالكية في جمادى الثاني، عن ثلاثٍ وسبعين، قاضيهم كان، الشريفُ السِّراجُ أبو حفص عمر(٣) ابن المجد أبي بكر بن محمد الحسينيُّ، المغربيُّ الأصل، الطهطائي المنفلوطيُّ المصري، ويُعرف بابن حُرَيز - بضم المهملة وآخره زايٌ مصغر - ممَّن اشتغل، وتميز، ووُصِفَ بالديانةِ، والأمانة، والتصلُّبِ في أمر دينه، ومزيد اليُبْسِ، وحُسْنِ المعاملة، وصِدْقِ اللهجة، والوفاء بالعهد، بل وذُكِرَ باستحضارِ الفقه، فلمَّا مات أخوه استقرَّ بعده في القضاء، ثم في تدريس جامع ابن طولون، فشُكِرَتْ سيرته. وصمَّم في قضايا، وبرزَ في أماكن جَبُنَ فيها غَيْرُه، ولكنه أُوذِيَ بسبب ما التزمه من ديونِ أخيه غيْر مرَّة، ورسم عليه بطبقة الزمام بضعة عشر يوماً، ثمَّ

---

(١) الضوء اللامع ١١/٤٨. (٢) الضوء اللامع ١٠/٢٥٤.

(٣) الضوء اللامع ٦/٧٦-٧٧، وشجرةُ النورَ الزكيّة في طبقات المالكية/٢٥٧.

صُرف، واستمر بعدُ في انخفاضٍ ومخاصمات حتَّى قضى. وسمعته في حالِ انفصاله قُبيل موتِه بقليل يَذْكُر مَزيدَ فاقةٍ. عوَّضه الله الجنة ورحمه.

٢٢١٧ـ وفي شعبان، عن ثلاثٍ وثلاثين، الشمسُ أبو عبدالله محمد[٢] ابن الفقيه الإمام أبي القسم وأبي الفضل بن أبي عبدالله محمد بن إبراهيم الجذاميُّ البرنْتيشيُّ ـ نسبة لحصن من عرب الأندلس ـ المغربي، بعد تعلُّلٍ بأمراضٍ باطنية متنوعة. ممَّن تميَّزَ في فنون، ولازمني حتى قرأ «ابن الصلاح» و«ألفية العراقي» وغيرهما من تصانيفي. وحمدتُ وفور أدبه، وعقله، ومحاسنه، وسرعةِ إدراكه، وحُسْنِ قَلَمه، وعبارته، بحيث لم أكن أُقَصِّرُ به عن خطةِ القضاءِ الأكبر، وأقبلَ عليه الملكُ بالإكرامِ، ولا زالَ يتلطَّفُ به حتَّى استقرَّ به في متجره بإسكندرية، ثم صرفه، ثم أعاده، ومَسَّه من ذلك أتَمُّ مكروه، بحيثُ ماتَ كمداً وقَهْراً، وكثر أسفي على فَقْدهِ. رحمه الله وعوضه الجنة.

٢٢١٨ـ وفي جمادى الثاني بمكَّة، الفقيهُ الفاضلُ الشهابُ أحمد[٢] ابن أبي القسم بن محمد الرصافي المغربي. ممَّن ذُكِرَ مع عرفانهِ بالفقه بكثرةِ الطوافِ والقيامِ والتلاوةِ، بَلْ كان لا ينامُ من الليل إلا قليلاً، مع تقنعه بعد إنفاذه ما ورثه من أبيه. رحمه الله وإيانا.

٢٢١٩ـ ومن الحنابلة بصالِحيَّةِ دمشق، عن إحدى وستين، العزُّ أبُو الخير أحمد[٣] ابن العماد أبي بكر ابن الزين عبدالرحمن بن محمد بن أحمد

---

(١) الضوء اللامع ٨/٢٨٨. (٢) الضوء اللامع ٢/٦٣.

(٣) الضوء اللامع ١/٢٥٥، وفيه أنه مات في سنة ٨٩١.

ابن التقي سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر القرشي العمري المقدسي، أخو القاضي ناصر الدين وإخوته، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن زُرَيق بتقديم الزاي، من بيتٍ جليل. ممَّن أسمَعهُ أخُوهُ، واشتغلَ بالفقه، والعربية، وأذن له بالإفتاء والتدريس، وحدَّثَ باليسير، ويُذْكَرُ بالشجَاعَةِ والإقدام ونحوهما، ولكنه سقط عن فرس، فعجز عن المشي إلا بعكازين. رحمه الله.

٢٢٢٠ـ وفي ثاني شوال بعد تَوَعُّكٍ طويلٍ بدمشق، نائبها، قجماس[١] الإسحاقي الظاهري جقمق، ودفن بتربته هناك. وكان ساكناً خيِّراً مُتثبتاً متواضعاً، مُتَأدِّباً مع العلماءِ والصلحاء، شجاعاً، بحيثُ كانت له اليدُ البيضاء في كَسْرِ عسكرِ ابنِ عثمان. من خيارِ أبناءِ جنسه، ممَّن جوَّدَ الخط. وله مآثرُ بإسكندرية والقاهرة والشام، منها بالقرب من خوخة أيدغمش مدرسة هائلة للجُمعة والجماعة، وراسل ليُؤْذنَ له في القدوم لِيُدْفَنَ بها، فما تيسر، وخَلَّفَ شيئاً كثيراً، وسافرَ الدوادارُ الثاني قانصوه الألفي لضبطِ تركته، وعادَ في أوائل صفر من التي تَليها، ورُسِّمَ على أتباعهِ وأكثر جماعته. عفا الله عنه.

٢٢٢١ـ وفي المحرم بمكَّة، منفياً، قانصوه[٢] الأحمدي الأشرفي إينال، ويُعرف بالخسيف. ممَّن رقَّاهُ السلطانُ للحسبة وشاد الشربخاناه، ثم قدَّمَهُ كل ذلك مع ترفعه وسخفه وجرأته، بحيثُ أفضى به إلى أن ضرب الوزير، ونفاه السلطانُ لدمياط. وكثر التشكي منه، فحوَّله لمكَّة، فدامَ بها على طريقته، ودُفِنَ بقبة الأميرِ برد بك الدوادار مستراح منه.

---

(١) الضوء اللامع ٦/٢١٤ـ٢١٤.

(٢) الضوء اللامع ٦/١٩٨.

٢٢٢٢ـ وفي منتصف ربيع الأول نائبُ القلعة ملج[1] الظاهري جقمق.

٢٢٢٣ـ وفي جمادى الأولى بمكة، شاد بك[2] الظاهري الفقيه أمير الراكز بمكة والمستقر فيها بعد بيبرس الطويل وإياس الشرفي. مِمَّن ذكر بخير وفضل.

٢٢٢٤ـ وفي المحرم، عن سنٍّ عالية بعد أن عميَ، شمسُ الدين محمد[3] بن عثمان القاهري الواعظ، ويُعرف بابن حُلَّة ـ بضم المهملة ولام مُشددة ـ وخلف كتباً كثيرة. ولم يكن مرضياً. عفا الله عنه.

٢٢٢٥ـ وفي مستهل شعبان كاتِبُ سرِّ غزَّة، سعد الدين إبراهيم[4] بن عبدالوهاب اللُّدِّي الغزِّي، والد أحد الطلبة :كمال الدين محمد المتوفى قبله. وكان عاقلاً سَيُوساً، وخَلَّفَ شيئاً كثيراً، وأُرسِل أبو زوجتِهِ الناصري محمد بن جمال الدين لضبطه.

٢٢٢٦ـ وفي جمادى الأولى الشهاب أحمد[5] بن عبدالكريم ابن البشيري أحد الموقعين. ممَّن يتعانى اللطفَ والأدب والحشمة، مع مزيدِ فاقته. عفا الله عنه.

٢٢٢٧ـ وفي جمادى الثاني، عن إحدى وثلاثين فأزيد، ست الخلفاء[6]

---

(١) الضوء اللامع ١٠/١٦٩. (٢) الضوء اللامع ٣/٢٩٠.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٥٠، وجاء فيه: محمد بن عثمان الشمس القاهري الواعظ، ويُعرف بابن خلد. مات في يوم السبت ثالث المحرم سنة اثنتين وتسعين. وجاء في «الضوء اللامع» ١١/٢٤٤: (ابن حلة) بضم ثم تشديد، الواعظ، تلميذ ابن قرداح محمد.

(٤) الضوء اللامع ١/٧٤. (٥) الضوء اللامع ١/٣٥٣.

(٦) الضوء اللامع ١٢/٥٤.

ابنة أمير المؤمنين المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن المتوكل على الله محمد ابن المعتصم بالله العباسي، سبطةُ العلميِّ البُلْقِيني، أمها ألف، ودفنت عند جدَّتها لأمها. عفا الله عنها ورحم شبابها. وما تمت السنةُ حتى سافر آخر أزواجها ومَنْ ماتت في عصمته الشريف إسحاق صهر قاوان للديار المصرية في موسِمها مع الركب، وما أظن نَفْسَهُ تُحَدِّثُه بشيءٍ، وإن كان فلا، بل ما يسلم من كلفةٍ.

٢٢٢٨- وفي جمادى الأولى، عن ثمانين فأزيد، فاطمة[١] ابنةُ قانباي العُمري الناصري فرج، ويقال لها: أُم خوند، لكونِ زوجةِ الظاهر جقمق زينب ابنة جرباش ابنتها. وكانت خيِّرةً، تقرأُ القرآن، وتطالِعُ التفسيرَ والحديث، ممَّنْ تَكَرَّرَ حَجُّها ومجاوراتها، ولها مدرسةٌ لطيفةٌ للجُمعة والجماعة بالقرب من درب الكافوري، وموقف المكارية داخل باب القنطرة، وغيرها من المآثر. رحمها الله.

٢٢٢٩- وفي ربيع الأول زينب[٢] ابنة الحافظ التقي محمد بن محمد ابن أبي الخير محمد بن فهد الهاشمي المكِّي، عن زيادة على الأربعين.

٢٢٣٠- وفي ربيع الثاني سَمِيَّتُهَا[٣] ابنةُ النجم محمد بن أبي بكر الأنصاري المرجاني المكي زوج المحب ابن أبي السعادات، وأم ولده الأمين أبي اليمن، عن ستٍّ وستين.

---

(١) الضوء اللامع ١٢/٩٨.

(٢) الضوء اللامع ١٢/٤٩، وتعرف بأم الهدى، ولها أخت سمية لها تكنى أم هانىء توفيت ٨٨٥هـ.

(٣) الضوء اللامع ١٢/٤٧.

٢٢٣١- وفي ذي الحجة، بعد توعك طويل شديد، زينب[1] ابنة نور الـدين علي ابن الشهـاب أحمـد ابن الإمـام جهة قاضي الحنابلة البدري السعدي، أم أولاده وابنة عمه، وسبطة ابن الشيخ الجليل خلف الطوخي. وكانت وافرة العقل، وتألمنا لفقدها. عوَّضها الله وإيانا الجنة. وتزوج بعدها القاضي بفاطمةَ ابنةِ الشرفيِّ ابن البقري البكر، فلم يسترح معها ففارقها.

---

(١) الضوء اللامع ١٢/٤٣.

سنة ثلاث وتسعين وثماني مئة

استهلت مُتتابعة ـ غالباً ـ بالحوادثِ المُظْلمة والبواعثِ المؤلمة، المحتملة لمجلدة، والمطوَّلة في الصُحُف المخلدة.

ولَو أنّي أعُدُّ ذُنُوبَ دَهري   لضاع القطرُ فيها والرمالُ

وكنتُ ـ ولله الحمد ـ فيها بمكّة معدنِ الأمنِ والبركة، وقرئ عليَّ فيها الكُتبُ الستة و«مسند الشّافعي» و«الشمائل» و«الشفا» و«شرحي للألفية» وغيرها من مَرْوِيَّاتي ومؤلفاتي درايةً ورواية. وكان لكثير منه ختومٌ حافلة ورُسُومٌ أرجو أن تكونَ للقبول[1] شاملة.

في مُحَرَّمها ألزم كاتب المماليك فَمَنْ يَلِيه من كتابهم بمال لإنهاءِ عَشير له أنه يتوفر له جمل بطرق، ولَزِمَ مِن ذلك عرض المستحقين ومنع إعطائهم حتَّى الزَّمن والأعمى والمرأة إلا بأيديهم، بل عَين أميناً للكتابةِ معه، مع أخذه قائمةً بأسمائهم.

وجرّ العرض التعرض لآغا ياقوت الكمالي بالضرب والتغْريم، ولم يقتصر عليه، بل أخذَ من ناظر الجيش وعمه وسُرِّية لعمّهِ السعدي إبراهيم

(١) من نسخة «ك».

وجارية لها ونحوهم. ثم بعدُ أهين والده البدري أبو الفتح المنُوفي مع كونه بآخرِ رَمَقٍ من توالي الأخذِ منه، وأُودعَ البيمارستان في الحديد، ومُنع أهلهُ وخَدَمهُ وغيرهم من الاجتماع بهِ ومن لبس ثيابه والفرش تحته، لمشافهته بما اعتذرَ عنهُ فيه بالجنُون إلى أن شفع فيه بعد ثمانية أيامٍ بالإخراج منه، مع استمراره في الترسيم بمدرسة كاتب السرّ.

واستقرَّ عوضه في جدّة الأمير شاهين[1] الجمالي شيخُ الخدام بالمدينة النبـوية. وقضى الناسُ من هذا التّنافر العجب، ولكن حُمِدَ مَشْيهُ، لِدُرْبَتهِ وخِبْـرتـه ورقةِ حاشيته بالنسبة للأول. ومن أرضى الناسَ بسخطِ الله، عاد حامدُه منَ النَّاسِ له ذامّاً.

ودامَ المنـوفي في المـدرسةِ إلى رمضان سنة ٩٦، فأطلق[2]، وكثرت المرافعاتُ، سيما بالباطل.

وجِيء لأجلها بابن زيت حار ـ التاجر الآن ـ من مكة، وأُودعَ المقشرة نحو ثمانين يوماً، ثم خلص على مالٍ.

وكـذا جيءَ بأخِي سُليمـان الخليفتي وبمـا معـه من الهـدية المثـاب مرسِلهُ أمير المؤمنين بهـا على يديه من ملوك الأطـراف كدابُول والخلجي وغيرهما مما له في تحصيله عدة سنين، فاحتيط عليه، وتُصُرفَ فيه بالبيع وغيره، وتعطل عليهما التوصل إليه، لكونه كتب أن الذي لأمير المؤمنين من ذلك كذا، وسمَّى اليسيرَ، وما عداه مما ربحه أو أُنعم عليه به، أو نحو ذلك.

---

(١) الضوء اللامع ٢٩٣/٣.

(٢) من أول الفقرة إلى هنا من نسخة «ك».

وتكلَّم بعضُ الأسقاطِ في مالكيِّ مكة وصهره، فتنبه من استرضاه عن الثاني، واستنظرهُ في الأول للموسِم.

وأظهرَ أحمدُ بن أصيل ـ مع كونهِ في المقشرة ـ مسطورين على حيٍّ وميتٍ ظهر تزويرهما، ومع ذلك تكلّف بمالٍ في منعه، وصار المُسترجي لإزاحة الضرر عمَّن تحتَ نظره قائماً بجلبه إليهم، فاشتكى شيخُ المؤيدية في أُرجوزة له أو لغيره جماعتها، وأُهِينَ بعضُهم، وهو الديريني شاهد بالشارع بين يدي السلطان بالضرب، وبعضُهم بالكلام، بل وأمر أعيانهم باسترجاعِ ما أخذوهُ زائداً عن ضعفائهم، فما تمَّ.

وكان الاجتهاد لهم في الصَّرْفِ من آكد المهمات. نعم، أَنْتَجَ هذا التخاصم هدمَ المقصورةِ الخشب التي أحدثها الأميرُ يشبك الفقيه على قاعةِ الخطابة، لتكون محلاً لخوند ابنة الواقف ومَنْ معها عند مجيئهنَّ للتَّرحُّم على موتاهُنَّ، فكان هذا بخصوصه من الحسنات.

ورُسِم على بوابها بسبب رُخام سُرق منها، وأُلْزِمُوا بثمنه، فقيل: إنهم وزَنُوا بعضه.

بل ما تمت السنةُ حتى رافع صُوفيةُ البرقوقية في شيخهم قاضي الحنفية بسببِ تَقْصيرهِ في الصَّرْفِ عليهم، فكان عكس ما تقدم.

وفي سَلْخِه وَرَدَ مَنْ أخبر بحركة عن ابن عثمان، فلما كان في ثامن ربيع الثاني جمع الأمراء، وعمل لهم مدّة بالقلعة لتقرير أمرِ التجريدة، وجرَّ ذلك مزيد السعي في تحصيلِ ما يندفعُ به من الأموالِ على أيِّ وجهٍ، ومن كل جهةٍ، بحيث زُوحم العصبات، بل لم يحصل لضعفائهم إلا اليسير، فاجتمع

منها مالا يعلمه إلا الرحمن، دونَ ضبطهِ في ديوان.

ولم يلبث أنْ تَحَقَّقَ الخبـرُ بدخولِ عساكره بعضَ بلادهم. فَعُيِّنَ في ربيع الثـاني الدوادارُ الكبير وكاتبُ السر للسفر لجهةِ نابلس ونحوها لجمع العشير والمـال بسببِ التجـريدة، فلم يلبثْ أَنْ حضر تَغْري برمش دَوَادار أولهما، وأخبر بغُلُو البلاد وتفاتن الشيوخ، ففتر العزم، وفرق وثانيهما ما كان أَعَدَّهُ من الزاد إلى أن عُيِّنا ثانياً في الذي يليه. وسافرا في عاشره، وثانيهما شبه المُكْرَهِ، لكونهِ متعلِّلاً، واستنابَ ولَدَهُ البدريَّ في كتابة السر.

ووردَ عليه في ثاني يوم سفرهِ موتُ شيخِ مدرسته الشمس ابن قاسم، فتأسّف وقرر عِوَضَهُ في المشيخةِ الجمالي سبط شيخنا، وفي الإمامةِ الشمس الخليلي، وهـو الـذي سافـر إليه، ورجَعت الخطابةُ لمُتولِّيها الشهابي ابن المحوجب الدمشقي وباشرها بَعْدُ غير واحدٍ.

واستمـر الـزيني متعللاً إلى أن أنهي الأمر الذي خرجا لأجله، فرجع لضعفه، وتأخّر الدوادار لعرضِ المشاة على الباش وهو الأتابكُ، وصادفَ ورُود الأتابك غزَّةَ، فرأى شِدَّةَ ضَعْفِهِ، فأذن له في الرُّجوع، فركب المحفَّة حتَّى كان وصُولهُ القاهرة وهو مُتوعكٌ في ليلة خامس عشري رجب بعد بروز الناس للقائه من قبل بأيام.

وقدم معه ابنُ المحوجب المشار إليه، واستمر القاضي متعلّلاً وابنهُ يباشر عنه، والناسُ يحمدون مباشرتَهُ إلى يوم الخميس سادس رمضَان، فماتَ، وصَعد ولدهُ المشارُ إليه وأخوهُ إبراهيم وهو أسنُّ المخلفين عن أبيه، وهما من سُرِّيَّتين، وباقي إخوته وفيهم مَنْ هو من السِّتِّ زبيدة ابنةِ البهاءِ ابن حجي

ومعهم البدري أبو البقاء ابن الجيعان وأخوه الصلاحي إلى القلعة، فأعلموا السلطان بذلك، فأظهر أسَفاً، وأمرَ بتجهيزهِ والمجيء به ليُصلي عليه، ونزلُوا، فلما انتهوا من شأنهِ جيءَ به امتثالاً للأمرِ، ومعه القضاةُ والأمراء وأعيانُ الدولة والفضلاء، بحيث لم يتخلف أحدٌ إلى السبيل. وكان السلطانُ في انتظاره هناك نحو ثلاثين درجة، فصلى عليه، ثم دفن بتربته المجاورة لتربة السلطان.

وكانت جنازتُه حافلةً جداً، وانتابَ الناسُ والقُرَّاءُ قَبْره أُسبُوعاً، وصُلِّي عليه بكلٍ من الحرمين الشريفين صلاةَ الغائبِ. وفُرِّقَتْ لذلك ربعاتُ المسجد المكّي به في جَمْعٍ عظيم جداً.

ثم في يوم الخميس ثالث عشره استقر ابنُه البدري في كتابةِ السر، ولَبسَ التشريفَ والطَّرحةَ على العادة، وركب معهُ الدوادار الكبير وسائرُ المباشرين ووجُوه الناسِ والقضاةُ إلاَّ الحنفي إلى بيتهِ، فكان المالكي عن يمينه، والحنبلي عن يساره، والشافعي خلفهم. ثمَّ بعد انقضاء الموكب، نزل إليه جان بُلاط بالدَّواة، فخلع عليه أطْلسَيْن، وعاد إلى السُلطان وهو لابسُه، ولم يعلم تحقيق الخدمة، وكتبت له وأنا بمكة تهنئةً وتعزية.

وفي غضون ذلك عُين تجريدة هائلة اجتمعَ فيها من الأمراء المُقَدَّمين والأربعينات والعشراوات نحو الثمانين، سوى الخاصكية والأجلاب وما يتبعُ ذلك، وأنفقَ عليها ألف ألف وست مئة ألف دينار أو أزيد ،لكلِّ واحدٍ مئة دينار وألفا درهم ثمن جمل وعجل لهم جامكية أربعة أشهر، وكان بروزُ آخرهم من الرَّيدانية، وهو الأتابك، وصحبته من المقدمين تاني بك قرا خاصته في ثاني رجب، وتوسَّل في انتصارها بإرسالِ ما يُفَرَّقُ على الفقراء والأيتام

والأرامِلِ ونَحوهم، ودار به من فيه الفساد والتلبيس المنافي للرشاد، إلى غيره من الأسباب المعلولة والنياتِ المَدْخُولة، كالاجتماع للقراءة في «البخاري» من غير حضوره، بَلْ ولا في مكانه المعتاد، بل في الجامع الكبير الناصري، وطلع القضاةُ وغيرهم.

ثم كان التقاءُ العسكرين في رمضان، فكان الظّفَرُ للمصريين، وقتل من الفريقين مالا يُحصى، لكن قيل: إنَّ الأكثر من أولئك، وجُهزت رؤوس منهم، ودُقَّت البشائرُ، وخلع على المبَشِّرينَ، وأشرفُوا على استرجاعِ أذنه، بل أُخِذَتْ بعْدُ كما سيأتي.

وبعد بروزِ آخرِ العسكر بتسْعة أيامٍ أمر من لم يُسافِر من العساكر بالخروج إلى الرِّيدانية، ثم بالرجوع منها متركشين. وعين جماعة من[1] عرب اليسار يركبون خيولاً صُحبتَهُم ليظهر بُطلانُ ما أشيعَ من أن جميع العسكر سافر، بحيث لم يبقَ بالقاهرةِ أحدٌ، بل كان أُشيعَ أنَّ السلطانَ ينزلُ الريدانية ليكونوا بين يديه، فلم يقع.

وكان في هذا الأوان مُحاربةٌ بنواحِي تبريز بين السلطان يعقوب وطائفةٍ من التتار حَمِيَّةً منهم مع أخٍ له عليه، قتل فيها خَلْقٌ، بل قُتِلَ الأخ المشار إليه، وكُفِيَ أمره.

وبعد ظهورِ نائبِ دمشق للتجريدةِ، قام جماعةٌ من المشايخِ، كإبراهيم الناجي[2] والتقي ابن قاضي عجلون بحضور نائب الغيبةِ والقضاة في هدمِ المكان الذي بالحَدِّ الشمالي لباب جيرون أحدِ أبوابِ دمشق الناشىء عنه

(١) «من» من «ك».

(٢) الضوء اللامع ١/١٦٦.

مفاسد، منها مزيد التَّضييقِ به على المارَّة، وزعم كونه مسجداً وموضعاً لدفنِ بعض أهلِ البيت، بحيث توسَّل به كثيرٌ من الرافضة لكثيرٍ من الخرافات، والمُحَرِّضُ غير واحدٍ، كأبي شامة أحد شيوخ النووي على هدمهِ، جزاهم الله خيراً، وإنْ لم يَسْلَمُوا من مُعارضٍ، كالشيخ علي الدقّاق، بل وحتى من أبناء جنسهم، بحيثُ لمَّا جِيءَ بالتَّقي في العام الآتي ـ كما سيأتي ـ عُتب بسببه. وصنَّف فيه جُزءاً مع سَبْقِ حافظِ الشام ابن ناصر الدين لذلك. وقد هدم ﷺ مسجد الضرار المرصد لأعدائه الكفار، وقال الله تعالى له: ﴿لا تَقُمْ فيهِ أبداً﴾[1].

وفي صفر جِيءَ بالمؤيَّدِ ابنِ الأشرفِ إينال ميتاً مِن إسكندرية، فارتجت القاهرة لذلك، وأودع عند أبيه بتربته الشهيرة[2].

وغَرق رأس الموقعين الأسيوطي، فلم يُظفر به إلا بعد زيادة على عشرة أيام.

وفي الذي يليه كانَ توسيطُ المجدِ ابنِ البقريِّ ببركة الكلاب، وعَظُمَ لذلك تَألُّمُ كثيرينَ، بل انزعج أكثرُ المباشرين، ولم يلبثْ أخوه الشرف أن توفي. واستقرَّ في وظيفَتَيْهِ؛ نظرِ الأحباسِ والأوقافِ الشرفُ موسى ابن البدر حسن على مالٍ مُعَجَّلٍ ومُقَرَّرٍ في كل سنةٍ، وبئسَ البديل، بل قد رأيت من يرجِّح ابنَ العظمةِ عليه. وكان في منتصف ربيع الآخر انفصل عن نظر الدولة بقاسم شُغيثة[3] الذي كان وزيراً قبلُ.

---

(١) سورة التوبة: ١٠٨.

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها من وفيات السنة. (٣) الضوء اللامع ١٧٩/٦.

وفي ربيع الثـاني استقـر برسباي قَرَا أميرَ مجلس عِوَضَ أزْدَمُر قريب السُّلطان ونائب حلب، وكانت شاغرةً من وقتِ انتقالهِ للنيابة، وتغري بردي ططر رأسَ نوبـة النُّـوب عِوَضَـهُ، وتاني بك الجمالي أحد مُقَدَّمي الألوفِ حاجبَ الحجاب عوضه، ويشبك من حيدر الوالي كان أمير آخور ثاني عِوَضَ جانبك حبيب، وإينال باي الفقيه حاجب ثاني، وهو حاجبُ ميسرة، وأظنها كانت شاغـرةً من بعـد موتِ تاني بك الياسي. وأسنبـاي الأشرفي المبشر أستـادار الصُّحبـة، وكـانت شاغرة بانتقالِ مُتَوَلِّيها مغلباي الأشرفي، وكان أسنبـاي يباشر شاد الشربخاناه نيابةً على ما كان عليه، وشاد بك الأشرفي الطويل نائب القلعة عوض آغاته ملج بعد شغورها بموته بعناية أمير سلاح لسابق خدمته له في ضَعْفه.

وقدم عشرة من الجلبان الخاصكيَّة، فصاروا من أمراء العشرات، منهم قانصـوه قَرَا، بل صارَ منهـا قبـل ذلك من المقدمين الكبار قانصوه الألفي الدوادار الثاني بعد رجوعه من الشام من ضَبْطِ تركةِ نائبها.

وعينت الدوادارية لجانم الأشرفي نائب قلعة حلب مع غيبته، وتكلّم عنه فيها أخُوه قانِم الدُهيشة الأشرفي أحد خواصِ السُقاة، ثم سافر إلى البلاد الشامية بِخِلَعِ نوابها، وليرجع أُخُوه معه، فظلم وعَسَف، وحَصَّلَ شيئاً كثيراً، ولم تنفصل السنةُ حتى مات في شوالها.

كما أنه لم يلبثْ بعد انتقالِ مَنْ عَيَّناهُ من الأمراءِ أنْ ماتَ منهم برسباي وتغري بردي وإينال باي في آخرين من غيرهم، وقدم أيضاً قانصوه الشامي، وصار كرتباي قريب السلطان تاجر السُّلطان ومعلم الأسواق عوضه.

وفي ربيع الثاني استقر باسم بركات الصالحي، ما كان بيد ابن السرّاج العبادي من الجامكيَّةِ بديوانِ السلطان من اللحم والعليق والكسوة والأضحية

وكاملية في العيد بسمُور ومرتب في الخاص بمربعة.

وفيه وُجِدَ بمكة بالبئرِ المجاور للحمام الشهير بحمام البني امرأةٌ مقتولةٌ، اتُّهِمَ بها ابنُ الناسخ محمد الجيزي، وكانَ مالا خيرَ في شرحه.

ثم في الذي يليه سقطَ اثنان من حافةِ بئر زمزم فيها، فبادروا للطلوعِ بهما، فكان أحدهما ميتاً.

وفي رمضانَ أقيم عزاءُ الخطيبِ الفخر أبي بكر ابن النُّوَيْري، حَيْثُ مَات بعدنَ، وفُرِّقَتْ ربعاتُ المسجد لَه أياماً صُلِّيَ عليه يوم ختمها، ويُقال: إنَّ دائرتهُ هناك خاصّته نحو عشرة آلاف دينار سوى مخلفه بمكة. ولقد أجادَ الشافعيُّ في عدم موافقته على التحدُّثِ في تركته.

وفي ليلة عيد الفطر توفي سلطانُ المغرب حفيد أبي فارس، واستقرَّ بعده حفيده يحيى ابن أبي عبدالله محمد المسعودي، وهو مذكورٌ بسفكِ الدِّماء والتجاهرِ بالمُحَرَّماتِ، مع شدَّةٍ بأسٍ ومهابةٍ وجرأة، ولكن قدمه جَدهُ عملاً بوصيَّةٍ ولده به، وأعانه بِحُسْنِ تَصَرُّفِه في مرضه المقتضي لإقبالِ الرعية عليه. وتحرّك عمّه أبو بكر صاحب طرابلس، فما أسعد، وأشار عليه المزوار ـ وهو الدوادار محمد البَنُوني بما اقتضى للرعيةِ الوثوب عليه في بيته وقَتلهِ صَبْراً، ثمَّ أمسكوا أبا بكر وَوَلده عبدالملك، وقَيَّدُوهما وراسلوا السلطان بذلك، فأرسل إليهما مَنْ قتلهما، بل كَحَلَ أخاه الحسن حين سمع منه ما غيَّر خاطره، وكذا كحلَ أيضاً أبا بكر ابن أخيه المنتصر مُتولي قسنطينة. كلُّ ذلك تمهيداً لسلطانه.

ولم يجعل بأطرابلس بعد قتلهِ لعمه أحداً من أبناء الملوك، بل قرر فيها

بعض القوَّاد على العادة الأولى.

ثمَّ استقر بأبي حفصٍ عمر بن أبي عبدالله محمد بن عمر القلجاني المقارب سنُّه أربعينَ سنةً، وكان مع والده بالقاهرة في قضاء العسكر، ثم في قضاء الجَماعة حين صَرْفِه لأبي عبدالله محمد بن أبي القاسم القسنطيني، ثم بابن عمّه عبداللطيف بن الحَسَن في قضاء المحلَّة بعد الإمام أبي عبدالله التريكي مع صغر أسنانِهم، واستكثر من الشهود، بحيث اسْتجدَّ نحو سبعين، أكثرهم من الصغار. وما كان بأسرع من إتلاف[1] يحيى، واستقرَّ عِوَضَهُ قاتلُه ابن عمّه عبدالمؤمن بن إبراهيم بن مولاي عثمان.

وفي جمادى الأولى رُسِمَ بنفي دُولات باي شاد الشُّون ورأس نوبة ثاني للقدس حين شفاعتهِ في بعضِ الأتراك، وعَدَمِ قبُولِه وتَكَلُّمِه بمالا يليقُ، ثم شفع فيه، وسافر مع العسكر، فكانت مَنِيَّتُه.

وكان في رجب كسُوف، وفي شعبان وفاء النيل. وباشر تحليق المقياس الدوادار الكبير، وانتهت زيادته إلى ثلاثة[2] أصابع من الذراع التاسع عشر[3]، وكانت القاعدةُ ثمانية أذرع وعشرين أصبعاً.

ومُهمّ حافلٌ لعرسِ ابنتي المقر البدري أبي البقاء ابن الجيعان في وقتين مختلفين على التاج ابن عمّه الزيني عبدالغني، وأحمد[4] ابن أخيه العالمي الصلاحي، جمع الله بينهم في خير، وبارك في حياة أُصُولهم.

---

(١) من هنا إلى نهاية الفقرة من «ك».
(٢) من «ك».
(٣) من هنا إلى نهاية الفقرة من «ك».
(٤) من «ك».

ولم يلبثْ أن انتقلت أمُّ ولد لأبي الزوج الثاني، ثمَّ في السنة الآتية ولد جليل للأول عُوِّضا خيراً.

وكان أول رمَضَان في مكَّة بالعدد الأحد لعدم تَحدُّثِ مَنْ يُوثَقُ برؤيتـه. نعم كان أوَّلُه بمصر واليمن وفي العساكر[1] السبت، ولكلٍّ حكمه.

وكان مِمَّنْ جلس تحت الكرسي يوم العيدِ بالقلعةِ من بني الملوك ابن المنصور، والمؤيد، والظاهر خشقدم، ومحمد بن حسن باك، ومحمد جام جمجمة ابن عثمان. وأُلْبِسَ كل منهم أطلسان. ونحوهم داود بن عيسى بن عمـر شيخ عَرَبِ الوجهِ القبلي، وكان في ذلك ما يتحاكى الناسُ الفخرَ به، وسـافـر الأخير مع ركب الأول الـذي أميره كرتبـاي الأشـرفي شاد الطرانة والكاشف،كان، وشُكِرَ سَيْرُه بالنسبة لسيرِ أميرِ المحمل جان بلاط الأشرفي، عكسَ ما اتفق في الآتية، سيمـا وفعـلَ ابنُ عمر في الركب في هذه، بَلْ وبالحرمين معرُوفاً كثيراً لم يُعْهَدْ في هذه السنين بالنسبة للمصريين مثله.

وكـذا قدم من الشـرق ركبُ بني جبـر، وهـم ألـوفٌ غير محصورين، وشيخهم أجود بن زامل[2]، وتَصَدَّقَ علَى أناسٍ مخصوصين، وسمعتُ من يُثْني عليه منهم. وصُحْبـة قافلتـه السيد نور الدين علي ابن الأستاذ صفي الدين الإيجي[3]، وهو متعللٌ بالمفاصلِ، بحيثُ لم يتمكن مما كان عَزَمَ عليه من العَوْدِ بعد يسير، بل استمر بمكة طول السنة.

وقـدم الـركبُ العراقي بمحمله، وهـم خَلْقٌ كثيرون، مع زعم أنه لولا

---

(١) من «ك».

(٢) الضوء اللامع ١/ ١٩٠.

(٣) الضوء اللامع ٥/ ٣١١.

المَقْتَلة التي أشرتُ إليها، كانوا أكثر، وكان مَعهُم في طول الدرب مياه كثيرة مُسبَّلة مع دقيقٍ وسمنٍ وغيرهما للبيع والإيثار مما حصل في كليْهما به الرِّفْقُ للمدنيين وغيرهم، بل كان معهم من السُّلطان يعقوب ما فُرِّقَ على بعضِ أهل الحرمين وغيرهم.

وكانت الوقفةُ الجمعة بلا خلاف، وكانت بالمدينةِ النبوية حين اجتماعِ غالبِ الحجيج بها هَجَّةٌ بسببِ شريفٍ أمسكه أميرُ المحمل حين وَثَبَ لأجله بعضُ الأشراف على بعضِ أعيان الجند، بل ضُرِبَ الأميرُ حتى سقطت تخفيفته، ورمي بفوقانية، ولولا تلطُّف شيخِ الخُدَّام، لكان الأمر أشد. ومعَ ذلك، فكلف الأميرُ أميرَ المدينة لألف وخمس مئة دينار، مع أنه لا عملَ له في ذلك، وأخذوا معهم طفلاً لبعضِ الأشرافِ لتوهُّمِ افتدائهِ أيضاً بشيءٍ إلى أنْ رجعوا به.

وفي شوال كَمُلَ جُلُّ المدرسةِ التي بُنِيَتْ لكاتبِ السِّرِّ بالمدينة النبوية، مع رِباطين: أحدهما للرجال، والآخر للنساء، ومدفن بقبة لطيفة ملاصق للبُرج الذي عند باب الرحمة تَرجيًّا لدفنه فيه.

وخدع مُباشر العمارة صاحبنا الشمسَ ابن الجلال حتى أخذ منه مِن البكجهرية مالا يجوزُ لكلٍّ منهما التَصرُّفُ فيه بمعاونة بعض فقهائنا، ومساعدته على المقاولة للصناع، مع إنكاره لها قبل.

وكان الظنُّ الشروعُ له في المدرسة المنصورية التي ببابِ العمزة من مكة لتكونَ مدرسةً له ويهجر اسمها، فإنها أخذت له في السنة الماضية بدون غبطة ولا مُسَوّغ عنده، فما كان بأسرع من مجيء الخبر بوفاته. وبعده كُتب

بمنـع إعـطاء المستحقين بهـا من أوقافها وغير ذلك عليهم، وربما ينقطعُ الواصل من اليمن لها إذا علموا بذلك.

وفي شوال ـ أيضاً ـ التزم الشريفُ علي[1] بن عبدالحق شيخ بلقيس بعد إلباسه خلعةً من خراجِ مُنى جعفر بلد خانقاه سرياقوس بحمل ثلاثة آلافِ دينارٍ للسلطان من بعد تغليقِ جوامك المستحقين وشعائر المكان بعد إهانةِ الشمسيِّ الجوجري، وكلفته التي تحمَّلَ بسببها دُيوناً، وأبي الفضل الزفتاوي المرافع فيه مرةً بعد أخرى، وشقَّ ذلك على جمهور الناس في أولهما، وإنْ كانَ الغالب عليه التَّجبُّر، وكان في ثانيهما قَصَاصاً.

ونـزل ابنـا إمامِ الكاملية عن وظيفتي مشيخةِ الحديثِ بها المغصوبةِ بمُحاربة جوهر المعيني للمحيوي عبدالقادر ابن النقيب بستين ديناراً أو نحوها كما تقدم. ولم يلبثْ أن تزايد الحربُ بين الأخوين، بحيث ضَرَبَ أسنُّهما الآخر، وكان بينهما مالا خيرَ فيه، وترافعا للشافعي.

ثمَّ لما قدمت في أول سنة خمسٍ جاء كلٌّ منهما للسلام عليَّ، وعتبتُ أكبَرهُمَا على فِعْلِه بأخيه فاعتذرَ. نسألُ الله التوفيق.

وأُطلق الشريفُ إبراهيم القبيباتي من المقشرة بعد أشهرٍ في ذي الحجة بشفاعةِ ابن عاشر المغربي، وهذه هي المرةُ الثانية له.

وكذا بلغني إطلاقُ التادفي القاضِي الحنبلي ـ كانَ بحلب ـ منها، كما أُطلقَ الشريفُ الأكفاني قاتِل زوجته منها في السنة الآتية. وكذا ابن أخي

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٣٤.

عبدالناصر. وليس في الأخبار ما يسرُّ، فلنقتصر، ونسأل الله حسن العاقبة.

٢٢٣٢ـ وممَّن مات فيها من الشافعية القاضي الرئيس الزيني أبو بكر محمد[1] ابن البدري محمد ابن البدري محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالخالق بن عثمان الأنصاري، الدمشقيُّ الأصل، القاهري، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن مزهر، في سادس رمَضَان ـ كما تَقدَّم ـ عن اثنتين وستين سنةً. وكان قد حفِظَ كتباً، واشتغلَ، وتميَّزَ، وزاحم بوفُور ذكائه واستحضاره لمحافيظه الكبار، وترقّى حتى باشرَ نَظَر سعيد السعداء والجوالي والإسطبل وغيرها، ثم الجيش، ثم في سنة ست وستين كتابةَ السِّرِّ، فرَسَخَ قَدَمُه فيها، وساسَ الأُمور. وتكلّم في قضاءِ الشافعية والحنفية، ولو وافق على استمراره في قضاء الشافعية لكان.

وخَطَبَ بتربة الظاهر خشقدم أوَّلَ ما فُتِحتْ، بَلْ وبجامعِ القلعة، وصَار عزيزَ مصر، بل إليه المرجعُ في القضايا، وخُوطِبَ بشيخِ الإسلامِ، ومدحه الأعيانُ، كالعز قاضي الحنابلة. وقرأ الأماثلُ ـ كالمحيوي الطوخي ـ بين يديه، وصار مجلسه مورداً للوافدين وغيرهم، وحجَّ غير مرّة، وجاور سِيَّما حينَ برزَ بالركبِ الرجبي في سنةِ إحدى وسبعين وثماني مئة بعد قَطْعِه مُدَّةً، وبدأ بالزيارة النبوية، ثم جاء مكة، وكذا زار القدس والخليل، ودخل عدّة من الثغُور وغيرها. وله مآثر وقُرَبٌ، كالمدرسةِ التي عند بيته، وبها خطبةٌ، وصوفية، وبالمدينة النبوية، مع تعبُّدٍ وتهجُّدٍ، وأورادٍ واعتقاد، وتواضع وتوابع، وقطع ووصل، ومتابعات ومُدافعات، ومالا يحتملُ هنا، سِيَّما ومن أجل تظاهرِه لي بالمحبَّةِ، وتجاهره بالتفرُّدِ، ومزيد الرغبة، طَوَّلْتُها في مكانٍ

---

(١) الضوء اللامع ١١/٨٨، وبدائع الزهور ٣/٢٥٥.

آخر. رحمه الله وإيانا.

٢٢٣٣ـ وقبله في جمادى الأولى، عن خمسٍ وسبعين تقريباً، شيخُ مدرسته وإمامها الشمسيُّ محمد[1] بن قاسم بن علي المقسمي. ممَّن أكثر لاشتغال والتحصيل جداً، وأخذَ عن الأكابر فَمَنْ دُونَهم، ودخلَ الشامَ للتجارةِ التي كان يُعانيها في قيسارية طيلان جُلَّ عُمره، وكذا دخل غيرها، بل حجَّ وجاور، وتَفَنَّنَ، ودرَّسَ، وصنَّفَ، وقَيَّدَ وأفتى، وكثر الأَخْذُ عنه، مع طَيْشٍ وعدمِ دُرْبةٍ ومداراةٍ تأخر بها عَمَّنْ دُونَهُ بكثيرٍ، بل كتابته ومباحثتُه غير متينةٍ، وله أبيات في حَلِّ «الحاوي»، ولَع ابن شرفٍ به فيها. وأوصى بثلثه لمن أخذَ عنه، وعين منهم جماعة، وعمل عند قبره صوفية شيخهم ابن المغربل، أحدُ الفضلاء الصلحاء. رحمه الله وإيانا.

٢٢٣٤ـ وفي جمادى الأولى، عن سبع وسبعين، مُمَتَّعاً بسمعه وبصره، الشيخُ يحيى[2] بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري اليماني، الحَرَضي بها، محدثها، بل شيخ تلك الناحية وصالح اليمن. ممَّن أقرأ الفقه والحديثَ، وبه اشتهر، وجمعَ فيه أشياء «كبهجة المحافل وبُغية الأماثِل في تلخيصِ السير والمعجزات والشمائل» و«غربال الزمان في التاريخ» رحمه الله تعالى.

٢٢٣٥ـ وفي ربيع الثاني[3]، عن بضعٍ وسبعين ببلده، البرهانُ إبراهيم بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاريُّ السعديُّ

(١) الضوء اللامع ٨/٢٨٢ـ٢٨٣. (٢) الضوء اللامع ١٠/٢٢٤.

(٣) في نسخة «ب» وفي جمادى الثاني ظناً، وأثبتنا ما في النسخة «ك»، لأنه موافق لترجمته في الضوء اللامع ١/٥٦.

الخليلي، شيخُ الختنية[1] ببيت المقــدس، ويُعــرفُ بالأنصـاري وبـابن قَوْقَب ممَّن تقـدم في الفضـائِـل، وأخذَ عن الأجلَّاء كابن رسْلان، وعادت بَركتُه عليه، وشيخنـا، وسمـع الحـديث على ابن الجـزري والتـدمري والقبابي وغيرهـم. ودرس، وأفتى، ووعظ، ونظمَ ونثر، وحجَّ وجَاوَرَ، وَأكثر من التلاوة والقيام والصيام، مع السُكون والوقار والخصال الحميدة.

وهو رأسُ المُمْتَحنينَ ـ بسببِ ما أحدثَهُ اليهودُ ببيت المقدس وزَعَمُوه كنيســةً ـ بالضـربِ والحـديد والحبس وغيره، ممـا أرجو مضاعفة الأجْرِ له بسببه. وتكلَّم في المجلس المعقود لذلك بأمتنِ كلامٍ، وأمكنِ انتظامٍ، ومع ذلك فَمُنِعَ من التَوجُّهِ لبيتِ المقدس، فأقامَ بالقاهرة في الكاملية وغيرها مدَّة، وتجرَّعَ فاقةً، ثم سُمِحَ له بالتوجُّهِ لبلده. وكنتُ أحبه في الله.

ومن نظمه لما وليَ الختنيـة، وكانت وظيفة شيخهِ ابن رسلان مذيلاً قوله:

حَبَـانـي إلـهـي بالـتصــاقي لقبلةٍ ... بمسجـده الأقصى المُبَـاركِ حَوْلَـهُ
فحـمـــداً وشـكــراً يا إلهي وإنني ... أودُّ لإخــوانــي الـمـحـبين مِثْـلَهُ

فقال:

كذاك إلهي قد حَبَـاني بمثـلِ ما ... حبَى الشيخَ أُستاذي لقد نالَ سُولَهُ
فحـمــداً وشـكــراً يا إلهي وإنــه ... دلـيلٌ على أنِّـي مُحِـبٌ أخٌ لهُ

رحمه الله، ونفعنا به.

٢٢٣٦ـ وفي صفـر، عن بضع وسبعين، أيضاً بمكة، نزيلها الجمالُ

(١) يعني: المدرسة الختنية، وتصحفت في الضوء اللامع إلى «الحنينية».

عبدالله[1] بن عبدالواحد بن محمد بن زيد الشيرازي الأصل البصريُّ، ويُعرف بابن زكي الدين[2]، بعد إقعادِه سنين، وهو صابرٌ محتسبٌ. وهو ممَّن تَقدَّمَ في الفرائضِ، والحسابِ، والنحو، والعروض، مع مشاركةٍ حسنة في الفقه والفضائل، وقد هاجرَ من بلده بعد امتحانهِ مع الخارجي الشعشاع، فقطن مكَّة من سنةِ أربعٍ وستين، واختص بالبرهاني ابن ظهيرة، وبحث عليه «المنهاج» وكتابه «الحاوي» مرتين، بَلْ قرأ عليه «البخاري» سنين، وتزايدَتْ وجاهتُه بذلك، وقرر في جهاتٍ. كلُّ ذلك مع الدِّيانةِ، والأمانةِ، والتلاوةِ، والسُّكون، حتى بلغني قولُ البُرهاني: ما نقمتُ عليه في طولِ صُحْبَتِه لي شيئاً في دينه. وقد درس، بَلْ عمل: «فتح الرحمن في مسألة دور الضمان» في كراريس، وربما كتبَ على الفتوى. وله نظم كثير، منه مرثيةٌ في الفخري أبي بكر بن ظهيرة، أولها:

يا عينُ جُودي بدمعٍ منك منسجمٍ لفقدِ عين الكرامِ العَالِمِ العَلَمِ

٢٢٣٧- وفي جمادى الأولى، عن سبع وأربعين، بعَدن، غريباً، الفخرُ أبو بكر[3] ابنُ الكمال أبي الفضل محمد ابن الكمالِ أبي الفضل محمد ابن المحبّ أبي البركات أحمد ابن الكمال أبي الفضل محمد ابن الشهاب أحمد العُقيلي النويري الأصل، المكيُّ، خطيب مكّة وابنُ خطيبها، في حياةِ أمهِ، وخلَّف أولاداً بمكة وغيرها، وكان قد اشتغل ببلده والقاهرة واليمن، ولازمني في قراءة أشياء، وخطب شركة لابن عمّه، وتميّز قليلاً، وتعانى الإقراء أحياناً، مع احتشامٍ وحُسْنِ نشأةٍ، ورأى حَظّاً في غُربته. عوضه الله الجنة.

---

(١) الضوء اللامع ٥/٣٠.

(٢) من «ك».

(٣) الضوء اللامع ١١/٨٧.

٢٢٣٨- وفي صفر، عن اثنتين وستين وثمانية أشهر، البدرُ محمد[١] ابن الصدر محمد ابن البهاء أبي الفتح أحمد بن عبدالنُور الأنصاري المهلبي، الفيومي الأصل، القاهري، ويُعرف بابن خطيب الفخرية. ممَّن أدمن الاشتغال عند فُحولِ الرجال بعد إعراضه عن توقيع الدرج، وخَطَبَ كأبيه بالفخرية وغيرها، وتنزَّل في الجهات، وحجَّ، وتقدم في الفنون العقلية وغيرها، وعُرِفَ بمتانة التحقيق، وجَودةِ الفكر، والتَّأمُّل، والكتابة، مع التَّأني، ومزيدِ الديانة، والتواضعِ، والانجماعِ، وضَعْفِ البنية، وقد أخذ عنه الأماثِلُ، بل أفتى قليلاً، وأوصى بالدفنِ عند صاحبه الزين عبدالرحيم الأبناسِي بزاوية الشيخ شهاب. ونعم الرجلُ كان، رحمه الله ونفعنا به.

٢٢٣٩- وفي صفر، غريقاً كما تقدم، عن أربع وستين، المُحِبُّ أبو الطيب محمد[٢] ابن الشمس محمد بن محمد بن علي ابن الركن عمر بن حسن السيوطي، نزيل القاهرة، ورأس الموقعين بها، بَلْ شاهد السلطان[٣]، ويُعرف قديماً بابن الركن، ثم بالأسيوطي. وكان قد اشتغل بالفقه وأُصولِه، والعربية، والقراءات، وغيرها، وتدرَّب بغيرِ واحدٍ من أعيانِ الموقعين، بحيث زادتْ براعتُه، وأشيرَ إليه بالفضيلة، وحُسْنِ الفهم، والتُّؤدة، والتثبت، وجَوْدَةِ الخط، والعبارة، فارتقى حتى صار هو القائم بأشغال الملك فَمَنْ دونه، وتزايدَ الركونُ إليه والاعتمادُ عليه، مع مزيدِ الحِشْمة، والرئاسةِ، والتواضع، وحُسن الشكالة، وعليِّ الهمَّة، والقيامِ مع أحبابه، بحيث يصل به إلى التَّعصُّب، بل أدَّاهُ لَمَا كان سبباً لمقتِ الملكِ له لعدمِ موافقَتِهِ لهواه، وتألَّمَ له أحبابُه. رحمه الله وإيانا.

---

(١) الضوء اللامع ٩/٢٤.

(٢) الضوء اللامع ١١/١١٨.

(٣) الزيادة من نسخة «ك».

٢٢٤٠- وفي جمادى الأولى، بجمرةٍ طَلَعَتْ في قفاه تَمَرَّضَ بها نحو نصفِ شهر، عن أربع وستين أيضاً، رفيقه المحبُّ أبو بكر محمد[١] ابن الشهاب أحمد بن يوسف بن محمد بن معالي القرشي، الزُّعَيفريني الأصل، ثم القاهري. وكانَ قد اشتغل قليلاً، وسمع بمكَّة في سنة ثلاث وأربعين على التقيِّ ابن فهدٍ وغيره، وتَكَسَّبَ بالشهادةِ، وصار وجيهاً بإرفاقِ الذي قَبْلَهُ له في أشغاله الكبار وغيرها. رحمه الله.

٢٢٤١- وفي ربيع الثاني، عن دون خمسٍ وستين، الجلالُ محمد[٢] ابن السِّراج عمر بن حسين بن حسن، العبادي الأصل، القاهري. وكان قد لازم والده في الفقه، وقراءةِ الحديثِ، بَلْ سمع على شيخنا وغيره، وأجازَ له البُرهانُ الحلبي والجمالُ الكازروني والبدرُ حُسين البوصيري، وتنَزَّلَ في الجهات، وباشر توقيعَ الدّست والخدامة بسعيد السعداء، وغير ذلك، بل دَرَّسَ بعد أبيه في البرقوقية. وحجَّ ودخل إسكندرية ودمياط وغيرهما، ونظم أشياء أوردت في «الكبير» بعضها، مع تودُّدِه وتأدُّبه. رحمه الله وعفا عنه.

واستقرَّ أخوه لأبيه كمال الدين بعده في خدامة سعيد السعداء والجوالي وبركات الصالحي فيما عداهما كما سلف.

٢٢٤٢- وفي شوال، عن نحو ثمان وسبعين، ببلاد وَصَاب[٣] من جبالِ اليمن، قاضيها الفقيهُ الكبيرُ المفتي المصنفُ الجمالُ محمد[٤] بن عمر الفارقي اليماني الزَّبيديُّ مولداً وتفقهاً، ويُعرف بالنهاري. خاتمة أصحاب

---

(١) الضوء اللامع ٧/١٢١-١٢٢. (٢) الضوء اللامع ٨/٢٤٤.

(٣) اسم جبل يحاذي زبيد باليمن، معجم البلدان ٥/٣٧٨.

(٤) الضوء اللامع ٨/٢٦٩-٢٧٠.

ابن المقرىء. رحمه الله.

٢٢٤٣- وفي رابع ذي الحجة، عن تسع وأربعين، شقيقي العلامةُ المفننُ زين الدين أبو بكر[1] بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكرٍ بن عثمان، السخاوي الأصل، القاهري. بعد تعلُّل نحو سنة قاسى فيها شدائدَ، مُصاحبةٌ بابتلائه بسُوءِ عِشرةِ أُمِّ أولادِه، بل كانت أعظم الأسباب قابلها الله تعالى. وكان له مشهدٌ حافل، وأمطرتِ السماءُ حين المرور بجنازته إلى انتهاء دفنه، بل استمر المطر أسبوعاً. وهو ممَّن تقدَّم في فنون، وتخرَّج به فضلاءُ في العربية، والفقه وأصوله، بل أقرأ غَيرها مِن العُلوم، وناب عني في تدريس الصَّرَغَتْمُشية، ودرَّسَ أصالة لذلك بتربة السِّتِّ، وأعادَ بالبيبرسية، وصنَّف شرحاً «للجرومية» و«قواعد الإعراب» و«لأمهات الأولاد»، وقرَّضَهُ الأكابر، وخطبَ بالباسِطية، وتصدَّر بالجيعانية، وامتنع من الدُّخولِ في القضاء. كل ذلك مع متينِ الديانة، وصِدْقِ اللهجة، وبديعِ التصور، وصِحَّةِ الفَهْمِ، والإتقان في عمله وكتابته، والتحرُّزِ في نَقْلِهِ، والتجلُّدِ للقيام على العيال بمعاناةِ التكسُّب. كتب بخطِّه الكثير، وحجَّ مع الصفاء والضياء. وكان لي به جمالٌ وأنسٌ، فإنه أَخَذَ عني هذا الشأن درايةً ورواية، واستملى عليَّ، وبيَّضَ جملةً من تصانيفي، ولم يكن عنده مَنْ يُوازيني. وأما أنا، فقلَّ أن أعلم في مجموعِهِ مثله، ولذا كله زاد تأسُّفي على فقده. وصُلِّي عليه بمكة صلاة الغائب، وفرقت لهُ الربعةُ أياماً، بل قرأ غيرُ واحدٍ من جماعتنا له ختمات. وعند الله أحتسبُ مصيبتي فيه، وأسأله خيرَ العِوَض. عوَّضه الله الجنة.

---

(١) الضوء اللامع ١١/٤٤-٤٦.

٢٢٤٤ـ وفي ربيع الثاني، عن نحو ستٍ وأربعين بمكّة غريباً، **الشهابُ أحمد**[1] ابن الشمس محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن رجب **الطوخي**، ثم القاهري، ويُعرف في بلده بابن رجب. ودفن بالقرب من المكان المنسوب لسيدتنا خديجة من المعلاة في مشهد حافل جدّاً. وكان قد تَميَّزَ في الفقه، والأصلين، والفرائض، والحساب، والعربية، والصرف، والمعاني، والمنطق، والقراءات، والتصوف، وغيرها، وبراعته فيها متفاوتة، بَلْ لازمني في الحديثِ روايةً ودراية، وأكثَرَ عني، بحيثُ نظم «النخبة» فأجادَ، ومدحني بقصائدَ. وكذا نظم «جمع الجوامع» وغيره، وأُشيرَ إليه بالفضيلةِ التامة، وأقرأ الطلبة، وأمَّ بالباسطية، مع تكسُّبِهِ بالشهادةِ، وامتنع من الدخول في القضاء. وحجَّ غير مرّة. وأقرأ في سنةِ موته بمكة، العربيةَ، والفقه، وحضر عند قاضيها وامتدحه. وكان جَمَّ المحاسن. رحمه الله وعوَّضه الجنة.

٢٢٤٥ـ وفي صفر بها، عن نحو السبعين، نور الدين علي[2] بن أحمد بن محمد الطنتدائي ثم القاهري، أحدُ صوفيةِ سعيد السعداء وغيرها، بل شيخُ رباط ابن الزمن بمكة حين مُجَاوَرَتِهِ بها. وكان صالحاً خيِّراً ساذجاً متميزاً في الفرائض والحساب. ممَّن أقرأهما بالحرمين والقاهرة. رحمه الله وإيانا.

٢٢٤٦ـ وفي المحرم بها، عن سبع وخمسين فأزيد، الكمال أبو الفضل محمد[3] بن أحمد ابن أبي الفضل محمد بن أحمد ابن ظهيرة القرشي

---

(١) الضوء اللامع ٢/١٢١ـ١٢٢.

(٢) الضوء اللامع ٥/١٧٣.

(٣) الضوء اللامع ٧/٤٤.

المكي، سبط الجمال محمد بن عبدالوهاب اليافعي. وكان قد اشتغلَ ببلده وبالقاهرة وغيرها، وكتبَ الكثيرَ بخطه، وتميَّز في الفرائض، مع مَزيدِ خيره وانجماعه. وبلغني عنه أنه كان يقول: لو لقيَ السخاويَّ زمناً ورجالاً لم يكن يتحرَّك إلَّا ووراءه جنائب، وإلا فهو مع من لا يعرف، وبوقتٍ فيه لا ينصف. وكأنه يشير إلى استواءِ الماء والخشبة. رحمه الله وإيانا.

٢٢٤٧- وفي مُنتصف ربيع الآخر فجاءة بها، عن دون ثلاث وخمسين، أبو السُّعود محمد(١) ابن الكمال أبي الفضل محمد ابن النجم محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الأنصاري، الذُّروي الأصل المكي، ويُعرف - كسلفه - بابن المرجاني. وكان ممن أخذ في الفقه وغيره عن الزين خطاب وإمام الكاملية حين مجاورتهما، وفي العربية عن عمّه البدر حسن. وسمع الحديث قديماً وحديثاً، وأجاز له جماعة، بل سمع مني وعليَّ بمكَّة بعد الثمانين، ولزم الانجماعَ وقلَّةَ الكلام، مع المواظبةِ على الجماعةِ والتلاوةِ والخير. رحمه الله وإيانا.

٢٢٤٨- وفي ربيع الأول، عن دون تِسْعةٍ وعشرين، بعد تَعلُّل نحو شهرين، أبو السعادات، ويسمَّى محمّد ابن الشيخ نور الدين علي بن محمد الفاكهي المكي، أكبر إخوته، وابن أخت السراجي مُعَمَّر. وكان ممّن لزم الفقه وأُصُولَهُ والعربيةَ وغيرها، وأكثر من الحضور عند البرهانيِّ، وأثنى على عَقْلِه، بل قرأ على ولده الجمالي في التقسيم وغيره، ولازمَ خالَهُ في العربية، وسمع مني بمكَّةَ، وفَضُلَ وتميَّزَ، مع عقلٍ، ودينٍ، وقيامٍ على إخوته وأقاربه. عوَّضه الله الجنة.

---

(١) الضوء اللامع ٩/٢٧٦. (٢) الضوء اللامع ٩/٢١.

٢٢٤٩- وبدمشق، فيها، أو في التي قبلها، عن نحو ثلاثٍ وخمسين، المحيويُّ عبدالقادر[1] بن أبي الفتح محمد ابن العلَّامة الشمس محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، الحجازي الأصل، القاهري، المُكَتِّب أبوهُ، والمختصر «الروضة» جدُّهُ، وكان مِمَّنْ تَعَانى الأدَبَ، وكتبَ الخط الحَسَنَ، ونـظَمَ ونثـرَ، وطـارح ومـازح، وعمـل مجموعاً سمّاه: «المنتهى في الأدب المُشْتهى»، وبـاشـر التـوقيع، مع حُسْنِ العِشْـرة واللُّطفِ، ومُشَـاركـةٍ في الفضائل، وبلغني أنَّه أمَّ بالمؤيدية كأبيه، وحجَّ، وقطنَ الشام دَهْراً، فكانت هناك منيته.

ومن نَظْمه:

حَبَـى عليَّ مَليءُ الـحُسن قلت له　　إنِّي فقير أُرجِّي الـوصـلَ يا أملي
تالله ما نالـنـي حجـرٌ ولا ألـمٌ　　إلا استغـاثَ رجـائي فيك يا لعلي

٢٢٥٠- وعن نحو الستين، التاجُ عبدالوهاب[2] بن أبي بكر بن أحمد بن محمد الحسيني، الصلتي، ثم الدمشقي، ويُعرف في بَلدهِ بابن الواعظ. وكان ممَّن سمع شيخنا، ثم مجلس خَتْمِ «البخاري» بالظاهرية القديمة، ووليَ قضـاء الصلت ونحـوهـا، واختص بالبقـاعي، ثم تنافرا حين اجتمعا بالشامِ لحضِّه له على عَدَمِ معارضته التقي ابن قاضي عجلون، بحيثُ رجع سراً عما كانَ أوصى له به، ومع ذلك فقامَ بعد موته حتى أخذ نصف القدر من الوارث. والجزاءُ من جنس العمل.

٢٢٥١- وفي جمادى الثاني بمكة غريباً، بعد ضَعْفٍ شديد، وقد جاز

---

(١) الضوء اللامع ٤/٢٩٤.　(٢) الضوء اللامع ٥/٩٩.

الستين، البهاءُ أحمد[1] ابن الجلال عبدالرحمن بن أحمد بن سليمان الأنصاري، الأسنائيُّ الأصل، القاهري، أمينُ الحكم كان، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن الحكم. وكان وصُولُه لها من البحر في شعبان التي قبلها فراراً مما اتفقَ لجماعةِ الشافعي، مع كونه كان مصروفاً عن وظيفتهِ، مستمراً على النيابةِ والنوبة، وكانت منيته بها. وكانت فيه حِشمةٌ في الجملة، مع تَساهُلٍ. سامحه الله وإيانا.

٢٢٥٢ـ وفي ربيع الأول، بها، غريباً أيضاً، عن نحو خمسٍ وستين، النُّور علي[2]، ابن الشمس محمد ابن العلامة نور الدين علي بن أحمد بن أبي بكر الأدمي القاهري. وكان قد حفظ كتباً جليلة، واشتغلَ بالفقه وأُصُوله، والعربية وغيرها. ومن شيوخه: أبو القاسم النويريُّ المالكي، بل سمع شيخنا، وتكسَّبَ بالشهادة، بل نابَ ببعضِ القرى، ثم تعانى المراكب في البحر المالح، وتكرر غَرَقُهَا حتى أتلفتْ ما بيده، بل وأموالاً كثيرةً لغيرهِ، وهو لا ينفكُّ عنها، إلى أنْ قعد فانقطعَ بالمدينةِ، ثم بمكة، على هيئة إملاقٍ. عفا الله عنه وإيانا.

٢٢٥٣ـ وفي جمادى الأولى البدر محمد[3] بن محمد بن محمد ابن المصري سبط أحمد القطوري الخريزاتي، وكان ممَّن تكسّب بالشهادة، بل استنابَهُ الصلاحُ المكينيُّ أيامَ قضائه، ووقف، مع شكالةٍ وخطٍ وكلام، وأظنه زاحمَ الخمسين.

---

(١) الضوء اللامع ١/٣٢٥.

(٢) الضوء اللامع ٥/٣١٨.

(٣) الضوء اللامع ١٠/١٠٣.

٢٢٥٤- وفي رمضان، فجاءة، كريم الدين أبو الطيب[1] محمد ابن الصَّدر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالعزيز، السكندري الأصل القاهري، ويُعرف بابن روق. وكان ممَّن تكسَّبَ بالشهادة، وجَلسَ بباب البدر ابن القرافي، وجَاور هُوَ وإيَّاه بمكة، ثمَّ تعانى التوقيعَ، وخدم بني الجيعان حين أضافه نيابة كتابة السر لبيتهم، وراجَ بذلك، ولِذَا وجَّه البدري أبو البقاء من جهَّزه، لغيبة ولده وابن أخيه، وأظنُّه جازَ السبعين. عفا الله عنه.

٢٢٥٥- وفي جمادى الثاني بمكة، البدر حسن[2] بن محمد بن محمد البلبَيْسي، ثم القاهري[3]، نزيل مكة، وأخو نزيلِ طيبةَ الفاضل الشمس محمد. وكان خَيِّراً، صالحاً، كثيرَ التّلاوة، والعبادة، والتَّقنُّع. حضر عندي كثيراً. رحمه الله.

٢٢٥٦- وفي شوَّال بحماة، وقد جَاز الخمسين، نور الدين علي ابن شيخنا القاضي أبي جعفر محمد[4] بن أحمد بن عمر الحلبي، بقية بيتهم، بعد أن اشتغل وحفظ كتباً، وعرض، وسمع، وتَمَيَّزَ، ونابَ في القضاء بأخرة، عفا الله عنه[5].

٢٢٥٧- وفي المحرم بها، أيضاً صالح[6] بن صالح بن حسن البصري الضريرُ، نزيلُ مكة، وأحدُ مَنْ جمع السبعة على عمر النجار لسورة يوسف،

---

(١) الضوء اللامع ١١/١١٧، وفيه: مات فجاءة يوم الاثنين خامس عشري شعبان يوم فتح السد.

(٢) الضوء اللامع ٣/١٢٩.

(٣) من «ك».

(٤) الضوء اللامع ٥/٢٨٤.

(٥) هذه الترجمة من «ك».

(٦) الضوء اللامع ٣/٣١١.

وسمع التقي ابن فهد وغيره، وكان ممن يحضرُ الدروسَ بها ويصيحُ رحمه الله.

٢٢٥٨- وفي ربيع الثاني، ظنّاً، شمس الدين محمد[1] بن محمد بن موسى[2] بن أحمد ابن أبي[3] شادي المحلي، سبط الغمري. وكان قد اشتغل، ولازمني مع فَهْمٍ وعقلٍ وخير. عَوَّضَهُ الله الجنة.

٢٢٥٩- وعن نحو خمس وسبعين الفخرُ حسن[3] بن عبدالرحمن بن عثمان، الشار مَساحيُّ الأصلِ، الغمريُّ، ثم القاهري المؤقتُ، ويُعرف بفخر الغمري، وكان ممن تميَّز في الميقاتِ، وأخَذَهُ عن جماعةٍ، واليسير منه عن ابن المجدي، بل اشتغلَ بالفقه والعربية قليلاً، وسمع على شيخنا وغيره، ولازمني في أشياء، وجاورَ غير مرة، وكذا أقام بالقدس، وباشر الرئاسةَ بأماكن، ثم تكسَّبَ بالشهادةِ، مع مصاحبة التَّقلُّلِ في هذا كُلِّه. رحمه الله وإيانا.

٢٢٦٠- ومن الحنفية في رجب، عن نحو الثمانين بإسطنبول، كرسي مملكةِ الروم عَالِمُهَا الشهابُ أحمد[4] بن إسماعيل بْن عثمان الكَوْراني الحنفي الذي كان متميزاً في المعقولات والأَصْلَيْن والمنطقِ وغيرها، ماهراً في النحوِ والمعاني والبيانِ، مُشَارِكاً في الفقه والتفسير مع إلمام يسيرٍ جداً بالحديثِ، وطافَ البلادَ، وراج أمْرُهُ بالقاهرة وقتاً، واستقرَّ بها في تدريسِ الشافعية بالبرقوقية، واختص بالظاهر، ثم عُزِّرَ بالسجنِ والضربِ بسببِ

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٢٢.

(٢) قوله: «موسى بن أحمد بن أبي» من «ك».

(٣) الضوء اللامع ٣/١٠٣.

(٤) الضوء اللامع ١/٢٤١-٢٤٣.

تَعَرُّضِهِ لأبي الحميد النعماني المنسوب لأبي حنيفة، وأخرج منها، فتوصَّلَ لملكِ الرومِ ومَدَحَهُ، وتحوَّلَ حنفياً، وترقَّى عنده إلى غايةٍ أعلى من مكانته، وأقبلتْ عليه الدنيا، وولَّاهُ قضاءَ العسكر، ثم وظيفة الإفتاء، وعمَّر المساجدَ والدور، ونشرَ العلم، وعملَ تفسيراً وشرحاً «للبخاري» وقصيدةً في العروض، بل شرح «جمع الجوامع»، وكثر فيه انتقادهُ لمحقق وقتِه المحلي، لكِنْ بالتعصُّبِ لكونهِ استقرَّ بعده في تدريسِ البرقوقية، وعدم المتانة في التحقيق اقتضى ذلك. ومِمَّنْ ردَّ عليه في كثيرٍ مما انتقده الجوجريُّ وابنُ خطيب الفخريةِ والأبناسي وغيرهم، من الأماثلِ، ومالوا إلى الإنكار على مَنْ تَبِعَهُ رحمهم الله وإيانا.

٢٢٦١ـ وفي ذي القعدة، عن ثلاثٍ وسبعين تقريباً، بطيبة، الفخريُّ عثمان[1] بن إبراهيم بن أحمد بن يوسف الكفرحَيْوي الطرابلسي، نزيلُ المدينة، وكان قد قطنها نحو سبعةٍ وثلاثينَ سنة يُقرِىءُ ويفيد، مع صفاءٍ وسلامةِ صَدْرٍ، حتى صارَ شيخَ مذهبه بها. واستقر به الأمير خاير بك أحد المدرسين، بل والسلطانُ شيخ الرباط بمدرسته وسكنها، وكان اشتغالُهُ بدمشق، ثم بالقاهرة، وسمع فيها بقراءتي على شيخِهِ ابن الهمام بعض تخاريجي، بَلْ لما كنتُ مجاوراً بطيبة سمع مني بالروضةِ النبوية أشياءَ، منها اليسير من «شرح معاني الآثار»، ودارَ الكلامُ بيني وبينه في بعض المسائل. رحمه الله ونفعني به. واستقرَّ ابنُه في مشيخة الرباط وسائر ما كان باسمه.

٢٢٦٢ـ وفي رمضان رئيسُ الحنفية ورأسهم والمرجوعُ إليه في بلده القاضي الفقيهُ العلامةُ الرضيُّ صديق[2] بن علي بن محمد بن علي اليماني

---

(١) الضوء اللامع ٥/١٢٣ـ١٢٤. (٢) الضوء اللامع ٣/٣٢٠ـ٣٢١.

الزبيدي، ويعرفُ بالمطبب. وكان ذا وَقْعٍ في القلوبِ، مع الديانةِ والصِّيانة والتغالي في أهلِ مذهبه. رحمه الله.

٢٢٦٣- وفي ربيع الثاني، وقد جاز الثمانين، الفقيهُ المُكْثِرُ، المحدِّث الأصيلُ، أحدُ أعيانِ مذهبه الزينُ أحمد[1] بن أحمد ابن السِّراج عبداللطيف اليماني السرجي الزبيدي. ممَّن سمع ابنَ الجزريِّ والفاسِي والنفيس العلوي والبرشكي وشيخنا. وله نظمٌ ونثرٌ، بَلْ له: «طبقات الخواص الصلحاء من أهـل اليمن خاصَّةً». وجمع نظـم «ابن المقرىء» في مجلدين، و«تجريد البخاري» عن المكرر.

٢٢٦٤- وفي ذي القعدة، عن ثلاثٍ وسبعين فأزيد، القاضي خيرالدين أبو الجُود وأبو الخير محمد[2] ابن القاضي ناصر الدين عمر بن محمد بن مُوسى، الشَّنَشِيُّ الأصـل القـاهري الحنفي. ممَّن تميَّز في الفقه وأصلهِ، والعربيةِ، وغيرها، ودرَّس، وأعادَ، ونَاظر، وأفتى، وتصدَّى لفصل الأحكام، وعرف ما ينتفع به من لهُ غرضٌ في مُساعدته من غيره، وتوسَّعَ جداً بحيث انحطَّتْ مرتبتُه عَمَّنْ دُونَهُ بكثيرٍ، ولولاه لكان قاضي مذهبه. عفا الله عنه وإيانا.

٢٢٦٥- وفي رجب بدمشق الزينُ عبدالرحمن[3] ابن العِز أبي بكر بن محمـد الدمشقي، ويُعرف بابن العَيْني الحنفي. وكان ممَّن تميز في الفقه وأُصولهِ وغيرهما من العقليات، بل قرأ القراءات والعَروضَ، كل ذلك ببلده وبالقاهرة. واختصَّ بابن مزهر، فنَوَّهَ به، بحيث صار بأَخَرة من أعيانِ مذهبه،

---

(١) الضوء اللامع ١/٢١٤-٢١٥.

(٢) الضوء اللامع ٨/٢٦٥.

(٣) الضوء اللامع ٤/٧١.

ودرَّس بأماكن، وصنَّف في أصولهم والعربية والعروض، وكتب في تفسير اللغةِ التُركية مع نَظْمٍ، ونثرٍ، وعقل، ومُدَارةٍ، وتَمَوُّلٍ، وتَوَجُّهٍ للإفتاء، والتدريس، بل انتهى إليهِ قضاءُ بَلَدِهِ حين اجتياز السلطانِ بها عقب وفاة العلاءِ ابنِ قاضي عجلون، ولكنه لم يسمح بما طُلِبَ منه، فَعُدِلَ عنه لابن عيدٍ. وبالجملة، فقد نال رئاسةً ووجاهةً، وهو ممَّن حضر عندي، ونعم الرجُلُ كان. عَوَّضَهُ الله الجنة.

٢٢٦٦- وفي صفر، عن سبع وأربعينَ تقريباً، القاضِي الشهاب أحمد[1] ابن المجد إسماعيل بن إبراهيم الحريريُّ الجوهريُّ القادريُّ، ويُعرَفُ بابن إسماعيل، وتأسَّفتُ على فَقْدِه، وكان مِمَّنْ حفظَ كُتُباً، ولازمَ الفقه والأصلين والعربيةَ والمنطقَ والطبَّ والتفنن، بل سمع الكثير بقراءته وقراءةِ غيره، ولازمني في «الألفية» و«شرحها»، وحَصَّلَهُ، وأَذِنَ له غيرُ واحدٍ في التدريس، وبعضهم في الإفتاء. ودَرَّسَ بالجمالية والحَسَنِيَّةِ، وأعادَ بطولون، ونابَ في القضاء عن المُحِبِّ ابن الشحنة فَمَنْ بعدهُ، وجَلَسَ بجامع الصالح وبالصالحية منفرداً بها، مع عدمِ تَهَالُكِه عليه، ومُداومته للاشتغالِ، ومزيدِ رغبته في العلمِ وتحصيله، وتكميلِ نفسه وبهجته وتواضُعهِ وعقله، ومَتِينِ محادثَتِه وفضيلتهِ، وفصيحِ قراءتهِ، وإقبالهِ على ما يهمهُ. وقد حَجَّ، ودخل دمشقَ للنزهة، وزار بيت المقدسِ. وكنت ممَّن أحبهُ. عَوَّضَهُ الله الجنة.

٢٢٦٧- وفي جمادى الأولى، السِّراج عمر[2] بن علي بن عمر المناوي، أحدُ فضلاء النُّواب، وكان كثيرَ المباحثةِ والمشيِ والتساهل، مُزْرِيَ الهيئةِ، استقر مُدرس خَشْقَدم بالأزهرِ. عفا الله عنه وإيانا.

---

(١) الضوء اللامع ١/٢٣٤-٢٣٥.

(٢) الضوء اللامع ٦/١٠٧.

٢٢٦٨- وبغزة، في مَرَسْتانها على ما بَلَغني، عن نحو الستين، المجدُ إسماعيل[1] بن يحيى بن علي بن يحيى المهاجريُّ الكرديُّ، السَّنْهُوتيُّ الأصل، القاهريُّ، الشطرنجي أحدُ الشهيرين به أخو القاضي شمس الدين محمد بن يحيى المهاجري أحد النُّواب، وكان قد اشتغل وتميز في الشطرنج، وصَارَ أعلا العوال، مع كثرةِ مَحْفُوظِه وتوليدهِ لأشياءَ مُسْتَحْسَنة ومشاركة لطيفةٍ في بعضِ الفضائل، وعقلٍ وسكونٍ. ممَّن طافَ البلادَ، بل أكْثَرَ التردُّدَ لي، وأخذَ عني مُصَنَّفي في الشطرنج، ورأيتُ منه أمراً غريباً، وهو أنَّه إذا ذُكِرَ له نظم أو نثر، يُسابق لعدِّ حروفِهِ عند تَمامهِ، فلا يخرم، وأمرُه في ذلك وراءَ العقل، حتَّى في الكلام الكثير. وربما نظم. عفا الله عنه.

٢٢٦٩- ومن المالكية، في مستهل السنةِ بإسكندرية، عن نحو الثلاثين ظنّاً، الفاضلُ البُرهانُ أبو المكارم إبراهيم[2] بن سعد بن إبراهيم بن محمد الحَضْرميُّ الأندلسيُّ المغربيُّ القاهري، ويُعرفُ بالجِرْبيِّ، وبابنِ الصَّباغ. وكانَ ممَّن اشتغل في الفقهِ والعربيةِ وغيرهما، بل طلب الحديثَ وقتاً، ولازمَ السُّنباطيَّ وتخرَّجَ به، بل حَضَرَ عند الديمي في «شرح ألفية العراقي»، وقرأ على الخيضري، ثم أقبل عليَّ، فرأى باعترافهِ أنه لم يُحَصِّلْ قَبْلُ شيئاً، وقرأ أشياء، وحَصَّلَ شرحي، وتميَّز قليلاً، مع ذكاءٍ وفَهْمٍ وسرعةِ قراءةٍ وكتابة. عوَّضه الله الجنة وعفا عنه.

٢٢٧٠- ومن الحنابلة بدمشق في رمضان، عن نحو اثنتين وستين سنة، المُوَفَّقُ أبو ذَرٍّ عبدالرحمن[3] ابن الشهاب أحمد بن حسن بن داود العباسيُّ الحموي، ثم الدمشقي. وكانَ ممَّن اشتغل في الفقه والعربية، وولي قضاء

(١) الضوء اللامع ٢/٣٠٨، ٣٠٩.
(٢) الضوء اللامع ١/٥١.
(٣) الضوء اللامع ٤/٤٩.

حمـاة، بَلْ نَظَرَ الجيشِ وكتابةَ السِّرِّ بدمشق واحدةً بعد أخرى، وتَكَرَّرَتْ ولايتـه لهما، وتحمَّلَ الديون الجَمَّةَ لذلك، ودخلَ القاهرةَ غير مرةٍ، وكان رئيساً محتشماً. رحمه الله.

٢٢٧١ـ وفي [دمشق][١]، عن نحو ثلاثٍ وثمانينَ، الشمسُ محمد[٢] بن أحمـد بن علي بن محمود بن نجم الهِلَاليُّ الشِّيحيُّ ـ بكسر المعجمة ثم تحتانيَّة وحاءٍ مهملة ـ نسبة لشيحِ الحديد من معاملاتِ حلب، ثم الحمويُّ، ثم الـدمشقيُّ المقـرىء، ويعـرف بابن الخِدر. ممَّن اشتغل بالفقه وغيره، وشـارك في الجملةِ، وتميَّز في القـراءات، وأخـذها عنه الفضلاءُ، وداخلَ الأكابر، بحيثُ أمَّ بقانم وغيره من الأمراء وخبر عِشْرَتَهُم، مع ثِقَلِ سَمْعِه، وقَطن القاهرة وقتاً، وتردَّد إليَّ وهو بها للسؤالِ عن أشياء، ودخل الروم[٣]، وجاورَ، ونابَ في القضاء، بل توجَّه قاضياً على الركبِ الشاميِّ في بعض السنين، وقـال لي: إنـه وَلِيَ بعض التـداريس بالجامعِ الأمويِّ، وأنه قرأ الفـاتحة على ابن الجزري، وذلك ممكنٌ، وأنَّه رأى أخاهُ علياً بعد موتِهِ، وسأله مـا فعل الله بك؟ فقالَ: عَامَلني بحِلْمِه وكَرَمِه، وغَفَرَ لي بحرفٍ واحد من روايةِ ابن عامرٍ، وأنَّ التقيَّ ابن قاضِي شهبة كتبه عنه. رحمه الله وإيانا.

٢٢٧٢ـ وفي رجب أو غيره[٤]، عن بضع وتسعين، الفخرُ عثمان[٥] بن علي بن إبـراهيم التُّلَيْلي ـ بالمثناة المضمومة مُصَغَّراً ـ الدمشقيُّ الصالحيُّ

---

(١) في النسختين بياض، وما بين الحاصرتين من الضوء اللامع ٧/٢١.

(٢) الضوء اللامع ٧/٢١.

(٣) من «ك».

(٤) بياض في الأصول، والمثبت من الضوء اللامع ٥/١٣٣.

(٥) الضوء اللامع ٥/١٣٣، التليلي نسبة لتليل قرية من البقاع من ضواحي دمشق.

الحنبلي، خاتمة أجلاَّءِ مذهبه وأسنُّهم، وإمامُ الجامع المظفَّري وخطيبه. ممَّن يُذكَرُ بصلاحٍ كبير وزُهْدٍ ووَرعٍ وفضيلة. وسمع على عبد القادر الأرموي، وحدَّث. نفعنا الله به ورحمه.

٢٢٧٣ـ ومن سائر الناسِ جماعة، منهم، في ربيع الثاني، عن أزيد من سبعين، شيخُ الحَجَبَةِ وابنُ شيخها، بل سُلالة مشايخها أبو البركات[١]، ويقال له: بركات أيضاً ابن الجمال أبي المحاسِن يوسف ابن الجمال أبي رَاجح محمد بن علي بن محمد العبدري الشيبي المكِّي. وكان فقيراً ساكناً قانعاً. استقرَّ في المشيخة بعد عَمِّه السِّراج عُمر، وخلفهُ فيها أكبرُ أولادِ بني عمِّه بعد نزاعٍ بينهم.

٢٢٧٤ـ وفي ربيع الأول البدرُ محمد[٢] العباسي شيخُ زاوية أبي العباس البصير بالقرافةِ الصُغرى، ويقال له ـ لذلك ـ شيخ الطائفة العباسية. وكان صالحاً، أخبر أنَّ له ثلاثينَ سنة لم يدخل المدينةِ، وكان استقرارهُ في المشيخة نحو هذه المدَّة فوضها له عمه.

٢٢٧٥ـ وفي ربيع الثاني، عن نحو الستين ظنَّاً، شيخُ القُرَّاء بالجامع والمحافل ـ سيما القبور ـ بمكة كأسلافِهِ الجمال محمد[٣] ابن أبي عبدالله محمد بن يُوسف بن حُسين الحسنيُّ الحصنكيفي الأصل، المكي، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن المحتسب. وخلفه في المشيخة عبدالقادر بن علي الدلال[٤] أبوه، والحباك هُوَ.

---

(١) الضوء اللامع ١١/٦،٧.

(٢) لم أجده.

(٣) الضوء اللامع ١٠/٢٩.

(٤) الضوء اللامع ٤/٢٨١.

٢٢٧٦- وفي سلخ المحرم، عن أزيدَ من السبعينَ ظنًّا، أحدُ الرّماة أبو بكر[1] بن إسماعيل بن عمر بن خليل الطرابلسيُّ، ثم الحمويُّ، نزيلُ مكة، والسَّاقي بسبيلِ السلطان من مدرسته فيها. وكان خَيِّراً راغباً في العلمِ وأهله. ممَّنْ سمع عليَّ، وحَصَّلَ أشياء من تصانيفي. رحمه الله و إيانا.

٢٢٧٧- وفي صفر، كما تقدَّم، عن سبع وخمسين، الملكُ المؤيَّدُ [والشِّهاب][2] أبو الفتح أحمد[3] ابن الأشرف أبي النصر إينال العلائي الظاهري، ثم الناصري. وهو من ذُرِّيةِ الظاهر بيبرس. وكان استقرَّ في المملكةِ بعد خلعِ أبيه نَفْسَهُ في مَرض موتِهِ، وعَهدَ له في جُمادى الأولى سنة خمس وستين، ودام إلى أثناء رمضانها، فأُزيلَ مع ائتلاف القلوبِ على محبَّتِهِ وحُسْن سيرته، والتفاؤلِ بالعدل والخير في سلطنته، بل في غالبِ أيّامِ إمرته. كان يُكْثِرُ من إكرامِ العُلماء وتفقُّدهم، وذُكِرَ بحُسْنِ العشرة، والميلِ لرقائقِ الأشعار لرقّةِ طباعه، وحجّ إذ ذاك في أعظم تَجَمُّلٍ، وأُرسل به مقيَّداً للثغر السكندري في البحر، ثم لم يلبثْ أنْ كسر قيده، بل قَدِمَ الديارَ المصرية بعد وفاةِ أمه، وصاهرَه الدوادار الكبير يَشْبك من مهدي على ابنتهِ، وصار في سنة ست وثمانين شيخ الشاذلية بالثغر، بحيث كان يُلَقِّنُهم الذِّكْرَ، ويحضُر مجالسهم، مع ذكره بينهم بالإمساك، ولكن محاسنه جمَّةٌ، والثناء عليه مستفيضٌ. رحمه الله وعفا عنه.

٢٢٧٨- وفي ليلة السابع والعِشرين من رمضان، وقد جازَ السبعين، المتوكلُ على الله أبوعمروأبو سعيد عثمان[4]ابن الأمير أبي عبدالله محمد

(١) الضوء اللامع ٢٧/١١.

(٢) ما بين الحاصرتين من «ك». (٣) الضوء اللامع ٢٤٦/١.

(٤) الضوء اللامع ١٣٨/٥، وشذرات الذهب ٣٥٤/٧.

ابن أبي فارس عبدالعزيز بن أبي العباس أحمد الهنتاتي ـ قبيلةٌ من البربر ـ الحفصيُّ نسبة لجدٍّ له أعلى، يكنى أبا حفصٍ، صاحب المغرب وحفيدُ صاحبه.

وكان استقرارهُ بعد شقيقهِ المنتصرُ محمد في سنة تسع وثلاثين، فدام أربعاً وخمسين سنةً، ودانتْ له البلادُ والرعايا، وضخم مُلْكُهُ جِدّاً، واجتمع له من الأموالِ وغيرها ما يفوق الوصف، وأنشأ الأبنية الهائلة، وسبيلين بهما فرج كبير، بل يقال: إنه لم يُرَ لهما نظيرٌ في الأقطارِ، ومَيْضَأةٌ هائلة تحت بيتٍ لجدّه، وزوايا وخزانة شرقيّ جامع الزيتونةِ، بها من نفائس الكتب ما يفوقُ الوصفَ، وبَعُدَ صِيتُه، وطارتْ شُهرته، وهادَنَهُ ملوكُ تلك الأقطارِ، بَلْ ملوكُ الفرنج أيضاً، وخُطِبَ له بالجزائر وتلمسان، أثنى عليه عندي غيرُ واحدٍ. مِمَّنْ لَقِيتُه، ووصفَ بأنه كان حليماً، ليِّنَ الجانب، وفي ابتدائهِ كريماً. ممَّن تفرَّسَ فيه جدُّه النفاسَة ومصيرَ الأمرِ إليه. وأنجب أولاداً، أعظمهم عنده وأخَصُّهم به أبو عبدالله محمد، الملقب بالمسعود، بحيثُ كان مقيماً معه بتونس نفاسةً عليه، وجعلَهُ وليَّ عهدهِ بعد مماته، فلم يسعد، فإنه ماتَ قَبْلَهُ في شعبانها عن خمسٍ وخمسين، وتأسَّفَ عليه جداً، ولم يلبثْ أن ماتَ. وقد اشتمل على محاسنَ من كرمٍ وخَطٍّ بديع في المشرقيِّ والمغربي، بحيث كتبَ ربعةً بماءِ الذهب وغيرها، بل كتب مصنفاً للرضاع، ووقفهُ بخزانةِ أبيه.

٢٢٧٩ـ ومنهم أبو بكر صاحب طرابلس. ممَّن تحرَّكَ على ابن أخيه يحيى لما استقرَّ في المملكة بعد جدِّه، فقتله مع ابنه عبدالملك قُبيل عيدِ الأضحى، ولَم يلبثْ يحيى أنْ قتلهُ ابنُ عمّـه عبدالمؤمن بن [إبراهيم ابن مولاي عثمـان في رجب(١)] في بيته من التي تليها. [واستقرَّ عوضه، فلم

(١) ما بين الحاصرتين من «ك».

يلبثْ أنْ دخل عليه زكريا بن يحيى المذكور خفيةً بمساعدةِ أهلِ تونس، فَفَرَّ عبدُ المؤمن إلى العرب، فحشدوا معه لمحاصرةِ تونس، فهزمهم أَهْلُهَا، وكانت من الفريقين قَتْلى أكثرها من العرب. واستمرت السنة قائمة، ثم انتصر زكريا، وسَقى عبدالمؤمن هو وَوَلده السُّمَّ، فمات الأبُ وأحد الوالدين والآخر في الطلب، وانصلح حالُ زكريا. كُلُّ ذلك فيما بعدَ هذا الأوان][1].

ويُروى عن معاذ بن جبل رفعه: أنَّ الملوكَ قد قطع الله أرحامهم، فلا يتواصَلُونَ حُبَّاً للملك، حتَّى إنَّ الرجل منهم يقتلُ الأخ والأبَ والابن والعمَّ والجدَّ، إلَّا أهل التقوى منهم، وقليلٌ ما هُمْ. ذكره الدَّيْلمي، ولم يسنده ولده، ولا يَبْعُدُ معناه.

ثمَّ إن المزوار الماضي قبله، وهو الذي قَدِمَ علينا القاهرةَ بهديةٍ من سلطانه أبي بكر هذا إلى صاحبِ مصر في سنةِ ثمانٍ وثمانين في ضخامةٍ زائدة وقوةٍ كبيرة وأتباعٍ ومصروفٍ كبير، بحيث كان مجيئُه في عشر قطعٍ، وأكرمَهُ السلطانُ، وأنزلَهُ في بيتِ ابن عبدالرحمن الصيرفي من بين الدُّرُوب حتّى حَجّ، ثمَّ عاد إلى بلاده، وكان بديعاً في الحُسْنِ، ولكنه في الظلم بمكان، ولم يكمل الأربعين.

٢٢٨٠- ومِمَّنْ قَدِمَ القاهرة للحجِّ سيدي أحمد[2] الدُّهماني القيرواني المغربي، نزيلُ طرابلس وحفيدُ القطب أبي يوسُف الدُهماني، المُعْتَقَدُ بين الأكابر، والمدفُون في زاويته خارج القيروان بالقرب من أبي الحسن القابسي. وكان أحياناً يكون شيخَ الرَّكبِ المغربي لوجاهتهِ وصلاحهِ، بحيثُ

---

(١) ما بين الحاصرتين من «ك».

(٢) الضوء اللامع ٢/٢٦٢.

بَلَغنا أنه قال مراراً جهاراً للسلطان عثمان: موتي وموتُك في سنةٍ واحدة. فكان كذلك، فإنه توفي بالقاهرة، ودُفنَ بتربةِ الشاذلية. رحمه الله ونفعنا به.

٢٢٨١- وفي ربيع الثاني، عن إحدى وعشرين سنة، أبو الغيثِ مُهيزَع[1] ابن صاحب الحجاز الجمالي محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسَني بالشَّعراء فوق وادي الأبيار، وجِيءَ به لمكةَ، فَدُفن بالمعلاة، ولم يشهد أبو جنازَتَهُ ولا ربعته، وسافر الشافعيُّ مُعَزيّاً به.

٢٢٨٢- وفي ذي الحجة بأدنَة، أميرُ مجلس برسباي[2] قَرَا الظاهري جقمق. وكان قد تَخَلَّفَ عن العسكرِ بحلب لضعفهِ، فلما عُوفيَ توجَّه له بأذنه، فأقام يَسيراً، وتوفي، فَحُمِلَ إلى حلب، فَدُفنَ بها بجوار سعد الأنصاري، ثم نُقِلَ بعد يَسيرٍ لتربته بالقاهرة.

٢٢٨٣- وفي شعبان بحلب، رأس نوبة النوب تَغْري بردي[3] ططر الظاهري جقمق. وكان ممَّن خرج مع المُجَرَّدِينَ، فتوعَّكَ بحمص، وتأخَّر لذلك بحلب عن العسكر حتَّى ماتَ بها ودُفِنَ، إلى أن نُقِلَ أيضاً. وكذا سافر في تجريدةِ سنةِ ثمانٍ وثمانين وغيرها، بل حجَّ أمير المحمل في بعض السنين، ومما نُقِمَ عليه شَفاعتهُ في إطلاقِ ابنِ العظمة، ومَشْيه فيما راسله به، بحيثُ أقام ببابه في استخلاصِ تلك الظُّلامَات، ومعارضته للقاضي الشافعي.

٢٢٨٤- وفي رمضان في المعركة دولات باي[4] الحَسَنيُّ الظاهريُّ

---

(١) الضوء اللامع ١٠/١٧٤.
(٢) الضوء اللامع ٣/١٠.
(٣) الضوء اللامع ٣/٢٨.
(٤) الضوء اللامع ٣/٢٢١.

جقمق شادَّ الشون ورأسُ نوبة ثاني، فَحُمِلَ، ولم يلبث أنْ ماتَ من يومه بالوطاق. وبلغني أنَّ أمير سلاح سقاه مشروباً، فقال: لعلَّ هذا آخر شرابي من الدنيا. وكان عملُه لرأسِ نوبة ثاني سنةَ تسعين، وتأمَّر على الأول في سنةِ سبعٍ وثمانين، ورجعنا معه، فرأينا من سلامةِ صدرهِ مالا نُطِيلُ به، وأسلفنا نَفْيَ السلطانِ له ثم الرجوع به.

٢٢٨٥- وفي شوال، أوْ ذِي القعـدةِ، بأنـطاكيةَ، قرقماس[1] المعلم الـظاهـري جقمق[3]، أحـدُ العشرات. وكان تَخَلَّفَ بحلبَ لضعفه، فلما استقلَّ توجه، فأدركته منيته بأنطاكيةَ فدفن بها.

٢٢٨٦- وكذا في شوال، ظنّاً، سيباي[2] الظاهري جقمق، وقد زاد على السبعين. وكان قد رَقَّاهُ الأشرفُ [قايتباي][3] لنيابةِ غزة، ثم حُجُوبيةِ دمشق، ثم نيابة حماة. وكان يحكى أنَّه اشترى والده من جركس. وله عقل. واستقرَّ بعده في حماة إينال الخسيف[4] نقلاً له من حُجُوبية دمشقَ التي نُقِلَ إليها بعد نيابةِ صفد [مقابلة][5].

٢٢٨٧- وفي المحرم، بعد مَرضٍ طويل، جانبك[6] العلائي الأشرفي إينال، ويُقال له: جانبك حبيب عن نحو الخمسين، ودُفِنَ بالمكان الذي بناه سرور شادُّ الحوش في تربةِ الظاهرِ برقوق، بعد أن كان دُفِنَ في غيره، وأصلُه للعلاء ابن اقْبرس، ثم صار للأشرف. وكان في زمنه خاصكياً، وفَرَّ بعده مرة للمغـربِ ولابنِ عثمان، ثم رَجَع وصار أميرَ آخور ثاني. مِمَّنْ يُذكَرُ بخيرٍ

---

(١) الضوء اللامع ٦/ ٢٢٠.
(٢) الضوء اللامع ٣/ ٢٨٨.
(٣) ما بين الحاصرتين من «ك».
(٤) الضوء اللامع ٢/ ٣٢٧.
(٥) ما بين الحاصرتين من «ك».
(٦) الضوء اللامع ٣/ ٥٩.

وتقريبٍ للصالحين، وأرسله السلطانُ أوائلَ سنةِ تسعين لملكِ الروم في طلبِ الصلح وحَسْمِ مادّة الفتن، فعـاد في أواخرها بخفِّي حُنين، بَلْ هو الذي أدركه حين سُقوطه عن فرسِهِ، بحيث كانت نَجاتُه على يديه، وكافأهُ على ذلك بعد موتهِ بما أسلَفْتُه في الحوادث.

٢٢٨٨- وفيه بيبرس[1] اليُوسفي الظاهري الطويل. أحدُ الأمراء. مِمَّنْ عملَ باش الترك بمكة وقتاً، [وكان في أولته من جملة المماليكِ المصاحِبينَ لمثقال الحبسة إليها بهدية من الظاهر][2] وكان ممَّن يرجعُ لخيرٍ وتديُّنٍ مع أدبٍ وسلامةِ فطرةٍ، وأتاني حين انصرافي عن مكةَ وموادعته لي. جُوزِيَ خيراً.

٢٢٨٩- وأبـرَك الأشرفي برسباي[3]، أحد أمراء العَشرات. وكان ممَّن يُذكر بفروسيةٍ وكَثْرة ظُلمٍ، وعمَّر بَيتاً بمصر، بل كان سكنهُ في جامع طولون.

٢٢٩٠-وفي ربيع الأول، توسيطاً، كمـا تقـدم، المجـدُ [إسماعيل][4] ابن العلم يحيى ابن البقري[5]. أحدُ أعيانِ المباشرين، مِمَّنْ باشرَ الأستادارية والوزر غير مرَّةٍ. وامْتُحِنَ بالضربِ والحبسِ وغيرهما غيرَ مرةٍ، ثمَّ كان مآلهُ لما سلف. وبالجملةِ فكانتْ فيه حِشمةٌ وبَشَاشة. عفا الله عنه.

٢٢٩١- وفي ربيع الثـاني بعده بأيام أخوه الشَّرف عبدالباسط[6]، وهو الأكبـرُ. وكـان مِمَّنْ وَلِيَ نَظَرَ الإسـطبل والبيمارستان، ثـم عملَ شاداً على

---

(١) الضوء اللامع ٣/٢٢.
(٢) ما بين الحاصرتين من «ك».
(٣) الضوء اللامع ١/١٩٠.
(٤) ما بين الحاصرتين من «ك».
(٥) الضوء اللامع ١١/١٦٥.
(٦) الضوء اللامع ٤/٣١-٣٢.

الأماكنِ التي جرفها الدوادار يشبك من مهدي وبناها في نواحي الحُسينية، وكان به بعض رِفْقٍ للأموات والأحياء. ثم استقر بعد العباديِّ في نَظَرِ الأحباس، ثم الأوقافِ على الوجه الذي أحدثَهُ ابنُ العظمة. وتزايدَ كَرْبُه بذلك وبنظرِ الدولةِ حين أُلْزِمَ به أيضاً. ولم يُذكر عنه إلا الخير، وهو الغالبُ عليه، بل كانَ فريداً في أبناء جنسه، مُديماً للصلاةِ والتلاوةِ والانجماعِ، مع مزيدِ العقل، ولطف العِشْرَةِ، والتأدب مع العلماء والصالحين، والمحاسن الجمّة، بحيث كان مُحَبَّباً عند جُمهور الطوائفِ، وقد جاورنا مدّة فحمدناهُ، وكنتُ ممّن أحبُّه، وربما تردّد إليَّ، مع فضلٍ وصِلَةٍ. رحمه الله وإيانا.

٢٢٩٢- وفي ربيع الأول والي مكّة علي[1] بن قرقماس بن حليمة، أحد المهملين.

٢٢٩٣- وفي ذي الحجة بأذنة برسباي[2] البواب، زوج سرية الظاهر خشقدم أم ولده منصور.

٢٢٩٤- وفي رمضان بحلب مغلباي[3] المصارع البهلوان الأشرفي إينال، أحدُ العشراتِ، وكان تَعَلَّلَ قبلَ دخولِ حلبَ، وتخلّفَ بها حتى مات، ودُفن بتربة ابن أجا.

٢٢٩٥- وفي ربيع الأول، عن أزيدَ من تسعين سنة، سعْدالدّين إبراهيم[4] ابن علم الدين الباسطي، لكونهِ كان كاتبَ بابِ ناظرِ الجيشِ

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٧٥ (وفيه أن وفاته في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين).

(٢) الضوء اللامع ٣/٨.

(٣) لم أجده.

(٤) لم أجده.

الزَّيني عبدالباسط، بحيث رسمَ عليه سنةَ اثنتين وأربعينَ وبعدها في جملة جماعته، ثم خلصَ، ويُعرف بالصغير. كان ممَّن خدم بعد المُشَارِ إليه الجمالي ناظر الخاص، وتَمَيَّزَ عندهُ، وصَارَ كاتبَ ضحايا الخاص، واستوفى بالذخيرةِ، مع بِرٍّ، ورِفْقٍ، وعِفَّةٍ، ومداومةٍ للتلاوةِ، ولمن خدمَ عندهم به وُثُوق. واستقرَّ بعده في وظيفته سبطه عبدالغني. رحمه الله وإيانا.

٢٢٩٦- وفي جمادى الثاني [إلف][1] ابنة الولوي محمد السفطي زوج المحبِّي ابن الشّحنة، وأم عبد البرِّ وغيره من إخوته، [وتَخَلَّفَتْ أختٌ لها هي أكبرُ منها كان يُثَارُ التنازعُ بينهما بسبب الأرشدية][2].

٢٢٩٧- وفي شوّال دولات باي[3] مولاة الظاهر جقمق، بل سريته، ثم زوج الأميرِ برقوق نائب الشام. كانت أمَّ عَلِيباي وغيره، وصلى عليها السلطانُ في السبيل

٢٢٩٨- وفي جمادى الثاني، عن دونِ الثلاثينَ، بعد تَعَلُّلٍ طويل ونفاسٍ، سِتُّ الكل[4] ابنةُ الجمالي محمد ابن النجم محمد ابن ظهيرة، شقيقة الزيني عبدالباسط، وجهة النجمي قاضي المالكية بمكة. عوَّضها الله وأمَّها خيراً.

٢٢٩٩- وفي رجب، عن أزيدَ من ثلاثينَ، عقب النفاس، أُمُّ الكرم شعثاء ابنةُ الشيخ تقي الدين محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي، زوج

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٢، وما بين الحاصرتين من «ك».

(٢) ما بين الحاصرتين من «ك».

(٣) الضوء اللامع ٣٣/١٢.

(٤) الضوء اللامع ٥٨/١٢.

(٥) الضوء اللامع ٦٧/١٢-٦٨.

الإمام أبي السعادات ابن الطبري، وأثنى عليها. عوضها الله الجنة.

٢٣٠٠- وفي شعبان نور الصباح[١] الحبشية الجمالية أبي السُّعود [ابن ظهيرة][٢] أم أولاد له. وكان سَيِّدها - باركَ الله في حياته - غائباً. عَوَّضَهُما الله خيراً.

٢٣٠١- وفي ذي الحجة، عن سنٍ عالية بمكة[٣]، تيتي المدعوة ستيتة[٤] ابنة داود الكيلاني، خالةُ النجميِّ ابن ظهيرة، وجدَّةُ خطيبِ مكة الفخري أبي بكر النُّوَيْري لأمه.

٢٣٠٢- وفي ربيع الثاني بمكّة، مُزاحمةً للخمسينَ، خديجةُ[٥] ابنة محمد البَدْرَشِيني العجوي، زوجة أخي المحيوي عبدالقادر وأم ولده البدر محمد. وكانت لها جنازة حافلة وختمات عند قبرها هائلة[٦]. عَوَّضَها الله الجنةَ في آخرينَ من النساء والرجال اسْتَوْفَيْتُهم في «الكبير».

---

(١) الضوء اللامع ١٢/١٣٠ (ترجمة رقم ٨٠٠).
(٢) ما بين الحاصرتين من «ك».
(٣) ما بين الحاصرتين من «ك».
(٤) الضوء اللامع ١٢/٥٩.
(٥) الضوء اللامع ١٢/٣٢.
(٦) ما بين الحاصرتين من «ك».

سنة أربع وتسعين وثماني مئة

استهلت بِمَا بِهِ تلكَ استَقَلَّت من النكاياتِ العامةِ في الرعايا، لا سِيَّما ذَوي الولاياتِ، والغنية بشُهْرتِهَا عن الروايات.

وَلَـوْ كَتَـبْـتُ كُلَّ ما عَلِمْـتُـه   لضَـاقَتِ الأَنْفَـاسُ والقِـرْطَـاسُ
لكـنـنّـي ذَكـرتُـه مخـتـصـراً   مبـتـغـياً لِمَـا عليهِ الـنَّـاسُ

وكنتُ فيها ـ ولله الحمد ـ بالحرم المكيِّ المحفوفِ بالطيب المسكي، لم أنفصل عنها إلا في أثناء ذي الحجة مع الركب، فلله الأمر. وقُرِىءَ عليَّ فيهـا «البُخـاريُّ» مراراً، و«مُسلم» عَوْداً على بدءٍ، مع «الشِّفـا» و«الأذكار» وجملة، «كشرحي ألفية العراقي» للناظمِ، وَلِيَ، و«شرح النخبة» درايةً، وكذا «شرحي لتقريبِ النووي»، و«مناقب العباسِ»، والكثير من تواليفي وغيرها.

في مستهل مُحَرَّمها غضبَ أميرُ سلاح على إمامهِ الجمال يوسف ابن أبي بكر بن علي الحلبي الشافعي، سبطِ ابن الوَرْديِّ، مع كونهِ في خدمته، بل وببلده من أهلهِ وعَشيرته، وكون أُمِّه وزوجته ومَنْ شاء الله من عياله بالقاهرة، لا لسببٍ ظاهرٍ، بعد مَزِيدِ اختصاصه به زيادةً على سنتين وثمانية أشهر، ثم ما اكتفى بذلك، بل ضَرَبَهُ بعد مُدَّةٍ بالقاهرة، ورسم عليه وغرمه، وما حمده العُقـلاء في هذا كلّه، سيما السُّلطان فيما بَلَغني. وكنتُ أُنَزِّهه عن هذا، ولكن قد قيل مما يتعين حَمْلُه على الغالب: التُّرْكُ إنْ أحبُّوكَ أكلوك، وإنْ

أَبْغَضُوكَ مَلُّوك(١) ؛ بل سمعتُ مَنْ يُنشد(٢) قولَ جَدِّه الزين ابن الوردي .

سَلِ اللهِ رَبَّـكَ مِنْ فَضْـلِهِ إذَا عَرَضَـتْ حَاجَـةٌ مُقْـلِقَـهْ
وَلا تَسـأل(٣) الـتُّـركَ في حَاجَـةٍ فَأَعْـيُنُـهُـمْ أعْـيُنٌ ضَيِّقَـهْ

وقول الصلاحِ الصفدي :

اتـركْ هَوى الأَتْـراك إنْ شِئْتَ أنْ لا تُبْـتَـلىٰ فيهـم بهَـمٍّ وضَـيْرِ
ولا تُرَجِّ الـجُـودَ من وَصْـلِهِـمْ مَا ضَاقَـتِ الأَعْـيُنُ مِنْـهُـمْ لِخَـيْرِ

وقال الشهابُ ابن الصدر عبدالخالق ابن الفرات المالكي :

إذا شِئـتَ أنْ تَحـيا حَيَاةً سَعِـيدةً وَتَسْتَحْسِن الأَقْـوَامُ مِنْـكَ المُقَبَّحـا
تَزَيَّ بِزيِّ الـتُّـرْكِ واحْـفَظْ لِسَـانَهُمْ وإلَّا فَجـانِـبْـهُـمْ وَكُنْ مُتَصَـوْلِحَـا

وبَـرَزَتْ من مكة في ثانيهِ سريةٌ مجتمعةٌ من عساكرِ الشريفِ وغيرهم لعربِ آلِ جَمَـلِ المخالفين لما التمسَ منهم، النازلينَ بجبل بالقرب من عرفة والحجاز مُتَعَـذِّرٌ الـوُصُولُ إليهم فيه، فكان الظَّفر لأولئك بطائفة منهم، قتلاً، ونَهْباً، على حين غفلةٍ، وعند غيبةِ أعيانهم ولهؤلاء [بكر](١) ودور لأولئك، وأقيمَ العزاءُ في مكة بسبب جماعتهم.

---

(١) في النسخة «ب» مَلُّوك، والصواب من «ك».
على هامش المخطوطة:
علّق أحدهم في هامش نسخة «ب» بما يأتي:
قلت: وهذا الجمالي المزبور هو جدُّ القاضي علاء الدين ابن الخشاب الحلبي، وقد ذكره ابن الحنبليُّ في تاريخه بعبارة لطيفة وترجمة أنيقة، وذكر فيه أحوالاً عجيبة من علم وزهد وغير ذلك.

(١) في نسة «ب»: بياض والمثبت من «ك».

وآلَ الأمرُ لمسيرِ السيد بركات في شعبانها بعسكر كبير، فضيق عليهم، بحيث نزل عدةٌ من أعيانهم مُعتذرينَ عن عَدمَ نزولِ كبيرهم، فلم يقبل منهم، بل وضعهم في الحديد، ووصل بهم لمكة، فَحبسوا بها حتَّى حصلَ الرِّضا منه ومن أبيه.

وكلم السلطان حين التهنئة النوري الصُّوفي رأس جماعة الحنفي في عدم إذعانهِ، لما أمر به القاضي النواب من العرضِ والتَّعْيين قبلَ بثِّ الحكمِ لشكوى بعضِ الخُدَّام في آخرِ السنةِ الماضيةِ إلى السلطان من بعضهم حين أثبت رشد محجُور له بغير رضاه، وضَرْبهِ له وللوكيلِ مرةً بعد أخرى، وراسل مستنيبه بالإنكارِ، فاعتذر مع نقيبه وغيره حتى حصل الرضا. وحينئذٍ قال للصُّوفي: لم يمتنع من أمره وقد أعطاهُ الله كما أعطاني؟ فهل رأيتَ من الأمراء فضلاً عن غيرهم مَنْ يمتنع من أوامري؟ أو كما قال.

وفي رابعه أُخرج ابن العظمة من مكة - مُهاناً - لجدَّةَ حتى أُركب البحر، ووصل القاهرة بعد أربعةِ أشهر، فلم يَبِتْ بها سوى ليلة [واحدة](١)، وأُخرجَ في أسوأ حال إلى الكركِ منفياً، ولكن بعد أن خلفه من هو أظلم منه كما قدمت.

وفي سابعه قُبِضَ على الطواشي خشقدم الأحمدي الزمام، وطُلب منه ما زعمَ عجزه عنه، فلم يقبلْ منه، ورُسِمَ عليه بجامع الحوش، ثم أُرسلَ في تاسع صفر مع ابن عمر شيخِ هوارة، الراجع مِن الحجِّ مع الأول إلى أن أُسْكِنَ بسواكن.

---

(١) ما بين الحاصرتين من «ك».

وورد كتابه لمكةَ على الطواشي خَشْقدم أحد مماليكه المنفي بها من جهة السلطان، ونعم الصَّنيعُ في مخدومه، فهو من سيئاتِ الدهر. ثم بَلغنا في ذي القعدة أنه مات هناك على هيئة ذُلٍّ وخزي، وجاء الإذن مع الركب لمملوكهِ بالعَوْدِ من مكَّة لمصر بشفاعةِ بعضِ الترك، وإلى الآن لم يستقر أحدٌ في الزمامية، ولكن موفَّق الدِّين يتكلَّم في كثيرٍ مما هو تحت نظره، وليسَ هو في طائل، بل رسم عليه غيرَ مرةٍ، وألبس خلعةً في العشر الأول من [ربيع الأول](1) من السنة الآتية. وكذا الحِجَازي لأجل جباية جهات الأوقاف.

[ثم استقر فيروز الرومي في ذي القعدة من التي تليها كما سيأتي](2).
وفي يوم عاشوراء أخرج الكافر كنزَ الفرنج من كنيسةِ مريم بدمشق فصدمته دابـةٌ فسقط، فوطِئَتْـهُ أُخرى خلفها فمات، وظهرَ بذلك إجابةُ دعاء شيخ [الجواخين](3)، فإنه كان قد توعَّده [بإيقاع](4) ضرر من جهة الدولة، فتوجَّه لضريحِ السلطان نور الدين محمود بن زنكي، فما كان بأسرع من إتلافه.

وفي يوم الثـلاثـاء تاسـع عَشَره ضرب السلطانُ ثلاثةً بالمقارع، لكونِ كبيرهم الذي كان يركنُ إليه ويثق به في تَفْرِقَةِ صدقاتهِ، احتال بمواطأتهما عليه بحيلة اقتضتْ نزوله ليلاً لزاوية اليَسَع أسفل الجبل المقطَّم بجوار جامع محمـود، لمَّا قيل لـه: إنّ الطَّشْطُوطي المُعْتَقد عنده وعند الجُمهور فيها،

---

(1) و (2) ما بين الحاصرتين من «ك».

(3) ما بين الحاصرتين: بياض في نسخة «ك».

(4) في «ب»: بأنواع، والمثبت من نسخة «ك».

فترامى عليه، لكونه التفَّ ولم يبرزسوىرأسه لقرب شبهها ممن يعتقد، وأعطاهُ قَدْراً كبيراً من المال، ثمَّ بانَ له افتعالُ ذلك، فبادر للضربِ والإشهارِ والمُثْلَةِ وإيداع المقشرة. ولم يلبث أنْ ماتوا متعاقبين.

وفيه وصل إلى دمشق نائبها قَانْصُوه، وسُرَّ الناسُ به، لظنِّهم إزالة المظالم أو تخفيفها، ووقع حين نُزُولِهِ بقبة يَلْبُغَا رشَاشُ مطرٍ يسير، ثمَّ حينَ جُلوسُه بدارِ السعادة مَطَرٌ دام أياماً، حتَّى إنَّ المُحِبَّ عبدالملك بن محمد ابن محمد بن عبدالملك البغدادي الأصل، الحِمصي الشافعي أحد من أخذ عني. تعرَّض لذلك في قصيدةٍ امتدحه بها، فقال في أثنائها به:

أيَا مَنْ قَدْ حَوى بأْساً وعِلْماً ... وجُوداً ثمَّ بَسْطاً ثمّ عَدْلا
ويَا مَنْ قَدْ أتَى والوَقْتُ مَحْلٌ ... فَجَاءَ الغَيْثُ رَشَّ له المَحَلَّا
وبَعدَ حُلولِهِ جَاءَتْ سحابٌ ... أظَلَّتْ شَامَنا والخيرُ حَلَّا

ولم يلبثْ أنْ عزل مملوكه جندر عن دواداريته لكثرةِ ظُلْمِهِ، واستقرَّ بقُطز مكانَهُ، فبعد مُدَيْدَة تَجَرَّأ المنفصلُ عليه، فجعله أستاذُهما في الحديد والسجن، ثم ثاني يوم أطلقه وخلع عليه مع استمرار عزله.

وفي عشريه شرع في هَدْمِ المدرسة البجالية بباب أُمِّ هانىء، أحدِ أبوابِ المسجد المكّي بعد إرضاءِ المستحقين، وفعلِ ما يُعَدُّ مسوغاً ليكونَ مدرسة لصاحب الحجاز ويُلغى اسمها، وما تمت السنة حتى كملت بعلُوِّها وتتماتها، وعُملَ لها سوى بابها بابٌ لطيف للمسجد كما كانَ قَبْلُ، وقد رأيتها[1] بُورِكَ في حياةِ مُجَدِّدها. ويعجبني منها ومن غيرها من الأماكن التي

(١) في نسخة «ك» «وعمل لها ثلاثة أبواب اثنان للمسجد، ولم يكن لها باب سوى واحد له وقد رأيتها».

تحفُّ المسجدَ عَدمُ ارتفاعها عنْ بيتِ الله المعظَّم، وأتألمُ من خلافه أشدَّ الألم، سيما إن عطل بعض الشعائر،[كرأس الردم](1)الذي كان أول ما تقع رؤية البيت غالباً لداخل مكة من باب المَعلاة من حاجٍّ وغيره منه، بل الغالب فيما يكونُ كذلك عدم تمتع صاحبه به، بحيثُ يتعدى ذلك لساكنهِ كالعُطيفية إلى أنْ رأيتُ في «تاريخ الأزرقي» قوله في بابٍ عقدهُ لذلك مع غيره: حَدَّثني جدي، عن ابن عُيَيْنَة، عن ابن شَيْبَة الحَجَبي، عن شَيْبَة بنِ عُثْمَانَ أنه كان يُشرف، فلا يرى بيتاً مُشرفاً على الكعبة إلَّا أَمَرَ بهدمه.

ثم قال الأَزْرَقي: قال جدي: لمَّا أنْ بنى العباسُ بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس داره التي بمكة على الصيارفة حِيال المسجد الحرام، أمر قوامه أن لا يرفعوها، فَيُشرفوا بها على الكعبة، بل يكون أعلاها دون الكعبة إعظاماً لها.

قال جدي: فلم يبقَ بمكةَ دارٌ لسلطانٍ ولا غيره حولَ المسجد مُشرفة على الكعبة إلا هدمت أو خربت، وهو فِعْلٌ حسنٌ، وقد اعتمده التقيُّ الفاسي فإنه قال: وينبغي لمن بنى بمكة بيتاً أنْ لا يرفع بناءه على الكعبةِ، فإنَّ بعض الصحابة كان يأمر بهدمه. انتهى.

والآفة في كل ما يحصل فيه التعدّي بذلك وغيره ـ غالباً ـ من المهندسين. وقاسى رَكْبُ المحملِ في دُخوله شدَّةً كما اتفق في دخولهم مكَّة، بحيثُ مكث الأول لانتظاره في العقبة أياماً، ثم كان دُخوله القاهرة متأخراً عن عادته، لعدم دُرْبته، وكذا اتفق بالمدينة النبوية ما أسلفته في التي قبلها.

(1) ما بين الحاصرتين: بياض في نسخة «ب».

وفي ثامن عشريه قُبِضَ بدمشقَ على وكيلِ بيتِ المالِ بها الصلاحُ محمد بن عبدالله العدويُّ، وناظرِ جيشها المحبُّ الأسلميُّ، وسُجِنَا بقلعتها، ثم خلصا بعد الإرضاء.

وفي رابع عشري صفر كان أتابك الديارِ المصريةِ وباش العساكر بدمشق راجعاً من حلب والنَّاسُ مزدحمون عليه، وفَرَّقَ عند الجقمقية على باب السلسلة ـ أحدِ أبوابِ الجامع الأموي ـ دراهمَ كثيرة، ثمَّ سافر في تاسع عشريه إلى القاهرة، ولم يتخلف بعدهُ أحدُ من الأمراء، وكان يوماً حافلاً.

وقبل ذلك بقليل من صفر، أَلْبَسَ نائبَ دمشق وأولاده الأربعة خلعاً حُمراً بقاقوم، وركب من قبة يلبغا وهم بين يديه مع القضاة ومَنْ شاء الله من قِبل السُّلطان لعوده مِن المهم.

وفي اليوم الذي يليه اختفى منه عز الدين ابن العز في مقدم الزبداني العاصِي عليه، والتمس من صدقة السامري الشفاعة فيه عنده، وبلغه ذلك، فبادر لإرسال دواداره إليه للقبضِ عليه وهو بداره من صالحيةِ دمشق، فهاشَ عليه فضربه الدوادارُ بالسيفِ، فرمى رَقْبَتَهُ، ثم أحضر برأسهِ إلى أستاذه، فنودي عليه، وعُلِّقَ بالمشنقة.

والمقدمُ هذا هو القاتلُ لابنِ باكلوا أحد شيوخ بعض الطوائف، وعُلِّقت جُثته عند اليغمورية في شجرة مدةً، **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**.

وفي صفر أيضاً جِيءَ بأميرِ مجلس ورأس نوبة وشاد الشُّون[1] والبواب

---

(١) الشُّوَن: أي مخازن الغلال، وقد سبق تعريفها.

السّابق مَوتهم في التي قبلها، فَدُفنوا في تربهم بالصحراء.

ثمَّ في جمادى الأُولى جلسَ في مرتبة أميرِ مجلس، إما إشارةً للاستقرارِ فيها عوض الأول من هؤلاء تاني بك الجمالي من غير لبس، بعد الغضبِ منه ومُراجعةِ الأتابك وأمير سلاح فيه حتى حَصَل الرضا، أو لغير ذلك.

وقَبْلَهُ في ربيع الآخر استقر رأسَ نوبةِ [النوب][1] عوض طَطَر أُزْبَك اليوسفي الخازندار، أحدُ المقدمين.

وفي الحُجوبية الكبرى تاني بَك قرا، أحد المقدمين أيضاً، حين الغضب من تاني بك الجمالي.

وفي الدوادارية الثانية: شاد بك الأشقر من مصطفى الأشرفي نائب القلعة عِوَضَ قانصوه الألفي.

وصار كُلٌّ من مغلباي الوالي وجانم نائب قلعة حلب مقدَّماً [جبراً][2] لِمَا حَصَل لأوَّلِهِمَا من ذهابِ عينه في التجريدةِ، مع استمرارهِ على الولاية إلى أن انفصلَ منها كما سيأتي في التي تليها.

وفي أواخر صفر ابتدأ ناظرُ المسجد الحرام بإصلاحِ مَا وهَى مِنْ مَحل المولدِ الشريف النبوي من شِعْبِ عليٍّ رضي الله عنه، مع تبييضه من داخل وخارج، وإصلاح حاشية المطاف.

كما أنَّه في أثنائها اهتم شادٌّ [جدة][3] في إصلاح رَفرف مقامِ الحنفية

---

(١) ما بين الحاصرتين من «ك».

(٢) ما بين الحاصرتين من «ك».

(٣) في نسخة «ب»: بياض، والمثبت من «ك».

وسقف قبةِ زمزم وسطحها ونحوها، بَلْ وسقاية العباس رضي الله عنه. وجاءت بهجةً، ولو اشتغلَ بإجراء العينِ لقلّةِ الماء، كان أهمَّ، مع أنِّي كلَّمته في ذلك واعتذر عنه، ويأبى الله إلاّ ما أراد.

وفي ثاني عشري ربيع الأوّل تكاملَ دخولُ العساكرِ بعد أخذهم أذنة بالصلح إلى الديارِ المصرية، وكان دُخولهُم من المدينةِ بأطلابهم إلاَّ أمير سلاح، فإنه طلع من الترب، ووافاهم بالقلعةِ، كَفِعْلِهِ تلك المرَّة، بحُجة أنَّه ضعيف.

وألبس الأمراء بأجمعهم الخلعَ، ثمَّ جهز لكلٍّ من الأتابك وأمير سلاح وسائر المقدمين من المالِ ما يُناسِبُه مع بُقجة قماش، ومَدَّة في بيته. بل عمل لَهمْ مَدَّةً بالقبة الدواداريّة التي برأس الدور.

ثم لما كان يوم الجمعة ثالث ربيع الآخر، وقف الجلبانُ بعد الصلاةِ، والتمسُوا من بعضِ الأمراءِ سُؤالَ السلطانِ لهم في مئة دينار لكلٍّ واحد فامتنع، ثم أمر بالنداء بالطلوع من الغدِ وبإعلام القُضاة والمقدمين بالحضور، فَطَلَعُوا كلهم، واصطفَّ العسكرُ يميناً وشمالاً بالحوش، وجلس السلطانُ تحت الدّكة، والقضاة والمقدمين خاصة، ومنع مَن عَدا القضاةِ الأربعة من الدُّخول. ثم أمر مَنْ يُبلغ المماليك ما هُوَ فيه مِن الكلف، وأنه ليس عنده ما يُعطيهم، ويأمُرهم بالصبرِ، فامتنَعُوا وأصَرُّوا على الامتناع مرَّةً بعد أخرى، بحيثُ إنَّ أميرَ سلاح وأمير آخور وحاجب الحجاب كلَّموهم في آخرِ المراتِ وهم مُصَمِّمُون على المئة، فحينئذٍ اشتدَّ غَضَبُه، وصرَّح بعزل نفسهِ، وانتصب قائماً، وخلع السلاري عن أكتافه، فبادر القُضاةُ والأمراء إلى استرضائهِ حتى جلسَ.

ثمَّ تكرر تردُّد الأمراءِ بينه وبينهم، حتَّى تقرر الحالُ على النِصفِ من ذلك، ويكونُ إعطاءُ الخمس منه بعد ثلاثة أشهر، والباقي شهر تاريخه.

ثمَّ طلبَ الخليفة فَحَضَر، وجَدَّدَ له ولاية، ونَفَّذَ القضاةُ ذلك. وذلك بعد أنْ نسب الخليفة لما تنصَّلَ منه، وتكلَّم الشافعيُّ في دَفْعِه بما يَنفعُه، ولم يلبثْ أن أنفقَ على كلٍّ من الجلبانِ القادمينَ أربعين، ومن القرانصةِ ثلاثين، ثمَّ فَرَّقَ عليهم ثمنَ الخيل التي تلفت منهم في الوَقْعة أو في الطريقِ، ولم ينفق على مَنْ لم يَحْضُرْهَا، بل استرجعَ من أكثرِ أولادِ الناسِ ما كانوا أخذوهُ من الثلاثين ورسمَ بأخذِ عشرين ديناراً من كُلِّ مَنْ له في الديوان مِن غير المماليك ألف درهم فما فوقها، وبأربعين مِمَّنْ له ألفان، وبستينَ ممَّن له ثلاثة، ولم يتركوا أحداً حتَّى الخوندات، وقطعُوا للخُدَّام والبيوتاتِ ونحوهم على ما قيل: شهرين شهرين.

ثمَّ في جمادى الثاني سافرت تجريدةٌ لحلب باشها قانصوه الشامي أحدُ المقدمين، وكان بدمشق في الذي يليه، وشهدَ فيها الحريقَ الآتي، وسافرَ معه مُحِبُّ الدين محمود ابن الشمس ابن أجا قاضي الحنفيةِ بحلب، وكان مطلوباً منها، فساعدَهُ الأميرُ المُشَارُ إليه بإقراضِ أربعةِ آلافِ دينار بَذَلها، بل لما علم السلطانُ بكونها منه أعادَها، ورجع معه مكرماً. وكان في هذه التجريدةِ يَشْبَك جُنُب رأس نوبة ثاني وكرتباي قريب السلطان وتاجره، وجانم الأشرفي إينال واصطمر، واستقر كلٌّ منهما حينئذٍ رأس نوبة، وجان بلاط الدوادار أحدُ العشرات بعد أنْ كان عُيِّنَ لإمرةِ الحج كالعام قبله، فكفى الله المؤمنينَ القتالَ، وألف مملوكٍ ممن كان مقيماً بالقاهرة، أو التمس ذلك مِمَّنْ عاد من الأوَّلينَ بعد الإنفاقِ عليهم على العادة، وإعطائِهم ثمنَ عليقِ شهرين، خوفاً من طروق العَدُوِّ، ولتكونَ مَدَداً لعلي دولات في محاربةِ أخيه

بداق الذي فرَّ من قلعةِ دمشق قبلُ.

وعزل نائبها الأمير محمد بن شاهين، واعتقل لتفريطهِ في أمره، بل جهز إليه مع أخيهما عبدالرزاق القادم عليه مصرَ مبلغاً أنعم على القادم بمثله مع خلعة، وسافر قبيل التجريدة بيسير. ولم يلبثْ أنْ جاء الخبرُ في شعبان بأنَّ الأميرَ علي دولات تقاتل مع أخيه بُداق وجماعةٍ من أعيانِ أُمراءِ ابن عثمان، وانتصـرَ عليهم، وقتـلَ غالبهم، وأسرَ إسكندر بن ميخال أحد باشاتِ ابن عثمـان، ونهب كثيراً من تلك الجهـاتِ من القرى ونحوها، ثم جهَّزَهُ في الحديدِ إلى القاهرة مع نحو مئتي رأس عُلِّقت بحلبَ والشام وغيرهما.

وتسلم إسكنـدر أمير آخـور كمـا فُعِل بابن هرسك، وكتبَ إليَّ بعض الشاميين أنه لما دخل الشامَ كان في الحديدِ، فطرحه نائبها عنه، وأخرج إلى القصـر الأبلق، ولكنَّه لما دخلَ القاهرة كان في الحديد، وكان في دخوله البلدين على رأسـه الطَّرطُور بالدائرِ الذهبِ على عادةِ بلادهم، وصحبتهُم صناجق[1] منكُوسة.

وفي أثناء ذلك جاء لبابِ الأتابك قاصدٌ من داود باشا عينِ باشاتِ ابن عثمان بعد تعويقه بغزة والمنع من دخُوله، ثم حَصَل الإذنُ له ومعه مطالعةٌ من أميره تتضمنُ مشيه مِن قِبلِ نفسه في الصُّلْحِ بشرط، فَرَسم بكتابة جوابه بالمـوافقـة على الصلح بشـرطِ إعادةِ ما أخذَ من القلاع مما يتضَمنُ إلغاء شرطهم، فسارع لكتابة جوابه عن الأتابكِ جماعة، كان أحق بها منهم خَطًّاً، ولفظاً مع خبرتِهِ بالفن، وكونه موقع الأتابك الشهاب النابلسي النَّاسخ. وجهز قصَّاد من جهة الأتابك وأمير سلاح وأمير آخور. وكُنَّا نَترجَّى أنَّ الأمر تمَّ،

---

(١) في «ب» مناجق، والصواب من «ك»: والصناجق يعني الرايات.

وانحسمت موادُ الفتنِ، فكان ما سيأتي في التي تليها.

كُلُّ ذلك والاجتهادُ واقعُ من الأتباع فيما أمر من أجله بالاجتماع بالتربة الدوادارية يَشْبَك حسبما أوضحتهُ في «الكبير» بدون شك. وللعامة مدة تدندنُ به، وتُطِنُّ بالتوجُّه لسببه من جبايةِ أُجرةِ شهرين من الأوقافِ والأملاك بمصر والقاهرة ونواحيها، ساكنها وخاليها، عامرها وخرابها، حتَّى من كثير من الأماكِنِ التي بعلو الترب فيما قيل، وشون الدَّريس والمراكب التي في البحر والغيطان، وحوانيتِ الأسواق، والبيوت التي تَعْلُوها، ومالا يكونُ مستأجراً، إما لسكن أصحابه به، أو لتعطيله من ساكنٍ يُقوِّمُ المهندسون أُجرته.

وفوض لناظرِ الخاصِ ذلك من داخلِ باب زويلة إلى الريدانية، والأستادار من خارجه إلى مصر العتيقة إلى بولاق. وفي كلٍّ من الجهتين مملوكٌ سُلطاني وكُتَّاب، إمَّا ذهباً وإما فضة بالميزان، بل يلحقهما من الأتباع للرسل والمستخلصين أكثر من شهر، مع أنَّ التقويمَ المشارَ إليه بعثراتِ اللسان ومن استُضْعِفَ جانبهُ (ضرب)[1] وأُخِذَ منه ما شاؤوا، وكذا مَنْ كان مَستوراً ويتوقع البهدلة ونحوها، وحَلَّفُوا الكثيرَ على مقدارِ الأجرةِ، وعَمَّتْ بذلك البلوى، وتزايدَ الكَرْبُ والبلاءُ، واشترك في مُطْلَقِ الأخذِ الأميرُ والمأمور، والغنيُّ والصُّعلوك، وربما أرسل الطواشية لبيوتِ الأمراء، وأما إرسال الرُّسل للسُّكان والمُلَّاك، والترسيم عليهم، فكثيرٌ، ولم يُحابُوا قاضياً كارهاً أو راضياً، ولا أميراً ولا مباشراً، ولا عالماً، ولا زَمِناً ولا سالماً، ولا أرملةً ولو لم تملكْ أنملةً، ولا صالحاً ولا راجحاً، إلاّ مَنْ راقب المُفَوَّضُ إليه فيه الله، حيث يقول سرّاً: أخِّروا هذا حتى نشاورَ، وإلاَّ مَنْ صَمَّمَ مِمَّنْ لم

(١) ما بين الحاصرتين من «ك».

يَجْسُروا عليه، ولم نَسْمَعْ من هؤلاء بكثيرِ أحدٍ، بل لم نسمعْ من الشقِّ الثاني بغيرِ الشيخ داود أحد مُفْتي المالكيةِ وعلمائهم هذا مع عجز الشافعيِّ عن اقتصارهم على شهرٍ من الأوقاف التي تحت نَظَره، وزَعَموا أنهم لم يسمعُوا بتركِ الأخذ من أوقافِ السلطان وجهاته، وتلاشَتِ الأوقافُ زيادةً على ما كانت عليه، بل آلَ أمْرُهَا إلى الخراب.

وتَحَدَّثَ الناسُ بأنَّ المفتيَّ بذلك الشهابُ الشيشيني الحنبليُّ، بل قالَ قاضي المالكيةِ حين الاجتماعِ المُشَارِ إليه بجعل ذلك في نظير أجرةِ الأرضِ، فإنَّ مصر فُتِحَتْ عنوةً. وقيل فيهما بعضُ الأشعار، بل كادَ العامةُ قَتْلَ الأوَّلِ أو حرق بيتِهِ، بحيث اختفى، وكأنّه لمبالغته بحيثُ صَنَّفَ كراسة سمَّاها «تصويبُ رأي الإمامِ الناصحِ في الاستعانةِ بأخذِ الأجر والمغلات لدرء العدُوِّ المكافح» وعندي تَوَقُّفٌ في كونهما المستند، بَلْ هذا شيءٌ قائمٌ في النفس من مدَّة، والظاهر أنَّ بعض خواصِّه ومُسامِريه أعلمه بِسَبْقِه له، أو هُوَ رَآهُ في بعض التواريخ.

كما حُكي لنا عنه أنَّه متمسكٌ بِقصَّةِ ابن اللُّتْبِيَّة في أخذِ أموالِ عماله.

وأقول: إنَّه - وإنْ فُعل في أول القرن الثامن ما يشابه جُلَّ ما وقع - فإنَّهم لم يبالغوا فيه، كالآن، وزِيدَ إذْ ذاكَ الأخْذُ من الضياع والأراضي والغلال، بل ثلث الأموال مما وقَع في وقتنا قُبيلَ هذا العام بعضُهُ، وهو الخُمسُ، ولم يُفِدْ ما جُمِعَ في دَفْعِ ذاك الطاغية [وهو غازان، كما أنَّه لم يفد ما جُمع من الأموال نحو هذه الطرق أوائل القرن التاسع في دفع الطاغية][1] تيمور لنك، بل كانَتْ عاقبتهُ في جميعه على القائمينَ به وخيمةً لقُبحِ هذه الجريمة، فمنهم مَنْ عُزل أو ضُربَ أو هلك، مع ما ادَّخرَ له مما لا يعلمهُ إلَّا الله

(١) ما بين الحاصرتين من «ك».

المالكُ لقلبِ كُلِّ من مَلَك. وكيف لا، وقد قال ﷺ: «إنَّما تُرْزَقُون وتُنْصَرُون بضعفائكم»[1]، «اللهمَّ مَنْ شقَّ على أمتي فاشْقُقْ عليه»[2].

ولـذا توجَّـه العلمـاء والصُّلحاء لإنكار ما عَلِمُوا بوقوعه منه، كالأستاذ الجلال القزويني صاحب «تلخيص المفتاح»، وقاضي المملكتين وغيره مِن قضاة الإسلام؛ بل اجتمعَ الناسُ وتَسامعوا، وخَرجُوا إلى جمعٍ كثير ومَعهُم المصحفُ الكريم والأثرُ النبويُّ والصناجقُ والأعلامُ في التوجّه لعدمِ الموافقةِ عليه، بحيث كُتِبتْ مراسيم لسائرِ البلادِ بالإحسانِ للرَّعايا، والإنكارِ لما وقع، وقُرئت على سُدَدِ المؤذنين بحضرةِ النوابِ والقُضاةِ والخطباء وغيرهم. وأما السلطان صلاح الـدين، فسيرتُهُ في دفع ما هو دون هذا مِمَّا ظهرتْ ثمرتُهُ عاجـلاً من أحسنِ السيّر، بل كانتْ لشيخنـا شيخ مشايخ الإسلام وقاضي الشافعية الشهاب ابن حجر رحمه الله اليدُ البيضاءُ في منعِ ما حُسِّنَ للأشرفِ برسباي من أخذِ الزكواتِ من أربابِ الأموالِ. وتبعه أئمةُ الإسلام إذ ذاكَ، كالمالكيِّ والحنبلي وغيرهما، حتَّى أعرضَ عنه.

كما أنَّ شيخَ الإسلام قطب الأولياء الكرام المحيوي النووي رحمهُ الله ونفعنا ببركاتهِ كَفَّ الظاهرَ بيبرس صاحبَ الجامع والمدرسة الشهيرين وغيرهما عن مطالبةِ ذوي العقارات ونحوها بإبرازِ مستندٍ يشهدُ لهم بالمِلك مما بلغني عن بعض ظَلَمَةِ الشاميين أنه تَفَوَّه الآن بفعلِ مِثْلِه، وأعلَمَهُ لفظاً وخطاً بأنّ

---

(١) صحيح، وقد رواه البخاري عن سعدٍ بلفظ: «هل تُنصَرُون وتُرْزقُون إلاّ بِضُعَفَائِكُم» كما ورد بألفاظ متعددة، وممَّن رواه. النسائي، وابن ماجه، وأحمد، وأبو نعيم في الحلية، وغيرهم.

(٢) صحيح، وهو جزء من حديث رواه مسلم عن عائشة بلفظ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ».

ذلك لا يحلُّ عند أحدٍ من علماءِ المسلمين، بل مَنْ في يده شيءٌ فهو ملكه لا يحلُّ الاعتراضُ عليه، ولا يكلفُ إثباته، ووعَظَهُ وحَذَّرَهُ، وبشَّرَهُ وأنذرهُ، فكفَّ.

[ولمَّا هجم اللنك البلاد، عقد مجلس بالقضاة والعلماء بمشاطرةِ الناس ـ سيما التجار ـ في أموالهم، فقال قاضي الحنفية الجمالُ يوسف ابن الملطي: إنْ كنتم تفعلون بالشَّوكة، فالأمرُ لكم، وأما نحنُ فلا نفتي بهذا، ولا يحلُّ أنْ نعملَ به في الإسلامِ، فانكفُّوا عن التعرُّضِ لذلك، ثمَّ عن ارتجاع الأوقافِ والاقطاعِ بزعمِ الاستعانةِ بذلك في دفع تمرلنك، فكان ذلك معدوداً في حسناتهِ، مع كونهِ لم تُحْمَدْ سيرتهُ في القضاء، ويُنسب إليه أشياء منكرة، ولكن «الله يؤيد الدِّينَ بالرجل الفاجر»(١).

وأعلى من هذا أنَّ الأميرَ الكبير ألجاي تولى نَظَرَ الأوقاف، فاشتدَّ على الفقهاء، وقَطَعَ رواتبهم، فكلَّمَهُ السِّراج الهندي عمر بن إسحاق في ذلك، فلم يقبل، فأغلظَ له بأنْ قال له: أنتَ إقطاعُكَ ألف ألف، تستكثرُ على الفقيهِ خمسةً أو عشرة، فقال: إنَّا لا نأخذُ هذا إلَّا من أجلِ الجهادِ، فقال له: لولا الفقهاء ما كنتَ مسلماً، فأطرقَ ورجع عمَّا كان فيه](٢).

بل تَلَطَّفَ شيخُ الإسلام الأميني الأَقْصَرَائي رحمهُ الله لسلطاننا حين تَحَدُّثِه بفعلِ شيءٍ من هذا حتى أعرضَ عنه.

وأما قصَّة ابن اللُّتْبِيَّة، فلا يُستفادُ منها الأخذُ من كلِّ ما بأيدي العمال

---

(١) روى النَّسائي وابن حِبَّان عن أنس بن مالك، وأحمد والطبرانيُّ عن أبي بَكْرَة بلفظ: «إنّ الله تَعَالىٰ يُؤَيِّدُ هَذا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لا خَلاقَ لَهُمْ» وهو صحيح.

(٢) ما بين الحاصرتين: بياض من «ك».

إلاّ إن ثبت تمحضُ العملِ في جميع ما في حوزَتِه. أما مَنْ له جهاتٌ أو أرزاقٌ من غيره، فلا يجوزُ التعرضُ لها.

ومشاطرةُ عمر رضي الله عنه لعمّاله لكونِهِ أشكلَ عليه ما اكتسبُوه، أهُوَ من الأرزاقِ التي لهم أو العُمالة؟

وما أحسنَ ما بلغنا عن بعضهم ممَّن رميَ عند بعضِ الخلفاءِ العباسيين بأنَّ تحتَ يده ودائع لبني أُميّة، وطلبه لأخذِها منه أثَمَّ حجةٌ لأميرِ المؤمنين في ذلك، فقال: نعم. إنهم أتلفوا الأموال فأنا استرجعُ ما قدرتُ عليه لبيتِ المال، قال: فهل ثبت أنَّ ما قيل: إنه تحتَ يدي هو عينُ ما لبيتِ المالِ حتَّى يَسوغَ أخذُه؟ فكفَّ عنه.

وفي ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الأول كان الجَمْعُ الحافلُ للتوجُّهِ في خدمةِ شافعي مكّة لمحل المولدِ الشريفِ على العادة البهجة بعد أنْ حَدَّثْتُ فيه نهاراً جماعةً عُلماءَ صُلحاءَ بمصنفِ العراقيِّ فيه، وكانت ساعةً لطيفة مأنوسة.

وكذا كان المولدُ السلطانيُّ في الحوشِ من القلعةِ، ورَامَ القُضاةُ الانصرافَ بعد صلاةِ المغربِ، فلاطفهم بقوله: أتتركوني وحدي؟ إشارةً لغيبةِ الأمراء، فما وسعهُم إلا الجلوسُ، بل سُرُّوا بذلك.

وفي سادسه أدَّبَ السلطانُ مملوكهُ كسباي المحتسب، وشَفعَ فيه الأزدمران، وهدَّد النقباءَ ونحوهم لتقصيرهم وتنبيههم.

وفي أواخره وصل لمكة القاصدُ من مصر ومعه مُطالعات اشتملَ ما يتعلَّقُ بي منها على الإعلامِ بوفاةِ أخويَّ رحمهما الله، وعَوَّضَنَا الله وإياهما وأمَّنَا

الجنة. فكان بين وفاتهما دونَ ثلاثةِ أشهرٍ، وبين ثانيهما ومجيء الخبر زيادة على عشرين يوماً، وكان ذلك في أثناء المهم لعُرس أخي شافعيها على ابنةِ عمه الكمالي، فامتنع عياله من فِعْلِ ما العادة جاريةٌ به في أفراحِهنَّ أياما، مع الإلحاحِ عليهن في الفعل، بل برزْنَ بأجمعهن لتعزيةِ الجماعة بالبيتِ نهاراً، مع كونهِ خلاف عادتهن.

وكَانَ الختم جامعاً بعد صلاةِ الجمعة بعد اجتماعِنَا للقراءِة أياماً. تقبَّل الله ذلـك، ثم بعـد سمـاط الحلوى للعُرسِ جيء بالسيد أبي سعدٍ أخي، صاحبِ الحجاز ميتاً، فاشتغلوا بالاجتماع له أياماً.

وجاء ابن أخيه السيد بركات، فوافى الختمَ، ثم قصدَ الزوجَ في بيت العرس للتهنئةِ.

ومن حسنات الشافعيِّ في هذا المهم منع ما يُسمَّى بينهم بالمنديل، مع كونـه كان يجتمع منه الكثير، وما التفت لمن يُرغبهُ فيه، بل شَكَرَ العقلاءُ صَنيعَه، وإنْ كان المأخوذ يُوفى كالدين، وليست بالأولى، فأحمدها، فمن أنصفَ عَلِمَ تَفَرُّدَهُ بأوصافهِ.

وفي أوائلِ ربيع الثاني صُرِفَ البدرُ ابن الكمالِ عن نَظَرِ الجيش وظيفةِ أبيهِ وجَدِّهِ، واستقرَّ فيه عَمُّهُ الشهابُ، ببدلٍ ـ فيما قيل ـ من جهةِ الأول، وتخفيف من النقد عن الثاني.

وشـرع المنفصـلُ ـ كمـا قيل ـ في أخـذِ «شرح الروض» عن مُصَنِّفه الشافعي، ثم تحليقه بالأزهر على عادته.

وقدمَ الأميرُ شاهين من طَيْبَةَ ليباشر جدة كالسنةِ الماضية، وسكنت في

إقـامتـه بمكـة الغـوغاءُ التي كانت بين الجمالي ابن أبي اليُمْن وابن أخي الخواجا ابن الزمن بسبب نسبته للخُروجِ عن حَقِّه في حقّهم فيما شرعَ فيه من العمارةِ عند بابِ الصَّفا. وقدح في ابن ناصر، ووافق غيره على إخراجِ المتزوجين من خلاوي المدرسةِ الأشرفية المنقطع من رباطها الخبز والدشيشة من الموسم الماضي.

كما أنَّ حَبَّ المدينةِ لم يصل إليها من نحوِ سنةٍ للاشتغالِ بما تقدَّم. وكفَّ الشهاب ابن العُلَيف كاتبَ العمائرِ السلطانيةِ ونحوها بطيبة عن التوجُّهِ لمصر للانتصافِ مِمَّنْ يُعاديه، ولم يظهر للشهاب مصلحةٌ في ذلك. ومع هذا رجع إليها مع الركب لاستيطانِهِ بها، وسمح الشريفُ للسلطانِ فيما قيل بنحو ألفي دينار مما جرت العادةُ أنَّه له، ثمَّ سافر التجارُ بالربحِ والسلامة، وتوجَّه معهم من مكةَ جماعةٌ لطَلب نائلِ الملوك ونحوهم لانقطاعِ جُلِّ ما كان يَرِدُ عليهم من الصدقاتِ، مع الإجحافِ في أكثر صُرَرِهم المُقَرَّرةِ، يَسَّرَ الله لهم الخير.

وبلغنـا وصُول المراكب لبابِ المندل في ثامن عشري رمضان حسبما كَتَب إليَّ بعض الآخذين عني.

وفي جُمادى الأولى قَدِمَ الدوادارُ الكبير من بلاد نابلس وبلاد الغَوْرِ ومعه شيءٌ كثير سِيقَ إليه من أربابِ الدولة ونحوهم، ومِمَّن يرد عليهم من الهدايا والتقادم وغير ذلك، ومع أنه لم يتمكن من شيخِ العشير ابن إسماعيل، وألقى على الرعايا ذلك أو جُلَّهُ، ونزل ومعه الأتابكُ وغالبُ الأمراء.

وغضب على إمامه الشهاب النِّحريري المالكي، أحد مَن استنابَهُ ابن

تَقي، ورَسَمَ بتـوجهه لقوص، فشُفع فيه لبلده النحرارية، ويقال: إنه كان المغري لمخدومهِ على ابنِ يوشع، مع كونه ابن خالته، والجزاءُ من جنس العمل.

ومـا كان بأسـرع من سفر الدوادار إلى الصعيد، ثم عاد في منتصف شوَّال، وقد تزايدت سخامتهُ وظُلامته، حتّى إنه تَعَرَّضَ لأمير سلاحٍ مرَّةً بعد أخرى، وكان الأمرُ في الأولى أفحش، حيث أركب مماليكه ليهجُموا عليه بيته، ولم يلبث إلّا يسيراً.

وغضب ممـاليكـهُ منه في أثناء محرم التي تليها، ونزلوا الأَقْبُغَاوِيَّة من الجـامـعِ الأزهـر، وتوجَّه إليهم لرجوعهم غيـر واحد من الأمراء مرَّةً بعد أخرى، إلى أنْ عَادُوا، ورامَ أستاذهم بَعْدُ الفتكَ ببعضهم، فاشتدَّ باقيهم، ورَمُـوا بالنشاب، ثم رجع الجميع إلى الأزهر، وتردد إليهم أكثر المماليك السُّلطانية، وأمَدُّوهم بالمآكلِ ونحوها، إلى أن راسلهم السلطانُ بما اقتضى لهم العَوْدَ، ورُبَّما عُدَّ ذلك لأمير سلاح، والمقدَّرُ كائن.

وفي جمادى الثاني رسم السلطان بسلخِ الشهاب ابن الديوان أستاداره بحلب ووكيلهِ فيها بعد ابن الصوَّا، بعد أن ضرب ابنه مقارع، ثمَّ شهرهما وأودَعَهُمَا المقشرة، ثم سُلِخَا، وبُدىء بالأبِ وابنهُ ينظر، بحيث انزعجَ وتكلَّمَ بكلماتٍ يسيرة، ثم ماتَ قبل سَلْخِهِ فيما قيل.

واخْتُلِفَ في السبب، ويقال: إنه خدمَ الأتابك وسائر الأمراء، وغالب العسكر وهم بحلب بما لم يَنْهَضْ له أحدٌ، ولذا قيل: إن الأتابك قال: إنْ كنتَ تريدُ المالَ، فأنا أتسلمهما عليه، فكان المحتَّم.

وفي العُشر الآخر من جمادى الأولى، أمرَ بنفي حسين الشافعي ابن الأثيري ابن الشحنة حين إقامتهِ بالقاهرة، وكان قَدِمَهَا بعد وفاة أخيه. ولزم الاشتغالَ عند الشافعيِّ وابنِ القاسم والبرهانِ ابن أبي شريفٍ لقوص لِتَشَكِّي الحسناوي شافعي حلب من إشاعتهِ المقتضيةِ لحبسِ يده. وشفع فيه، فأمر بتوجهه لألواح، فأدرك وقد وصل إليها من ثلاثةِ أيام، فنقل إليها إلى أنْ أُفْرِجَ عنه بعد أشهرٍ، وصامَ رمضانَ هناك، ثم أُفرِجَ عنه بشفاعةِ الأتابك، وسافر لبلده في ذي الحجة. هذا مع تَبَجُّحِ قريبهِ بكتابته عن الأتابكِ الجوابَ لأمير ابن عثمان الذي اشتغل غير واحدٍ به بسببهِ، ليزال توهم حمده على جوابه.

وقدم التقيُّ ابنُ قاضي عجلون والشريف محمد ابن المحب ابن أخي التقيّ الحصني لشكوى محمد العُمري المذمومِ السيرةِ بين الدمشقيين، والمَلُومِ بالسَّريرة المظنونة للمخلصين، المُلحَن بحضْرة السلطان مالاق بخاطره، وتحرَّك لأجله معه بظاهرهِ، بحيثُ أنعمَ عليه بمالٍ، وأنزله بجامعِ الرَّوضة بغير سؤال منهما.

واجتمع القضاةُ، وكاتبُ السرِّ والدوادارُ الثاني وغيرهم لذلك في الصالحية، فلم يُحْسِنْ تحريرَ دعوى، مع زَعْمِه أنَّ له تصانيفَ، وأحضر في المجلسِ بعضَها، فوجد فيه ما يتضَمنُ إلزامه بأمرٍ عظيم، وآل الأمرُ لتبرع الشيخين بالحلف على ما نَسَبَهُ لهما.

ثمَّ لما كان في مستهل رجب، أُعيدَ الكلام بحضرةِ السلطان، وعُنِّف التَّقيُّ في إبطائهِ عن المجيءِ مع تَكَـرُّرِ طلبه، فاعتذَر بالمعارضة في الركوبِ، بحيث إنه عجزَ في أثناء الطريقِ، واحتاج لنزولِ البحرِ والمجيءِ من الطينة، فما انشرح بذلك، وانفصلوا عن غير شيء.

فلما كان في مستهل شعبان، كَلَّمَهُمَا بسبب هَدْمِ التقيِّ ومَنْ وافقه لما بقيَ من المسجدِ الكائنِ بباب جيرون، وأن الشيخَ أبا علي الدقاق أحد المعتقدين، ولا غرض له عندكم، وردَ كتابةُ بإنكارِ هذا الصنيعِ، وأنَّ السُّلطان أنكر على مَنْ هدمَ الكنيسةَ ببيتِ المقدس، وهذا أوْلى بالإنكار، فأجاب التقيُّ بأنَّ الاعتمادَ على ما قاله الإمامُ أبو شامة وغيره من العلماءِ في كونِهِ ليس بمسجدٍ كما أشرتُ إليه في التي قبلها، فلم يَرتضِ ذلك.

وتمادى الحالُ إلى سادس شوال، فحصلَ الرِّضا عن التَّقيِّ، وألبسَ خلعةً، ولم يتأخر، بل سافر من الغد، فكانت غيبته عن بلده، وتعطله عمَّا هو بصدده زيادة على خمسةِ أشهر، فإنه برز منها في سابع عشري ربيع الثاني. عوَّضه الله خيراً.

وأما الشريفُ، فإنه سافرَ قبلَ ذلك إلى بلده في شعبان.

وفي جمادى الأولى أمر نائبُ دمشق بعملِ فرسٍ من خشب، فاستفيض أنها لابنِ شاهين نائبِ قلعة دمشق كان، لتفريطه في هرب بُـدَاق منها. كما أشرت إليه قريباً، فكاد لهذه الإشاعةِ أن يموت، ثمَّ بان أنَّه لغير ذلك.

وسافر النائبُ في ثامن عَشَره لقتالِ الأعراب بحوران، وخلعَ على خازندارِه مملوكه بنيابةِ الغيبة، ثمَّ عاد في أواخر الذي يليه.

وكان في مُستهلِّه خِتَانُ ولد القاضي الشمس محمد ابن البدري حسن ابن المزلق، واحتفلت جَدَّتُه بذلك.

وفي رجب كان بدمشق حريقٌ عظيمٌ حول جامعِ الجوزة خارج بابِ الفَرَاديس، واحترقت عمارةُ السُّلطان وسويقة مسجدِ القَصَب إلى شرقي خان

البُقْسُمَاط غربي دارِ الطعم طُولاً، ومِن شمالي الجامع المَنْجَكِي إلى آخر سُوَيقة القاضي، وذلك فيما كتب به إليَّ بعضُ الشاميين نحو ثلث دمشق أو فوقه.

وأما الشيخ أبو الفضل ابن الإمام، أحد رؤوس عُلمائها، فقال: إنَّه نحو رُبعها، واحترق فيه من الأبناء ونحوهم، ومن الدواب والأرزاق ما يفوقُ الوصف.

ولولا أنَّ النائبَ ركب إليه، وفتح باباً من بعض جوانبه، بحيث يخرجُ منه الكثيرُ من الخلائقِ والحُرَمِ والأموالِ، لهلكوا عن آخرهم.

وكان قانصوه الشامي حينئذٍ بدمشق، واطَّلَعَ عليه، ثمَّ سافر ثاني يوم إلى البلاد الحلبية.

ومن العجيب أنه أُشيع بدمشقَ أنه وقع أيضاً في هذا الشهر بحلب، بل وبمكة العتيق، كما بلغني عنها، وأنه بالأماكِن التي بشاطىء النيل، مما يلي يَسرة الجامع الجديد، وكان أيضاً مَهُولاً.

وفي رجب أو شعبان، شَنَقَ شخصٌ يقال له شرامر نفسه بالبوصة، وقتلت جاريةٌ بيضاء وأخرى حبشية سَيِّدَتَهُمَا، فَشُنِقَتَا على بابها.

وكذا في شعبان، عمل شخصٌ بدمشق اجتماعية فيها قناديل موقودة، ففقدت امرأةٌ من هذا الجمع، ثمَّ بانَ أنها سقطت في بئرٍ هناك. إمَّا افتئاتاً أو اتفاقاً، وجرَّ ذلك إلى جلب شيءٍ كثير من الأموال.

وفي هذا الآن اقتدى البرهانُ الدميريُّ أحدُ نوابِ المالكي بجليسه التقي

ابن محمود في شكواه العام الماضي ابن حجاج، فاشتكى أيضاً حين كان بين ولده وولدي البدري ابن المحب أحد نواب المالكية وفضلائهم والمرحوم الشهابي ابن إسماعيل الجوهري الحنفي ما يقع بين الأبناء، وجرَّ ذلك إلى الإساءةِ بين الأبوينِ عند الصالحية والبدر بحانوت النبراوي والآخر بحانوته، مما كنتُ أنزِّهُ البدرَ عن اقترافهِ ـ مع ذاك ـ فيها. وعزلهما لذلك مُسْتَنِيبهما أياماً، إلى أنْ شفعَ فيهما الحنبلي.

وفي شعبان ابتُدِىء بعمارة لنائب دمشق خارجَ بابِ الجابية في محل الخان الذي كان ينزل به المقادسةُ، وهو وقفٌ على تربة بداخل الباب الصغير. وخرج المعمارُ محمد بن العطار معلم السلطان هناك مع ذلك في الطريق نحو ذراعينِ فأكثر، وما نهضَ أحدٌ يتكلَّم.

وفي هذه الأيام قبضَ بَلْبَاي المؤيَّدي أحمد نائب صفد على وَالي بَانياس كان الأمير علي ابن عبدالله، واحتاط على مَوْجُودِه، وجَهَّزه محتفظاً به لنائب دمشق، فدخلها مسمراً ينادى عليه بالعصيان، فأمر بضربِ عُنقهِ في الحالِ قُرْبَ باب الإصطبل تجاه دار السعادة.

وفي أواخر رجب ترادفَ السُّعَاة في مشيخةِ سعيد السُعَداء، وهم: الشرفُ عبدالحق السُّنباطي، والمتكلم له الأتابكُ بواسطة الزين سالم، والزين السَّنْتَاوِي، والمتكلِّمُ له البدريُّ أبو البقاء، والشمسُ ابن سَمُنَة الإِقْفَهْسِي، والمتكلِّمُ له رمضان المهتار، والكمال الطويلُ، والمتكلّم له الأستادار الناظر، وأبو الحسن السُّلمي أحد نواب الشافعي، والمتكلم له رأسُ نوبةِ النوب، والفخر عثمان الديمي. وقال السلطان: أما يَكْفِيه رِزْقُه؟ والشمسُ القَمِنِي الصحراويُّ أحدُ نوابِ الشافعي، وعماد الكردي، وذُكِرَ

البرهانُ النعماني، ولكن ليس لسعيهِ حقيقةٌ. وابنُ النقيبِ، وانفرد من بينهم بالسّعي بالمالِ، إما بخمس مئةِ دينار أو بألف.

وطلع ثلاثةٌ منهم في تاسع عشريه، فجلسوا بجامع القلعة، فلم يُؤْذَنْ لهم، وأُمِرُوا بالطلوع وقتَ التهنئةِ مع القُضاةِ، وحينئذٍ سأل السلطانُ عَمَّنْ يَصْلُحُ لهـا، وقال للقضاةِ: أنتم إليكم المرجعُ فيهم، وأنا إليَّ المرجع في التـركِ، فقال عماد: كُلُّ هؤلاء أفضلُ منِّي، وأنا أحقُّ منهم، فإنَّ الواقفَ شَرَطَ في الشيخِ أنْ يكون شافعياً آفاقياً، وكلاهما فيَّ، مع الفقرِ، فقيل له: إنه لا انحصارَ لذلك فيكَ، بل قيل له: إنَّ شرطَ الواقفِ غيرُ موجود، فقال: أنـا رأيتـه، فقـال السلطانُ: القصد أنْ يكونَ رجلٌ من أهلِ العلم والدين والفقـر، فقيل له: هؤلاء كلُّهم شافعيون، والمـرجعُ فيهم لقاضيهم، فقال القاضي: أنا أعرفُ عِلْمَهُمْ وخيرهم، وأمَّا الفقر والغنى، فمُغَيَّبٌ عني، وكادَ الأمرُ أن يتمَّ للبهاء أبي الفضل المحرَّقي الخطيب، وكتبَ إليَّ وأنا بمكَّة أنَّ السلطان رامَ بتأخيرها لي كما اتفق للأمير الدوادار يشبك الفقيه في مجاورتي سنة إحدى وسبعين حين رامَ تأخيرَ مشيخةِ الحديثِ بالمؤيدية لي، فعُورِضَ.

وكان قبل ذلك في أثناء رجب أمر بجمع الحنفية عنده بالقبةِ الدوادارية، فاجتَمع منهُم: البرهانُ الكركيُّ، والصَّلاحُ الطرابلسي، والبدرُ بن الديري، وابن الشّحنة، وابن الدهانة، ويوسف المدعو سِنان شيخ التربة الدوادارية يشبك، وآخر يعرف بسِنان القرمي، كان الدوادار الثاني سألَ له في مشيخةِ الأشـرفيةِ برسبـاي التي بالصّحراء، ولَعلَّ ذلك هو المثير للأمرِ باجتماعهم ليتخيَّر منهم مَنْ يصلِح لها.

وفي الحقيقـة، إنها كانت للثالثِ بمقتضى رَغْبةِ الكافيجي له عنها،

ولكن وثَبَ عليه ابن الغرز، وعجز عن مقاومته، وحضر معهم البرهانُ الطرابلسي الحنفي نزيل المؤيدية، وأحد الفضلاء، فأكرمهم السلطانُ بالإطعام والمشروب مرَّةً بعد أُخرى، وألقى عليهم ألغازاً، وقال لهم: لا تكثروا الغَوْشَ، بل لا يتكلَّم مع الواحد غير واحدٍ، وتكرَّرَ اجتماعهم معه.

وكان ممَّنْ حضر بعض ذلك بعنايةِ الأستادار الكمالُ الطويلُ القادريُّ الشافعي، وقرأ شيئاً من «الكشَّاف»، وتكلَّم الأول بكلامٍ حسن، وتزايدَ الإقبالُ عليه بعد أن سبق منه الإنعامُ عليه بما كان مع الخيضري من المسموحِ بعد موته، وهو حقيقٌ بكلِّ خير، فما فيهم مِثْلُه.

وطلب من السِّنَاتَيْنِ الكلامَ فيه، فاعتذرا بأنه لا قدرةَ لهما على تفسيرِ كلامِ الله بغيرِ مُطالعة.

واستمروا هناك بقيةَ يومِهم، وباتوا ثم تفرقوا، ولَم يُبْدِ السلطانُ مايريده لأحد. وتوجَّه الخطيبُ الوزيريُّ المالكي ليحضرهم فلم يمكن، بَلْ تَسَخَّطَ السلطانُ لما عَلِمَ مجيئه، واستمرَّ الأمرُ في المشيختين موقوفاً إلى يومِ الأربعاء ثامن عشري رمضان حين ختم البُخاري بالقلعة، فأعطيتْ سعيد السُعداء للسَّنْتَاوي، والأشرفية لابن الدَّيْري، وألبس كلٌّ منهما جندة، وفي أثناء ذلك أعطي البرهان الطرابلسي ما كان باسم الكوراني من الجَوالي المصرية بعد مَا ذُكِرَ أنه أنعمَ عليه بأربعينَ ديناراً، وأعطى الأتابك ما كانَ باسمه من النيابةِ عن ابن حِجِّي في التفسير بالمنصورية للشرفِ عبدالحق، وكاتبُ السرِّ ما كانَ باسمه من تدريسِ الكشاف بالمزهرية للنجمِ ابن عرب. وصار ما كان استقرَّ فيه السنتاوي من النيابة عن ابن المُحِبِّ الأسيوطي في

مشيخةِ الجمالية للفخر عثمان الديمي.

وفي أواخر شعبان، ظناً، قدمَ من دمشق قاضي الحنابلة بها النجم عمر ابن البرهان بن مفلح مطلوباً مع جماعةٍ منهم ابنُ عبادة الحنبلي بتحريكِ بعض أرباب الدولة، فبذل كلٌّ منهما ما حصلَ به الرضى، وخلع عليه ورجع لبلاده، وكَذا قَدمَ من حلب أحدُ علمائها البدر ابن السُّيوفي الشافعي بشكوى بعض مَنْ كان وصياً عليه منه ونزلَ عند الأتابكِ حتى صالحَ ثم عادَ أيضاً.

وفي جمادى الثاني، أو رجب قدم شخص يُقالُ له الكمالُ مُلَّاحبيب اليَزْدِيُّ قاضيها أو ابن قاضيها الشافعي، يُذكر بفضلٍ، بل وتقشفٍ، بحيثُ أثنى عليه الكمالُ ابن أبي شريف. قدم ليحجَّ بعد أن زارَ القدسَ فأُكرمَ من بعض المصريين واجتمع بالسلطان فأنعمَ عليه وأُنْزِلَ بقاعةِ البيبرسية، ثم حجَّ وعاد وأُهْدِيَ وأُثيبَ وسكنَ بقرب [درب السويقي][1] المعروف قديماً بالصدر عمر، بالقرب من المصبغة، وللشريف إسحاق صهرِ قاوان به نوعُ عنايةٍ، ويقال: إنه تكلم في الذي قبله فَكَفَّهُ الشريف.

وكان أول رمضان في القاهرة بالعددِ الخميس بعد الترائي ليلة الأربعاء، ولكنه كان الغَيْمُ فلم يُرَ، واتفق بمكة أنه بالرؤيةِ المُحَقَّقة الخميس، ولكنْ لتقصيرِ أهلِ جدّة لم يروه فأكلوا ثم بَانَ لهم فأمْسَكُوا، بَلْ أفطروا في يوم الخميس التالي له لِظَنِّ الغروبِ، ثم بان أنه النهار بطلوعِ الشمس، وكلاهما مما وقع فيما مضى؛ أما الأول فبكثرة، وأما الثاني ففي خلافةِ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وغيرها، والقضاءُ لازمٌ فيهما.

(١) ما بين الحاصرتين من «ك».

وقد روى الشافعيُّ من حديثِ خالد بن أسلم أنَّ عمرَ أفطر في رمضان في يومٍ ذي غيمٍ ورأى أنه قد أمسى وغابت الشمسُ فجاء رجلٌ فقال: قد طلعت الشمس فقال: الخَطْب يسيرٌ وقد اجتهدنا. وهو عندَ البَيْهَقي من وجهين آخرين في أحدهما فقال عمر: ما نُبالي ونقضي يوماً مكانَهُ، ورواه من رواية زيد بن وهب عن عمر وفيها: أنه لم يقض، ورَجَّحَ البيهقي روايةَ القضاء لورودهَا من جهاتٍ مُتعددةٍ، ثم قَوَّاهُ بما رواه عن صُهَيب نحو القصة، وقال: واقضوا يوماً مكانَهُ[1]. وكذا كان أوله الخميس بجميعِ بلاد دمشق إلا بَيْروتَ وصيدا.

وسَعَّر النائبُ اللحمَ قبلَ دخولهِ وطرحَ على الباعةِ أغناماً كذلك، وأشيع أنها لقانْصُوه الألفي.

ووفى النيلُ في مستهله ستة عشر ذراعاً وأصابع، وكسر السدّ بمباشرةِ الأتابك وانتهت زيادتُه إلى بضعة عشر إصبعاً من الذراع العشرين وروَّى جميعَ البلادِ.

وكتب إليَّ السيدُ العلاء الدمشقي الحنفي نقيبُ أشرافها ـ كان ـ وأوحدُ الحنفيةِ من بيت المقدس أنه حَدَثَ بدمشقَ بعد عصرِ يومِ الجمعة ثانيه في شهر تموز حَرٌّ عظيم قيل إنه أشد من حَرِّ الحجازِ ووقع معه مَطَرٌ كثيرٌ وغيمٌ مُطْبِقٌ وزلزلةٌ وزيادةٌ عظيمة في الأنهارِ في غيرِ وقتها المعتادِ، بَلْ قيل: إنه وقع ثَلْجٌ على الجبال مع هواء ورَجَّةٍ عظيمةٍ حَمَلَتْ حصر الجامعِ الأموي إلى قريبِ السقف من شدة الرياحِ، وكانت ساعةً مهُولةً. وكتب إليَّ غيرهُ أنه في أوائلِ النصف الأخير من شعبان وهو أوَّل بُرج الأسدِ اشتدَّ الحر بدمشقَ ليلاً

(١) راجع كلام ابن القيم في تهذيب السنن ٣/٢٣٦ في هذه المسألة ففيه تفصيل.

ونهـاراً ونـزلَ من السماء مطرٌ يسيرٌ مِراراً، فأصبحتْ مياهُ أنهارها في أوائل رمضـان من الزيادةِ شديدةَ البياضِ والثَّخانة، وسُرَّ الناسُ بذلك سيَّما وقد طهـرتِ النجـاسـات الكلبية من دمشق ونحوها، وتعجَّبوا له في مثلِ هذا الأوان. قال: وفي ليلة الجمعة ثانيه ثارَ السحابُ من ناحيةِ المشرق وخيَّمَ على دمشق ونـواحيهـا، وكَثُـرَ الـرعدُ ونزلَ بعضُ المطر وهَبَّتِ الرياحُ وثار العجـاجُ في جميع الأماكن حتى هربَ الناس من الأسواقِ وخافوا سُقوطها وأظلم الجـو، وربمـا ظُنَّ قيام السـاعةِ. كُلُّ ذلك مع شدةِ الحرِّ والسموم المستمر الذي لم يُعْهَدْ مِثْلُه، ثم تكاثرت زيادة المياه مع شدة الحر.

وفي ثالث عَشره حاصرَ أولادُ عامر بـن طاهر ومنهم عبدالله المبارزينَ لابن عمهم الظافر صلاح الدين عامر بن عبدالوهاب ابن طاهر المستقرِّ في مملكـةِ اليمن بعـد موتِ أبيه في جمادى الأولى منها، عَدَنَ، وفيها حينئذٍ بعضُ المراكبِ الهنديةِ فكان النَّصْرُ للعدنيين بعونِ الله لا بقوتهم، وأَسَرُوا من أولئـك نحـواً من أربع مئةِ نفس، فقطعوا أعصـابَ بعضٍ وألْسنةَ بعضٍ وسَمَلُوا أعينَ بعضٍ وسجنُوا بعضاً، وانقطع البر من سائرِ الجهاتِ من الجبل جميعه، والناسُ في أمرٍ عظيم بسبب ذلك، بحيث سافر تجارُ عدن بما لهم من البضائع فيها، ولم يَتَخَلَّفْ بها من ذلك شيء للخوفِ من الدولة والعدو. هذا مع مَزيد الغلاءِ بها لانقطاع الواصلِ إليها. وصل الطيم فيها إلى أربعين دينـاراً ذهبـاً فأزيد، والـذُّرةُ إلى أشرفي المكيال عن ثلاثة أمداد مع قِلَّتِه، والسمنُ معـدومٌ، وكذا العسلُ، والثناء على الظافر مستفيضٌ، وأنه أصْلَحُ وأخْيَرُ مع إلمامٍ بالعلم. أيَّدَهُ الله.

وكان أول شوال بالقاهرة السبت وتحدث الناسُ برؤيةِ الهلال في اليوم قَبْله، ولم يُعَوِّل الشافعيُّ على ذلك، وكان أوله بمكة الجمعة، ولطف الله بأنْ كشفَ الغيمَ الذي كان حينئذٍ مُطْبِقاً عن محل طلوعه حتى شُوهدَ، وأمَّا دمشق فإنه ثبت في أثناءِ يوم الجُمعةِ بعد صلاتها أنَّ اليومَ العيد، وحكم الشافعيُّ بذلك في بيتِ الخطابةِ، وأمرَ بالنداءِ بالصلاةِ جامعة، وصَلَّىٰ بالناسِ صلاةَ العيد قضاءً، ثم خطب بعدها، ولِكُلٍّ حكمُه.

وفي يوم الجمعة سابع عشري ذي القعدة قدمَ جماعةٌ من سَبق المماليكِ مكةَ فأدركُوا الجمعةَ، ثم فيه، أو في اليوم الذي يليه وصلَ مُبَشر الحاج مامش الرَّجبي الأشرفي وقَصَدني للسؤالِ عن بعضِ ما التُبسَ عليه في أمرِ الحج.

وفي يوم السبتِ قدم الـركبُ الأول و أميره كَرْتَبـاي الأشـرفي أحـدُ الأربعيناتِ وكاشفُ البُحَيْرة وهو في الظُلْمِ بمكان.

ثم في يومِ الأحد قدم المحملُ وأميرهُ أَزْدَمُر تمساح لطفَ الله به وقاضيه الجلال ابن رسلان، وتراءى الناسُ هلالَ ذي الحجة في ليلة الإثنين فرأوهُ رؤيةً صحيحةً معتبرةً، وقدم الشاميّ والحلبيُّ والغزيُّ والعراقيُّ وغيرهم، ثم كان الوقُوفُ يومَ الثلاثاء، ونَفَرْنَا من مِنى مُتَعَجِّلين بعدَ الزوالِ يوم الجمعةِ ثاني عشرهِ، فنـزلنا بالمسجدِ إلى أن ارتحلنا بعد العشاءِ ليلة الأحد رابع عَشَره، وكنا نترجَّى الإقامةَ بأحدِ الحرمين أو التردد بينهما إلى آخر الوقتِ، فأُشيرَ بالرُّجوعِ لأجل أولاد الأخوين، وممن رجعَ من التجارِ مطلوباً الشمسُ الحمـويُّ وكيلَ ابن الزَّمن والشمس ابن عوَّاض، وعلي من الخواجا حَسَن الطاهر، ولكنه تأخَّرَ في الينبوع هو والنور الحنَّاوي مُوَقِّعُ مكةَ لمرافقةِ السيد

عنقاء، فإنه تأخر بمكة لبعض العوارض في آخرين من أهل الحرمين وغيرهم لطلب الرزق وغيره، والله تعالى يحسنُ العاقبةَ لنا ولهم وللمسلمين.

٢٣٠٣ـ ومات من الشافعيَّة في أثناء صفر، عن سبعٍ وثمانين، وقد كُفَّ، المُحبُّ أبو المعالي محمد[١] ابن الرضي أبي السعادات محمد ابن المحب محمد ابن الشهاب أحمد ابن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي إمام المقام بها. ممَّن باشرَ الإمامةَ بضعاً وسبعين سنةً، بَلْ وَلِيَ قضاءَ مكةَ تحلةً للقسم مرةً بعد أخرى، وكذا خطابتها نيابةً، وربما دَرَّس وأفتى وحَدَّثَ غير مرةٍ بختم مسلمٍ عن أبي بكرٍ المَرَاغي سماعاً. وكتب إليَّ من نَظْمِه أبياتاً يخاطبني بها منها:

فأنْتَ حَبيبُ مُحِبٌّ لَنَا مِنَ الحَظِّ ذَاكَ يَعُدُّونَهُ

وكان سريعَ الحركة، منجمعاً عن الناسِ جداً. مهيناً لنفسه في شراء حوائجه وحَمْلِها وسائر شؤونه. كثيرَ العيالِ. ولكثيرٍ من العامةِ فيه اعتقادٌ، وربما نالَ منه بعضُ الخاصة من أجلِ ابن عربي ونحوه. عفا الله عنه.

٢٣٠٤ـ وفي ربيع الثاني، عن أزيدَ من اثنتين وسبعين، بالقاهرة، القاضي القطبُ أبو الخير محمد[٢] بن محمد بن عبدالله بن خيضر الدمشقي قاضيها. كان ابن أخت التقي أبي بكر الحريري، ويُعرفُ بالخَيْضري، ودفن عند باب مقبرة الشافعي بتربته التي أنشأها من القرافة. وهو ممَّن تَرَقَّى بعدَ مزيدِ فاقته لإقبالِ البهاء ابن حِجِّي عليه، ثم ناظر الخواص الجمالي لخراعته

---

(١) الضوء اللامع ١٩١/٩.

(٢) الضوء اللامع ١١٧/٩، ونظم العقيان/١٦٢.

ولطيفِ عشرته، ووليَ بالشام المناصبَ الهائلةَ التي أجَلُّها القضاءُ، والتزم حينئذٍ البَاعُوني بتركِ العَوْدِ إليه، واتَّسَعتْ دائرتهُ في الأموالِ والجهاتِ والأملاك والوظائف والكتب وغيرها، ولذا صُودِرَ وطُلبَ للديارِ المصرية غير مرة، وحمل الأموال الجزيلة، وآل أمرهُ إلى أنْ صارَ بها بَطَّالاً من الوظائف؛ بل ربما تُحدِّثَ له بكتابةِ سِرِّها وقضاءِ الشافعية بها، وأُضيف في أثناء ذلك قضاء الشام وغيره من وظائفه لولده، ولزم مُسَامرة السلطان وخلا له الجوُّ فيها، وازدحم المتسارعون إلى الدُّنيا عِنده، فدرَّس، وأفتى، وحَدَّثَ، ووعظَ، وخطب، سيما وقد كان مِمَّن طلبَ الحديثَ وجدَّ واشتهر به، بحيث صَنَّفَ أشياء، وذُكِرَ بين الأكابرِ بذلك؛ بل وُصِفَ بالحفظِ مع ذكاءٍ وسُرعةِ تكلمٍ. ولكنِ السُّكوتُ أجمل وأكملُ والحق أظهرُ وأشهرُ. وبالجملة فهو من بقيةِ الجماعةِ، ومن قُدماء أصحابنا. رحمه الله وإيانا.

٢٣٠٥- ومات أخوه[١] مسند البدوي فيها، أظُنُّهُ بَعْدَهُ. ويقال: إنه كان أسَنَّ من القطب.

٢٣٠٦- وفي ذي القعدة، عن أربع وثمانين، الزينُ أبو الفتح جعفر[٢] ابن إبراهيم بن جعفر بن سليمان القرشي الدهني السَّنْهُورِي القاهري الأزهري. شيخ القراءات. مِمَّن أجْهَدَ نفسهُ فيها تحصيلاً وإتقاناً وإلقاءً وجَمْعاً. وانتفع به فيها مَنْ لا يُحصَى كثرةً طبقةً بعدَ أخرى فأزْيَد، وشهد عليه الأكابر مع اشتغاله بغيرها من النقليِّ والعقليِّ، وإلمامه بجملةٍ منهما سِيَّما

---

(١) هذه الترجمة من «ك».

(٢) * الضوء اللامع ٦٧/٣، ونظم العقيان/١٠٣، وبدائع الزهور ٢٦٧/٣.

الفرائض والحساب، وربما أقرأ العربيةَ والصرفَ والفقه حتى لغيرِ أهلِ مذهبه من المبتـدئين. وممن جمع عليه أخي المحيوي عبد القادر، وتجرَّع فاقةً بحيث كان يُعلِّمُ حفيدَ شيخنا، وينزل في حنفيةِ البرقوقيةِ. ولكن تَرَفَّعَ حالُهُ بأَخَرَةٍ زمنَ الدوادار يَشْبَك، مع صفاءِ الخاطرِ، وطرحِ التكلُّفِ، والمواظبة على الإقـراءِ والكتـابة حتى إنه كتبَ «القولِ البديع» وغيره من تصانيفي. رحمه الله وإيّانا.

٢٣٠٧- وفي شعبان، عن خمسٍ وسبعين، الجمالُ عبدالله[١] بن محمد ابن خضر بن إبراهيم الكوْراني، ثم القاهري، شيخ سعيد السُعداء، وكان ممن تقـدم في العقليات وبـالغ شيخهُ الشَّرواني في التنويهِ به، وأخذ عنه الطلبةُ في التفسيرِ والكلام والمعاني والمنطق والعربية وغيرها، وممَّن أخذَ عنه في الابتداء النجمُ ابن حِجِّي، وابن مُزهرٍ، وعظم انتماؤُه له، ولو تَصَدَّى لتَمَّ الانتفاعُ به، ولكنْ كانت البطالة والممازحة ولعب الشطرنج وإمتهانه لنفسهِ أغلب عليه، ولا عهدَ له بالفقه. رحمه الله.

٢٣٠٨- وفيه أيضاً، عن إحدى وثمانين، المجد أبو الفداء إسماعيل[٢] ابن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم القاهري القلعي لملازمته لها وكونه وُلِدَ بها. ممَّن تميز في الميقاتِ مع التقويمِ وإحكامه، ثم ترك التقويمَ بإشارةِ شيخنا المقريزي، فإنه قَرَأ عليه علومَ الحديثِ لابن الصلاح، ولم ينفك عنه حتى مات؛ بل سمع من لفظِ شيخنا في الإملاء حديثاً، وكذا سمع ابن بَرْدَس،

---

(١) الضوء اللامع ٤٨/٥، ونظم العقيان/١٢١، وبدائع الزهور ٢٦٦/٣.

(٢) الضوء اللامع ٢٨١/٢.

وابن ناظر الصاحبة، والزَّرْكَشِي، وبمكة أبا الفتح المراغِي وغيره، وأكثر بأخَرة عن بقايا الشيوخ لإسماع أولادِه، ولازمني في الإملاء، وغيره، وكتبها عني، ونعم الرجلُ تَوَدُّداً، وعِشْرَةً، وسخاءً، ومحاسِنَ، مع أدبٍ وفضائل؛ بل كتبتُ عنه من نظمه:

على وصالي عاذلي من لام ألف وجاني يعذلني قلت له لام ألف

٢٣٠٩- وعَقِبه بعد شهودِهِ الصلاةَ عليه وقد كُفَّ، وجاز السبعين ظناً، صِهرُه أبو العباسِ الصَّلْتِي المقرِيء نزيل الحسنية وأحدُ أجلاءِ المساكين. مِمَّنْ رافقَ الكولمي وغيره، بحيث سمعتُ مَنْ يقول: إنه خاتمةُ مُجِيديهم. رحمهما الله.

٢٣١٠- وفي جمادى الأولى، عن ثلاث وستين فأزيد، المُحِبُّ أبو الخير محمد[1] ابن الشهاب أحمد بن عبدالخالق السّيُوطي الأصْل القاهري الناصري أخو الوَلَوي قاضي الشافعية. كان ممن حفظَ كتباً، واشتغل قليلاً، وسمع على أبيه، وشيخنا، والرَّشيْدِي، وغيرهم، وأجازَهُ الكمالُ ابنُ خير، وخطبَ بالمؤيديَّة وغَيرها، وكان يراجعني في الخطبةِ وأحاديثها؛ بل سمع عليَّ في بعضِ تصانيفي. وناب عن أخيه في القضاء والجمالية، ثم استقلَّ بها بعده. كُلُّ ذلك مع عقلٍ وسُكون واحتمال. ولم يَحْصُلْ له بعدَ أخيهِ راحةٌ سيما من جماعةِ المُستقر بعده، ولكنه استمر يكابِدُ ويتجلدُ مع تَعَلُّلِه. عوَّضَهُ الله الجنة.

---

(١) الضوء اللامع ٣١٦/٦، وبدائع الزهور ٢٦٥/٣.

٢٣١١- وفي مستهل ربيع الأول عقبَ رجُوعِهِ من المجاورة وتعلله نحو سنةٍ، شهيداً، عن خمسٍ وخمسين، شقيقي المحيويُّ عبدُ القادر[1] بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السَّخَاوي الأصل القاهري الغُزُولي. ممَّن أتقنَ القراءات السبع وأقرأها، وفهم الشَّاطبية، معَ مشاركتهِ في الفِقهِ والعربيَّة، وإلمامٍ بهما لاشتغاله فيهما، وفي غيرهما، وحضورهِ عند العَلَمِ البُلْقِيني وغيره، بل سمع على شيخنا وغيره من المُسْنِدين، ولازمني كثيراً سيَّما في مجاورته معي، وكان حَسَنَ الفَهْمِ والمعاملةِ، متينَ العقلِ والذوقِ، يستحضرُ جملةً من الأحاديثِ والمسائلِ والنكتِ والشِّعر، مقبلاً على الإكثار من مطالعة «تفسير» ابن كثير، وشروح «المنهاج» وغيرها، كثير التودد، مُحَبَّباً لكلِّ مَنْ عرفه. مُديمَ التلاوةِ، طريَّ الصوتِ، بحيثُ يزدحمُ الناسُ لسماعه في رمضان حيث يَؤمُّ بالمَنْكُتَمُريَّة. رحمه الله، وعوّضنا وإياهُ الجنة.

٢٣١٢- وفي ربيع الثاني، عن ست وسبعين، الشهابُ أحمد[2] بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر القاهري الحزمي أحدُ النوابِ، ويُعرفُ بابن حُبَيْلات. ممن اشتغل قليلاً عند العبادي والبدر المُنَاويِّ؛ بل كان يزعمُ أنه أقدمُ منهما. وتَكَسَّبَ بالتجارةِ وقتاً، ثم أعرضَ عنها، ولَزِمَ القضاءَ، وكانَ أحدَ القاضيَيْن المتوجهينِ للكنيسةِ، وهو أَخَفُّهما ضَرَراً. عفا الله عنه.

٢٣١٣- وفي ليلة الاثنين مُسْتَهلّ ذي الحجة، عن بضع وثلاثين، أمين الدين أبو اليمن محمد[3] ابن القاضي المُحبّ أحمد ابن القاضي جلال الدين أبي السعادات محمد بن محمد بن محمد بن حسان بن ظهيرة القرشي

---

(١) الضوء اللامع ٤/٢٧٠.

(٢) الضوء اللامع ١/٢٥٩.

(٣) الضوء اللامع ٧/٨٩.

المكي سبط النجم ابن المرجاني، بعد مرضٍ طويلٍ، وكان ممَّن تردَّدَ إليَّ في تلك المجاورةِ، ولم يكن بالمتوجِّه لذلك سيما والغالب عليه التوعُّك. عوَّضهُ الله الجنَّة.

٢٣١٤- وفي ليلة صفر بمكة، عن أزيدَ من أربعٍ وسبعين، بعد أن كُفَّ وانقطعَ، مُديماً للتلاوةِ: الزينُ عبداللطيف[١] بن محمد بن أحمد بن علي المصريُّ الأصل المكي الشاهدُ، ويُعرفُ بالحجازي. وكان مِمَّنْ قَدِمَ القاهرة غير مرةٍ، وسمع بها من شيخنا وغيره، وقرأ على الشريفِ النسَّابة؛ بل دخل الشامَ، والصعيدَ، وبَرَّ سَوَاكِن، وتزوَّجَ هناك، وزار بيتَ المقدس والخليل وقرأ عليَّ بأخرة في «لطائفِ المِنَن»، ولازمني في أشياء. رحمهُ الله وإيَّانا.

٢٣١٥- وفي شعبان فجاءة، تَرَدَّى ببئرٍ في بيتهِ، وقد جاز الثمانين، العز عبدالعزيز[٢] بن عبدالله بن إبراهيم التَّقَوي، نسبةً للقاضي تقي الدين الزُّبيري القاهري، أحدُ عدولِ الصالحينَ؛ بل نابَ في القضاء، ولكنه لم يتصدَّ له. وهو ممَّن سمعَ على شيخنا وابن المصري ومَنْ قَبْلَهُمَا، وكان في ابتدائه ماوَرْدياً عشيراً، وهو في أواخر عمره أحسنُ. رحمه الله.

٢٣١٦- وفي ليلة الجمعة ثاني رمضان بدمشق، عن ثلاثٍ وخمسين، فأزيد، البرهانُ إبراهيم[٣] بن أحمد بن أحمد بن محمود المقدسيُّ الأصل الدمشقيُّ، أخُو الزين عبدالرحمن الهُمَامي. ممَّن قرأ عليَّ في «الأذكار» وغيره، وأخذَ القراءات ببلدهِ وبالقاهرة وأقرأها، وجلسَ لتأديبِ الأبناء بكلاسةِ الجامعِ الأموي. وكان خَيِّراً. رحمه الله.

---

(١) الضوء اللامع ٤/٣٣٣.
(٢) الضوء اللامع ٤/٢٢٠.
(٣) الضوء اللامع ١/١٠.

٢٣١٧ـ ومن الحنفية في ربيع الثاني، عن ستين وشهرين، البدرُ أبو اليسر محمد[1] بن محمد بن محمد بن خليل بن علي القاهريُّ، ويُعرف بابن الغرس، لقبٌ لجدٍّ أبيه. ممَّن تَفَنَّنَ وتقدم، وزاحم العُلماء بمزيدِ ذكائه وتصوره واقتداره على التعبير عن مرادِه مع تفخيمِ العباراتِ التي قد يقلُّ مَحْصُولها، وحُسْنِ النادرةِ والهيئة التي يتأنَّقُ فيها، ومَشْيه على قاعدةِ المباشرين غالباً، وسرعة الحركةِ، وسلامةِ الصدرِ، والمحبة في الإطعامِ والفتوةِ، وبَذْلِ الجاه مع مَنْ يَقْصِدُهُ، وخفض الجانب لبني الدنيا، والزهو على غيرهم غالباً. وكان قد نابَ في القضاءِ، ثم ترك، وصار في عِدَادِ الشيوخ. ممَّن وليَ تدريسَ الجمالية، وقُبَّةَ الصالح، وأشرفيةَ الصحراء، وغيرها، وإقراء الطلبة، وأفتى؛ بل كتب على شرح العقائد، وذاق كثيراً من بدائع «الإحياء» وغيره، وتوسَّع حتى صار من رؤوس الذابِّين عن ابن عربي. ونظمَ، ونثرَ، وراجَ دهراً، ثم انقطع لضعفهِ مُدةً. ومن نظمه:

يَا رَبِّ عَوْناً عَلى الخَطْبِ الذي ثَقُلَتْ
أَعْبَاؤُهُ يَا غِيَاثِي فِي مُهِمَّاتِي
لَطَفْتَ بِالعَبْدِ فيما قَدْ مَضَى كَرَماً
يَا رَبِّ فالطُفْ بِهِ في الحالِ والآتِي

٢٣١٨ـ وفي ربيع الثاني، عن تسع وسبعين، بدمشق، شيخ الحنفيةِ بها العِزُّ محمد[2] ابن الشمس محمد بن محمد ابن الحمراء. ممَّن نابَ في القضاء، ودرس بالدَّمَاغيَّة، وغيرها، وأخذَ عنه الفُضلاءُ، وكان التقيُّ ابنُ قاضي شهبة يُرَجِّحُه على سائر حنفيةِ بلدهِ، ويعتمدُ فَتْوَاهُ، مع مزيدِ سذاجةٍ

---

(١) الضوء اللامع ٩/٢٢٠، وبدائع الزهور ٣/٢٦٣. (٢) الضوء اللامع: ١٠/٣٩.

وسلامةِ فطرة اقتضتْ وصْفَهُ بالصلاح ومزيد تخيل، بل رأيتُ مَنْ يُشَبِّهُه بالجلالِ البكريِّ الشافعي استحضاراً وعقلاً وصلاحاً. وأقبلَ بأخَرَةٍ على مطالعةِ «الإحياء» ونحوه، وكتب إليَّ بعض أهلِ بلده أنه كان سيءَ المعاملةِ؛ فالله أعلم.

٢٣١٩- وفي جمادى، من المالكية بتونس، وقد جاز السبعين، أبو عبدالله محمد[١] بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد البَيْدَمُورِيُّ التُّونِسيُّ، ويُعرف بالتُّرَيْكِي. ممن تقدمَ في الفقه واستحضاره، بحيث كان ابنُ الهمام يقول: إنه معجون فقه، وكذا كان يستحضرُ كثيراً من العلومِ الشرعية مع مشاركته في جُلِّ الفنونِ وعمله الكثيرَ فيها، وأدب كثير، ومحاضرة حسنةٍ وحافظة قوية وطلاقةٍ وشكالةٍ، وقد شرح «جمل» الخُونجِي، وراج أمرهُ بالديارِ المصرية ونوّهَ ابن البارزيِّ به حتى وليَ قضاءَ دمشق؛ بل كادَ يلي قضاءَ مصر، ثم امتُحن بها لانتمائه للنحاس، ورجع إلى بلاده بعد أنْ أخذَ عن شيخنا واغتبط كُلٌّ منهما بالآخر، ووليَ بتونس نَظَرَ جامعِ الزيتونة؛ بل قضاءَ المحلَّةِ الذي هو في الحقيقة قضاء العسكر ونظر الجيش، واخْتُصَّ بالمَسْعُودِ ابن صاحب المغرب عثمان. ومحاسنُه جَمَّةٌ. سمعتُ من نظمه ومباحثه، ولكنه غير متثبتٍ ولا مُتَحرٍّ. عفا الله عنه.

٢٣٢٠- وفي المحرم بمكة الجمالُ عبدالله[٢] بن فارس بن أحمد

---

(١) الضوء اللامع ٦/٢٨٦.

(٢) الضوء اللامع ٥/٤٠.

والبَـرْنُـوسِي: وغالباً ما يقال البُرْنُسِي: نسبة إلى بُرْنس بن بَر أحد فرعي البربر الكبيرين والفرع الآخر هو: ما دغِس الأبتر.

الطاغي البَرْنُوسي، نسبةً لقبيلةٍ يقالُ لها: البَرَانِسَة، التَّازي - بالمثناة الفوقية ثم المعجمة - وتازة من أعمالِ فاس. ممَّن اشتغلَ وفَضُلَ وتَمَيَّزَ وتَفَنَّنَ، ويقال: إنه كتبَ شيئاً وقطنَ القاهرةَ، ولقيني والنورَ ابن التَّنَسِي وابنَ الغَرْز والبقاعي وغيرهم بها في سنة ستٍ وسبعين، وكذا أقام بمكة قليلاً، وتوجَّه منها مع أجود بن زاملٍ عظيمِ بني جبر فاستقرَّ به هناك قاضياً، ودام عندهم نحو خمسة عشر سنةً ربما قدم في غضونها للحجِّ، فلما كان في الموسمِ الماضي قدمَ معه وتَخَلَّفَ عنه فأدركته منيته. وأبوه ممن كان يُذكَرُ بخيرٍ وصلاحٍ كثير، بَلْ جوَّد القرآنَ. ومات بمصر سنة تسعٍ وستين. رحمهما الله.

٢٣٢١- وفي شعبان الفاضلُ غياثُ الدين أبو الغيثِ جعفر[١] ابن يحيى ابن الشيخ أبي الخير محمد بن عبدالقوي المكي بها، عن دون ثمان[٢] وثلاثين سنةً، وكثر الثناءُ عليه والأسفُ على فقده. وهو ممَّنْ فضل، وتميَّز في الفقه والعربية. وانتفع بأخيه فيهما؛ بل شاركه في أخذِ فنون عن جماعةٍ. وقرأ عليَّ جُلَّ «المنسك الكبير» لابن جماعة، وقَدَّمَهُ البرهاني ابن ظهيرة للتوقيعِ ببابه ففاق، مع الوثوق، والقنع، والعقل، والأدب، بحيث كثر قاصدُه فيه، ولم يخلف فيه بعده في مجموعِ ما اشتمل عليه نظيره. رحمهُ الله وعَوَّضه الجنّة.

٢٣٢٢- وفي صفر بعد حَجِّه وتوجُّهه من مصرَ ليرجعَ لبلاده الرجلُ الصالح عبد العزيز التَّكْرُورِي. أحد أجلائِهم، وهو ممَّن لقيني بمكة

---

(١) الضوء اللامع ٣/٧٠.

وغيرها. وأخذ عني، وأعلمته بحقيقةِ أمر ابن الأسيوطي ليزولَ ما يتوهمه مما الحاملُ له عليه عَدَمُ تمييزهِ، وإنْ كان في الجُملة يُذْكَرُ بين جماعتهِ بفضلٍ. وحَصَّل كتباً كثيرةً، والأعمالُ بالنيات. رحمه الله.

٢٣٢٣ـ ومن الحنابلة في [جمادى الأولى][١] أحدُ نوابهم وقُدَمائِهم، عن بضع وسبعين، المحبُّ محمد ابن الشمس محمد[٢] بن محمد القاهري ابن أخت شيخِ الجوهرية، والمتقدم في العربية الشريف القاضي المحب الحَسَني الحنفي، ويُعرف بابن الجَلِيس. ممَّن حضر في دروس المُحبِّ ابن نصر الله؛ بل قرأ عليه في بعضِ المتون، وكذا قرأ البخاري على الأبُوتيجي[٣]، وسمعَ جملةً من دروسهِ، وسمعه أو جُلَّهُ على الصَّالحي في آخرين ممن بعدهم. وتَنَزَّلَ في الجهات، واسترزق من القضاء. عفا الله عنه.

٢٣٢٤ـ وفي ذي الحجة، وقد زاحم الثمانين، الفخرُ عثمان[٤] ابن الزين فضل الله بن نصر الله البغدادي الأصل القاهري. شيخ الخَرُّوبيّة بالجيزة، والجالس بعد رغبته عنها بحانوت الحلوانيين شاهداً. ولم يكن محموداً مع كرم أصله.

٢٣٢٥ـ وفي جمادى الأولى صاحبُ اليمن المنصُور عبدالوهاب[٥] ابن

---

(١) ما بين الحاصرتين: من «ك».
(٢) الضوء اللامع ١٠/١٤، وشذرات الذهب ٧/٣٥٦، وبدائع الزهور ٣/٢٦٥.
(٣) ويقال فيها البُوتيجي: نسبة إلى أبي تيج من أعمال أَسْيُوط بالصعيد.
(٤) الضوء اللامع ٥/١٣٥.
(٥) الضوء اللامع ٥/١٠٠، وشذرات الذهب ٧/٣٥٦.

داود بن طاهر بن مَعُوضة، ويُعرف بابن طاهر، ومَلَكَها بعد عمه عليّ، فدامَ أزيدَ من عشـر سنين. ولـه مآثـرُ، منهـا عِدَّةُ مدارس، واحدة بزبيد، عَيَّنَ لتدريسها الفقيه نور الدين بن عُطَيف، وتوجَّه من مكةَ فحدَّثَ فيها بالبخاريِّ في رمضان سنة خمس وثمانين، ثم رجع لمكة بعد أن استخلف في تدريسها الفقيه الكمال موسى بن الرداد، ولم يلبثْ ابن عُطَيف أنْ مات. وكان شجاعاً جليلاً مُكْرِماً للوافدين سخياً عدلاً في رعيته، واستقرَّ بعده ابنه الظافر عامر كما سَلَفَ، وكان لِلمُتَوفىٰ أَخٌ اسمهُ عبدالملك. مات في التي تليها.

٢٣٢٦- وفي رَجَبها المتوكلُ على الله يحيى[١] بن محمد بن محمد بن مسعود بن عثمان بن محمد بن أبي فارس. تمَلَّكَ الغرب بعد جَدِّه، فلم يلبثْ أن قُتِلَ على يدِ ابن عمـهِ عبـدالمؤمن بن إبراهيم بن عثمان، واستقر بعده، وكان يحيى سفَّاكاً للدماء، مجرماً، فاسقاً. قارب الأربعين.

٢٣٢٧- وفي ربيع الثاني، قبل إكمال الخمسين، الشريفُ أبو سعد[٢] ابن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، أخو صاحب الحجاز وابنُ أصحابه، وجيء به من محل موته فَصُلِّيَ عليه بمكة، ثم دفِنَ بقبةِ أبيه من المعلاة، وكان عظيمَ الانقيادِ لأخيه، ولذا تأسَّف عليه.

٢٣٢٨- وفي ذي القعدة، عن ثلاثٍ وعشرين سنة، ابن أخيه الشريف هَيْزَع[٣] ابن الجمالي محمد صاحب الحجاز وشقيق مهيزع[٤] الماضي في

---

(١) الضوء اللامع ٢٥٨/١٠، وشذرات الذهب ٣٥٧/٧.

(٢) الضوء اللامع ١١٣/١١، وشذرات الذهب ٣٥٦/٧.

(٣) الضوء اللامع ٢٠٩/١٠.

(٤) في «ب» هيزع، والصواب من «ك».

التي قَبْلَها، وكان ممَّن قرأ القرآن وصلَّى به، وانفرد عن آل بيته بذلك. عوَّضَهُ الله الجنة.

٢٣٢٩ـ وفي شعبان، عن دون العشرين، السراجُ عمر[١] ابن البدري أبي البقاء محمد ابن الشرفي يحيى بن الجيعان[١] شابٌ نضِر خَفِرٌ، نجيبٌ، لبيبٌ، فَطِنٌ، لَقِن. تميَّزَ في المباشرة وقام عن أبيه فيها بما استغنى به عن غيره، وصار رأساً في الكشفِ والمراجعة، وذلك مع اعتنائهِ به حتى حفظ القرآن وبعضَ كتبِ العلم، وتدَرَّبَ في النحو وغيره ببعض الفضلاءِ وأسمعه مني. وكتبتُ له إجـازةً نوَّهْتُ به فيها، ثم لوالده أُعَزِّيه فيه، وتأسفنا على شبابه. عوَّضه الله ووالده الجنة.

٢٣٣٠ـ وفيها ببعض نواحي حلب قبل إكمال الخمسين نور الدين ابن شيخنا القاضي أبي جعفر محمد[٢] بن أحمد بن عمر الحلبي، بقية بيتهم بعد أن اشتغل وحفظ كتباً، وعرض وسمع، وتميز، ونابَ في القضاء بأخرة. عفا الله عنه.

٢٣٣١ـ والشيخ أبو مدين محمد[٣] بن محمد بن علي بن يوسف الغَرَّاقي الصحـراوي، أخو أبي البركات وأبي السعود. وكان من [أهل القرآن][٤]. ممَّن سمعَ منه صغارُ الطلبة عن الشمس الشَّامي.

---

(١) الضوء اللامع ٦/١٣٥.

(٢) لم أجده في باب الألقاب من الضوء.

(٣) الضوء اللامع ٩/٢٥٥.

والغَرَّاقي: نسبة إلى الغَرَّاقَة بلد بقرب الحَوْف من الشرقية بالوجه البحري.

(٤) ما بين الحاصرتين من «ك».

٢٣٣٢- وأبو بكر[1] بن وُرَيْوَر، شيخ مُنْيَة حلفا.

٢٣٣٣- ومحمد[2] بن حسن بن طفيش[1]: عم عبدالله بن أحمد شيخ نَوى.

٢٣٣٤- وأبو غالب[3] القبطي المباشر في ديوان الخاصِ. وقد جاز السبعين.

٢٣٣٥- وتقي الدين[4] كاتب الزَّرَدْخَاناه.

٢٣٣٦- وفي جُمادى الثاني، عن ثمانية وخمسين فأزيد، أم الحُسين[5]، وأم عَرَفَة لكون مولدها في يومها ، ابنة القاضي أبي اليُمن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبدالعزيز العقيلي النُّوَيْري المكي، زوج شيخ السَّدَنَة عمر الشَّيْبي. وهي ممَّن أجازَ لها جماعة.

---

(١) الضوء اللامع ٩٧/١١.

(٢) لم أجده. [الضوء اللامع ٢٥٦/١١ ترجمة أحمد]؟.

(٣) الضوء اللامع ١٢٠/١١.

(٤) الضوء اللامع ١٥٥/١١، وبدائع الزهور ٢٦٤/٣.

(٥) الضوء اللامع ١٤٣/١٢.

سنة خمس وتسعين وثماني مئة

وقـد بسـطتهـا بالنسبـة لِمَا قَبْلَها مع بسطِ تلك أيضاً بالنظرِ لموضوع الكتـابِ لتعذر تبييض «التبر المسبُوك» الآن، وربما يغضَبُ من نُسِبَ إليه بعضُ ما ذكـر فيتجنب ما تَضَمَّنَهُ المعنى الذي سُطّر، أويُسَرُّ بالموافق منه فيشمـر ساعـده فيما يحبُ أن يذكر عنه. وهذا من جملة فوائد التاريخ لا تنحصر مما يضيقُ بسطه للمختصر.

استهلت وقد ارتحلنا من الينبوع فدخلنا المنزل في صبيحة يوم الثلاثاء حادي عشريِّه، وتَفَضَّل مَنْ شاء الله بالسلامِ في البركة، ثم به، بَلْ وقبلها، وأظهروا من السرور ما الله به عليمٌ.

ثـم في آخرِ يوم الخميس سلمتُ على الملك وأتابكه وأكرم أولهما بالقول والفعل وثانيهما بعادته معِي، وكانت وليمةٌ عند ناظرِ الخاص حَضَرها القضاةُ والعلماءُ والأعيان. وعَرَضَ النجمُ محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن سليمان حفيد عمه «المنهاج» بحضرتهم، وقرأ القُراء، ثم لكوني لم أحضر عرض عليّ بَعْــدُ في منــزلي مع فقيهـه الشيخ عمـر التّتـائي وحـدثتهمـا بالمسلسـل. وممَّن قدم مع الركبِ عمر ابن المحيوي يحيى ابن الشهابي أحمد ابن الظاهر يحيى صاحب اليمن من بني رسُول، أخو إسماعيل، وهما سبـطا قاضي الحنفية بمكـة الجمال أبو النجا محمد ابن الضياء، ويعرف

كسلفهما بابن سلطان اليمن. واستنجز مرسوماً بقبضهما للمعاليم الواصلة من اليمن للمدارس الثلاثةِ بمكة: المنصورية والمجاهدية والأفضلية بعد أخذهما قَبْلُ لنظرها؛ بل وإجازتهما الأولى لكاتبِ السر المرحوم الزيني ابن مزهر وحينئذٍ قبضاه، وتعطَّلَ على المستحقين فيها الوصول لاستحقاقهم، وما نهض أحدٌ من المكيين ولا غيرهم يتكلم، وكان ذلك وسيلةً لعدم إرسال اليمانيين معاليم السَّنة القابلة.

وكذا قدم مع الركبِ الجمالُ الكرماني، وكان مُجاوراً، ومن أهلها الشيخ الكريمي ابن ظهيرة، واستمر حتى عاد في أثناء التي تليها، والسراج عمر بن السِّيرجي، ودام حتى رجع في آخرها مع أمير البشائر.

وفيه كسفت الشمس والقمر، فالشمسُ في ثامن عشريه ضُحىً، والقمرُ في ليلة رابع عشره مع الفجر، بل خُسِفَ أيضاً في ليلة رابع عشر رجبها، وما علمتُ من اهتم بالقيامِ بسنتهما هنا على هيأتها.

نعم أُقيمت فيهما بمكة، وأعلم أنهما عند أرباب الفن حيث يقعا تكونُ دائماً الشمسُ في أواخر الشهر والقمر في وسطه.

وفي أثناء المحرم حسبما عَجَّلْتُه في التي قبلها غضبَ مماليكُ الدوادار الكبير منه ونزلوا بأسلحتهم الأقْبُغاويّة المجاورة للأزهر، فكبس [illegible]

ممن تجرأ على المشار إليه فقطعَ يد اثنين منهم عند باب المدرج، وضرب

والظاهر عَدَمُه. وكان ابتداء محنته عقب امتحانِ خاله التقيِّ ابن قاضي عجلون فقيه الشام بما أشرتُ إليه فيما مضى، بحيث كان تواليها له مرة بعد أخرى باعثاً له على الرغبة عن كثيرٍ من جهاته. ثم توجه لزيارة بيتِ المقدس ثم لمكة في البحر فوصلها في رمضانها فدام حتى حَجَّ. ولم يقرىء هناك كبير أحد إما لاشتغالِه بالعبادةِ أو لشغل بالِه أو لشدة الحرِّ، ثم رجع إلى بلده صُحْبَة الركبِ الشامي، وبلغني أنه كان رامَ الإقامةَ هناك أو التوجُّه لليمن فما تُدِّرَ، وأنه عقب رجوعه ضعف بحيث أشرف على الموتِ؛ بل أُشيع ذلك غير مرة، ولكنه ولله الحمد تراجع.

وكذا سافر الكمالُ في موسم السنةِ القابلة لمكة وجاورَ بها، وأقرأ الطلبة في الفقه وغيره. كـان الله لهما.

وممَّن امتحن في هذا العام من الفقهاء الشمس ابن أبي عبيد قاضي المحلة، وأودع في حادي عشري شعبانه المقشرة هو ومحمد بن عبدالقادر ابن عُليبة وابن عمه أحمد بن أحمد بعد الترسيمِ عليهم خارجها مدة، ثم أُطلقوا منها مع استمرارِ الترسيم عليهم ببابِ كاتبِ السر بحجة تأخُّرِ مالٍ على الأوَّل مما كان التزمَ به في قضاءِ المحلة بقيامِ أبي البركات الصالحي عليه انتقاماً منه لنسبتهِ إيَّاهُ إلى أنه أخذ من أهل المحلة ما عَيَّنَهُ، ويزعم تقاعد الآخـرين عن القيام بما تأخر على تركةِ أبي أولهما، وآل أمرُ القاضي بعدَ إقـامته قبل المقشرة بالعرقانة أيضاً ـ مكان بالحوش ـ تجدد في هذه الأيام للتضييق فيه إلى إطلاقهِ، واستمر الآخران إلى أثناء جمادى الأولى من التي تَليها بعد استئصالِ جميعِ ما تأخر في التركة من دُورٍ وغيرها.

ورسم على عماد الدين العباسي أخي المرحوم أمين الدين لانضمامه

لنائبِ الشام قَجْمَاس حين نيابته وقبلها مدة، فمع يُونس دوادار مخدومه أياماً وبالعرقانة وغيرها حتى بذلَ ما كان بيده من دار أنشأها بالقربِ من رحبة العيد وغيرها، وأظهر عجزه عن باقي ما كُلِّفَ به، فأُرسل به حينئذٍ إلى قوص و نحوها وهو أشبه مما كان فيه في الجملة إلى أن خلص حين الطاعون سنة سبع.

وجيء من القدس في رمضان بالنجميِّ ابن جماعة شيخ صلاحيته مع غيره كدقماق التركماني نائب القدس مع نَظَرِ الحرمين من أجل أنَّ الكماليَّ ابن أبي شريف كاتب قبل ذلك بسببِ ما أحدثه النصارى من بناءِ قبة بالقربِ من صهيون بحجة المارة مما أذن لهم فيه، فلما كمل بناؤها شرعُوا في الاجتماع بها على هيئة الكنيسةِ وعُيِّنَ للكشفِ أزْبَك البيري الخَاصَّكِي السَّيْفِي جَانِبَك الجداوي، فلم يحسن المشي وتحرك بسببه العامةُ على النائبِ فاقتضى ذلك طلبهم ومجيئهم، فتكلف النجميُّ وعاد ورسم على الفخر محمد بن نُسيبة المتكلم في جهاتٍ كثيرة هناك بعدَ ضربه، ثم نُفي إلى الواح[1] لإلزامه بما لم ينهض له مع كونه من جماعةِ الأتابك إلى أن جيء به حين الطاعون أيضاً.

وأعقب هناك من حين الكشف على النائب أحوالاً مزعجة عجيبة مُظلمة يطولُ تفصيلها، وعُقِدَ بسبب القبة غيرُ مجلسٍ إلى أنْ أُزيلت، وآلَ أمرُ النائب إلى أنْ صَرَفَهُ الدوادارُ الكبير مع كونِهِ خرج في خدمته في ذي القعدة

---

(١) الواح: أي: الواحات، وهي في الصحراء الغربية بمصر.

إلى جهة جبال نابلس بخضر بك عوداً على بدء في جمادى الأولى من الآتية.

واتفق للسكندريين بسبب شكواهم من نائبهم حسبما يأتي في العام الآتي أفحش من هذا.

وفي أثناء ذي القعدة رافع شخص في عبد القادر ابن النقيب وزعم أمراً قبيحاً بعد طول العشرةِ والمعاملةِ بينهما فرسم عليه ببيت الوالي، ثم بباب كاتبِ السر، ثم أُطلق، ثم أعيدَ أيضاً، وأُودع العرقانة بعد إيقافهِ بين يدي السلطان، ثم ببيت كاتب السر عَوْداً على بدءٍ، وتوالت عليه أهوال، وذُكِرَتْ عنه أحوالٌ إلى أن أُطلقَ في أواخر السنةِ على ألفِ دينار، ورجع لمباشرةِ دُروسه ومشيخاته، وكان سرور شادُّ الحوش أخرج عنه الخطابة وقراءةَ الحديث وخزنَ الكتب بالتربة الناصرية إلى أنْ أُعيد له الخزن خاصة.

وكذا كان في أوائلها مع آخرِ التي قَبْلَها الشمس محمد بن الصائغ الأسيوطي محتسبُ مصر وأحد نوابِ الشافعيةِ في الترسيم بسبب قضية كلِّفَ فيها للأصل والفروع أزيد من ست مئة دينار، بل عُوِّق الشيخ تقي الدين بن الأوْجَاقي أحدِ شيوخ الشافعية بسببِ توهُّمِ كونهِ وصياً للعلائي أمير علي بن تغري بردي الفخري الذي أمُّه فاطمةُ ابنة أمير علي بن محمد بن محمد بن أقْبُغَا عبد الواحد الأقْبُغَاوِيّ، وطلبه المُلْكَ مرَّةً بعد أخرى مع كونه - حسبما حَكَاهُ لي - لا دخلَ له في التركةِ أصلاً إلى أن استؤصلت.

والطامَّة الكبرى أنه في مستهل رمضان طلع جماعةُ الشافعي المُرَسَّم عليهم قديماً، ثم حديثاً وهم خَلْقٌ كثيرون والمتجددون، كان الترسيم عليهم

من نحو أسبوع، وأكثرهم ممن علقتهم يسيرة؛ بل فيهم مَنْ لم يباشر قَطُّ، أو باشر قليلاً، ومنهم الشيخ جلال الدين ابن الأمانة، وأخوهُ الشهاب، والشرف الدَّمسيسي ، وأبو الحسن السلمي، والبدر حسن ابن القلفاط نواب الشافعي، والبدر ابن المحب الخطيب، وإبراهيم الدميري المالكيان، والأمين المنصُوري الحنبلي في آخرين نحو السبعين كالجمالِ إبراهيم القَلْقَشَنْدِي، فأمرَ بإطلاقهم بعد إهانة الجميع بالعُموم وبعضِهم بالخصوص، وتكليفهم بالترسيم، لما أكثرهم عاجزٌ عنه.

ثم لم يلبث أنْ أُعيد الترسيمُ على جماعةٍ منهُم، ودبَّر المدبر كالصاني ونحوه توزيعَ ما تأخر مما سَلَفَ تقريرهُ على أوقاف المدارسِ كالصالحية والناصرية والأشرفية والأقبغاوية والطيبرسية وجامع طولون، وكذا وقف السيفي، ومالا أنهضُ لحصره، وافتدوا أنفُسَهم بهذا التدبير القبيح الذي به غايةُ الضرر والإجحاف.

ودام الترسيمُ على القَلْقَشَنْدي حتى باعَ جُلَّ وظائفهِ وكتبهِ وغير ذلك، ومع هذا فلم ينهضْ لِمَا قُرِّرَ عليه، ومَا وجد مُعيناً ولا ناصراً، ثم أطلق في شعبان السنة الآتية بعد أن ضُمِّنَ. وكذا طال الترسيمُ على جُبَاةِ الجهاتِ، بل ضُرب بعضهم.

وصرف المحبُّ ابن المسدي عن الإمامةِ لكونهِ شكا جابي المؤيدية إلى السلطان ونسبه لكلماتٍ قبيحةٍ شافهَهُ بها فطلب منه البَيِّنةَ فلم تشهد بكل ما أنهى، فأرسل بهما إلى الشافعي فَوفَّقَ بينهما، فلم يعجبه هذا، وقال: كيف تكون إمامي وتدَّعي ما لم تثبته أو نحو هذا، ثم صرفه وضرب الجابي ورسم

عليه على ألف دينار ثم تراجعت إلى نصفها، فلما تزايد توسُّلُ المحب وكثرة تشكِّيه من الفاقـةِ والديون أنعم عليه بها أو بنظيرها، هذا مع ما وصفه له بالنقص وعدم الاشتغال، ونحو ذلك، مما يُنافي الكمالَ، وكونه غايةً في الإهمال.

ويقال: إنَّ ذنبه الحقيقي وضعه قصة خُفْيةً من جماعة الشافعي في محل جُلوسـهِ يشكُون فيها حالهم ويتظلمون. اعترف حين حُوقِقَ بأنه هو الذي وضعها بحيث كانت القصةُ محركةً لما أشرتُ إليه من تدبيرهم المقابَلين عليه في الآخـرة إن سَلِمُوا في الدنيا، واستمر المحبُّ مصروفاً مع الإنعام عليه بأضحيته قيل بزيادة، وربما باشر في نوبته الزين عبدالرزاق البقلي المُقرىء أحد مؤذني الصُحبة، بل شيخ التربة القانبائية بعد غضب الأتابك على ابن التقي الشُّمُنِّي من غيرِ تقرير، ولم يبق من الأئمة سوى العلاء الإِخْميمي أخي القاضي إلى أنْ أُعيد رأسُ الأئمة البرهاني في سنة ثمانٍ، ولذا أعني ما اتفق للمحب بلغني عن شخص كان يتَّجِـرُ يقـالُ له: أحمـد بن علي العباسي كان يصحب عبدالبر ابن الشحنة، واستنابه الحنفيُّ في هذه الأيام وجلس بمكان البدر ابن فيشا بعد موتِهِ أنه وقفَ في أثناء العام الآتي وتكلم بمهملاتٍ وصَفَ بها نَفْسَهُ وسألَ أنْ يكونَ أحدَ الأئمة فطردَهُ وقبَّحهُ واستهجنَ كل هذا منه بحيث أنَّ مستنيبه نقمَ عليه ذلك، وما وسعه إلا أنْ توجَّه إلى مكة بحراً، واستمر حتى رجع مع ركبِ التي تليها.

واهتمَّ الأميرُ شاهين الجمالي وهو بمكة بعد انفصالِ الحج وقبله في إجراء عَيْن حُنَيْنٍ بعد انقطاعها سنين، بحيث كان يقيمُ هناك الأسبوعَ فما دونهُ والعمالُ يعملون، ولم يجىء المطرُ الآتي شرحه إلا ومحلُّ العين عامرٌ

أو جرى الماءُ إلى أسفل مكة حتَّى بلغ بركة ماجن، وزُرعتْ هناك مزارع كثيرة.

وغرق في البركة في ثالث ربيع الثاني صبيٌّ، ورخصَ الماءُ جداً، وتزايدَ بذلك السرورُ لِمَا كانوا فيه من الكلفة التي يضيقُ حالُهم عنها.

وكان وقوعُ المطرِ المُشَارِ إليه في أثناء ليلةَ الإثنين خامس صفر وهو مطرٌ قويٌّ مع رعدٍ وبرق متوالٍ مزعجٍ حتى دخل السيلُ المسجدَ الحرام من غالب أبوابه، بل ومن عمارة السلطان، وارتقى الماء إلى الحجر الأسود، ونقلَ أتربةً وأوساخاً هائلةً لكل نواحيه، فانتدب ناظره وهو الشافعي لتنظيفه من يومه بحيث لم يمضِ النهارُ إلا وقد صلى الإمامُ في محله المعتاد، ثم حصل التشاغل بإصلاح بقيةِ ما أفسد السيلُ من المسجد وما اقتصر عليه، بل قطعت أرضية صحنه ليكونَ منخفضاً عن محل الطواف ومانعاً عن حملِ الأوساخ ونحوها غالباً في المستقبل إليه، ولزم من ذلك تسويةُ أرضيةِ الأروقةِ به، ودام العملُ فيه أشهراً، وخرج منه بطحاً تكفي المسجد، وتزايدت بهجتهُ، وكانت الكلفة في هذا خاصة فيما بلغني دون ألفِ دينار. جُوزيا خيراً.

ويقال: إنه أكثر من سيل سنةِ سبعٍ وثمانين، إلاّ أنَّ هذا وجد الطريقَ مقطوعة ولا عششَ فيها، والبلاليع مفتوحة مع انفتاح باب إبراهيم الذي كان انسدادُه أقوى الأسباب في كثرةِ ذاك، وطاحت دُورٌ كثيرةٌ، ولكن لم نَسْمع بكبيرِ أحدٍ ماتَ تحتها، ولا سَحَبَهُ السيلُ؛ بل يقال: إنه ذهب ببعض الأعراب وبمواشيهم وسحب أمتعةَ القُشاشيين، بل وضريراً منهم يُعرف بحَدَبَة، فألقاهُ بأسفل مكة ميتاً. وحصل بمنى وجُدَّة والحجاز ما حصلَ

بمكـة، وامتلأت صهاريج جدة وغيرها، وتزايدَ الرخاءُ وتَيَسَّرَ كُلُّ شيءٍ إلا الـدرهم فعزيزٌ جداً حتى قال بعضهم: إنه كان في الغلاء أطيب حالاً منه الآن. هذا كلّه مع مزيد الأمن.

وكذا وقع بالمدينة النبوية غَيثٌ عظيم لم يتفق مثله من سنة ثمانٍ وسبعين بحيث أخصبت هي وما حولَها وعَمَّ سائر الجهات والنواحي، ورخصت الأسعارُ بذلك جداً.

وفي أواخر صفر توجه القضاة وغيرهم إلى الروضة بسبب رزقة جاريةٍ في أوقـافِ المـدرسـة السكَّرِيَّة بمصـر لدعـوى ذُرِّيَّة ابن أقبـرس جَرَيَانَها في استحقاقهم بمقتضى إعطاءِ الظاهرِ جقمق إيَّاهَا لِجَدِّهِمْ، وذلك بعدَ ثبوت كونها للسُّكرية عند الشرفي الدَّمسِيسِيّ أحدِ خيارِ النوابِ وثقاتهم وفضلائهم بمقتضى محضرٍ شهدَ فيه الشمسي البامِي مُباشِرُهَا وشيخ الشافعية، وعمل لهم نقيبُ الجيش غداءً سمعتُ مَنْ يشكره، ثم اجتمعوا عند الملك.

وقيل: إنَّ المنقول عن الحنفية أنَّ إعطاءَ السلطان للأراضي إنما ينفذ في المصالحِ العامة، وجهةُ ابن أقبرس ليست كذلك، ورامَ بعضُهم التكلمَ في إبطالِ حكم ابن الدَّيْرِي لهم فلم يتمَّ وانفصلَ الأمرُ للسُّكَّرِيَّة.

وفي أثنائه نُودي مَنْ له ظُلامةٌ أو طلبٌ فليطلع في يومي السبت والثلاثاء إلى الاسطبل لتجديد الملك الجلوس فيهما به، فبادرَ كثيرٌ بشكوى كثيرٍ من الأمـراءِ والمبـاشـرين فضلاً عن غيرهم حتى إن الشريف الأَكْفَانِيّ اشتكى يَشْبَـك من حَيْدَر أمير آخُـور ثاني بأنَّـه حين كان والياً أخذ منه ـ أظنهُ وهو

بالمقشـرة - ست مئـة دينار وبغلة فمئة دينار معَ البغلة لنفسه والخمس مئة للسُلطان وأنـه لم يُوصِلْهَـا له، فاعترفَ فألزمه بدفع ذلك كله له، وحَصَل لكثيرين خوفٌ وارتدع آخرون وكفوا في الجملة، والله أعلم بالمقصَد فيه.

وفي غضونه وسّطَ بعض المفسدين ممن كان يخطف العمائمَ وسر الناس به مع كونه من أتباع قيت الساقي الأشرفي، وكاد أن يُنفىٰ، ولكن ما كان بأسرع من استقرارهِ والياً عِوَض مُغْلُباي الأعور أحد المقدمين، ودخل بزخمٍ وإظهـار قوةٍ، فمـا تم الشهرُ حتى نقبت المقشرةُ من جهةِ مجلس الحنفية بالجورة وخرجَ من المسجونين بها جَمْعٌ كثيرون أُمْسِكَ منهم عشرةٌ، فقطع ألسنة بعضِهم وكحلهم، واقتصر على الكحل من بعضِهم والقطع من بعضهم.

ثم في ثالث ربيع الأول ضرب أحمد بن يوسف معلم المقشرة وعلي بن محمـد المـرجـوشي لاتهـامهمـا بضربِ الزَّغَل[1]، ثم أودِعا السجنَ، بل وأُمْسِكت زوجة أولهما وغيرها من أصهاره كفخر الدين الصائغ إلى أن أُطلقوا بكلفة كبيرة إلا الثاني، فاستمر حتى كحل وقطع لسانه بعد فعله الأفاعيل في إتـلافِ الأمـوال بحجـةِ الكيمياء على أميرِ سلاح وغيره، وأُهين بالضـربِ بالمقارع وغيره، ثم أودع الرحبة، ثم المقشرة، وفَرَّ منها إلى أن أمسك من الصعيد، ودَام بالمقشرة حتى هجم وهو مع جمداره على بيت المعلم المشار إليه، وبعد كحله وقطع لسانه أطلق.

---

(١) الزَّغَل: أي النقود المزورة.

وفي أواخر صفر ضُرب عمر ابن العز عبدالعزيز الفيومي الوكيلُ بالمقارعِ ، ورسم بنفيهِ للكركِ لكونه توكَّلَ ليهوديٍ على البدر ابن الونائي ، وسافر، ثم بعد أيام توسَّلَ أبُوه بالأتابكِ وأميرِ سلاح ، ثم وقَفَ فرسم بإطلاقه ولكن لم يَعُدْ وهو الآن بالشام في حركة ، بل مات في التي تليها.

وقبل ذلك نفي علي بن شقيرة المَرْجُوشي لمكة.

وفي أوائل ربيع الأول قرأ الشمس محمد بن محمد بن إبراهيم السَّكَنْدري نزيل المُؤيَّدِيَّة في مجلس الملك بحضرةِ القضاة ـ ولم يكن الحنفيُّ حاضراً وغيرهم من المشايخ ـ سُورة الفتح بالسبع ، قراءةً حَسَنَةً بصوتٍ شَجِيٍّ ، ثم دعا دعاءً حسناً، فوعدهُ بأنه إذا شَغَرَ شيءٌ عنده أو عند الشَّافعي وغَيره عَيَّنهُ له ، ثم أمرَ بإحضارِ مملوكين له بَعْدَ وصفهما بأنهما حطب في قطارميز فقرأ أحدهما الفاتحة وإلى «المفلحون» ببعض الروايات ، والآخر آياتٍ من أولِ آلِ عمران ، ثم جاء جماعةٌ منهم بألواحهم ، فوقع الثناءُ على كتابتهم مع التصريح بتفاوتهم.

وكذا جيء بالأولين ليلةَ المولدِ فقرءآ أيضاً بحضرةِ القضاة والأمراء ، وأكثَرَ الحنفيُّ من أسئلتهما بحيث لم يَرْتَضِه أميرُ سلاح وخالفه أستاذهما. وكانت زَفَّةُ المولدِ النَّبويِّ بمكة على العادة ومشى فيها مع رئيس الحجاز علماً وقضاء ونظراً بقيةُ القُضاة وشيخ الخدام بالحرم الشريفُ المدني شاهين الجمالي ، والمحتسب بمكة سُنْقُر، وخَلْقٌ ؛ بل لحقهم صاحبُ الحجاز السيد محمد بن بركات ومعهُ بعضُ أولاده فمشى أيضاً ، وكان القاضي على يمينه ثم جلس

معه بمحل المولد وفارقهم في الرجوع. تَقَبَّلَ الله منهم، فهذا هو الفخر لا هذا[1].

وفي سادسه وأنا راكبٌ مع الشمس متوجِّهٌ بين السُّورَيْن تحت القبو بعد مجاوزةِ جامعِ ابن ميالة أخذ مملوكٌ عمامتي مع القبع والعرقية في يوم شديدِ البردِ جداً وأردفه آخرُ هو في الحقيقة يحميه وإنْ أوهمَ خلافَهُ وتبعهما الخادمُ وعلمناهُ، ولكنْ حصل الإعراض عنه عجزاً وضعفاً وحِساباً للعاقبةِ، وتكَرَّرَ في هذه الأيام وقبلها وبعدها منهم ومن غيرهم أخذُ العمائم، بل والعُدي وغير ذلك مع الضرب غالباً؛ بل في ليلةِ المولدِ بعد انفصالِ القضاةِ عنه رمى الأجلابُ عليهم من الطبقة التي بقرب الزَّرَدْخَاناه طعاماً وزيتاً حاراً. ونحو ذلك فأصاب الشافعيَّ والحنفيَّ الكثير منه بحيثُ خلعَ الشافعي فوقانيه، ويقال: إنهم تَعَرَّضُوا للأمراء في نزولهم بَعْدَ العشاء بالرجم ونحوه.

وكان بعد أيام تزويجُ العفيف عبدالله ابن إمام مقامِ الحنفية بمكة الشمس البخاري بأمِّ الحسن البكر ابنةِ قاضي المالكية بها النجم ابن يعقوب. وصادفَ ليلةَ تهيئةِ سِمَاطِ الدخولِ موتُ أبي الزوج، فتأخر الدخول

---

(1) هكذا يجعل المؤلف الاحتفال بالمولد وهو ما لم يُعرفْ في القرون الأولى من المفاخر، بل كرر ذلك في غير ما موضعٍ من كتابه، وهو إنما يعبر عما انتشر في عصره من عناية بأمور ليست من جوهر الدين، بل بعضها من البدع الشركية من تقديس لبعض الصالحين، والتوسل بهم مما هو معروف مشهور في تلك الأعصر، وهو الأمر الذي تصدى له قبل قرنين شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله وقاسى فيه من الشدائد والمحن ما هو معلوم في سيرته الجهادية، فعاد الأمر في هذا العصر أفظع مما كان في عصره رحمه الله.

إلى الشهر الآتي. وأما السِّماط فلما رجع الناسُ من المعلاة، مُدَّ فكان هناءً في عزاءٍ[1].

وفي ربيع الثاني اطُّلِعَ على الشمسِ البحيريِّ أحد قرّاء الدُّهَيْشة ممن يسكن بالقرب من تربةِ يَلْبُغَا التركماني من القرافةِ، بَلْ هو أحدُ قُرَّائها، بأنَّ صهره يؤوي اللُّصوص، ويستحسنُ هو عليهم، فضُرِبَ، ثم أُودِعَ المقشرةَ، وأُمْسِكَتْ زوجته فأظهرت عدة عملات، وكذا أمسك معها جماعة.

ونحوه قُطِعَ يدُ شخصٍ يقال له: تاج الدين ابن المغيربي، اتُّهِمَ بتزوير مرسومٍ، وتكرَّرَ منه ذلك فيما قيل، ولم يلبثْ كلٌّ منهما أنْ مات، وتألَّم الناسُ لهما، لشبههما بالفقهاء في الجملة.

وفي ذي القعدة أُمسكَ شخصٌ يقال له: ابنُ الوارث، سرق أمتعةً كثيرةً جداً لأُناسٍ كثيرين، وأُودعَ المقشرة، فهربَ منها، فأُمْسِكَ ثاني يوم، وضُربَ بالمقارع، ثم قطع يده ولسانه وأُكْحِلَ وأُطلق.

وفي أواخره وسط ابن لابن عاربي من شيوخِ نابلس بعد أن شهر.

وقبل ذلك اتهم افرنجيان مَعَ مُسلمتين أقرَّتا[2]، فلم يُتَعرَّضْ لهم، وأظنُّهم غُرِّمُوا.

---

(١) انتهت هنا المخطوطة «ك».

(٢) لا شك أن أمثال هؤلاء الحكام لم يكونوا معنيين بتطبيق شرع الله، إنما كان همهم المال وجمعه، وإلا فكيف يُطلق من يفعل مثل هذه الأفاعيل، والفاعلان كافران.

ورُوفع في جمادى الأولى في بدر الدين ابن القلفاط، أحدِ نواب الشافعي بأنه عارضَ شخصاً تَبَرَّعَ ببناء في مسجد وشيءٍ من أوقافه له التحدث عليه، مع كونه بإذن منه، ولكنه قيل: إنَّه تَعَدَّى في بنائه بمالا يجوزُ فبادر الملكُ لعزلِهِ والترسيمِ عليه حتى عملت مصلحته.

وفي ربيع الثاني استقرَّ في شادية جدّة، تنم الخازندار الأشرفي الفقيه الصوفي، الذي كان شاداً، فيما فُوِّضَ للأستادار جبايته من تلك الظُّلامة عِوَضاً عن الأمير شاهين الجمالي المقيم الآن بمكة، ولكن مع ملاحظته له وتدريبه إياه، ثم سافر في الذي يليه من البحر ومعه الشمس محمد ابن كاتب البزادرة ناظراً وكاتباً، وكريم الدين عبدالكريم صيرفياً على عادتهما، ورافقهم عبدالله الشيبي القادم مع الركب ومعه مرسومٌ بعقدِ مجلسٍ بينه وبين أخيه محمد كبيرِ السَّدنة بسببِ تركةِ أبيهما في آخرين.

ووصل الشادُّ ومَنْ معه لجدّة، فأظهر حُرمةً وضخامةً، وتنافر مع النَّاظر، وطرده، فما وسعه إلا العَوْدُ إلى القاهرة، فوصلها في البحر قبله، واستمرَّ هو حتى أنهى مهمه، وكان موسماً هائلاً عندهم، وصل فيه من الهند بضعة عشر مركباً.

وممَّن كتب فيه أبو النجا ابن البقري على عادته.

وكذا في هذا[1] الآن استقرّ البدرُ حسن الطلحاوي في وظيفة التَّصوُّف بمدرسةِ السلطان بمكَّة بعنايةِ الشهابيِّ ابن العيني بحكمِ وفاةِ الأمين أبي

---

(١) أي في هذا الوقت.

اليُمن ابن المحب ابن ظهيرة، وعزَّ على ابن عمِّه وغيره من ذويه، ورسم بعدم سُكْنى أحدٍ من التُرْكِ بها، وبأنَّ الرباطَ لا يسكنه إلا الفقراءُ الأغرابُ العُزَّابُ. وكان ابتداءُ فعلِ ذلك في العامِ الماضي، ليكون وسيلةً في إخراج اثنين يُذكر عنهما أتَمُّ الضَّررِ بالمكان، فما تهيَّأ إلا إخراج أهلِ الخير ممَّن - والله - لا يسمحُ الواقفُ بإخراجهم أو كثير منهم، ولله الأمر.

وكذا في أواخر ربيع الثاني سافر الأمراءُ المُجَدِّدُون من المقدمين وغيرهم بعد الإنفاقِ عليهم وعلى سائر العسكر، وهم الأتابك وهو الباش، وأمير سلاح ومَنْ هو في مرتبةِ أميرِ مجلس تاني بك الجمالي، ورأس نوبة النوب، وأمير آخور، وحاجب الحجاب، والزردكاش، وأزدَمُر المُسَرطن، ويشبك من حيدر، وقانصوة الألفي، ومغلباي الأعور المقدمون بعد تطليبهم واجتيازهم من داخل المدينة في يومٍ مشهود.

وكان في طول الشهر، بَلْ وفي آخر الذي قبله انجرارُ مَنْ شاء الله من المماليكِ طائفة بعد طائفة، بَلْ سبقهم كسباي المحتسب، فحمل في البحر برسمهم من الشَّعير وغيره، ما الله به عليم، ووافاهم بذلك من السويدية ساحل أنطاكية، ولكن لم يقع من العسكرِ موقعاً لعظم الرخاءِ معهم، وتصريحهم باحتياجهم إلى الدراهم أكثر، هذا مع مزيد الكلفة عليه جداً.

وكان دخولُ العساكر هم ونائب الشام وغزَّة حَلَبَ في أوائلِ جمادى الثاني، فداموا بها بقيَّتَهُ، ثم ارتحَلُوا منها أولَ رجب لمجيءِ المرسوم باستحثاثهم على المسير إعراضاً عن اعتمادِ القاصد الذي لَقِيَهُمْ في أثناء الطريق بما يخذلهم، أو هو على حقيقته إلى عنتاب، وأرسلوا إمامية الأشرفي

الساقي، وهو من الحِذْقِ بمكانٍ ـ في عشرةٍ من مماليك السلطان على لسانِ الأتـابك إلى الغريم بطلبِ استرجاعِ القِلاعِ التي أخذوها، وأَجَلُّها سيس والكولك، ليحصل الكفُّ، ونحو هذا.

ثمَّ ارتحلوا منها، فنزلوا بالقرب منها في مكان يُسمَّىٰ مرج دُلُوك إلى أنْ تكاملَت العساكرُ بعد ثلاثةِ أيام، فساروا لمكانٍ يُسمَّى سلطان بلي، ونوديَ لهم بإقـامـة اثني عشر يوماً، استعرض الباشُ فيها سائر العساكرِ المصرية والشامية وغيرها ما عدا كبار الأمراء بالعُدَدِ الكاملةِ، وكان أمراً مَهُولاً.

ثم ارتحلوا لِرَأْسِ عَيْنٍ[1]، فنزل يَرْمَك وهو نهر أَذَنَة[2]، ثم لزمنطـو فنزلوا بها في مرجةٍ هائلةٍ ابتهجَ العسكرُ بها، ثم لآخر مملكة السلطان، وهي آخر بلاد علي دولات.

ووصلت هديتـه الشَّـاملة لهم، ثمَّ ارتحلوا لأول مملكة لبني عثمان، وحرَّقُوا أماكنَ، منها قَيْسَارِيَّة[3] ونِكدة[4]، إلى أنْ وصلوا إلى الجسر الأبيض، وهو أولُ مملكةِ السلطان، مع التحريقِ لكلِّ ما مَرُّوا به، حتَّى إنهم كانوا هَمُّوا بالكفِّ عن أركلي، لكونها من أوقاف المدينة النبوية، ثم بدا لهم تركهُ بإشارةِ

---

(١) رَأْسُ عَيْن: مدينة مشهورة من مدن الجزيرة بين حَرَّان ونَصيبين ودُنَيْسَر

(٢) أَذَنَة: مدينة بقرب طَرَسُوس والمِصِّيصَة.

(٣) قَيْسَارِيَّة: ويقال لها قيصريّة وهي من مدن الأناضول الشهيرة.

(٤) نَكدة: من مدن الأناضول أيضاً.

ابن تُرغلي نائب طَرَسُوس، ولكنهم لم يتعرضوا في كلِّ ذلك لاستئصال أشجاره.

وجَهَّزُوا أولَ رمضان جان بلاط الغوري الخَاصَّكِي قاصداً للسلطان يعلمه بما اتفق وسلامة العساكر، وكان مجيئه في ثاني عشرِيِّه، فلم يعجبه ما اتفق من التحريقِ والتخريب، مع كونه خلع عليه[1]

وراموا محاصرة الكولك، ثم بدا لهم تركه، بل حاصروا كوارة أزيدَ من شهرٍ، ثُمَّ أخذوها بالأمان، وتوجَّهوا لحلبَ، فكان تكاملُ العساكر بها في أواخرِ شوال، ولم يستمرَّ نائبُ الشام معهم حتَّى دخلها، بَلْ فارقهم من أنطاكية إلى محل كفالته، وليمَ من السلطانِ على مفارقتهم، وقصدوا الإقامة بحلب، فلم توافق الأجلاب.

واستمروا يدخلون القاهرة شيئاً فشيئاً مختفينَ ثم مُتظاهرينَ، إلى أنْ تكاملَ وصولهم، وقانصوه الشامي في أواخِر ذي الحجة، ولكنهم لم يطلقوا إلَّا في أولِ السنةِ الآتية، ولم يلبث أنْ جاء الرسولُ كما سيأتي فيها.

وفي يوم الاثنين سابع جمادى الأولى استقرَّ كرتباي الأشرفي قايتباي الكاشف أمير المحمل، وإينال الفقيه الظاهري جقمق رأس نوبة ثاني أمير الأول، ثمَّ لما كان في ثالث عشرِي شوال ارتحلَ الأول بِرَكْبِهِ، ثمَّ الثاني بركبه. وسافر أقبردي التماسيحي الظاهري جقمق ومعه خمسون مملوكاً بدل

(١) الذي في بدائع الزهور ٢٧٣/٣: أن السلطان لم يُسَرَّ بما أخبره جان بلاط الغوري من نقص المؤن والقلق في الجيش بسبب الغلاء لا من أجل أنهم حَرَّقُوا البلاد، ولعل هذا هو الأولى بالصواب، والله أعلم.

الراكزين هناك ليكون أميراً عليهم بمكّة، وبسمّى الباش عوض أزْدَمُر، ورُسِمَ بإقامةِ ذاك بطالاً، فدام حتّى رجع في موسم التي تليها، وسُرَّ كثيرون بصرفه، والطواشي إياس الساقي الأشرفي أحد الخواص من السُّقاةِ ليكون شيخ الخُدَّام بالمدينة عِوَضَ الأمير شاهين، وتألَّمَ المدنيون لصرفه، ولم يلبث أنْ مات المستقرُّ في رجب من الآتية.

وممَّن حجَّ فيها: الشريف رضي الدين ابن أبي المنصور الحنبلي، وترجموه لي بأمور منها: تَوَهُّمُ الرفض، وصُحبَتُه في المدينة لبني حسين، بحيثُ رامَ التزوج فيهم، ولَم يصحب فيها سوى السيد السمهودي، وكان يلومه في أشياء.

وفي عاشر جمادى الأولى استقرَّ سلامة المُلَقَّب محب الدين الأسلمي في كتابةِ السِّرِّ بدمشق عِوَضَ الشريفِ البدر عبدالرحيم ابن الموفق عبدالرحمن العباسي الشافعي هو، الحنبليُّ أبوهُ، مضافاً لما مَعَهُ من الجوالي بعد المجيءِ بالشريفِ من معتقله بدمشق، وإهانة الأتابكِ له لِدَيْنٍ له عليه.

وانفصل سلامة من نظر جيشها بالسيفي تَمُرْبُغا القَجْمَاسِي نائب الشام، ويعرف بالترجمان، ولبس خلعته بها أطلسين، ولم يَلِهَا - فيما أظنُّ - تركيٌّ قبله.

واستقرَّ أمير الركب الشامي بُرْدْبك الأشرفي قَايتباي.

وفي رابع عشريه قدم السيد عَنْقَا قاصدُ صاحبِ الحجاز وصهره وقريبه، ومعه عليُّ ابن الخواجا البدر حسن الظاهر، والموقع علي الحناوي، والنور

علي ابـن أبـي الليث ابن الضياء الحنفي، فالأخير لأخـذ جهـات أبيه، والآخـران لكونهما مطلوبَيْنِ بمرافعةٍ فاحشة، وآلَ أمرُ كلٍّ منهما إلى عشرة فأزيد، مع مزيدِ ذُلٍّ لثانيهما.

ثمَّ سافرا صحبة السيد في ثاني شعبان، ولكن فارق أولهما لجهة البحر، واستمـرَّ الأخـرُ مع السيد برّاً، ولمَّـا وصـلا لمكّـة اجتهد السَّيِّدُ وغيره في مساعدته حتى خلص له من ديون ميتة وغيرها من معاملاته السَّيِّئة القبيحة نحو نصفِ ما التـزمَ به، وتقاعدَ في الباقي، فرجع به معه في الموسم، فأُودِعَ المقشرة، وقاسى ذُلّاً وإهانةً تفوق الوصف. إلى أنْ أذعنَ، وسافرَ مع السَّيِّد كما سيأتي في التي تليها.

وكـذا كان مِمَّنْ جيءَ به مع الـرَّكب الموسمي الذي كنا فيه الشَّمسُ الحمويُّ وكيلُ ابن الزمن، والشمسُ ابن عواض أحد التجار، وصَحِبَهُ الشيخُ شهـابُ الـدين بن حاتم المغربي، فعملت مصلحة الأول بواسطة موكله، واستمرَّ مقيماً في ظِلّه إلى أنْ عاد معه في موسم التي تليها، وتكلَّف الثاني مع لُطْفٍ حصل له، ثم رجع في البحر، وتَخَلَّفَ عِيَالُه إلى الموسم، فأدركوه مع أبي شامة الصحراوي.

وكذا دام ابن حاتم حتّى سافر إلى الشام، وزار بيتَ المقدس، وعاد في رمضان، ثمَّ رجع مع الموسم بشيءٍ كثير من السلطانِ وأتابكهِ ومن غيرهما شاماً ومصراً مما هو مَعْدُودٌ في النوادر.

وكان توجهه للقدس صحبة أَزْبَك الذي أسلفتُ تَوَجُّهَهُ للكشفِ على ما أَحْدَثَهُ النصارى. وما انفصلت السنةُ التي تليها حتى عُدِيَ عليه من بعضِ

عيالـهِ في مالٍ كبير وُجِـدَ منـه نحو ألفَ دينار، ثم ماتَ له ولدٌ كان زائدَ الاغتباطِ به بعد نفي أُمِّه إلى بيشة من عملِ الشرقِ. عوَّضـه الله خيراً.

وكان مَمَّنْ عاد لمكَّة صُحْبَة الركب الشريفِ إسحاق صهرالخواجاشيخ محمد قاوان بعد إقامتهِ بالقاهرة في عزٍّ وفخرٍ من تردُّدِ الأمراء والفقهاء، وما زدته على مرَّة حين ضعفه، وكان في خدمته علي البُحيري المالكي، واستمرَّ مجاوراً في ظِلِّهِ السَّنة التي تليها، إلى أن رجع معه في موسم سنة سبع، وأسكنه بمكَّة عنده، وسافر منها في رمضان لجدَّة، فأخذا ماله أو لمن هو من جهته أولهما قدراً.

وجاء الشمسُ محمد ابن الحاج عيسى القارىء بعد موت أبيه، مع قُرْبِ العهد بتكليف الميت، فانبرمَ أمره على شيءٍ كثير لا أحققه، ولكنْ سمعته حين جاءني في السَّنةِ الآتيةِ لقراءة شيءٍ من «البخاري» عليَّ يقول: إنَّه مع القدر الذي كان أخذ من أبيه نحو ستين ألف دينار، وأنَّه عجز عمَّا طلب منه، مع حَضِّه على أنْ لا يجعل بينه وبينه واسطة.

ثم لمَّا بلغهم في السنةِ الآتيةِ توجُّهُ أخيهِ العلاء علي من الشام لمكة ليَحُجَّ، رسم برجوعه مع الرَّكْبِ للقاهرةِ، وكان ذلك بعد حَجِّه. لطف الله بهما. وأخذ من تركة الصلاح وكيل ابن الحزمي الكثير في آخرين غير متحقق ضبطهم.

وفي ثامن جمـادى الثـاني توجَّـه السلطانُ للقبَّة الدوادارية، واستدعى بالقضاة والبرهاني الكركي وغيرهم، فلما جلسوا معه في السِّماط، رأى من نُوَّابِ القضـاة مِمَّن لم يتـوهم حضـورَهُم مالا يناسبُ في عدم الخبرة في

الجلوس والأكـل ونحـو ذلـك من الصفـاتِ والحـركـاتِ والكلمات، فقبح ـ إجمـالاً ـ لكلِّهم، وتفصيلاً لابن مظفر والدميري والنبراوي، وعتب على كبارهم، وتفرَّقَ شملُ النُّوَّاب، ودامَ مَنْ عَدَاهم معه بقيةَ ذلك اليوم ثم الليلة التي أحْيَوْهَا معه على طريقتهِ في الأذكارِ والدعواتِ بالتَّلاحينِ المطبوعة فيما بينهم مما كان المبتدىء به في هذه الأعصار المرحوم خير بك من حديد، لكنهم ولَّدوا، وكلّهم أبعدوا وأفسدوا، وعمل لهم قَبْلُ مما يُوردوه في ذلك عبدالقادر الدَّمَاصِي الشاعر مالاقَ بخاطرِه، وأكرمه من أجله، ثم عادوا بعد الزوالِ من الغد، وكانت أشياء بهجة الترتيب والهيئة.

ووجد الحنبليُّ قاعته بالصَّالحيةِ قد عُدِيَ عليها بسرقةِ مبلغٍ وقماش، فتكدَّر هو وأحبابه، بَلْ وأظهرَ السلطانُ اهتماماً بالفحصِ عن ذلك لمقاصد، وآلَ الأمرُ إلى أنْ وجد القماش أو أكثره خاصَّة.

وقبله في سادسه كان ختانُ كاتب السِّرِّ البدري ابن مزهر لإخوتهِ الأربعة، وابتدأ بالطلوع بهم إلى الملك، فسقاهم المشروبَ، وألبسهم كوامل، ونزلوا في رَكبـةٍ هائلة، وافـاهم القضـاةُ ـ ما عدا الحنفي ـ في أثنـائها إلى بيت الحريم، وزُيِّنت لهمُ الطرقاتُ، وذلك ضُحىً، ثم بعد الزوال حضر القضاةُ وغيرهم بدوار أبيهم، وخـطب أكبـرهم، وبكى النـاسُ، ثم آخر النهار مُدَّ بحضرة أمير المؤمنين والقُضاةِ والمشايخ والشهابي ابن العيني وابن الأتابك ومـرزا حسين بن حسن بك، ومَنْ شاء الله، ولا زالت طائفـةٌ تقـومُ وتقعدُ أخرى، حتّى كان آخر الطوائف أبو العباس ابن الغمري، وأبو السُّعود ابن الشيخ مدين. وكان الختانُ في بيتِ الحريم عند السِّتِّ زبيدة أم اثنين منهم، وختن معهم غيرهم.

ثمَّ في عصر يوم الاثنين ثامن عشر الشهر الذي يليه كان ختانُ الناصريِّ محمـد ابن السلطان من بعض سراريه، وأشـار لمحمـد البَـطُونَسي تلميذ الجمال ابن عبدالحق بمباشرته دون الرئيس ابن النحاس، ولكن بحضرته، معلّلاً ذلك بيبس عَصَبهِ من أجلِ شيخوخته، وتألَّم لذلك، وأعطي مئة دينار وخلعة بسمور، وأمسك الصغير الدوادار الكبير، وحضر كاتب السِّرِّ والبدري أبو البقاء، وامتلأ الطست ـ وهو ذهب ـ ذهباً مَصْرُوراً مكتوبٌ على كلِّ صرَّةٍ اسمُ صاحبها وكَميَّتُهَا، بل سِيقَ قبل ذلك وبعده ما لا يُحصى من كلِّ أحد ممن علمه، حتى من الأماكن النائيةِ، كالحجاز والبلاد الشامية.

وختن معـه ابنٌ لاميرِ المؤمنين المتـوكـل، وابنان للمنصور عثمان ابن الظاهرِ جقمق، وابن لجُمجمةِ ابن عثمان، وابنٌ للعلائي ابن خاص بك أخ لخـونـد الكبرى، وحفيدان له اسمُ أبيهما محمد، وعشرةٌ من بني الأعيان الذين مات آباؤهم، كابنين لِوَرْدَبَش نائب حلب كان، وابنين لتغري بردي ططر رأس نوبة النوب، كان، وابن لسودون الصغير سبط خشكلدي الخازندار الـظاهـري جقمق، وخمسة عشر يتيماً، وابن للقُونَويِّ سبط الجلالي، بل جدته ابنة للزين الدجوي، لكون أبيه في خدمة الدوادار، كما كان عنداللذين قبله، وطلبوا قبل ذلك في يوم الأربعاء سادسه كثيراً من الأيتام الذين بمكاتب السُّبل، وفرق على كلٍّ واحد منهم درهم فضة، وأُطعموا وأكرموا أو أُولموا، ودام جُلُّ مَنْ ختن بالقلعة.

ثمَّ في يوم الاثنين خامس عشريِّة نزل لبيتِ ابنِ خاص بك ابنه وحفيداه، وابنا المنصور، وابن جمجمة، وسبط خشكلدي، وأركب معهم ابنة للدوادار من أخت خوند بعد إلباسهم كوامل.

وكذا ألبس البدريّ أبو البقاء ـ لكونه هو القائم بأعباء هذا المهم وترتيبه ـ خلعةَ سمور بمقلب، والمزين المباشر، والرئيس المشاهد، بل ورئيس الطب الشمس القُوصُوني في آخرين، وركب معهم كاتب السِّرِّ ونائبه وناظر الخواصِّ والأستادار، والدوادار الكبير، وأزْدَمُر تمساح في آخرين، ثمَّ توجَّه كثيرٌ منهم مع ولد جمجمة لسكن جدته أُمِّ أبيه المعروف بابن جلود من فم الخور.

وكذا جِيءَ مع ابن المنصور إلى بيت الأتابك عند عمته ابنة الظاهر جقمق.

وفي أثناء ذلك عمل الدوادار في كُلٍّ من المشاهدِ الثلاثةِ لإمامنا الشافعيِّ والإمامِ الليث والسَّيِّدة نفيسة رضي الله عنهم ونفعنا بهم في ثلاث ليالٍ متوالية وليمةً، واجتمع هناك قُرَّاء ونحوهم، بل طلع القضاةُ بغير سببٍ غير مجتمعينَ، فأطعمهم السلطانُ وسقاهم، وعمل العلائي ابن خاص بك اجتماعاً في بيته وفي بيت ابنه حضرهما القضاةُ وغيرهم.

وعملتُ للسلطانِ مؤلفاً في الختان سمَّيته «البُسْتان في مسألة الاختتان»، بل كتبتُ في بعض المؤلفات بمكَّة ما نصُّه: والاشتغالُ من شهرٍ فأزيدَ بالختان الذي اهْتَزَّتْ من أجلهِ الأركان، وسارت بشأنهِ الرُّكبان، ودارتْ فيه الرُّؤوس، وحارت الفكر فيما يُجلب إليه وأرباب النفوس، وهم مع بَذْلِ جهدهم بحسب شقائهم وسَعْدِهم ما بين مشكورٍ ومنكور، ومُعْدَمٍ غير معذور، ومنقد موسر أو مستور ومبعد مقهور، بما ترك بفضله محمول، ودور قليلة ـ فضلاً عن كثيرة ـ أمر مَهُول، «ولَيْسَ الخَبَرُ كالعِيَانِ»[1]، ولا القلمُ

(١) حديث لَيْسَ الخَبَرُ كالمُعَايَنَةِ (أو كالعِيانِ) حديث رواه أحمد في مسنده والطبرانيُّ في =

يتمكنُ بما يُفْصِحُ به اللسان، وإنْ كان هو بغير مَيْنٍ أحد اللسانين.

وأرسلتُ له بكراسة، غاية في الحسن والنفاسة، سمَّيتها: «البستان في مسألة الاختتان»، والله تعالى يُحْسِنُ العاقبة، ويَمُنُّ بالخيراتِ المتناسبة.

وأشرتُ في سنة ثمان مئة لختان الظاهر برقوق لبنيه النَّاصر فرج وأخويه وغيرهم.

وفي سنة سبع وثلاثين لختان الأشرفِ برسباي لولدهِ العزيز يوسف.

وكذا ختن الظاهر جقمق لابنه المنصور عثمان، لكن في إمرته. نعم عمل له الشهاب الحجازي خطبةً أولها: الحمدُ لله الذي فضَّلَ عثمانَ بجمع القرآن. في آخرين من المتقدمين والمتأخرين.

وقبل ذلك بأيام استدعى بالقضاة الأعلام الموافقين أو الساكتين عن كلِّ ما يكونُ له فيه مرام وغيرهم مِمَّنْ له بشأنهم اهتمامٌ إلى القبةِ الجليلة، ذي البهجة النَّضرة والزخرفةِ المهولة، فأقاموا هناك ليلةً ونهاراً، وأحيوها معه إلى الصَّباح بالذِّكْرِ سِرّاً وجهاراً، فكان منهم مَنْ يلائمه، ومنهم من يناكره بخروجه عنه ولا يزاحمه، ثم انفصلوا بعد إكرامهم بالأسمطة الهائلة، والفواكه والحلوى المتوالية، ولكن أفصح في غضونه لكثيرٍ من نوَّابهم، بما فيه الخفضُ لمراتبهم مما هو في أكثره مصيبٌ، حيث أرشدهم لكثيرٍ من أدبِ

= معجمه وابنُ حِبَّان في صحيحه والحاكمُ في مستدركه وغيرهم عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما بزيادة: «إنَّ الله قَالَ لِمُوسىٰ إنَّ قَوْمَكَ فَعَلُوا كَذَا كَذَا فَلَمَّا عَايَنَ أَلْقَىٰ الأَلْوَاحَ» وقد ورد بألفاظ متعددة.

الجلوسِ واللبسِ والأكلِ كالطبيب، ولامَ كبارَهُمْ في استصحابهم، بَلْ توليتهم، وهام بالإفصاح بما لم يرتضه من هيأتهم. والأعمال بالنيات النافعة في الحياة والممات.

وفي رجب خطب الصَّلاحيُّ ابنُ شافعي مكة بجدة، ومشى النَّاسُ في خدمته ذهاباً وإياباً، ومَدَّ لهم والده سماطاً هائلاً، وأنشد المرقي له ـ وهو الرئيس بمكة أبو عبدالله ابن أبي الخير ـ قصيداً في الخطيب والخطبةِ استحسنه مَنْ حضر. ورجع أبوه منها لمكَّة، فتوجَّه هو وعياله وعيال أبيه وأولاد عمّيه في طائفة كثيرين، كالنَّجم ابن نجم الدين وابنه والقاضي الحنبلي، جرياً على عادته في التوجه كل سنة، والشَّيخ عبدالمعطي للزِّيارة النبوية من جهة الشَّرق، وزاروا السَّيِّد ابن عبَّاس رضي الله عنهما بالطائف، وكان المُحَرِّك لهم مولانا السيد صاحب الحجاز، وتوجَّه لها من الشَّرق هو وبنوه وأهله وكثير من عسكره، كلُّ ذلك في شعبان، وعاد جُلُّهم، بعضهم لجدَّة، وبعضهم لمكّة، وبعضهم لغيرها، وتكلَّف القاضي لذلك كثيراً، مع إمداد السَّيِّد له بجمالٍ وغيرها. وكان قد سبقهم إليها في قافلة الأمير شاهين والمالكي والزيني عبد الباسط وأمه وأخته وزوجها العفيفي وولده وعيالهما وخالته وباقي عيال الحنبلي، وتَخلَّفُوا.

وكذا ابن نجم الدين وعبد المعطي. حتى رجعوا مع الركب الشامي بعد أن تزوج ابن نجم الدين بابنة الفخر العيني التي كان تزوَّجها قاضي المدينة الصَّلاحي ابن صالح، ولم يحصل بينهما التئام.

وكذا تخلّف الأميرُ شاهين حتّى رجع مع الشَّامي، وحضر تفرقةَ صدقةِ الرُّوم، مع كونهِ منفصلاً عن المشيخة كما قدَّمته، وغضبَ المستقرُّ لذلك،

فاستُرضيَ بجزءٍ مما يخصُّه.

وكـان الأمير في مكَّـة مشتغلاً مع ما تقدَّم من إجراءِ العينِ بعمارة دار الخـرَّازة التي كانت من أوقـافِ رباطِ السِّدرة ودار جكم التي كانت بسوق الليل، عمـل كلٍّ منهمـا ربعـاً، وسفل الأول محلاً لبيع الدِّقيق، والآخر حوانيت، كل ذلك بسياسةٍ ورئاسةٍ ولُطْفٍ وعدم عنف، مع إمساكٍ وتحصيل وتعلّل تألفهم العريض الطويل.

وممّن توجــه مع ركبِ السنـةِ المـاضية للزيارة أيضـاً أبـو الجـود ابن عبدالرزاق الصوفي، أحد المنسوبين لبني الجيعان هو وربيبته ابنة السَّعدي إبراهيم ابن الجيعان، وكانت مجاورةً بمكة سنةً، فجاورا هذه السنة، ثمَّ عادا لمكَّـة، فوجدَ أحدهما الشيخ معمراً اطلع على مَنْ سرق ذهبه من مسكنه بمكة في أثناء سنة أربع، وهو نيف وخمسون ديناراً، فاستخلص من السارقِ جُلَّه، وترك الباقي. هذا بعد أن كان اتَّهم غيره، وكانت حركات.

وكـانت البشـارة بالنيلِ في أولِ شعبـان، وجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرين أصبعاً، ثم وفي عصر يوم الأربعاء عاشر رمضان، وهو رابع مُسْري ستـة عشر ذراعاً وثمانية أصابع، وباشر فتح السد من الغد أحد المقدمين أَزْدَمُر تمساح، وارتقت زيادته إلى ثلاثة أصابع من الذراع العشرين.

وكان بناءُ زينِ العابدين ابن أخي المرحوم الزيني أبي بكر بزوجتهِ البكر سكينة ابنة الشمس ابن رجب الزُّبيري في ليلةِ الخميس خامس شعبان، فدام معها إلى ثامن ذي الحجة منها، ثم فارقها بعد اشتمالها على حَمْلٍ وضعته

ذكراً في شعبان السنة الآتية.

وتجدَّدَ للشهابِ أحمد ابن الصلاحي ابن الجيعان من ابنة عمه البدري أبي البقاء وَلَدٌ ذكر، وعملت له عقيقة في حادي عشره. بارك الله فيهم.

وفي تاسعه استقرَّ الشمس محمد البابي ثم الحلبي، الذي قيل: إنه كان صبياً في الفُرن، ويُعرف بابن دغيم، في قضاء الشافعية بحلب بالبدل عِوَضاً عن العز الحَسْفاوي(١).

وكذا استقر في هذا الأوان الجمالُ يوسف ابن المنقار الحلبي في كتابة سرها مع نظر الجيش والقلعة والبيمارستان بمالٍ عوضاً عن الجمالِ عبدالله التركماني إمام قجماس نائب الشام ـ كان ـ المُتَلقِّي لها عن الرضيّ ابن منصور، وهو عن التَّادِفي(٢) مضافاً للأُستادراية التي وليها عِوَضاً عن حسن ابن الصوَّة المتلقي لها عن عبدالرزاق ابن القُوق، المتلقي لها عن ابن المِنْقَار هذا. ثم لم يلبث الآن من هذه السنة أيضاً أن انفصل عنها خاصة بحسن المشار إليه، ثم عن بقية الوظائف، لكن في التي بعدها بعثمان ابن الصوة شقيق حسن والأكبر.

ويلغني أنَّ السلطانَ لما استقرّ ابنُ المنقار قال: في سبيل الله: كيف تجتمع هذه الوظائف لغير أهلها؟ ولكن أقول كما قال، شيخنا البدر العيني عقب ولايةِ كبيرٍ من أهلِ حلب لهذه بها: بالرشاء يفعل المرء ما يشاء. هذا مع أنَّه مع صغر سنّه ـ فيما بلغني ـ بمكانٍ من الذكاء والإقدام. وما أحسنَ

(١) منسوب إلى حسفا من حلب، وانظر الضوء اللامع ١١/١٩٨.

(٢) التَّادِفي: نسبة إلى تَادِف من قرى حلب (معجم البلدان ٢/٦).

قول بعضِ مَنْ أدركناه من فُحولِ الشُّعراء:

تَبَهْدَلَتِ المَنَاصِبُ واضْمَحَلَّتْ مَعَالِمُهَا وَضعفت الرِّيَاسَة
تَرَاءستِ الحميرُ العُرْجُ حتّى عَجَزْنا في حِمَارٍ للتراسَة
فيا أَهْلَ النُّهَىٰ عيشوا كفافاً رِيَاسَتكُمْ غَدَتْ تَرْكَ الرِّيَاسَة

وقولـه:

تعدَّلَ كُلُّ ذي عِوَجٍ بمصرٍ وبادرَ للعَدالةِ كلُّ خمر
فقُلْ للفَاسقينَ زنوا تُزَكَوا ولا تستعجلوا فالوقتُ بَدْرِي

وختم عندي في رمضان «صحيح مسلم»، و «السيرة النبوية» لابن هشام، و«الشفاء» وغيرها بقراءةِ جماعاتٍ، مع قراءةِ تصانيفي في ختومها.

وكان ختم «البخاري» في ثامن عشريه بالحوش من القلعة بحضرةِ القُضاةِ والمشايخ وغيرهم، ولم يجىء الملك إلا في آخر المجلس.

ثم عَرَضَ على الشافعيِّ طواشي حبشي للسلطان اسمهُ محسن «العمدة» و«القُدُوري» و«مقدمة أبي الليث» بفصاحةٍ، بحيثُ رَقَّاهُ أستاذه، وقَرَّرَهُ في السنةِ الآتية بعد موتِ سنبل الخازن عِوَضه مع صغر سنه.

وكان ممن يتكلَّم في هذا اليوم مع كبار القضاة بصوتٍ مرتفع، وبدون أدبٍ أبو الفوز ابن زين الدين. ورحم الله قاضي الحنابلة العز، فإنه قال لي: تعلم مَنْ باحثُ مجلسِ القلعةِ؟ فقلتُ له: لا، فقال: العز ابن بكور. بَلْ لما قال له الشافعيُّ ابن البلقيني: مَا لِمَوْلَانا قاضي القضاة لا يتكلَّم؟ قال:

إنَّ عِزَّ الدينِ المشترك معي في اللَّقَبِ يتكلَّمُ، فأنا عز الدين وهو عز الدين، أو كما قال. وكان يقولُ عن الجوجري: هو يتكلمُ في كل شيءٍ، وعن المقسي: هو يابسٌ حَطَبة. نعم، قال: أحسن من يسأل: الشهاب ابن أسد، وابن تراب، الثلاثة رحمهم الله وإيانا.

ثم كان فيه تنازعٌ بين محمد بن يوسف القَبَّانِي الحكار بوقفِ بَشتاك والمخبزي أبوه والفاضل شمس الدين ابن أبي الفتح الكتبي في التقبين ما ظهرتْ فيه أستاذيةُ ثانيهما، لإبدائهِ في الصناعةِ مالم ينهضْ له غيرهُ، بحيثُ مالَ السلطانُ معه، ووافقه القضاةُ، واختيرَ لأنْ يكونَ المعلم، وكان هوى المحتسب وغيره من جماعتهِ عند غيره.

وقد كانت المعلميةُ بعد موت شعبان الزواوي في أوَّلِهَا بين جماعةٍ، منهم ابنُ الشيخ ومقعده، تحت الربع، ويوسف ابن خشكلدي ومقعده بالسوائين، ليكونا متناوبين في المجيء لبيت المحتسب، والمخبزي المشار إليه يحاشرهما، إمَّا ليتعلَّمَ صنعةَ العِيَار، أو ليكونَ أميناً.

وفي ذي القعدة استقر في الزِّمامِيَّة والخَازَنْدَارِيَّة فيروز الرومي، وكانت شاغرةً من حين نُفيَ خشقدم، ولكنه يتكلم فيها هو أو مَنْ أسْلَفْتُه في التي قبلها، وبانفراده في شدِّ السواقي. ويقال: إنه أخذ بيته بسويقة صفية على بركة الفرانيين، وأخذ في الاستخلاص، بحيث آل الأمرُ لما سيأتي في العام بعده

وجاءت كُتُبُ المبشرين مع أميرِ البشائر قانصوه الأشرفي قايتباي بالأمن والرَّخاء والسلامة والهناء في الحج، بحيث لم يحصل فيه تشويشٌ لأحدٍ، وأنَّ

الوقفةَ كانت الأحد.

ووصل الركب العراقي ومعه صدقةٌ يسيرة جداً، وصدقاتُ الروم واصلةٌ إلى أهل الحرمين تُفَرَّقُ بالمئة فما دُونها، والمصريون بالضدِّ، فكتب إليَّ بعضُ المكِّيِّين أنَّ الشافعيَّ يقال: إنَّ صرّه ينقص الثلث، والواقع ارتقاء النقص لنحو النِّصف، فالألف يقبض ثمانية وأربعون محلقاً، والحنفي، قال: إنه وصل إليه في صرة بألفين وخمس مئة ألف درهم، ورأيتُ من ينفي ذلك، وأنه لم يتغير عن عادته، والحنبلي ينقص الثلث، والزمام كالعدم، وكذا إسكندرية وكثير من الأوقاف لم يطلع كخربة روحاء وتغري بردي، هذا مع ما انضمَّ لذلك مِمَّا أشرنا إليه من أولها. والله تعالى يُحسن العاقبةَ لجميع المسلمين.

وكان في أثنائها قيامُ مُسْتَحقِّي وَقْفِ السابقيةِ على المتكلِّمِ فيها بدر الدين بن حجاج البرماوي الغريم في فاتية ابن الشيخ الجوهري لمزيدِ إجحافه لهم، وحنقه عليهم، وكلماته الناشئة عن مَزيد الجهلِ، وعدم الدُّرْبة والمعرفةِ، مما يقتضي أبلغَ تعزيرٍ لو قُوبِلَ مثله وأمثاله بما يستحقُّه، فاجتمعوا وكتبوا فيه مَحْضراً، كتبَ فيه من الفضلاءِ والأعيان غيرُ واحدٍ، بعد إخلاءِ أعلاهُ لأكْتُبَ فيه، لعلمهم بمزيد تعبي من قِبَله، بحيثُ إنه لما سلَّمَ عليَّ عند قدومي كنتُ متلطفاً به، وهو بالضِّدِّ.

وأعلمتُ الأتابكَ حين سلامي عليه بأمره، فرأيتُه مِنْ أعرفِ الناسِ، وبادر للأمر بطلبه والترسيم عليه ببابه حتى يُرْضِيني، وأرسل به لي مرَّة بعد أخرى، ومع ذلك فلم ينتظم أمر. نعم، استرجع منه الشمس العبادي في أثناء ذلك نصف الوظيفة، لثبوتِ استحقاقهِ له، وكونه كان معه بالقوة والغَلَبة

والافتئات، بحيث إذ ذاك كان الناظر معه. «والخارب اللص يحب الخاربا».
فضعف بذلك كله جانبه، وزاد ترجِّي المستحقينَ للانتصافِ منه، سيما وقد أَجَبْتُهم إلى الكتابةِ بما كان أعظم الأسباب في إخراجه ورفع يده بعد إهانَته وذُلّه والترسيمِ عليه، حتّى بَذَلَ للمستحقينَ شيئاً مما أكله في سنةٍ واحدة، وقنعوا بذلك مُرَاعاةً لصهرهِ الشيخي الجلالي ابن الأمانة. هٰذا مع معاملته لأخيه الشهابي أقبح معاملة، بل وتَعَدِّيه للصهر والمحبِّ وغيرهم، حتى للقاضي الشافعي.

وبَيَّنْتُ فيما كتبته أنَّ أَحَقَّ الناسِ بكشفِ حال المفسدين والمعتدين، وهو بالاستفاضةِ، أهلُ العلم والحديث، لما يروى عنه من قول: «أَتَرْعَوُونَ عن ذِكْرِ الفَاجِرِ؟ اذكُروه بما فيه يَحْذَرْهُ النَّاسُ»[1]. بل كتبتُ أيضاً ـ بديهةً ـ حين طُلِبَ مني ما يتضمنُ الرِّضا بمن استقرَّ عِوَضَهُ ليكون حُجَّةً له وللناظر الذي الآن هو الأمير مقدم المماليك ما نصه:

الحمدُ لله قامع المعتدينَ، ورافع يدِ المفسدين، ومُذلِّ مَنْ لم يَرْعَ جانبَ المُوَحِّدينَ، سيما العلماء والمستفيدين، الذين تَوجُّهُهم لإرشادِ المسلمين، وهم وإنْ كانوا في القوة والتأييد من الرَّبِّ بالمحلِّ المكين، فليسَ لهم في المُخَاصمٰاتِ والمرافعاتِ تمكُّنٌ ولا تمكين، بل توجههم إلى الرَّبِّ الذي لا تَخْفَى عليه خافيةٌ بيقين.

ولذا لمَّا تكرّر حضورُ هذا المسكين إليَّ في منزلي بالتَّعيين، وبَدَا منه

(١) حديث: «أَتَرْعَوُون عَنْ ذِكْرِ الفَاجِرِ أَنْ تَذْكُرُوهُ، فَاذْكُرُوه يَعْرِفْهُ النَّاسُ» أو باللفظ الذي ذكر هاهنا، وهو حديث لا يصح، وقد رواه الخطيب البغدادي في «رواة مالك» عن أبي هريرة.

مالا يقابله عليه إلا رَبُّ العالمين، استقبلتُ القبلةَ بحضرته، وقلت: الَّلهمَّ إني أسألُكَ وأتوجَّهُ إليك بنبيِّكَ سيدنا محمد ﷺ، نبيِّ الرَّحمة، يا سيدي يا رسـول الله، إنِّي أتـوسـلُ بك إلى ربِّك في الانتقامِ لي ولعبادك من هذا الحاضر، ومَنْ يكون حاله معه ما ذكر.

كيف يرضى بمباشرته وتكلمه؟ أم كيف لا يتوجه إلى الله بالدعاء في أن يولي على الضعفاء من طَلَبةِ العلم، ومَنْ هم في أوفرِ نَقْصٍ لتعطّل غالب جهاتهم؟ مَنْ ينظر في مصالحهم ويرفدهم ويعينهم؟ وأرجو أن يكون المشارُ إليه ممَّن يتّصف بذلك، سيّما وقد ظنَّ على سمعه خيريَّة الناظر الأمير مقدم الممـاليك، ورغبته في الخير، ومحبته في الصَّالحين والعلماء، وذلك أدلُّ دليلٍ على حُسْنِ تصرُّف المشار إليه، فإنَّ مَنْ يكونُ بهذه المثابة، لا يميل إلَّا لمن يكون على نمطهِ وطريقتهِ في الخير، فالنَّاس على دِينِ مليكهم، والله تعالى يحفظهما على المسلمين، ويكف عنهما المعتدين، ويختم لنا بخير أجمعين.

ثمَّ تَبَيَّنَ خلافُ ما رَجَوْتُه، وكونهُ أشَدُّ في الضررِ ممَّن قَبْلَهُ، لتحقق: «لا يمضي زمـانٌ إلا والذي بَعْدَهُ شرٌّ منه»، بحيث كاد الأتابكُ في غيبتي ضَرْبَهُ بسببِ استخلاصِ الذي لي، فحِيلَ بينه وبينه. نسأل الله حُسنَ العاقبة.

واتفق في هذا العام، بل في الذي قَبْلَهُ كما أسلفْتُه فيه، أنَّه ثار على صاحبِ اليمن جماعـةٌ من بني عمِّـه، وعاثوا في البلاد، بحيث انقطعت السُّبُلُ، ولكن آلَ الأمرُ إلى خذلانهم وانكسار شوكتهم، ولم تنقطع جادرتهم إلى الآن، بل هي مستمرةٌ إلى سنة سبع وتسعين.

وكذا حصل فيها خذلانُ الفرنج المُتَعَرِّضينَ لغرناطة بعد طولٍ ما كانَ بين الفريقين في هذه السنين المتأخرة مما انتصرَ فيه المسلمون، أو رجعوا بالثوابِ الجزيل، وقد أحببتُ الإشارة لذلك، فأقول:

إنَّ صاحب غَرْنَاطَة بالأندلس، وهو سعد ابن الأمير علي بن يوسف بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر من بني الأحمر وثبَ عليه ابنهُ أبو الحسن علي، فَمَلَكها وسجنه بقلعةِ المثلين، وتحول إلى المريّة حتى مات بها.

ثمَّ إنَّ بعض الأمـراء حَسَّنَ لأخيه أبي عبدالله محمد المخالفة عليه، وخرج معه إلى مالقه، وأقام بها مُدَّةً، ثم بدا له الرجوع إلى أخيه، وفرّ إليه خُفْيَةً، فأكـرمه وحَمدَ صَنيعَهُ، ولم ينفك عن طاعته، بحيث إنَّ جَمْعاً من أمرائه أَغْروهُ ثانياً على القيام عليه، فلم ينجرَّ معهم، بل أعلمَ أخاهُ بهم، فقتلهم، وكذا المُغْرين له أولاً، فتمهَّدَت مملكةُ أبي الحسن بهذا كلّه، إلى أنْ ثار عليه الفرنجي صاحبُ قشْتَالَة من جزيرة الأندلس قبل انقضاءِ هدنةٍ كانت بينه وبين المسلمين، وأرسل أميراً من أمرائه يدعى المَرْكِش غَدْراً ليلاً على حينِ غفلةٍ، فغلب على قلعة الحامَّة ـ مدينة من أعمال غَرْنَاطة ـ وقتَ صلاةِ الصبح من يوم عاشوراء سنةَ سبعٍ وثمانين، وطرد عنها مَنْ طردَ، وقَتَلَ مَنْ قتل، وتشتَّتَ شملُ أهلها ما بين قتْلٍ وأسرٍ، وأسكن بها الفرنج، وقوّاهم بنحو أربع مئةِ نَفْسٍ فأزيد مستعدين للقتال.

ثم في سنته حين طمع بما أنفق، برز بنفسه لمدينة لوشة ـ من أعمال غرناطة أيضاً ـ وشَرَع في بناءٍ تُجاهَها لينزلَ به أتباعه ليحاصروها، فبلغ ذلك

أبا الحسن المشار إليه، فأرسلَ من أمرائه أميراً يقال له: إبراهيم ابن الأشقر، كان وزيراً له قبلُ بفرسانٍ ورجالٍ لطردِ الفرنج، فدخلوا لوشة ليلاً، وتوافقَ هو وأميرها المقيم بها، وهو الشيخ علي العطار على البروزِ للكفَّار صبيحتَها، ففعلوا، فكانت النصرةُ للمسلمين مع قلَّتهم وكثرة الفرنج، بحيث انهزموا، وطردوهم إلى نحو فرسخ.

وحينئذٍ فَرَّ كلٌّ من ولد أبي الحسن، وهما أبو عبدالله محمد المشار إليه، وأبو الحجاج يوسف، ترجِّياً للتقدُّم من حمراء غَرْنَاطَة إلى وَادِياش[1] وأهلها مخالفون على أبيهما، فبايعوا أوَّلَهما، وهو أكبرهما.

وكان اتفق بعد اجتماع الآراء عزل أبيهما لوزيره أبي القاسم بن نَيْغش الذي مكث أبوهُ نحو أربعينَ سنة يتظاهرُ بالإسلامِ، ثم أعلن بالارتداد، وتولية ابن الأشقر المشار إليه، وصار أبو عبدالله متملك غرناطة، والوزير ابن الأشقر كما كان، فدام ابن الأشقر دون عشرةِ أيام، حرَّك في أثنائها العامَّة على القيام على أبي الحسن، حتى طُرِدَ، بحيث سكن مالقة.

وفي أثناء ذلك بعث الفرنجي في سنة ثمان وثمانين عسكراً لمالقه، وأميرها إذ ذاك أبو عبدالله محمد لأخيه أبي الحسن، فحميَ المسلمون، وأيَّدهم الله حتَّى خذل عسكرَ الفرنج، وقتل منهم مقتلة كبيرة جداً سوى من أُسِرَ، بحيثُ كان من المأسورين ما ينيفُ على ثلاثين أميراً، وغنموا شيئاً كثيراً.

---

(١) وادياش: وهي وادي آش بلد يقع بالقرب من غَرْناطة جنوب الأندلس.

ثمَّ سار أبو عبدالله صاحب غَرْنَاطة لغزو الفرنج، فأُسِرَ بعد قَتْلِ نحو ألفٍ من عسكره، وأرسل أهلُ غَرْنَاطة ـ أيضاً ـ لأبيه أبي الحسن، فأُعيدَ إلى الملك، فلما علم الفرنجيُّ بذلك، بادر لإطلاقِ أبي عبدالله المأسورِ بعد أن استوثقَ منه بأخذِ ولده وولد لابن الأشقر وغيرهما، وعقد له صلحاً على كلِّ مَنْ أطاعه وقوَّاهُ لمقاتلةِ أبيه قَصْداً لإضرارِ المسلمين، ودام الخُلْفُ بين أبي عبدالله وأبيه أبي الحسن.

وفي أثناء ذلك خرج أبو عبدالله لواد ياش، فدام بها مدَّة يترجَّى الاستيلاءَ على غرناطة، والظُّهور على أبيه وعمِّه، إلى أنْ ضاق عليه الحالُ، فارتحل إلى المَرِيَّة[1]، واجتمع بأخيهِ أبي الحجاج، فكان ذلك سبباً لزيادةِ تضييقِ أبيهما عليهما، فأرسل أبو عبدالله وزيره ابن الأشقر للفرنجي يطلب منه الإعانة له على قتال أبيه أبي الحسن، فلم يظفر ابن الأشقر من ذلك بطائلٍ، فبادر أبو عبدالله إلى الفرار للفرنجي يطلبُ منه بنفسه ما كان راسَلَ مع ابنِ الأشقرِ فيه، وتَلَبَّثَ هناك مُدَّةً إلى أنْ دخلَ عَمُّهُ أبو عبدالله المرية على حين غفلةً باحتيالٍ من بعضهم، فنزل إليه مُتملكها نيابةً عن أخيه، وهو ابن أخيه أبو الحجاج يوسف، والوزير ابن الأشقر وغيرهما عجزاً وغَلَبة، فبعث أبو عبدالله لأخيه أبي الحسن يستشيرهُ في ماذا يفعل بهم، فجاء الإذنُ مع مزواره بقتلهم، وذلك في سنةِ تسعين ظنَّاً، وحينئذٍ برزَ الفرنجيُّ، وأخذ من الحصونِ العربيةِ رُندة وغيرها ما عدا مالقة وبلّس، وكان أبو عبدالله حينئذٍ بمالقة يحميها نيابةً عن أخيه.

---

(١) المَرِيَّة: من مدن الأندلس الشهيرة من كورة إلبيرة (معجم البلدان ٥/١١٩).

ثم بعد رجوع الفرنجي، عاد أبو عبدالله من مالقة إلى غرناطة، فَلَقِيَ جَمْعاً من الفرنج، فأسرهم ودخلَ بهم إليها، فبايعه أهلُها لكونِ أخيه أبي الحسن كان قد لفّ من مدة مَنْ جهزه إلى المنكّب هو وبنوه الصِّغار بها، فكانت منيته بها عن قرب.

وبعـد موتـه خرج ابنـهُ أبو عبدالله من الفرنج، فطرق عمَّه أبا عبدالله بالبَيَازين من غَرْنَاطة، فتقاتلا نحو ثلاثة أشهر، فلم يظفر أبو عبدالله من أهلِ غرناطة بطائل، فانفصل عنها إلى بَلِّـس ـ بالمهملة ـ وآل الأمرُ بعد كلام كثير إلى الصلح بينهما على أنْ يكون العَمُّ هو الملكُ، ويكون هو ومَنْ عداه نُوَّابَه، فلم يلبث بعد هذا العقد إلا يسيراً، وتحرَّك ابنُ أخيه أبو عبدالله للسَّفر لمَـالَقَـة[1]، ونـزل لَوْشَـة[2]، ليتجهَّـز منها لمالقة، فبادر الفرنجيُّ مع كونهِ صاحبه، وكونهِ بها، وأخذها، ولكنه أمَّنه ومَنْ كان معه، بحيث انصرف راجعاً إلى بلس المشار إليها مُعْرِضاً عن الصُّلح الذي كان بينه وبين عمّه.

ثمَّ بعد يسيرٍ رجع إلى البيازين، وقاتل عَمَّهُ سبعة أشهرٍ، إلى أنْ خرج الفرنجي لمدينة بلش ـ بالمعجمة ـ فبرز العَمُّ لدفع الفرنجيِّ، فلم ينجح، فارتحـلَ عنها رجاءَ العَوْدِ لغرناطة، فوجد ابنَ أخيه قد ملكها بالخداع من بعض أتباعِ المنفصل، ففرَّ إلى وادياش.

ثم في سنة إحدى وتسعين استولى الفرنجيُّ على لوشة التي كان طرد عنها أوَّلاً وعلى سائرِ حصون غَرْنَاطَة.

---

(١) و(٢) مَالَقَة ولَوْشة من مدن جنوب الأندلس (معجم البلدان ٥/٢٦ و ٤٣).

ثمَّ في التي تليها أخذ بَلِّس، ثمَّ حاصر مالقة أربعةَ أشهر، هدموا منها أسوارها، وقاسى أهلُها من الشِّدَّة مالا أنهضُ لوصفه، وفعلوا في المسلمين كُلَّ قبيحٍ، وأقاموا بكلِّ هذه الأماكن أتباعهم.

ثمَّ في سنة ثلاث خرج الفرنجيُّ في أتباعه إلى شرقي، وأخذ من حصونها أماكن كثيرة، ونزل بَسْطَة[1] لقتالِ أهلِها، فقتلَ المسلمون منهم مَقْتلةً عظيمة، فحمي الفرنجي وتحزَّب، ورجع إليها في سنة أربع، فكانت مقتلةٌ عظيمة، أبْلَى فيها المسلمون بلاءً حسناً، ولكنه لما فنيَ زَادُ المسلمين لكثرةِ أتباعهم ومَن انضمَّ إليهم منهم وانقطاعِ الواصل إليهم، لم يَسَعهم إلَّا المصالحة مع الفرنجي، على أنهم لا يبذلونَ له إلَّا ما كانوا يَبْذُلُونَهُ لسلطانِ الوقتِ قديماً، دون ما أحدث.

ثمَّ في سنة خمس - وهي هذه - استولى الفرنجيُّ على المريَّة ووادياش وغيرهما، وبقيت غَرْنَاطَة مع أبي عبدالله ابن أبي الحسن، فخرج الفرنجيُّ بعسكرٍ كثير لينزعها منه، سيما وقد كان وَعَدَهُ نائبهُ إذا انتزع تلك، فهيَ له، وخيَّرهم الفرنجيُّ بين المشيِ على المصالحةِ حسبما تقدم لغيرهم، أو البروز، فما وَسِعَهُمْ إلا المصالحة كما سبقهم غيرهم إليها، مع الاشتراطِ أنهم لا يَضْربُونَ ناقوساً بالمدينة، واطمأنَّ المسلمون، ودخل الفرنجُ المدينةَ، وداموا ينجرون إليها أياماً.

ثمَّ بعد أسبوع نكث الفرنجيُّ، وأحضروا ناقوساً كبيراً جداً ليرفعَ لمنار المدينة، فحميَ المسلمون، وأغلقوا الأبواب، واقتتلوا، فهَلَكَ من الفرنج ما

---

(١) بَسْطَة: من صُقع غرناطَة بالأندلس.

ينيفُ على سبعينَ ألفِ إنسانٍ، سوى ما غَنِمَهُ المسلمونَ مما من جملته أربعة عشر ألف حصان، ثمَّ فتحوا الأبوابَ، وتبعوا مَنْ كان خارجَ المدينة، فظفروا بهم، وفرَّ ملكهم في طائفةٍ قليلة، فتحرك وحاصرها في التي بعدها.

ثم كتب إليَّ بعضُ الثقات أنَّ الذي صَحَّ له أنَّ الفرنجي بعث لأهلِ غرناطة بالدخولِ في طاعته، فأجابه بعضُهم سِرًّا، واستمهله بعضُ أمرائها إلى الصَّيف، فامتنع وتوجَّه لقلعتها، فلمَّا صار في المرج، حمِيَ المسلمون، ورأوا أنَّ تمكُّنَهُ منها قبل الدفعِ والقتالِ غير مرضيٍ، فبايعُوا الله، وبرزوا له ليلاً، فأظهر الانهزامَ بعد قتلِ خَلْقٍ من جنده، ثم بان بأنه نزل وادياش، ونصب بعض أمرائه لبسطة، وآخر للمريَّة، ونصب هو المدافعَ والمكاحلَ على وادياش، وتَوَعَّدَهُمْ بالقتلِ والأسرِ إنْ لم يخرجوا بعد ثلاثٍ، فما وسع مَنْ سَلِمَ من الموتِ خوفاً أو نهب إلَّا الخروج والتشتُّت، وما عسى أنْ يحمل من أثاثه وما في حَوْزَتِهِ وعياله وأطفاله، مع قلَّةِ دوابِّه، وذلك في صفر منها، واستمرت ودایاش مع الفرنجيِّ إلى شعبانها، فلله الأمرُ وإلى الآن ما علمتُ ما اتفق.

ومات فيها جمع كثيرون.

فمن الشافعية:

٢٣٣٧- في شوال، عن خمس وثمانين، أقدمهم العلامةُ الشمسُ محمد[1] ابن الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن الفقيه أحمد

(١) الضوء اللامع ٧/٤٨، وفيه: مات في شوال سنة خمس وثمانين وهو خطأ، والصواب ما ذكر أي: سنة خمس وتسعين عن خمس وثمانين سنة، لأنه ولد سنة عشر وثماني مئة.

ابن قريش المخزومي البَامِي الأصل نسبة لبلدة بالصعيد، القاهريُّ، ويُعرف كأبيه بالبـامي ـ بموحَّدة ثم ميم ـ. ممَّن درَّس، وأفتى دهراً، وصنَّف «فتح المنعم» متناً في الفقه وشرحه، وأخذ عنه الفضلاءُ طبقةً بعد أخرى، فكان من الآخـذين عنه في ابتدائه الزينُ زكريا، ومع ذلك فلم ير منه في أيامه إنصافاً، بحيث كان يكثرُ الدعاءَ عليه، سيَّما وهو ضيِّقُ الحال، حاد الخلق، مع كثرة موافاته للخيار، وانجماعه. وتكلَّم له الأمينُ الأقصرائي في مشيخة الشافعي، وغيره في غيرها، فما تيسَّر. عوَّضه الله وإيانا الجنَّة.

٢٣٣٨- وفي جمادى الأولى، عن إحدى وسبعين، بمكَّة، السيد نور الدين أحمد(١) ابن السيد العارف الصفي عبدالرحمن ابن النور محمد بن عبـدالله بن محمـد الحسيني الشيرازي الإيجي، والدُ السيدة بديعة، بعد توعُّكه مدَّةً، وقُرْبِ عهده بالزيارة النبوية، ودفن إلى جانب والده. وهو مِمَّنْ تكـرَّرَ جلوسي معه بمكة في مجاورته المتَّصلة بموته، وزارني واستجازني لبنيه وجماعته، بل حَدَّثْتُ بحضرته ومَاشَاني في بعض الأسئلة، وعليه نورٌ وخَفَر، مع لُطْفِ ذاتٍ، وجميلِ عِشرةٍ، وجلالةٍ ووجاهة، واشتغالٍ قديم، وسماعٍ على ابن الجزري وغيره، وتلاوة على ابن عياش. رحمه الله وإيانا.

٢٣٣٩ـ وفي ليلة مستهلهـا بمكـة، وقـد زاحم الثمـانين، أو جازها، الشيخ حسين(٢) بن حسن بن حسين الشّيرازِي المقرىء، نزيل الحرمين،

---

(١) الضوء اللامع ١/٣٣٣، وشذرات الذهب ٧/٣٥٧.

(٢) الضوء اللامع ٣/١٣٩، وقال عن نسبة الفتحي: لكون جد والده فيما زعم بنى مسجداً بشيراز وسماه مسجد الفتح.

ويُعرف بالفتحي، بعد أن أُضِرَّ وانقطع. وكان يذكر أنه أخذ ببلاده عن ابنِ الجزري، وأنه لزم إبراهيمَ الخنجي وغيرهما، ثم أقبلَ على الطلَبِ بنفسه، فقرأ بالحرمين وبيتِ المقدس والخليل ودمشق والقاهرة وغيرها جملة. ولازمَ شيخَنا وكان كغيرهِ يستظرفه ويميلُ إليه. وكتبَ بخطه الحسن السقيم جملةً. وحدَّث غير واحدٍ من المبتدئين، بل أقرأ القراءات، وكان ماهراً فيها، حَسَنَ الأداء لها، شجيَّ الصوت، ذا خبرةٍ بلقاءِ الناس، ولسانٍ طَلْقٍ، تكرَّرَ قُدومه القاهرة حتَّى بعد عماه، وأكرمه أتابكها لسابقِ اختصاصٍ به، وقيل: إن الخنجي جعله شيخَ الحديث بمدرسته بمكَّة، وليس ببعيدٍ، فقد اشتهرَ أنه باعه ثواب عمله المتطوّع به من حجٍّ وعمرة وغيرهما بمبلغٍ كبير على قول من يراه.

وبالجملة، فهو من قدماء الأحباب المقبلين على هذا الشأن المُبَجِّلينَ لي، بحيث أخذَ عني بعضَ التصانيف، ولكنَّه لم يترجح فيه. رحمه الله وإيانا.

٢٣٤٠- وفي صفر، عن أزيد من ثلاثة وثمانين، الخطيب التقي أبو المعالي عبدالرحمن(١) ابن الشَّرف يحيى بن عيسى بن محمد العَسَّاسِي(٢) المناوي السَّمَنُّودِي، والدُ أحدِ الفضلاء الشمس محمد الأزهري بمنية عسَّاس، بعد عجزه وضعفه وكفِّه، ودُفن بها. وهو ممن أخذ عن ابن الجزري والبرماوي وغيرهما. ونعم الرّجل كان. رحمه الله.

---

(١) في الأصل: «العباسي» كأنه مصحف من الناسخ.

(٢) الضوء اللامع ٤/١٥٨، وفيه: عبدالرحمن بن يحيى بن موسى بن محمد. والعَسَّاسِي: نسبة إلى منْيَة عَسَّاس من الغربية بالقرب من سَمَنُّود (التحفة السنية/ ٩٧).

٢٣٤١ـ وفي أحد الجماديين، عن ثمانٍ وستين، ببيت المقدس، شيخ القرَّاء به، وإمام الأقصى زين الدِّين وكريم الدين عبدالكريم[١] بن داود بن سليمان الحسيني المقدسي الوفائي، ويُعرف بابن أبي الوفاء. ممَّن اشتغل بالقراءات وأتقنها، وتصدَّى لأدائها، بل حدَّث وخَرَّجَ له الصلاح الجعبري مشيخة. ومن شيوخه القبابي، مع فضائل وأوصاف حسنة. وهو ممَّن سمع معي ببلده، ثُمَّ مني بمكّة حين أحضر ولده للعَرْضِ، وكَثُرَ الأسَفُ عليه. رحمه الله وإيانا.

٢٣٤٢ـ وفيها، عن قرب التسعين، بطرابلس، التاج أبو الفضل عبدالوهاب[٢] ابن شيخ الشافعية هناك محمد بن يحيى بن أحمد بن دغرة بن زُهرة، الحُبْراضي الأصل الطرابلسي، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن زهرة، بضم الزاي. ممَّن دَرَّسَ، وأفتى، وصنَّف، مع حسن الصُّورة، والتواضع، ولكن لأهلِ بلدهِ فيه كلامٌ.

وبالجملة فهو خاتمة شافعيته؛ بل شيوخه، وقد كتبتُ عنه قوله:

عيون حبيبي النرجسياتُ أتلفت فؤادي المُعَنَّى بالفتور وبالسِّحْرِ
وأرمتْ سِهاماً صائباتٍ نُصولُها لقلب الذي قد ماتَ بالصَّبِّ والهَجْرِ

ولو قال بدل: «وأرمت»، «وأهدت» أو نحوها، لاستراح من الخطأ.

٢٣٤٣ـ وفي المحرم، عن أزيد من سبعين، بمكَّة، الشهاب أحمد[٣]

(١) الضوء اللامع ٣٠٩/٤. (٢) الضوء اللامع ١١٣/٥.

(٣) الضوء اللامع ١٩٣/١، وفيه العقبي وهو خطأ، والصواب ما أثبت ها هنا وقول السخاوي: =

ابن إبراهيم بن أحمد العُقَيْبِي ـ نسبة لذي عُقَيْب من أعمال تَعِزّ ـ اليماني. ممّن لازم الزينَ البُوتيجي، فَعُرِفَ به، وكتبَ عن شيخنا في الإملاء، واشتغلَ، ثم اختصَّ بابن الجُرَيِّس، وصار في ظِلّه بالقاهرة، ثم بمكّة، وبعده تحوَّل لتعزّ، وصار يحجُّ منها كُلَّ سنةٍ. ونِعْمَ الرجلُ سكوناً ومشاركةً في الجملة، مع تعفُّفٍ. رحمه الله.

٢٣٤٤- وفي شوال، عن نحو السبعين، ظنّاً، العمادُ اسماعيل[١] بن إبراهيم بن محمد بن علي الحَيَّانِي ـ بمهملة ثم مثناة بعدها نون ـ نسبةً لمنزل حيان من الشرقية، ثم القاهريُّ، شيخُ المدرسةِ الجمالية، ناظر الخاص، وفقيهُ بنيه. وكان خيّراً. ممّن اشتغل، وتميَّز قليلاً. رحمه الله. وخلفه في الجماليةِ النورُ ابن قُرِيبة المحلي، بعناية مخدومه الزردكاش.

٢٣٤٥- وفي منتصف جمادى الأولى، وقد قارب الستين، المحيوي عبدالقادر[٢] ابن الشيخ السِّراج عمر بن عيسى بن أبي بكر، الوَرْوَرِي الأصل، القاهري، ويُعرف بابن الوَرْوَرِي. ممّن درَّسَ الفقه وغيره، وأفاد الطَّلبة، مع الخير والتقلّل. وهو ممّن أخذ عن شيخنا. وسكنَ بأَخَرة عند تربةِ السلطان لتقريرهِ في صوفيتها. رحمه الله وإيانا.

= من أعمال تعز غير دقيق وهي من قرى ناحية جِبْلَة في الجنوب الغربي من إبّ باليمن (معجم المدن والقبائل اليمنية/ ٢٩١).

(١) الضوء اللامع ٢/٢٨٨.

(٢) الضوء اللامع ٤/٢٨٢.

والوَرْوَرِي: نسبة إلى وَرْوَرَا من أعمال الغربية بمصر (بمصر (التحفة السنية/ ٩٩).

٢٣٤٦- وفي ذي القعدة، وقد زاحم الثمانينَ، الشمسُ محمد[١] بن عبدالله بن محمد بن موسى الأَقْفَهْسي، ثم العباديُّ، ثم القاهريُّ الأزهريُّ، ويُعرف بالعَبادي. ممَّن كتب وأقرأ في الطباق، وخالطَ الأتراكَ، وداخَلَ الناسَ، وناب في خَزْنِ كُتُبِ المحمودية، ولم يَضْبط، مع إقدامٍ وتولُّعٍ بالنَّظم، حتّى كان يمدحُ ويرثي. رحمه الله وعفا عنه.

٢٣٤٧- وفي شعبان، عن تسع وستين، فتح الدِّين أبو الفتح محمد[٢] ابن محمد بن محمد بن إسماعيل السُّوهائيُّ الأصلِ القاهريُّ. أَحَدُ فُضلاء النواب وشياطينهم، مَصْرُوفاً عن القضاء، زائدَ الفقروالخمول والامتهان بعد تلك الصَّوْلَةِ والسُّهولة وتدريسه بالقاهرة ومكَّة، وفتواه، ومُزَاحمتهِ للعلماء، ولولا مساوئه التي بها أفسد، وفيها اجتهد، لما أُبْعِدَ. عفا الله عنه وإيانا.

٢٣٤٨- وفي ليلة نصف شعبان، غير مُقَصِّرٍ عن السبعين، الشمسُ محمد[٣] بن علي المقسمي. أحد النوابِ المتساهلينَ المؤخرين.

٢٣٤٩- وفي جمادى الثاني، وقد قارب التسعين، الشمسُ أبو البقاء محمد[٤] ابن الشرف موسى ابن سعد الدين إبراهيم الصَّالِحيُّ القاهري، عَمُّ الفاضلِ عبدالقادر العنبري. وكان خيِّراً، شهد الصَّلاةَ عليه أميرُ المؤمنين. رحمه الله.

---

(١) الضوء اللامع ١١٢/٨.

والأَقْفَهْسي: نسبة إلى أَقْفَهْس من الغربية (التحفة السنية/٦٥).

(٢) الضوء اللامع ٢٠٤/٩.

والسُّوهَائي: نسبة إلى سُوهاء بالصعيد الأعلى بالقرب من أخميم.

(٣) الضوء اللامع ٢٢٩/٨. (٤) الضوء اللامع ٥٤/١٠.

٢٣٥٠- وفي ذي القعدة، عن خمسٍ وأربعين، فأزيدَ، العِزُّ محمد[1] ابن النجم عمر بن أحمد بن عمر الحلبي، نزيلُ القاهرة، وأحدُ الموقعين، ويُعرف بابن نجم الدين. وكان عاقلاً ساكناً. ممّن اشتغل قليلاً، ولكن ما حمدتُ له تَزْويجَهُ ابنته بحفيدِ ابن الشِحْنة، بل ولا حمده هو، مع أنه لم يلبثْ أنْ مات. عوَّضه الله خيراً.

ومن الحنفية:

٢٣٥١- في ربيع الأول، عن سبع وسبعين، إمامُ مقامهم بمكة، وشيخ باسطيتها، الشيخُ شمسُ الدين محمد[2] بن محمد بن محمد ابن السيد ابن الصَّدر محمد ابن الشَّرف ابن العلاء علي، المدعو بالشّريف الحنفي، والرُّمَيْثِي الخُرَاسَاني البُخَاري، صهر الخواجا ابن الزَّمن، زوج أخته. وقد حَلَّقَ وما حقق، وتموَّل وما تطوَّل، وتودَّد وتزيّد. رحمه الله وعفا عنه.

٢٣٥٢- وفي جمادى الأولى، عن نحو السبعين، الخَيِّرُ الفاضلُ تَغْري بردي[3] ابن أبي بكر بن قَرَابُغَا الناصري، سبط الشَّنَشِي، ونزيل الرَّوضة بمكانٍ أنشأه بها، وكان ربما أقرأ أو أفاد. رحمه الله.

٢٣٥٣- وفي شوال، بالقاهرة، عن خمس وستين تقريباً، الفاضلُ أحد نُوَّابِهم وأجلَّائِهم، السدرُ حسين[4] بن علي بن عبدالله بن سيف الفيشيُّ

---

(١) الضوء اللامع ٨/٢٣٧.

(٢) الضوء اللامع ٩/٢٢٢.

والرُّمَيْثِي: لقوله: إنه من ذرية صاحب مكة رميثة بن أبي نمى الحسني.

(٣) الضوء اللامع ٣/٢٧. (٤) الضوء اللامع ٣/١٥٠.

الأصل، القاهريُّ، الحسينيُّ سكناً، ويُعرف بابن فيشا. وكان ساكناً جامداً مع فضيلةٍ وكثرة اشتغاله، وكان يُتَّهم بقدر كبير، فلم يوجد. رحمه الله.

٢٣٥٤- وفي رجب، بمَنْشِيَّة المِهْرَاني، عن نحو الستين، الفاضلُ الحَسَنُ صُورةً وعِشْرَةً الزينُ أبو الحياة خضر[1] بن شَمان النَّوْرُوزي، الخَاصَّكِي أبوه، القاهري، خازن كتب الصَّرْغَتْمُشِيَّة.

٢٣٥٥- وفي صفر، عن دون ثمانٍ وأربعين، الغياثُ أبو الليث محمد[2] ابن العلامة قاضي الحنفية بمكَّة الرضي أبي حامد محمد ابن الشِّهاب أحمد ابن محمد بن محمد بن سعيد الصَّاغانيُّ المكِّيُّ، سِبْطُ التّقيِّ ابن فهد، ويُعرف - كسلفه - بابن الضِّياء. وهو ممَّن اشتغل، وربما درس. رحمه الله.

٢٣٥٦- وفي سلخ ربيع الأول، أو افتتاح الثاني، عن تسعين سنة إلَّا سنتين، الشيخُ الجليلُ عبيد الله[3] بن محمود الشاشيُّ السمرقنديُّ بقربها، ودُفِنَ بها، وعظمت - فيما بلغني - الرَّزِيَّةُ به على أهلِ تلك النواحي، فقد ذُكر لي بالصفاتِ البديعةِ والكراماتِ المتنوعة بل القطيعة حسبما أثْبَتُّهُ في «التبر المسبوك». ولذلك أحببتُ أنْ لا أُخلي هذا المختصرَ من الإشارةِ إليه.

٢٣٥٧- وفي ذي الحجة، عن إحدى وسبعين فأزيدَ، قاضي المالكية بمصر المحيوي عبد القادر[4] ابن العلامة الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد

---

(١) الضوء اللامع ٣/١٧٨، وفيه: خضر بن شومان محرف. (٢) الضوء اللامع ٩/٤٢.

(٣) الضوء اللامع ٥/١٢٠.

والشَّاشِيُّ: نسبة إلى الشَّاشِ وهي من بلاد ما وراء النهر.

(٤) الضوء اللامع ٢/٧٨، وبدائع الزهور ٣/٢٧٦، وذيل رفع الإصر/١٨٤، والدَّميري: نسبة

ابن علي، الدَّميري الأصل المصري، القاهري، ويُعرف ـ كأبيه ـ بابن تقي. ممَّن تفنن ودرس. رحمه الله.

واستقرّ بعده في القضاء أخوه، وكذا في تدريس الشيخونية، لكن بمزاحمةِ الخطيب الوزيريِّ، متمسِّكاً بولاية مُعَلَّقة. ولم تحمد العقلاءُ صَنيعَهُ. ولم يلبث أنْ حصلَ له واردٌ تجرَّدَ فيه من الثيابِ، ومشى كذلك ثم تراجعَ، ولكن قيل: إنه لم يتخلَّصْ، وأرسل للقاضي يسأله في رغبته له، فامتنع مع مباشرةِ القاضي للوظيفة، وفي النيابة عن ابن السنهوري في البرقوقية سليمان البحيري، وعن ابن عمار بالصَّالح داود القلتاوي.

٢٣٥٨- وفي محرمها، عن سبعٍ وسبعين فأزيد، قاضيهم بطيبة ونزيلها دهراً الشمسُ أبو عبدالله محمد[١] بن أحمد بن موسى ابن أبي بكر ابن أبي العيد السخاوي، ثم القاهري، ويُعرف بابن القصبي. تاركاً للقضاء لابنه العلامة خير الدين. وكان ناظماً ناثراً، راغباً في إكرامِ الوافدينَ وإطعامهم، مُحِبّاً للفضلاء، قامعاً للرافضة، مُبْغِضاً لهم. رحمه الله.

٢٣٥٩- وفيها، قبل إكمال الأربعين، غريباً، بأبي عَرِيش[٢]، بلد الحَكمِي من اليمن، الشرفُ أبو زكريا يحيى[٣] بن محمد الغَرْناطي المَغْرِبي، قاضيهم ببيت المقدس. وكان مذكوراً بالفضيلة، سيَّما في العربية، واختصَّ بالخَيْضَري، وهو المتوسِّطُ له في القضاءِ، ولكن لم يحسن المداراةَ مع أهلهِ، فصُرِفَ، وتوالتْ عليه أنكادٌ آلَ أمْرُهُ فيها إلى أنْ قطع عليه

إلى دَميرة من الغربية بمصر (مباهج الفكر/١٢٢).

(١) الضوء اللامع ٧/١١٠.

(٢) وهي اليوم تتبع جَازَان في السعودية. (٣) الضوء اللامع ١٠/٢٦٢.

طريق توجُّهه للقُصَير، وأُخذَ جميعُ ما معه، ووصل لمكّة بعد زيارةِ المدينة مجرّداً، فأنعشه قاضيها وغيره، وسافرَ للجهة المعيّنة، فكانت منيته. رحمه الله.

واستقرَّ بعده بمديدة في القضاء أبو عبدالله ابن الأُزَيْرق، وهو أمْثَلُ وأنبلُ وأرأسُ؛ بل منزلته أعلى، ولكن مسيسُ الحاجة ألجأه له. كان الله له.

٢٣٦٠- وفي ليلة عاشر رمضان، عن أربع وسبعين فأزيد، الخيِّر المعتقد الصافي إبراهيم[١] بن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري التَّتائِي، ثم القاهري، أخو الشرف الأنصاري. ممَّن اشتغل كثيراً، ولم ينتقل.

٢٣٦١- وفيها، وقد زاد على خمس وسبعين، بطيبة، نزيلُهَا، ومؤدِّبُ الأبناء بها، والمتَّفق على بَرَكَتهِ وخَيْرِه يحيى[٢] بن أحمد بن يحيى الزندوني المغربي المقرىء. ممَّن لقيني ودعا لي. رحمه الله وإيانا.

٢٣٦٢- وفي رمضان، عن دون الخمسين، بمكة، نزيلها، أبو عبدالله محمد[٣] بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن يحيى الصَّدقاوي الزُّوَاوِي، ثم البِجَائي، ويلقَّب سراجاً. ممَّن وليَ قضاءَ الطَّائف وقتاً، ثمَّ أعرضَ عنه، وكانت فيه فضيلةٌ وخيرٌ، ومِمَّن تكرَّرَ تردُّدهُ في المجاورة المقارنة لموته. رحمه الله.

---

(١) الضوء اللامع ١/٨٧، وبدائع الزهور ٣/٢٧٤.
وقد سبق التعريف بنسبة التَّتائي.

(٢) الضوء اللامع ١٠/٢٢٢، وفيه: ويقال له أيضاً الزنداوي.

(٣) الضوء اللامع ٦/٢٧٥.

٢٣٦٣- وفي ربيع الأول، بطيبةَ، أبو الفرج، ويسمَّى محمد[1] ابن أبي المعالي محمد بن أحمد بن محمد بن مسعود المدني. أحدُ مَنْ لازمني بمكَّة في «الموطأ» وغيره.

٢٣٦٤- وابن عمّه النجم ابن يعقوب، قاضي المالكية بمكّة، ويُعرف - كسلفه - بابن المُزَجَّج.

٢٣٦٥- وفي شوال بالقاهرة، بعد نزولها مدة، الشيخ أحمد[2] بن عُقبة - نسبةً لجدّه، فهو أحمد بن عبدالقادر بن عقبة الحضرمي اليماني أحدُ المعتقدين لكثيرين. ممَّن اجتمعتُ به، ودُفِنَ بحوش سرور من الناصرية البرقوقية. رحمه الله. وكان قد أقام بمكة، ثم قدم القاهرة، فسكنَ حارةَ عبد الباسط، ثمَّ دَرْبَ الأتراك، ثمَّ تربة برسباي البجاسي حتَّى مات بها. وتردَّدَ كثيرون لزيارته، وقصدتهُ مرةً بعد أخرى، ولم يكن ابنُ إمامِ الكاملية يَرْضَاهُ، وخطيبُ مكة بضدِّه، وبالغَ معي البدر ابن جمعة في الثناءِ عليه، وذكر له كراماتٍ وعبارات.

٢٣٦٦- وفي أوائل المحرم، عن خمس وثمانين تقريباً، وقد هرم، أحَدُ أعيانِ قُرَّاء الجوقِ وخيارهم ومجيديهم الشّمسُ محمد[3] بن أحمد بن مهنا ابن أحمد القاهري، ويُعرف بابن طَرْطُور. وكنتُ ممَّن أستأنسُ بقراءته، وقد

---

(١) الضوء اللامع ٩/٤٤.

(٢) الضوء اللامع ٢/٥.

(٣) الضوء اللامع ٧/١٠٩، وقال عن طرطور: بمهملات والطاء الأولى مفتوحة لقبٌ لوالده.

زارني غير مرَّة. رحمه الله.

٢٣٦٧- وفي أواخر شعبان بدمشق، الخواجا الشهير عيسى[١] القاري. ممَّن حجّ وجاورَ كثيراً، ورأيتهُ هناك، وله برٌّ وخيرٌ، وخَلَّف بنين فيهم مَنْ له نباهةٌ وفَهْمٌ وحِشمة، أُخِذَ منهم بعده مالا أحصُرُهُ، مع قُرْبِ الأخذ منه قبيل موته. عوضهم الله خيراً.

٢٣٦٨- وفي جمادى الثاني بجدة، ودفن بالمعلاة، قريباً من الفضيل بن عياض، عبيدُ الله[٢] بن محمد، المدعو حافظ عبيد الأبيورْدي. وكان عاقلاً متودداً ذكياً، ذا ذوق ونَظْمٍ ولُطْفِ عشرةٍ. وهو ممَّن أخذ عني تصانيفي وغيرها، وصَحِبَني قديماً قبل ترقيته وحينَ فَقْرِه المُدْقِع، ثم لم يتحوَّلْ عن أدبهِ ولُطْفهِ، وفارقته في موسم التي قبلها بمكة. رحمه الله وعفا عنه. ومن نظمه على نمطِ قول الصَّفيّ الحلِّيِّ:

عَبَثَ النَّسيمُ بِقَدِّهِ فَتَأَوَّدَا

قال:

ما لامَ لَاحٍ فيكم أو فَنَّدا	إلّا هدى من ذِكْرِكُم أو فنّدا
إنَّ الذين تنسَّكوا لما رَأَوْا	محرابَ صاحبهِ أصابوا مسجدا
وبدا أمامَهُم الجمالُ فأعلَنُوا	الله أكبرُ ثم خَرُّوا سُجَّدا

(١) الضوء اللامع ٦/١٥٩.

(٢) الضوء اللامع ٥/١١٦ وفيه: عبيد الله بن عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله المدعو بحافظ.
ويغلب على الظن بأنه أقرب إلى الصحة مما ورد هاهنا.
والأبِيوَرْدي: نسبة إلى أَبِيوَرْد بالقرب من سَرَخْس بخراسان.

في أبيات.

٢٣٦٩- وفي جُمادى الثاني الشهاب أحمد[١] ابن الشرفي يحيى ابن الأمير يَشْبَك الفقيه ابن سبطِ المؤيدِ شيخ، وخاتمةُ نَسْله ظنّاً. ولم يكن مرضيّاً. عفا الله عنه.

٢٣٧٠- وفي صفر ناصر الدين محمد[٢] بن عمر بن محمد بن عبدالله ابن صاحب المدرسة، خارج باب النصر، الحاجب بَكْتَمُر، ويُعرف - كسلفه - بابن الحاجب، وبه ختم الذكور من ذريته، ولم يكن أيضاً بالمَرْضِيّ.

٢٣٧١- وفي رمضان سعد الدين إبراهيم[٣] ابن المرحوم الزيني كاتب السِّرِّ أبي بكر ابن البدري محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، الدمشقيُّ الأصل، القاهريُّ، الأحدبُ. أسنُّ بني أبيهِ. رحمه الله.

٢٣٧٢- وفي جمادى الأولى، عن ستٍّ وخمسين تقريباً سعد الدين إبراهيم[٤] ابن الشَرَفيِّ يحيى ابن سعد الدين أبي الفرج عبدالله ابن بنت الملكي شقيق أكبرهما وأوجههما الجمال يوسف. عوضه الله الجنة.

٢٣٧٣- وفي صفر، سرور الحَبَشِيُّ الخَصِيُّ السيفي قراقُجَا الحسني[٥]، وكان خيِّراً.

---

(١) الضوء اللامع ٢/٢٤٤.
(٢) الضوء اللامع ٨/٢٥٧.
(٣) الضوء اللامع ١/٣٥.
(٤) الضوء اللامع ١/١٧٨.
(٥) الضوء اللامع ٣/٢٤٦، وبدائع الزهور ٣/٢٦٨.

٢٣٧٤ـ وفي جمادى الثاني، بعد بلوغه، بمكَّة، عبدالله[١] الحبشي المكّي، فتى الشيخ شمس الدين الدمشقي، ثم المكّي، المعروف بالعَذُول، بعد أن حفظ القرآن وكتباً جمَّة عَرَضها عليَّ وعلى غيري، بل سمع عليّ جملةً. عوَّضهم الله الجنّة.

٢٣٧٥ـ وفي رمضان صلاحُ الدين محمد[٢] بن إبراهيم، الأسْلمي أبوه، التاجر هُو. وكيل ابن الحزمي، وبه عرف. وكان يتحشَّم ويخالط الأعيان.

٢٣٧٦ـ وفي أولها، عن أربع وسبعين تقريباً، شعبان[٣] بن علي بن أحمد المغربي، الزُّوَاوِي الأصل، القاهري القَبَّاني. رأسُ جماعتهم، والحكم بينهم حين مخاصمتهم والتردد في أمانتهم. له الولايةُ والعزل والرِّعاية بحقٍّ أو بذل.

٢٣٧٧ـ وفي شوال، عن دون الثمانين، بمكَّة، السَّيِّدة الجليلة أم الفضل[٤] حبيبة ابنة السيد الصفي عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الحسيني الإيجي، أخت النور أحمد الماضي فيها، ووالدة السيد عبيدالله. ودفنت بقبر مبتكر بجانب قبرِ ولدها محب الدِّين، وبالقرب من قبرِ زوجها وابن عمِّها العلاء ابن السيد عفيف الدين. نفعنا الله بهم.

٢٣٧٨ـ وفي ذي القعدة، عن قريب السبعين ظنّاً، خديجة[٥] ابنة التقيّ محمد ابن البدر محمد ابن السراج عمر البُلْقِيني، أم سعد الدين إبراهيم ابن

---

(١) الضوء اللامع ٥/٧٥.
(٢) الضوء اللامع ٦/٢٨٣.
(٣) الضوء اللامع ٣/٣٠٠.
(٤) الضوء اللامع ١٢/١٩.
(٥) الضوء اللامع ١٢/٣١.

فخر الدين القبطي، الملقَّب بالسُّكر و الليمون، شبه الفجاءة. وكانت قد حجَّت وجـاورت بالحـرمين، ورأت حُظْوَةً من كثيرٍ من الأزواج، وتـزايدَ اختصاصُها بالزَّيني ابن مزهر، بل تحدّث بزواجِهِ لها وقتاً، وأخذ من ابنها نحو ألفي دينار. رحمها الله وعفا عنها.

٢٣٧٩- وفي صفر، عن ستين، الرئيسة عائشة[١]، المدعوة سُتَيْتَة، ابنة جَان بَرْدِي بن فرج بن مَنْجَك اليُوسُفي، وتُعرف بابنة مَنْجَك. رحمها الله.

وممَّن مات فيها:

٢٣٨٠- ريَّا[٢] ابنة صاحب مكَّة - كان - الشَّريف حسن بن عجلان.

٢٣٨١- وابنةٌ لأخيها صاحب مكة - كان أيضاً - النُور علي بن حسن.

٢٣٨٢- وطفلةٌ للبدري أبي البقاء ابن الجيعان من شقرا.

٢٣٨٣- وابنة للخواجا الشمس ابن الزَّمن.

٢٣٨٤- ومُسْتَوْلَدَةٌ للجمالي أبي السعود ابن ظهيرة.

٢٣٨٥- ومَوْطُوءةٌ لأخيه الشهاب أحمد ابن البرهاني. كما بيَّنت ذلك في «الأصل» و«الشافي من الألم» مع وفياتٍ كثيرة.

---

(١) الضوء اللامع ١٢/٧٥.
(٢) الضوء اللامع ١٢/٣٦.

[سنة ست وتسعين وثماني مئة][1]

في ثاني محرَّمها اطّلع بِجُدَّة على قَتْلِ عبدينِ لسيِّدهما تاجرٌ شامي يقال له ابن حلفا، وراما إلقاءَ جُثّتهِ في البحر، فجيءَ بهم لمكة، فدُفِنَ المقتولُ، وحُبِسَا حتى يجيءَ ورثةُ المقتولِ أو وكيلهم، ولم يوجد له إلا دونَ أربعين ديناراً، ويقال: إن أبويه يعيشان.

وكـان فيه طلوعُ الأمراء المجردين ـ كما أسلفته ـ إلا أزبك الخازندار رأس نوبـة النُّوب، فإنَّه دخلَ قبلهم بأيامٍ في محفَّةٍ لشدةِ ضعفه، واستمر كذلك إلى ثامن ربيع الثاني، فكاد أن ينصل، بحيث طلع الخدمة، وزُيِّنَتْ له تلك الخطة.

وما تمَّ المُحَرَّمُ حتى وقفَ جَمْعٌ من الأجلابِ ونحوهم يطلبون الإنفاقَ عليهم لقيامهم بالمهم ـ زعمـوا ـ ولختـانِ ابنه في غيبتهم مما قيل بجريان العـادةِ فيهمـا، فاستُـرضـوا مع أميرِ سلاح حتَّى سَكَنُـوا، وأخذوا في تتبع الاسطبل والقاعات، بل وغيرها من الحارات ونحوها، وإخراجِ أربابها منها كرهاً، وسُكْنَاها، وتزايدَ الضّررُ بذلك، سِيَّما من مفسديهم، مع كونه يأبى الفساد، وربما أتلفَ بعضَ مَنْ يَبْلُغُهُ عنه، بحيث كاد الأمرُ أن يسكن.

(١) ما بين الحاصرتين غير موجود بالأصل.

وقبل دخولهم بأيام جاءني بعض الموقعين، وسألني في شيءٍ يكتب في جواب طلب الصُّلح لإشاعةِ مجيء رسول ملك الروم ابن عثمان بذلك، مع إطلاق مامية، فكتبتُ كراسة، وأرسلت بها للمقر البدري ابن الجيعان أبي البقاء.

واستمـرت الإشـاعة تتزايد، فلَّما كان في أثناء جمادى الثاني، وصل القاصدُ المشارُ إليه، وهو قاضي بُرْصَا[1] مُلَّا علي بن أحمد بن محمد بن أيوب الشرملو الأصل، العثماني جق الحنفي، وطلع فلم يقم له. نعم، أكرم مورده، وأنزل هو ونحو عشرة من خاصكية مرسله بقاعةِ كاتب السِّرِّ الكبرى، وجهَّز لهم من آلة الطبخ وغيرها ما هو كفاية عشرة أيام فأزيدَ لهم ولأتباعهم، مع ألف دينار، وغيرها من الحلوى والتفكُّهات.

ثم تكـرَّر صلاتهم للجمعة بالمدرسة المزهرية، واجتماعه بالسلطان، ورأى من الترتيب والنظام، وأنداب الملاعيب، وبهجة العساكر، وحذق مَنْ شاء الله من المماليك، بحيث يقرأ بالروايات ورياسة، ويجيد الخطَّ والحِفْظَ والفهم، بل سمـع من جُوقِ القـرَّاء والمنشـدين ما أدهشـه، ومن فُصَحاءِ الخُطباء ومواعظهم ما أبكاهُ وأعمشه.

واضطرب في شأنه في الفضيلة، فاجتمعت به في ثالث رجب، وكلَّمْتُه بما لم يسمعه من غيري، فذكرت له جلالةَ مصرَ وحراستها، وكونها في خَفَرِ إمامنا الشافعي والسَّيدة نفيسة رحمهما الله تعالى، بل في خَفَرِ مَنْ بها من الصَّحابة رضوان الله عليهم، وإنْ لم نعلم تعيينَ قبورهم، ومن غيرهم من السَّادات، وأنَّ سلطانَها خادمُ الحرمين.

(١) بُرْصا: ويقال لها بورصة من مدن هضبة الأناضول.

وأثنيتُ عليه بما تيسَّر، وكذا على سلطانهِ وسلفه بكونهم متوجِّهين لقمعِ الفـرنـج، بحيث ذُكِرُوا بين الملوكِ بهذا، ولكن قد حصلت نزغةٌ شيطانية أتلفتِ الأموالَ والنُّفوس، والتفتوا من أجلها لقتالِ المسلمين، مع قولِ النبي ﷺ: «إذَا الْتَقَىٰ المُسْلِمَـانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فالقَاتِلُ والمَقْتُولُ فِي النَّارِ»[1]. «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[2].

وكون سبطِ رسولِ الله ﷺ وريحانته من الدنيا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهمـا تخلَّى ـللخـوفِ من غائلةِ ذلكـ عن الأمر لمعاوية رضي الله عنه، وظهر بذلك قولُه ﷺ: «إنَّ ابْني هذا سَيِّدٌ، ولَعَلَّ الله أنْ يُصْلِحَ به بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»[3].

وأطلتُ بإيرادِ شيءٍ مما ورد في الصُّلح والإصلاح وغير ذلك؛ بحيث خَشَعَ وبكى، مع أنه لـم يَفْهَمْ كثيراً مما قُلتُه، ولكن كان في المجلس مَنْ كان يُوَضِّحُ له، وأعطيتهُ سبحة يُسْر، وكيسَ طِيب صندل، وأظهر سُروراً تامّاً.

ثمَّ لما كان في أوائل شعبان أُطلقَ إسكندر بن ميخـال أحدُ باشاتِ ابن عثمان والماضي ابتداء أَسْرِه في سنةِ أربع وتسعين من الأسر. وكذا العثمانيةُ

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد عن أبي بكرة ورواه ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري. وللحديث تتمة: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: إنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ.

(٢) حديث صحيح رواه الشيخانِ والنسائي وابن ماجه وأحمد عن جَرِيرٍ البَجَلِيّ، وكذا البخاريُّ أيضاً وأبو داود والنَّسائي وابن ماجَه وأحمد عن عبدالله بن عمر، والبُخاريُّ والنسائيُّ عن أبي بكرة، والبُخاري والتِّرمذي عن ابن عباس.

(٣) حديث صحيح رواه البخاريُّ والثلاثة وأحمد عن أبي بكرة.

الذين كانوا في الترسيم، ووُزِّعَتْ مؤنتهم على أوقافِ المسلمين، مع أنه فقد الكثير منهم بالجوع والعُرْي وغير ذلك، سيَّما الذين كانوا في كفالةِ القاضيين، وأزْورَ القاصدَ ومَنْ معه في طولِ إقامتهم كثيراً من أماكن النُّزَه والمزاراتِ، بَلْ عملَ البدريُّ المشار إليه للقاصدِ وإسكندر وغيرهما ضيافةً هائلةً على الوضع في بيته ببولاق مع قرّاء ومنشدين.

ثم طلع بالعثمانية المُطْلَقين، وقد كَسَاهم غير مقتصرٍ على الذين كانوا في كفالته، وعُرضوا على السُّلطان، فشَكَر صَنِيعَهُ، وخَلَعَ على المذكورين ونحوهما خلع السَّفر في أثنائه. وسافروا مُكَرَّمين محترمين.

ثمَّ أُرْدِفُوا في ثاني رمضان بجان بلاط مع هديةٍ، وصَحِبَهُ البدرُ ابن جمعة شيخ القبة الدوادارية بأمرِ السلطانِ له، والإنعامِ عليه بخمسين ديناراً، ثم وصلا في ربيع الأوّل من التي تليها، وأخبرا بمزيد إكرامه للرسولِ، مع الإنعامِ عليه وعلى جميعِ مَنْ معه، والإذعان بتسليم مفاتيح القلاع كولك وغيرها، وانتشر السرورُ بذلك. فلله الحمد.

وأكملَ الله الصُّلح بين سلطاننا وبين ابن عثمان، واطمأنَّ الناسُ، وكان ابتداء الفتنة وتجهيز العساكر لقتال ابن عثمان في أوائل سنة ٨٨٩ إلى أنْ لطف الله تعالى بعباده، ووقع الصُّلح، وتكاملَ في هذا التاريخ، أعني سنة ٨٩٧ بعد وقوع الحرب والفتن نحو ثمان سنين[١]، وصُرِفَ في التجاريد

(١) في العبارة ما يوهم بأن قوله: «وتكامل في هذا التاريخ أعني سنة ٨٩٧» هو من قبيل الخلط لأنه يؤرخ لسنة ٨٩٦، ولمّا تأتِ سنة ٨٩٧ بعد، والواقع أن هذه الفقرة بأجمعها قد استدركت بأخرة في هامش النسخة.

لذلك مالا يُحْصَىٰ كثرةً، ولله الحمد على ذلك.

ووصل مع أوّل ركبي الحج الأمير شاهين الجمالي مصروفاً عن المشيخة كما تقدم، وفي خدمته داود نائب الحسبة بمكّة لشكوى جماعةِ الباش عليه، ومعه محضرٌ بالثّناءِ على سيرته، ولم يتحقّق كونه مطلوباً، واستمرَّ مقيماً بالقاهرة، يسَّر الله رجوعه، فقد كنّا مستريحين معه، أراحه الله من المكروه.

وتزايد الثّناءُ على شاهين مِمَّن كان في الرَّكب الأوّل، مع أنه لم يكن أميره، بحيث كان ذلك سبباً لاستقراره أميرَهُ، فألبس لها، وكذا أَزْدَمُر تمساح لإمرةِ المحمل معاً في أثناء ربيع الثاني، وسُرَّ النَّاس بهما.

وكذا قدم عماد الكردي، وكان حجَّ موسمياً مستأجراً عن امرأة، بل وفيما قيل: على السحابة المزهرية، فأُعطيَ بعناية الدواٰدار الثاني في مستهل صفر مشيخةَ سعيد السعداء لوفاةِ السَّنتاوي، مع كثرة السُّعاةِ فيها، وقال له الملك: أنت كرديٌّ أو مسلم؟ ولم يلبسه خلعةً، ثم حضر آخر النَّهار ومعه كاتبُ السِّرِّ وابن الشِّحنة، وعزَّ على الجمهور ذلك، وقال فيه بعض الشعراء مالا أُحِبُّ إثباته.

وفي أواخر المحرم دخلَ الشيخ عامر بن عبدالوهاب صاحبُ اليمن زبيدَ، ولم يدخلها من يوم استقراره بعد أبيه، لاشتغاله بما حصلَ من الخلافِ من خالَيْهِ وابْنَيْ عمِّ أبيهِ عبدالله ومحمد ابني عامر ابن طاهر، وكانا قد استوليا على حصن جُبَن ـ بضم الجيم وتخفيف الموحَّدة ـ وجملة من الحصون وقَوِيَ خلافُهما، وتبعهما خَلْقٌ كثير، وقصدا أَخْذ مدينة عَدَن، وأرسلا ابن عمِّهما عبدالباقي بن محمد بن داود بن طاهر لأخذها، وكان إذ ذاك بها

محمد بن عبدالملك بن داود، وهما ابنا عمِّ الشيخ، فخرج من عدن لقتالِ عبـدالباقي ومعه الأمير علي بن محمد بن عيسى البغدادي ومَنْ بعدن من يافع، منَ التُّجَّار وغيرهم، فانهزمَ عبدالباقي بعد أنْ خرجَ، وكُسِرَتْ يَدُه، وأُخذَ جميعُ ما معه من المال.

ثم توالى النصـر، بحيث قبض الشيخ حصن جُبَن وجميع الحصون، وهرب خالُه عبدالله، وتحصَّنَ في حِصْنٍ يقال له: المِعْفَاري ـ بكسر الميم، وسكون المهملة، ثم فاء وراء ـ ودامَ به. لم نسمع منه إلى آخرِ السَّنة حركة.

ثمَّ إن الشيخ بعد ثلاثة أيام من قدومه زبيدَ خرج إلى بيتِ الفقيه ابن حُشَيْبِر[1] ـ بضم المهملة، ثم معجمة مفتوحة، بعدها تحتانية، ثمَّ موحدة وراء ـ وهي بلاد الـزَّيدية، فقبض من كبارهم ثلاثاً وثلاثين نفساً، وقَيَّدَهم ودخلَ بهم زبيد، ثم طلع بهم إلى الجبل، وهو حصن تعزّ، فحبسهم هناك.

وكانت مدَّة إقامة الشيخ في زبيد وبيت ابن حُشَيْبر ثلاثة أشهر، ثمَّ بعد طلوعـه جُبن بمـدةٍ في أوائلِ شعبان، حصلَ من المغاربةِ خلافٌ شديدٌ، فخرج إليهم الأميرُ بكرد ابن عمر العجلمي، فقتل منهم نحو سبعة وعشرينَ من وجـوههم، ثم إنهم اجتمعوا وحَمَلُوا عليه وعلى مَنْ معه من العسكر، فقتلوا بكرداً وخلقاً من عسكره نحو مئة وعشرين نفراً.

ثم بعد شهرين أو أقل في أواخر شوال حصل من عبيد الحرابة خلافٌ،

---

(١) بَيْتُ الفَقِيه: مدينة تِهامية مشهورة بالجنوب الشرقي من الحُدَيْدَة. (معجم المدن والقبائل اليمنية/٦١).

فخـرج إليهم الأميرُ أحمد بن إسماعيل السنبلي، ورام الدخولَ عليهم في محلهم، فألجؤوه إلى مكانٍ ضيقٍ وقتلوه مع ولَدِهِ واثنينِ آخرين، والآن الشيخُ مقيمٌ بِجُبَن.

وأُشيع في محـرم الآتية أن محمـد بن عامـر أُمسك وضُيِّق على أخيه عبدالله بحصن المعفاري، فالله أعلم.

وفي صفر قدم جانم الأشرفي نائب قلعة حلب منها، وصَيَّره أستاذُه أحدَ المُقَدَّمينَ، وأسكنه بيتَ جاني بك الجداوي بنواحي قناطر السباع، وركبَ معه الأتابكُ فَمَنْ دُونَهُ، وقاضي الشام الشهابُ ابن الفرفور مطلوباً، فلبس خلعـةَ القُـدوم، ونـزلَ بيتَ السلطان المعـروف بمثقال الساقي، والمجاور للأزهر، وانثالت عليه الضيافات وإليه الأُمراءُ والقضاةُ والفقهاء بالأصالة والإضافات.

وبعـد أيام شهـدتُ جنازة بالأزهر، ثم لقيته فسلمتُ عليه، وقدم معه بالطلب أيضاً جماعةٌ منهم أَحَدُ نوابه الكمالُ ابن خطيبِ حمام الورد، وأحد أعيان موقعي دمشق الفاضل المحب ابن سالم، ومحمد ابن قاضيها المالكي المريني لأسباب مختلفة، بل قيل باشتراك الأولين مع قاضيهما فيما نُسِبَ إليه. ولـم يلبث أن انتظم أمرُ جمهورهـم ورجعوا إلا التناسي.

ورافع علي ابن التاج عبدالوهاب السِّجيني في مباشري الأوقاف التي تحت نظر الزمام، وفيهم مَنْ لا يملكُ قوتَ يومه والمكثر جداً، فرسم على جلال الـدين الصالحي، وعبدالباسط، والمحب ابن المحرقي، وآلَ الأمر ـ فيما قيل ـ على ثلاثينَ ألفِ دينار، فمنهم من بادر لإعطاء ما خصَّه، ولم

يراهن، ومنهم منْ تأخَّر إمَّا عَجْزاً أو تعزُّزاً، فضيَّق عليهم بحيثُ باع الأولُ أملاكه ووظائفه وأثاثَهُ، وما سدَّ، مع التَّشديد عليه بالسِّجن وغيره، وكأنه لم يُصَدَّقْ في ادِّعاءِ العجز.

وقيل: إنَّ الملجىء للمرافع فيما ورَّطه فيه وغيره تقصيرُه في الصَّرْفِ له، وربما نُسِبَ إليه الكثير مما كان يَصْدُر من خَشْقَدَم في الجهات، مع قطعٍ ووَصْل، ولذا اختصَّ باستمرار الترسيم. والجزاء من جنس العمل.

وكذا رافع إبراهيمُ ابن الشرف يحيى بن بُرَيه، أحدُ الكتاب بمنفلوط، في أُناسٍ عينهم، زعم أنَّ عندهم ودائع لخالهِ منصور بن صفي الذي كان أستاداراً للظاهر خَشْقَدم، واستند لكلام مهمل، ومع ذلك فَرُسِمَ على جماعة ببابِ نقيبِ الجيش، وأُودعَ بعضُهم المقشرة، وتأخر فيها مَنْ شاء الله منهم إلى أنْ أُطلق بَعْدُ، ولم ينتج ذلك كبير أمرٍ سوى الضَّرر. واستمر المرافع يُهَدِّدُ ويتوعَّدُ بحيث يُخشى ويُرْشى، ودام كذلك أشهراً، واختفى الشرف ابن روق وابن عمه، فما ظهرا حتَّى انجلى الأمر.

وكذا زعم ناظرُ الخاص في ربيع الأول أنَّ في جهة الشهابي ابن العيني من المكوسِ في متاجره والخدم ونحوها ما عَيَّنَهُ، فضيق على بعضِ أتباعه بعد الحرض[1] وإظهارِ الرفض والوعد والشدّ والتوجه لعمل الحساب، وفتح غير ذلك من الأبواب، فبادر وما كابر، بل قال: كلها معي للسلطان، وأنا مَرْقُوقُه ومَعْتُوقه، ونحو ذلك من الكلمات المرققات، مع الخدمة وبذل الجهد والهمَّة مما يشهدُ لمزيدِ عَقْلِه وسديدِ نُبْله، إلى أنْ أُلْبِسَ ولدهُ خِلْعَةَ الرِّضا، وكُلِّمَ بما فيه تبجيلٌ وتأهيل، وأنعم عليه بجامكيَّة وكسوة ونحو ذلك، وأطلق من كان رسم عليه، وأرسل لأبيه كاتبَ المماليك بذلك، ثم أخذ في التقلُّلِ

(١) الحَرَضُ: الفساد في البدن والعقل، والرجل الفاسد المريض.

من التوصُّلِ، مع لطيفِ التوسُّلِ. كان الله له، فما أوفرَ أدبَهُ، وأعطر نَسَبَه، ومع ذلك فما كمل انتظام أمره، بل هو تحت المقدور. ولله عاقبة الأمور.

وممَّن رُوفع فيه قبل ذلك القاضي برهان الدين إبراهيم ابن المعتمد الدمشقي أحد مدرسيهم وأعيانهم. فزعم بَلَدِيُّهُ الرضيُّ محمد ابن الشيخ رضي الدين محمد الغزي أنَّ في جهته لبيتِ المالِ ونحوه من جهات يتحدث عليها مالا أُفوهُ به لِكَثْرَتِهِ، بحيث طلب في السنة الماضية، وكان بروزه في شوالها إلى أنْ كان الوقوف الآن، فَشَافَهَهُ الرضيُّ بهذا بحضرةِ القُضاةِ، وأن ذلك ثبت عليه بالخُبر والخَبر، وسأله السلطانُ عن طريقِ كونه لبيتِ المال، فلم يبد في كلِّ ما زعمه ما يسوغُ اعتماده، ومع ذلك، فَعُوِّقَ البرهانُ حتى يعملَ الحساب، ويجيء المباشر، ويقال: إنَّه تكلَّم له في بذلِ خمسةِ آلافِ دينار، وتوجَّعنا له كثيراً، سيَّما وقد أعلمني حين اجتماعنا في ربيع الثاني أنَّ جميعَ موجودِه وجهاته وكتبه لا تفي بنصفها، وأنه لا يجدُ مَنْ يُقْرِضُه، ولا يُمَكَّنُ من التوجُّهِ لبلده ليبيع تركته، وتَرَجِّي مَنْ يُعينُهُ، وتكرَّرتْ مشافهته بالتَّهديد والوعيد بمحضر القضاة وغيرهم، مع كونِ الشافعي تكرَّر منه بحضرته الثَّناء عليه، وأنه أعلم الشاميين.

واستمرَّ الحال كذلك إلى أن انفصلنا، ثم بلغنا أنه رجع إلى بلده، وكذا ابن الفرفور في جمادى الأولى من التي تليها.

وفي ربيع الثاني رافعَ أبو الخير ابن مِقْلَاع المصري المَرَاكِبي في أبي البركات الصَّالحِي المرافع، وتفوَّه بأنَّه يثبت في جهته مئة ألف دينار، فأُمسك، وشرعوا في تتبع ما أمكنهم الوقوفُ عليه مما استأداهُ من الأموالِ، وفي كشفِ عوراتٍ ومنكراتٍ من بيته فيها قبائح لم تكن مظنونة فيه، فبادر بعد

تسليط ابن أبي عبيد الذي كان قاضي المَحَلَّةِ عليه، وخدم بشيءٍ معجل ومؤجل حتى خلع عليه، ونزل ومعه جوهر التَمُرْبُغاوي وغيره. وهرع الناسُ للسلامِ عليه والتوجُّع له، مع التودُّدِ إليه، وضافه كل مستورٍ ومَنْ هو بالغنى مذكور، حتى تُجَّارُ الأسواقِ بالتوهم أو الاختلاق، فما كان بأسرعَ من خذلانهِ وانتقاله بأحماله وبهتانه، وكفى الله المؤمنين القتال.

وفي جمادى الثاني حين طلوعِ الشريفِ علي بن عبدالحق شيخ بلقيس، والمتكلم في نظر الخانقاه النَاصرية بسِرْيَاقُوس بخدمةٍ من خيلٍ وسكرٍ وغيرهما بنحو مئتي دينار رُسم عليه، وأُمِرَ بعملِ حسابه لكونه نسبَ إليه أنَّه قَرَّرَ أخاهُ في وظيفة بها بحكم الوفاةِ، وبلغه تقريرُ جان بلاط لغيره قوله: إنه ليست له ولايةُ التقريرِ والنظر، إنما هو لي، وهو شادٌّ بعصاه، فحميَ المشارُ إليه وأُعينَ، بحيث جِيءَ بصوفيةِ المكان مع الفلاحين، ورُتِّبُوا بل أُسعفُوا مع إخبار غير واحدٍ منهم لي بحسن تصرُّفه وتسديده، والتعصب عليه.

واختار الشريفُ كونَ الحسابِ بباب الدوادار لظنِّه إفادته، ومع ذلك فدام في الترسيمُ أياماً إلى أنْ خلص وألبس خلعةً، ورجع على عادته.

وكانَ شمس الدين الجَوْجَري الذي كان يتحدثُ قَبْلَهُ في الخانقاه، وجرتْ له تلك الحوادثُ، فرحَ بهذا، فما كان بأسرعَ من موتِ ولدٍ له عزيز عنده.

وكان فيه وفي الذي قبله الشمس الجَلاَليُّ الحنفيُّ في الترسيم، بحجةِ استبدالهِ محَلَّ سكنه من الهلالية، وجِيءَ به للحنفي، فدبَّر تحويلَ الجهة التي وَقَفَهُ عليها بعد الاستبدال إلى الجهة التي كان موقوفاً عليها أولاً، لكون

له ذلك، وقرَّر ولده في شعائرها حتى لا ينازع، وطلع التقي ابن القزازي نقيب الحنفي إلى السلطان بذلك فلم يعجبه، وغضب وقال: إنَّما القصدُ رجوعُ كلِّ شيءٍ إلى ما كان عليه، وإبطال ما عمله، ثم يُرْجَعُ عليه بالأجرة، فقال: وأنا أيضاً أرجع بأجرة المستبدل به، فأجاب الحنفي ـ لكونه الناظر ـ بأنه لا يتعلقُ به إلَّا المدة التي كان فيها قاضياً، وآلَ الأمرُ إلى انتزاع البيت، مع الذُّلِّ والغرامةِ، هذا مع مزيدِ إدلاله على السلطانِ، وكونه لم يزل يُمَازِحُه بقوله: أنا ولَدُك فلا تحرمني، أو نحو هذا، وربما قال له: وإلى متى نعيش؟

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الأولى جِيءَ مع جَانْ بلاط وجمع من الخاصكية بنائب الثغر السكندري علي باي الأشرفي، وكان له في النيابةِ مدةٌ استقرَّ بعد قانم قُشَير، وبابن جُريج كاتب سرِّه، وابن عرب، وهما مع غيرهما في الحديد، وبقاضيه الشهاب الدرشابي، وبشهوده وبمَنْ لا يُحصى من أهلِه، حتى المجاهدينَ بقاعاته، بحيث قيل: إنه لم يبق به سوى الضعفاء ونحوهم، أو مَن اختفى، ومعهم من المغاربة والفرنج ومن أهلِ البلادِ المجاورة وغيرها مَنْ شاء الله، لقيام أهلِ الثغرِ عليه حين تَعَدَّى هو ومملوكه الذي استقر به والياً بإحداثِ أمورٍ لم يحتملوها بعد كتابةِ محاضرَ بما تضرَّروا به، فلم يأخُذْ بأيديهم، بل أمر بإنزالِ النائب لبيته.

ثم بعد أيام أُهينَ القاضي وجماعة من أعيان المشار إليهم، وجِيءَ بهم لمدرسة كاتب السِّرِّ ليتكلَّفوا، وداموا كذلك في أسوأ حالٍ إلى أنْ ضرب القاضي وغيره منهم في الشهر الذي يليه، ثم ألبس خلعةً بعد النائب باستمرارهما، وسافرا، ويقال: إن كثيراً من أهله نَزَحُوا عنه.

وممَّن قدم ـ ولكن بَعْدُ ـ نزيلُهُ وعالِمُهُ القاضي شمس الدِّين النوبي ، ولم يفصح لي فيما ذا قَدِمَ. وكان مستنيبه أو غيره ناكده، ثمَّ سافر بعد يسير.

وفي مستهـلّ شوَّال رافع مدني يقال له : أحمد بن جلال الخَطلاني العجمي في قاضي الحنفيةِ بالمـدينـةِ النبـويَّة ، لكونه ـ فيما زعمه ـ زَوَّجَ ابنته بغير كُفْءٍ، ورفع أمره لرفيقه الشافعي والمالكي ، فلم يَكُفَّاه ولا أخذا بيده، وذكر عنهم سِرّاً وجهـراً غيرَ ذلـك، وبـالغَ في نسبة المالكي إلى الإكبار، فأمر بطلبهم، ورام الشـافعي إبطال ذلك، وأفصح به، فعاكسه، وقال: إنْ بان إبطاله فيما ادَّعاه، أَلْزَمْتُه بكلفتهم، وقيل ذلك للخصم، فقال: إنِّي ـ والله ـ لا أملك شيئاً، وأنا رجلٌ فقير، وقد رفعتُ قضيتي ، فإنْ أُخِذَ بيدي فذاك، وإلاَّ فَوَّضْتُ الأمر إلى الله، أو نحو هذا. ولم ينفصل السلطان عن طلبهم، فسافروا مع الرَّكب وتخلَّفُوا عن الحجِّ لذلك ارتفاقاً بكلفته في سفرهم ، فلمَّا و صلوا عقد لهم مجلسٌ في أول صفر من التي تليها، وانفصلوا مُكَرَّمينَ، بل وشَهِدُوا سِمَاطَهُ، وصلَّى بـه الشافعيُّ منهم بقراءتهِ المنعشةِ المغربَ، ثم خُلِعَ عليهـم في الـــذي يليه، وأُنْعِمَ على كلٍّ منهم بخمسينَ دينـــاراً، وســافـــر الشَّافعي في البحر هو وأخوه إبراهيم، وكان له مدَّة بالقاهرة.

ورام الملك إبطاله من الخطابة، ودفع مبلغ له في ذلك ليختصَّ أخوهُ بها، فما أذعنَ، ولو أُعطيَ أضعافه، وأكثر من الكلمات، هذا مع كونه في تأديةِ الخطابة بمكانٍ لا يلحقه كبيرُ أحدٍ فيه.

وأما الإمامة ، فقال: إن مشاركته فيها تَتوقف على رضا الجماعة، وكان وصولهما لطيبة في أواخر ربيع الثاني.

واستمر الآخران بالقاهرة إلى أن عادا حين طرقهما الطاعون، ورسم بإخراج عمر بن عبدالعزيز الكاتب من المدينة إلى مكّة بعد الشفاعة فيه ممّا كان أشدّ، وبمجرّد بلوغ الخبرِ له، انسلَّ خفيةً قبلَ وصولِ الشافعي بيومٍ، لكونِ القاضي أقام بالينبوع نحو عشرة أيام، ولم يُعْلَم أين توجَّه، وبعضهم يتحدَّث أنه بمصر، مع إرسال الأمير شاهين يحذره من دخولها، ثم حين بلوغ خبر الطّاعون عاد ـ فيما قيل ـ للينبوع، ثمَّ جاء لمكّة، ونزل سبيلَ باسطيتها، إلى أنْ رجع مع الركبِ صُحْبَةَ الأمير شاهين، ولم يلبث أنْ مات.

وكذا رسم بأنَّ أمير المدينة لا يتكلَّمُ على أحدٍ من أهلِ السُّنة والخدام وأتباعهم من أهلها، ومَنْ كان من الفقهاء فأمرهُ إلى القُضاة، أو مِنَ الخدام فإلى شيخهم، ومَنْ تغلب من أهل السنة يحملُ إلى القاهرة، ولا يتعرَّضُ أميرُ المدينة لأحدٍ من أهلِ السنة، ولو أمره القاضي، ويكون هذا المرسوم مُخَلَّداً بالمسجدِ النبوي على ساكنهِ أفضلُ الصلاة والسلام. ونِعْمَ المرسوم.

وفي يوم الإثنين سادس عشره طلع جلالُ الدين ابن رسلان أحد نواب الشافعي ومَنْ أشركه في نقابته من قريب ليلبس قضاء المحمل، فرسَّمَ عليه بحجةِ أنه لم يصلْ إليه من التِّركات الحشرية ولا غيرها ممَّن يموتُ من المسافرين ذهاباً وإياباً شيءٌ، مع قوله له: إنَّ هذا لا تعلق لي به، بل هو لشخصٍ مُنْتَدَبٍ من ناظرِ الخاص، ولكنه لم يلتفتْ لهذا ولا أصغى له، وأخذه نقيب الجيش.

ويقال: إنَّ أمره كاد أنْ ينتهي على خمس مئة دينار، ثم وليَ قضاء المحمل شرفُ الدين موسى العزيزي أحد نواب الشافعي أيضاً بعناية

الـدوادار الكبير، لكـون زوجته من عيالِ بيته، وسافر وهو خائفٌ يَتَرَقَّب، بحيث بلغني أنه نَدِمَ، واستمرَّ ذاك في الترسيم إلى عيد الأضحى فيما بلغني.

والطَّامَّةُ الكبرى أنهم في ثامن عشر ربيع الأول شرعوا في جباية خمسة أشهر من الأوقافِ العامة والخاصة، والأملاكِ الحقيرةِ والجليلة، على نظير ما اتّفقَ في سنـة أربع وتسعين، بل أفحش بعد جمع تسعة، وهم القضاة، وكاتب السِّرِّ، ونائبه، وأخوه البدري أبو البقاء، وناظر الخاص، والأستادار. وكربتْ لذلك الرَّعايا، واشتعلت النيرانُ والبلايا، وضاقت الصدور، واشتاقَ الجمهـورُ لسُكنى القبـور، وداموا في الاستخـلاصِ غيرَ ناظـرين ليوم القصاصِ بالشِّدَّة والمهدَّة، لا باللطفِ والمَوَدَّة، والكتاب تكتب، والصيارف تنهبُ، والجباةُ تتعدَّى، والرسل لا تتردى، إلى أن انفلصنا عنهم، وغابَ عنَّا خبرهم، ولا شكوى إلاَّ إلى الله، وسائر الناس يضُجُّون ويَلْهجون، والخطباءُ يَصِيحُـون، والشافعيُّ يقدحُ في خطبته، وكلَّما قدح، قُدِحَ فيه، وكثيرٌ من ضعفاءِ العقولِ يتوهم صحَّة ما يُحْكَى من كونهِ إذا تمَّ الصُّلح، يُعَادُ كلُّ شيءٍ لأربابه.

هذا كلُّه وابن الشحنةِ ـ فيما بلغني ـ يقول: إنَّه لا نسبة لهذا مما اتفق على يد يَلْبُغَا السالمي، فقد كان القاضي سالم الحنبلي يأمرُ بفتح حواصلِ التُّجَّار ليؤخذَ منها ما يُرام، وتُحمى الخودةُ، ثم تُوضَعُ على الرأس، إلى غير ذلك مما الأمرُ الآنَ أشد منه، ولم يَهْتَدِ هو ولا غيره لما حكيناه في التي قبلها عن الملطي قاضي الحنفية وغيره.

وكـان في ربيع الثـاني محمد بن إسماعيل بُرْدَدار الأتابك في قبضةِ مخدومه مُهـانـاً بالضـربِ والحـديدِ بعد ذاكَ العزِّ ومخاطبته منه ـ فضلاً عن غيره ـ بالسِّيادة والثَّناءِ عليه، حتّى أخذَ منه ما يفوقُ الوصفَ، وظهرتْ له حواصل ومخبّـآت وهـو لا يصـدقُ في استئصالِ ما معه، وعاد ضَرَرُهُ على بعضِ أصحابه من الفضلاء، فضلاً عن غيرهم، وفارقناه على أسوأ حالٍ، ومَنْ عَزَّ بغير الله ذَلَّ.

وفي جمـادى الأولى أُمْسِـكَ مَنْ بالـرّبـع المتوسط بين الكُتبيين وخان الخليلي، و هو علو الوكالة التي هناك، وتحت نظرِ الأتابكِ من النساء، وهُنَّ نحو عشرين امرأة، وفيهن إماء، لِشُهْرَتِهِنَّ بالخطأ، فَطِيفَ بهنَّ، ثمَّ رُسِمَ عليهن على مالٍ، إما مُتَجَمِّدٍ عليهنَّ من الأجرة أو غير ذلك. و كان الآمرُ بإمسـاكهنَّ قاضي الحنابلةِ لمقابلة الربع لبابِ الدخول لقاعته بالصَّالحية. تاب الله عليهنّ.

وفي تاسـع عشـر ربيع الأول طلعت سبطة حسن بَاك ابنة أخت ملك العراقين يعقوب بَكْ بن حسن باك بن علي بك بن قَرَايُلُوك عثمان، وأبوها فيما قيل ـ حسين بك من بني السلطان أويس في محفةٍ مع علي شاه، أمير من أمرائهم في خَدَمٍ وحَشَم وأتباعٍ وهديةٍ من يعقوب إلى القلعة، لتقيم حتّى تُزَفَّ على ابن عَمَّتها حسين مِرْزَا ابن محمد أُغرُلو بن حسن بك المقيم تحت نَظَرِ السلطانِ ببيت قانم أولاً، ثم ـ الآن ـ ببيت برسباي قرا بالقرب من درب العَـدَّاس، والمجـاور للفخـرية القـديمـة، بعـد العقد عليها هناك، وأُنْزِلَ جماعتها ببيتِ المرحوم الكماليِّ ناظرِ الجيشِ، ثم نزلت تحت بشخاناه راكبةً فرساً في طائفةٍ لبيتِ الزَّوجِ المُشَارِ إليه في ثامن ربيع الآخر أو قبله. وعُمِلَ

مهمُّ الـدخـول يومئـذٍ، ونزل الأمراءُ وغيرهم، فشهدوا الوليمةَ وأكلوا، وقام السلطانُ بذلك كُلِّهِ مع سوابقَ ولواحقَ وتتماتٍ وعظمات لا يسمح ببعضها في غير هذا النحو.

وما كان بأسرع من إشاعةِ موتِ يعقوب وأُمِّه، وعاد الفرحُ كَدراً، والمرحُ ضَرَراً، والذي بلغنا أنَّ الطاعونَ وقع بنواحي تِبْريز، فَفَرَّ منه يعقوبُ في خَلْقٍ من خواصِّه وإخوته، كأمه سَلْشق خاتو ن، فَطُعِنَتْ أولاً، ثم وَلَدُهَا شقيقه يوسف بك، وسِنُّه نحو العشرين، ثم يعقوب، ودامَ مطعوناً خمسةً وثلاثينَ يوماً، وماتوا على الترتيبِ هكذا. إمَّا في أواخر صفر أو أول ربيع.

وحينئذٍ بادرَ رئيسُ مملكتهم، وهوَ فقيهُ يعقوبَ و مُعَلِّمُه و صَدْرُ مملكته الصفيُّ عيسى ابن ملك الوزراء شُكْر الله الساويُّ، والشيخُ نجمُ الدين شكر الله الشهير برْوَنجي لتقرير مِرْزَا علي ابن السلطان خليل بك عِوَضَهُ، و سنُّهُ أربع وعشرون.

ولمـا وقـع ذلك، فَرَّ عَمُّهُ المسيحُ أخو يعقوب لأبيه، وابن أخيه مِرزا محمود بن محمد بن بك بن حسن لجهةِ أصبهان إلى أخواله. وكذا فَرَّ صوفي خليل لالة باي سُنْقُر بن يعقوب به، وسنُّهُ نحو عشرٍ ـ لشروان، إلى صاحبها جَدِّهِ المدعو شروان شاه مستنصراً به على مِرْزَا علي، فبادرَ لإجابتهم، ولم يلبثْ أنْ قُتِـلَ مرزا علي و القـاضي عيسى ومَنْ تَبِعَهُمْ، و كحلوا النجمَ، ومَلَّكُوا باي سنقر المذكور.

وكذا أخذ يسر، من كبرائهم، ولداً ليعقوب اسمه حسن بك ابن نحو أربع سنين لجدِّه لأمِّه سليمان بك بديار بكر، وهو حاكمُ تلك النواحي، وله سَلْطنةٌ عظيمة وأتباعٌ كثيرون، فلم يَسَعْ شروان شاه إلاَّ مكاتبته بالملاطفةِ، وأنَّ كلاً

منهما ولدك.

هذا حاصلُ ما بَلَغَنَا، ثم كتبَ لي بعضُ الآخذينَ عنّي من الفضلاء القِصَّةَ على وجهٍ آخرَ فيه بعضُ مخالفةٍ لما تقدَّمَ، فالله أعلم.

وكذا جاءني من مصر أنَّه في أثناء صفر التي تليها خلع على قاصد لملك العراق المستقرّ، ورجع لبلاده مكرماً، وما علمتُ شَرْحَ ذلك.

وآل الأمرُ إلى موتِ الزوجةِ بالطَّاعون، ثم موتِ الزَّوج بالمدينة النبوية، وبطل ما كان يَتَرجَّاهُ من التَّمَلُّكِ.

وفي سادس ربيع الأول ألبس التقي عبدالغني ابن تقي الخلعة لقضاء المالكية بعد أخيه، مع ذِكْرِ الشَّرفِ ابن قاسم والبدر ابن عبدالوارث له، وشِدَّةِ سَعْيِ أوَّلِهِمَا ومساعدةِ الشافعيِّ له، كما ساعد القِمَنيَّ في مشيخةِ سعيد السعداء، ولم يصغ إليه في كليهما جَرْيَاً على عادتهِ معه في هذه السنين، سِيَّمَا وقد اتَّفقوا على أنَّ المستقرَّ أكفأُ وأعلمُ وأصفى وأسلم وأنور وأظهر.

وامتنع الشَّرفُ من النيابة، فلم يضرَّ إلَّا نفسه، وجدد جماعةً فضلاء نواباً، كما جدد الشافعيُّ جماعةً، والله يلطف.

وكذا استقرَّ في قضاء المالكية ببيت المقدس في رمضان القاضي أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد الأَصْبَحِيُّ، الغَرْنَاطيُّ الأصل، المالقيُّ، قاضي الجماعةِ بها، بل قاضي غرناطة وغيرها، ويُعرف بابن الأَزْرَق، بعد شغورهِ مدَّةً بعنايةِ أحمد بن عاشر، وهو أجَلُّ من وظيفته، ولكن الضَّرورة مُلْجئةٌ. وقد اجتمع بي، فرأيتُه من رجالِ الدهر، مع شدّةِ الحاجةِ

والفاقةِ. كان الله له، ويَسَّرَ لهمُ النَّظر لتقريرِهِ في قضاء دمشق، فقد بلغنا وفاة قاضيها، بَلْ لم يلبث المشارُ إليه أنْ مات ضحى يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة بعد تعللٍ نحو أربعين يوماً، ودفن خارج خان الظَّاهر. فكانت إقامته بالقدس صحيحاً دون شهرٍ، فإنه دخل في سابع عشر شوال، وتأسَّفْنَا عليه. عوَّضه الله الجنَّة.

وفي مستهلِّ ربيع الثاني لبس العلاءُ علي بن أَسْنْدَمُرْ خلعة لشادية الطُّورِ بعد قَتْلِ ابن الشرفيِّ بها على يَدِ بعضِ عربِ تلك النواحي، لكونه أَمَرَ بقتلِ واحدٍ منهم، ثمَّ جاءني الخبرُ من القاهرة في أوائل الآتية بقبضِ بني سليمان شيوخِ الطور، فأُودِعُوا المقشرة، واستقرَّ عِوَضَهُمْ في الشياخة ابنُ الأعسر، وقرر له اليسير جداً مما كان لأولئك.

وكذا لبسها تنم الأشرفي الفقيه لنيابة جدَّةَ على عادته، والسَّيد عنقاء بن وُبَيْر[1] النَّمَوي.

ثمَّ سافر الشَّاد في الشهر بعده بحراً من الطُّور، وكذا الشمس محمد بن أبي الفتح الكتبي بعد إلباسه خلعةً لنظرها بإلزامٍ من السلطانِ له بذلك، وكريمُ الدين عبدالكريم، للصَّرْفِ على عادته، ورافقهم للحجِّ خاصَّة البدرُ ابن البُلْقِيني حفيد البهاء ابن عزِّ الدِّين، والشِّهابُ البَيْجُوري الأزهري، والشَّمس الدَّوَاخِلي المَدِيني، والشَّمس الطيبي المُكَتِّب، وعبدالقادر الفَيُّومِي الخَانكي. وهم فضلاء شافعيون. والشهاب أحمد بن علي العَبَّاسي الذي كان تاجراً، ثم عمل حنفياً، ونابَ في القضاء، وأخذَ مجلسَ ابنِ فيشا بعد

(١) في الأصل: «رُبير» والصواب ما أثبتنا كما في الضوء وغيره، وقوله: «النموي» نسبة إلى نميّ.

موته، واتفق له ما أشرتُ إليه في التي قبلها. ونور الدين علي المنصوري، أحَـدُ مؤذني السلطان، وشيخ رباطه بمكة الشهاب ابن أخت الشيخ مدين المالكي بعد إلباسِ خلعة الاستقرار، والانفراد. وأبو البقاء ابن عبدالملك بن الجيعـان، والشهـاب ابن شيرين الحنفي الـطبيب، والشَّـريف أحمـد الخُصُوصِي، والشَّرف يحيى ابن المَغْرِبي، والشهاب ابن قيصر، وكان معه تقليدُ الخليفةِ لصاحبِ اليمن، ومن شاء الله.

ورأى ابنُ أبي الفتـح محـرابَ جامـع الـطُّور شديدَ الانحـرافِ عن القبلةِ، فَقَوَّمَهُ، وعاكسه النَّائبُ عِناداً، لكونه لم يستأذنه، ولم يعدم مَنْ يوافقه مِمَّنْ أُشير إليهم، ومـع النَّائب مرسومٌ بحمل الخواجا الشِّهاب الحوراني، ويقال: إنَّ أمره انتهى على ثلاثةِ آلافٍ من جهته، ومِثْلها من تركةِ أخيه. وما تَمَّتِ السَّنةُ حتى مات، وختم على أماكنه.

وكـانت المراكبُ الهندية ستة عشر. واحِدٌ دابُولي، وكان ثالثَ ثلاثة، فتعَوَّقَ أحَدُهَا، ودخلَ الآخَرُ عَدَنَ بعد وصولِهِ لقرب جُدَّةَ، فلم يُسْعِفْهُ الرِّيحُ، وثلاثة كنبايتي، وباقيها من كاليكوت[1] إلَّا واحدٌ لم يسعفه الرِّيحُ، فدخل الحديدة، وحينئذٍ فالواصل ثلاثة عشر.

وكـذا سافـر السيد عنقـاء براً ومعه الشيخُ كريمُ الدين عبدالكريم بن عبدالرحمن بن ظهيرة الحنبلي، والنور الحناوي، بعد مَزِيدِ مَشَقَّةٍ له خاصة، كما سَلَفَ، وكان وصولهم مكَّةَ في منتصف جمادى الأولى بعد زيارةِ السَّيِّد

(١) قوله: واحد دابولي وثلاثة كنبايتي وباقيها من كاليكوت يشير إلى المدن التي انطلقت منها هذه المراكب من مدن الهند.

المدينة النبوية.

وأما النائب والنَّاظر والصيرفي، فكان وصولهم لها بعد ذلك في أثناء رجب.

وفي أثناء إقامة الفضلاء بمكة، وذلك في شوال، صاروا يُصَلُّون جماعةً دون الائتمام بإمام المقام، مُعَلِّلينَ ذلك بأنَّ أكبرَ الإخوةِ يقرأ «الَّذين» بالإهمال، وأصغرهم لا يُشَدِّد، ويوصل همز المقطوع، والثالث أفحشهم، وأسمعوا الكبيرَ المكروهَ حين مكابرتهما، ثم رجعا والتزما التجويدَ، فانْحَلُّوا عنهما، وصاروا يُصَلُّون.

وكان في هذا تأديبٌ من الله عزَّ وجلَّ لهما في إقدامهما على العبد الصَّالحِ الشيخ شمس الدين العذول حين أبطأ الثالث في محرمها عن المجيءِ لصلاةِ المغرب، ثم زاد إبطاؤه في المجيءِ للعشاء، وكُلِّم الشافعي في ذلك، فتقدَّم بنفسه، وصلّى بالناس، وقرأ «بالضّحى» و«ألم نشرح» وانشرح النَّاسُ بذلك، وجاء الإمامُ في أثناء الصلاة، فلما فرغ، سلَّمَ على القاضي، وأخذ الأكبر بَعْدُ في التعرض للعذول بالإساءةِ مع كونِ مقتضى الأدب كان عدم التعرض له أصلاً، فإنَّ ما تسبَّب فيه أعظم شرف لهم، حيث باشر النَّاظرُ ذلك بنفسه، ولم يأمُرْ به غَيْرَهُ، ولكن أين التدبر.

ونحوه إنكار أصغرهم في ربيع الأول صلاةَ أمين الدِّين ابن الزين على أخيه، مع وجوده، وزعم بُطلانَ صلاتهِ لعدم إحسانه، وغير ذلك، وأنَّ الميتَ دُفِنَ بلا صلاةٍ. هذا مع كونِ الأمين أشبه منه في الجملة، فما تمتِ السَّنةُ حتّى قِيلَ ببطلانِ صلاة الأخوين معاً. جزاهم الله خيراً، فطالما أنكرتُ

هذا، لكن مع أناسٍ مخصوصين.

وأما الشيخ أبو الجود الصوفي، فأشد الناس إنكاراً سراً وجهاراً.

وبالجملة، فالسكوتُ عن أربابِ باقي الوظائف من الأئمة وغيرهم أجمل.

وألبس الطواشي محسن الأشرفي الذي عَرَضَ يومَ ختم «البخاري» من ذلك العام كتباً ـ كما أسلفته ـ لأنْ يكون خازناً عِوَض سُنْبُل الطواشي.

وفي مستهل جمادى الأولى تَنْبَك الجمالي لإمرةِ مجلس، وركب معه بعض الأمراء، وهرع الناسُ للسَّلامِ عليه، وكانت مُتَعَيِّنَةً له، مع كونها مُوَفرة كعادةِ سلطاننا في أيامه غالباً.

وفي رابع رمضان سافر شرْبَاش الأشرفي قايتباي إلى قلعة الروم على نيابتها.

وفي سابعه لبس يَشْبَك من حيدر الأشرفي إينال أحد المقدمين وأمير آخور ثاني نيابة حماة عوضاً عن إينَال الخسيف الأشْرفي قَايتبَاي لشكوى صاحِبها منه، وقال السلطانُ لخازندارِه ومملوكه جَانِبَك وهو زائدُ التدبير والعقل: ليس المُعَوَّلُ في النِّيابةِ إلا عليك.

وكذا في ثاني عَشَره لبس أزْدَمُر المسرطن الظاهري جَقْمَق أحدُ المُقَدَّمينَ وصهرُ المرحوم يَشْبَك الفقيه نيابةَ صفد عِوَضاً عن يَلْبَاي المؤيدي أحمد بن إينال، وأُعطي المنفصلُ حجوبيةً بدمشق.

وفي جمادى الأولى استقرَّ خضر بك الأشرفي في نيابةِ القدس ونَظَرِ

الحرمين بعد صَرْفِ دُقْمَاق التركماني، لمزيدِ الشكوى منه إلى الدوادار الكبير حين كونه بتلك النَّواحي، فصرفه في ربيع الثاني، مع أنه كان خرجَ في خدمتهِ من القاهرة في ذي القعدة من التي قَبْلَها بعد أن خدم كما أسلفته، وعيَّن هذا.

ثمَّ كان طلوع الدوادار من سَرْحَته النابلسية في يوم الخميس العشرين منه، فخلع عليه، ونـزل لبيتهِ في ضخامةٍ بعد البروز لتلقِّيه من الريدانيَّة وغيرها، ثم المجيء لبيته من سائرِ الناسِ على مراتبهم، ثم أخد في مناكدةِ كاتبِ السِّرِّ، والإعلام بما له من الجهاتِ هناك، وشافَهَهُ بكلامٍ فَجٍّ بحضرةِ السُّلطان والمباشرينَ وغيرهم، ومالَ معه، ثم انفصلَ الأمرُ على توزيعِ قَدْرٍ مُعَيَّنٍ يَوْميٍ عليهِ وعلى غيرهِ من الجماعة.

ثمَّ بعد يسيرٍ أمر بضربِ ناظرِ الدولة الزين قاسم شغيثة بحضرة مخدومه الدوادار، لإضافة الوزر إليه، ثم حَلَّ عنه، وضربَ ولده شيباً وغيره، وفارقنا الأب في الترسيم، لا خَفَّفَ الله عنه.

ومـا تمتِ السَّنـةُ حتَّى وصـلَ ابنُ قيصر للشيخ عامر صاحب اليمن، وأوصله التقليدَ، فَقُرِئَ عليه، ولبس الشعار الخليفتي[1]، وأكرمه، ثمَّ رجع فوصلَ لمكّة في ربيع الأول من التي تليها.

وفي صفر كان عقد بالمزهرية لولدِ الشيخيِّ النجميِّ ابنِ عرب على ابنةٍ للمحيوي ابن مظفر، ثم حصل البناءُ بها، وبعد يسيرٍ كانَ الافتراقُ وتعب الأبُ. أخلفَ اللهُ عليه.

---

(١) كذا يأتي في كتب المتأخرين منذ أواخر العصر العباسي وصحتها: الخَلِيفي.

وفي ليلة الأحد ثاني عشر ربيع الأول كان المولدُ بالقلعة بحضرةِ السلطان والأمراء والقضاة والمباشرين، وكذا التوجُّهُ بمكَّة لمحلّه الشَّريف على العادةِ في البلدين.

ثم العقدُ للسِّتِّ النفيسةِ الأصيلةِ النبيلةِ سعادة ابنة الجماليِّ أبي السعودِ ابن ظهيرة قاضي مكــة ورئيسهــا وعــالمهـا على حفيد عمٍّ جد المحيوي عبدالقادر ابن الشيخيِّ النجميِّ محمد ابن القاضي نجم الدين محمد بن ظهيرة.

ثم كان في ليلة سادس ربيع الثاني العقد لشقيقتها الكريمة الأصل، البديعة الوَصْلِ كمالية على ابنِ عمِّ أبيها الزيني عبدالمعطي ابن العلائي الفريديِّ الفخريِّ شيخِ الحرم أبي بكر بن ظهيرة رحمه الله بحضرة السادةِ صاحب مكَّـة وبَنيه، وأكبـرهـم الـزيني بركات والقُضاةُ والباشُ والمحتسبُ والأتراكُ والفقهاءُ والتجارُ والخَلْقُ، بل سائرُ الناس، إلَّا مَنْ شاء الله في كلٍّ من العقدين، وتولَّاه فيهما أبوهما، بل هو المتولِّي لكلِّ كلفةٍ مما يفوقُ الصِّفةَ بانشـراحٍ وانـطراحٍ، مع التَّحَمُّلِ في التَّطَوُّل والتجمُّلِ، ولا اعتبار بزاعم المساعدةِ مع يقينِ المشاهدة، وكيف يكون هذا، وقد ترك بغير تطويلٍ ما يُسمَّى بينهم بالمنـديل، فجمـل الله تعالى بحياته، وحمل عنه سائر أموره ومهماته، وأعانه وثبَّت أركانه.

ثمَّ كان بنـاء كلٍّ من الزوجين قبل فراغِ شهر عقده، وكانت مُقدِّماتٌ وتتماتٌ وأشياءُ مدهشة، بل لكثيرين منعشة، وحركات محفوفة ـ إن شاء الله ـ بالبركاتِ، يستدعي تَفْصِيلُها أزيدَ من كُرَّاس.

وعزَّ على عمّة أبيهما صَرْفُ أوّلتهما عن ابن ابنتها الكمالي أبي الفضل ابن القاضي عفيفِ الدِّين عبدالله ابن أبي الفضل بن ظهيرة، وهو حفيد عمّةِ الجمالي، ولكنْ عتبها على أبيه، مع اعتقادِ كونِ الأمور بيد الله.

وما أظنُّ خطر للزّوج التّرقي بهذا الشّرف، وإنْ كان أبوه من خلاصتهم ومصاصتهم، ولم يلبث أنْ زوَّجَهُ أبوهُ في جمادى الثاني، لكن ثيِّباً من غيرهم، ثم سافر الأبُ لزوجته بالمدينة النبوية، واستمرَّ بها حتَّى عاد مع الشامي، ثمَّ رجع بعزمِ التوجُّه. وكذا عبدالغني المرشدي وأيوب الأزهري.

ولم يلبثْ أنْ حصلَ السخطُ على ابن النجميِّ من زوجته، فطُرِدَ وأُبعِدَ، ولم يجد مُغيثاً ولا معيناً. يَسَّرَ الله لهما الخير.

وكذا كان في جمادى الثاني بناءُ المحيوي عبدالقادر ابن قاضي المالكية المرحوم النوري ابن أبي اليمن النويري بقريبتهِ ستِّ الجميع ابنة المرحومِ الخطيب الفخر أبي بكر النويري ببيت أبيها في سوقِ الليل بعد عقدٍ حافل.

وقبله في جمادى الأولى كان بناءُ الجمال محمد ابن قاضي جُدّة المحبّي ابن عبدالحي بن ظهيرة على منصورة ابنةِ عمِّه الزَّيني عطية. وكان قبل ذٰلك وبعده أشياء تكلَّفوا لها. بارك الله تعالى لكلٍّ منهم.

وفي يوم الجمعة تاسع ربيع الثاني عُقدَ لحفصة المدعوة ستّ القضاة ابنة المرحوم العلائي المحققي النَّجمي يحيى بن حجّي، وأمها فاطمة ابنة الكمال محمد ابن الشِّهاب أحمد الأذرعي، المتوفى أبُوها في محرم الماضية بين يدي السُّلطان بجامع القلعة، على ابن عمٍّ وصيِّها الأتابك، ثمَّ نقل

الجهازُ من بيت عَمَّتها زُبيدة جهة المرحوم الزَّيني ابن مزهر لبيتِ الزوج في ثامن جمادى الثاني، وحصل الدُّخول.

وكذا كان في ليلةِ الخميس ثالث عشر شعبان بناء كرتباي قريب السلطان وتاجر المماليك بابنة المرحوم الدوادار الكبير، وكان المتولِّي لأكثر مهمَّات ذلك وصيُّها الأمير الأستادار.

ولم يلبث أن استقرَّ بالزَّوج في شوّال شاد الشربخاناه، وكان المتكلّم فيها سيباي المبشر، واستقرَّ عِوَضَ كرتباي في تجارةِ المماليك جان بلاط، ويتكلَّم عنه فيها لغيبته في الرسلية - كما سلف - مامية الأشرفي الساقي.

وفي ليلة الجمعة خامس جمادى الثاني وصل لمكَّة الجمال محمد ابن الشّهاب أحمد بن أحمد البُوني المكّي، وكان له نحو سنة ببجيلة وغيرها من أجل تكررِ الطَّلبِ له، ومَخْدومه الشريفُ يدافع عنه، إلى أنْ عملت المصلحة، قيل: بعشرةآلاف دينار، وفُوِّضَ أمرهُ لمخدومه، على أنَّه نُسبتْ إليه جريمةٌ اقتضت إبعاده له، وكان السَّيّد بركات عليه فيها، فإمَّا أن تكون على حقيقتها، أو حُجة.

وبالجملة، فهو منسوبٌ لما يرضى، مع نوعِ عقل.

ولكن لما قدم سَلَّمَ عليه القُضاةُ والفقهاءُ والتجار والأعيان، وأظهر البِشْرَ والسُّرور كثيرٌ من العوام، وعملوا له ما يناسبه، والله يحسن العاقبة.

وفي ليلة الإثنين سادس عشر جمادى الثاني بقدر إيقاعها زلزلت الأرضُ زلزلةً هائلة، بحيث تحركت الأماكنُ ومَاجَتْ درجةً فأزيد.

وفي يوم الأحد ثاني عشريه كسفت الشَّمسُ بعد العصر، وكان يسيراً.

وفي يوم الإثنين ثالث عشر شعبان، وهو الموافق لأول أبيب نُودِيَ بالبشارةِ بالنيل، وأنَّ القاعدة سبعة أذرع وأربعة أصابع، ثم نُوديَ عليه إلى أنْ وفى مع زيادةِ اثني عشر أصبعاً من الذراع السابع عشر يوم العيد، وهو رابع عشر مسري، وفتح السَّدّ في يوم الإثنين ثانيه بمباشرةِ الأتابك، وطلع هو والزَّرَدْكَاش، فَخُلِعَ عليهما، وانتهت الزيادة إلى عشرين أصبعاً من الذراع العشرين.

وفي يوم الجمعة تاسع عشري رمضان جددت خطبة بالمكان الذي جدده المقر البدري أبو البقاء ابن الجيعان، ـ وتسمّى الزاوية الحمراء ـ بالقرب من قناطرِ الأوز، وهرع النَّاس للصَّلاة فيه، والخطيب به هو القاضي شهاب الدِّين ابن الصَّيْرَفي، وتكرّر التوجُّهُ له في أيام البطالات والمبيت في لياليها، وحرصت على ذلك، فما قُدر. نعم رأيته في اجتيازي إلى الخصوص والمبيت للإصلاح بين اثنين. تقبَّل الله منه.

وفي رمضان طلبَ أُستادار أَزْدَمُر قريب السلطان نائب حلب، وهو أسلميٌّ[1]، اسمهُ إبراهيم من أهل بَانَقُوسَا[2] ثمنَ ما طَرَحَهُ عليهم من البُرِّ، فامتنعوا، وقالوا: بل خُذُوا حَبَّكُم، فأغلظَ لهم رسولُه، فقتلُوه، فاشتدَّ ذلك على الأُستادار مُرْسِلِه، وراسَلَ شيخ بانقوسا ابن المكندي: كيف هذا الأمر؟ فقال: إنه لا اختيارَ لي فيه، فردَّ عليه القاصدُ بأنَّ الكلَّ بعلمك، فالتفتوا إليه ليقاتلوه، فهربَ منهم، فوثبوا بأسلحتهم إلى أنْ وصلوا إلى

(١) أي: كان على غير دين الإسلام، ثم أسلم.

(٢) بَانَقُوسَا: جبل في ظاهر مدينة حَلَب من ناحية الشمال (معجم البلدان ١/٣٣١).

المشنقةِ عند حمام النّاصري تحت القلعة، فخرج مماليكُ النّائب، وهم زيادة على ستِ مئة، فانكسر أولئك، وبادروا إلى الاستعانةِ بباقي الحارات فأجابوهم، واجتمع أعيانُهم بتربةِ الشّيخ بيرم، فركبَ ابنُ أجَا القاضي الحنفي وباقي القضاة وعثمان ابن الصوّة لتمهيدِ الأمر، فلم يُذْعِنُوا، بَلْ رموهم بالحجارة، ثم وثبوا بأجمعهم لدارِ النّائب، فخرج إليهم المماليكُ أيضاً، فما كان بأسرع من خذلانهم.

وتزايدتْ شوكةُ الجماعة وقوتهم، فبادروا لحرق جماعةٍ نحو العشرين من أعوانِ الأُستادار وغيره سوى نحوهم مِمَّنْ قُتِلَ في الوقعة، مع قتلِ نحو الخمسين من الحلبيّين، ونُهبتْ بيوتُ المباشرين كالأستادار وغيره، وقُطِّعَتْ أذنابُ خيولهم، ولم يَكُفُّوا حتى أُمسكَ الأستادار وجماعة، وأُودِعُوا القلعة.

وصادف ورودُ جان بلاط في تَوَجُّهِهِ لجهةِ ابن عثمان، فأصلح الأمرَ في الجملة، ورُوسِلَ السلطانُ بذلك، فانزعج، سِيَّما لقطعِ أذنابِ الخيل، وقال: ماذا أذنبوا؟ ثمَّ أرسل مامية لتسكين هذه الحادثة، وعمل المصلحة فيها، وجاءني الخبر بأنه سافر ومعه المحبُّ القلعي.

وفي أوائل شوال سافر إبراهيم ابن أخي الشَّمس ابن الزمن إلى الهند على هيئةٍ ضخمة من الأتباع والخدم وأصنافِ المتاجرِ بنيَّةِ التَّوغُّلِ هناك، وعَدَمِ الاقتصار على جهةٍ، وسمعتُ من يذكره بحظٍّ وافرٍ في تجارته، ولم يلبثْ أن كان عمُّه بمكة، وعاد هٰذا إليها في أثناء سنة ثمان.

وفي يوم الأحد ثاني عشري شوال كان مسيرُ الرَّكب الأول من بركة الحاج وفيه صهر السُّلطان العلاء ابن خاص بك وابنته الأخرى زوج الدوادار الكبير

وأم الدوادار وخاله، وكلُّهم محمولون مع أميره بالتكفية، ولم يُرَ منهم راحةً، بل لم يُذكر عنهم شيءٌ من المعروفِ في المسيرِ والإقامةِ، حتّى إنهم زاحموا الـرَّكبَ الثـاني فيمـا يخصُّه من الماء بعجرود، بحيث ضاق عنهم، وكان الهلاكُ لولا استعانتهم بالارتواء من السويس في الجملة.

وكـان مع الأمير الإذنُ بأخذِ الشيخِ شهابِ الدين ابن جانم المغربي النصف من دار النجلة، وحضرَ هو والشافعي وغيرهما هناك، وحدَّدوا القَدْرَ، وجُعـلَ لجهـة الوقفِ فيما بلغني بإشارةِ الأمير كل سنة قدر، وسمعتُ من يحكي التَّطيُّرَ بهذه، وأنه لا حاجةَ له بها، فقد اشترى في هذه السنة بيتين.

وكذا كان صحبة أمير المحمل ما جهَّزه له الأتابكُ، وهو ألف دينار، ومئتا دينار حسبما أخبرني به مباشر الأمير، وأخذ في السنة التي تَليها بيتين وحَوْشاً بمنى، وشَرَعَ في عمارتها. زاده الله من فضله.

وصحبه واحد منهما بالرجوع بالنوري علي ابن الخواجا المرحوم عيسى القاري الواصل لمكَّة مع الرَّكب الشامي بِنيَّةِ المجاورةِ، وكأنهم علموا بذلك من القاهرة. هذا مع كونِ أخيهِ الجمال محمد مصادراً عندهم؛ بَلْ أكَّدُوا بمـرسـوم ٍ إلى العقبـة خوفاً من رجوعهِ إلى الشَّام، سِيَّما وكان مع الرَّكب الغزاوي، وكان هذا كلُّه بإشارةِ أخيهِ ليكون مُسْتَأنساً به في القاهرة. لطف الله بهما.

وفي الـرَّكب: القـاضي شهـابُ الـدِّين ابن البَـرْقي، والفـاضلُ الخيِّر النَّاصريُّ محمد بن دولات باي النَّجمي الحنفيّان، وأم الحسن ابنة التَّقيّ حفيد السِّراج البلقيني، وجاورتْ، وكذا الذي قبلها، وما انفصلت عن القاهرة

إلَّا بعد غضبها وظلمها من ناظر الخاص وغيره، بل أخذ من ابن أختها ـ وهو إبراهيم بن السُّكَّر والليمون ـ بعد موتِ أمهِ شقيقتها، شيئاً كثيراً، يقال: إنه أزيدُ مما خَلَّفته.

ثمَّ من الغد يوم الإثنين سار المحملُ، وكنَّا فيه بالوالدة والأهل، وتمام تسعة أنفسٍ سوى ابن الأخِ الأوسطِ وعيالهِ ومَنْ معه، ومع أميرنا زوج ابنته منصور ابن الظاهر خَشْقَدم، وماتتْ له طفلةٌ بمكة، ثمَّ بعد رجوعهم بيسيرٍ أُخرى، وابنةٌ للسلطان يَلْبَاي، وجاورتْ، وابنة للبرهان الكَركي.

وفي الـرَّكب عدَّة سراري للتـاج ابن عبـدالغني ابن الجيعان، ومعهن الشهابُ المنهلي فقيه مولاهُنَّ، وشيخ الرواق بالأزهر.

وفيه رئيس المؤذنين بمكَّة عبدالله بن أبي الخير، وكان سافر في أثنائها منها للمدينة النبوية، ورافقه الشِّهاب ابن العُليف، فركبا البحر من الينبوع إلى القاهرة.

وفيه قاضيه ـ كما قدَّمته ـ الشَّرفُ موسى العزيزي.

ومن الشَّـافعية الشَّمس الشَّـرنْقَـاشِي أحد الفضلاء، وكان على طريقةٍ حسنةٍ من التَّقشُّف ونحوه ذهاباً وإياباً فيما بلغني، وأنها حَجَّة الإسلام.

والعلاء المحلِّي الحنفي نقيب الشَّافعي ـ كان ـ وتأخَّر حتَّى مات بها كما في التي بعدها إنْ شاء الله.

والشِّهاب ابن إسماعيل الصَّائغ الحنفي أحد نوابهم، وعبد الرحمن ابن الكمال إمام الكاملية.

ومن الحنابلة: القاضي شمس الدِّين ابن بيرم، والشَّريف شمس الدِّين القادري شيخ طائفته، منضمّاً للخواجا الشَّمس ابن الزَّمن، والشَّمس محمد ابن حمزة ابن تاج الدِّين ابن البقري، أحد كُتَّابِ الإسطبل، والعلاء ابن إمام المؤيد البدر حسن السُّنباطي، وهو على عادته ينظر في المواريث الحشرية من جهة ناظر الخاص، وخطيب جامع الفكاهين ابن عم أبي السعود ابن المحب الطُّوخي، والتَّقيُّ أبو بكر الظَّاهري، وهو على صَرٍّ الشافعي المحمول على النِّصف، و[........][1] وهو على صَرٍّ الحنفي المحمول على السُّدس، والشّهاب ابن محمود، وهو على صَرٍّ المالكي بنقصٍ يسير، وصَرٍّ الحنبلي، وهو على الثلثين، والزمام وشيخون وغير ذلك.

وقطع وقف يلبغا وغيره، وأما الأوقاف الشامية، فحملت لبعضهم، وأُحيلَ بعضُهم على تركة لولا اعتناء الشافعي ما وصَلُوا إليها، وأُخِّرَ بعضهم، وكأنَّه لعجز المباشرين لينفسحُوا في التأخير يسيراً، وإلَّا فقد قيل لي: إنَّ قاضيهم أرسل يؤكد في عدم التَّأخير، وأظنُّه مجرَّد كلام. وممَّنْ تأخَّر تعلُّقه: العزيّ ابن فهد، وتألمنا له كثيراً، يسَّر الله وصوله له ولكل خير.

وأمير الرَّكب برد بك الأشرفي قايتباي، وهو أمير ميسرة بالشَّام، والتَّشكِّي منه كثيرٌ، بحيث عجزوا فيه أنْ يُؤَخِّرهُمْ لصلاةِ الجمعة بعد أن نُجيَ له نحو ثلاث مئة دينار.

وفي الرَّكب السَّيّد الكمالي ابن صاحبنا السَّيّد حمزة الحسيني، وجاور ومعه الفاضل عبدالغفار الأزهري الشافعيان. وكذا جاور الشَّريف إبراهيم بن

(١) بياض في الأصل.

عبدالوهاب الصَلْتي. ووصلت أوقاف الروم، وفرَّقَها الشافعيُّ أحسنَ تفرقةٍ، وعمّت النّاس: الشّريف والقضاة والأئمة والخطباء ومَنْ لا يُحصى، وكثر الازدحامُ عليه فيها، وأظنُّ ما يخصُّهُ منها اضمحلَّ في جنب مراعاته ومُداراتهِ وطُول ِ أياديه المُسْتَعبِد بها مَنْ لعلَّه يعاديه. جُوزي خيراً.

وحصل للمكِّيينَ بذلك تنفيسٌ في الجملة، وكذا فرق عليهم ـ بعد انفضاض الموسم ـ الصَّدقة المندويّة ووصيّه لوكان العجمي وغير ذلك.

وكان الجمعُ زائدَ الكثرة، بحيث لم أعْهَدْ في حجّاتي كلها أكثر منه، بَلْ قال شيوخُ مكة ذلك، حتّى إنهم نزلوا تحت عقبةِ الجمرة الكبرى وفي الشّعوب التي تحت إلى جهةِ مكة مما يلزم فيه دَمٌ، وأما الليلة الواحدة، فقال النوويُّ في «مناسكه»: إنَّ الأصحَّ أنه يجبرُها بمدٍّ من طعامٍ، يعني كالشّعرة.

هذا معَ كونه لم يجيء رَكْبُ العراق، ولا بني جبر ولا عقيل ولا الرُّوم ولا المغرب ولا التكرور، لاشتغالهم بالفتن. وكذا لم يجيء أهلُ اليمن إلاَّ قريب الصُّعُود للفتنةِ التي هناك أيضاً.

وكان الوقوفُ يوم الخميس، وانضم لفضيلةِ ليلةِ عرفة وليلةِ العيد، كونها ليلة الجمعة.

ومع كثرة الجَمْع ، كانت الأسعارُ ببلاد الحجاز ـ ولله الحمد ـ رَخيَّةً أو متوسطةً، فالدَّقيقُ بستة فأكثر الحمل، والغرارةُ من الحَبِّ الجيِّد بثلاثة ونصف فأربعة، واللَّحم الشَّرقي دون رطل أو هما بمحلق، والسمن رطل بِمُحَلَّقٍ ونصف، والعنبُ ثلاثة فما دُونها بِمَحَلَّق، والتَّمرُ كثير، وكذا الرُّمان، والبطيخ

قليل، والأمنُ متزايد، والصَّرْفُ النَّاشىءُ عنه الرّبا كُلُّ مُحَلّقٍ بسبعين.

وكذا جاءني كتابٌ من المدينةِ النبوية في العشرِ الأخيرِ من رمضانَ مُؤرَّخ بثـانيه، وأنهـا في غاية الرخاء في التَّمر، والسَّمن، والعسل، واللَّحم، وأن الحَبَّ بلغ من شأنهِ أنَّ جالبَهُ يرجع به لعدم مُحتاجٍ إليه.

وأمـا القـاهـرة، فاشتركَتْ معهما في مزيدِ الرَّخاء، سيما في الحَبِّ، فبالدينار ثلاثة أرادب.

والبـلاء في كثيرٍ من الأسعار إنما هو من الرواتبِ المقرَّرةِ التي تفوقُ الوصفَ على نقباء الحسبة وكذا الرمايات، نعم الدرهم جامد فيها. وانفردت عنهما بعدم الأمن، بحيث لم أكُنْ أبرزُ للصبح والعشاء إلَّا في عَدَدٍ، خوفاً ممـا اتفق لأبي اليُمْن ابن البَـرْقِي بعـد صلاة الصبح كما سيأتي، ولشيخ الجيعانية ببولاق وهو متوجه للأزهر مع الصبح، ومَنْ لا يُحْصَر.

وندب الوالي لِتَتَبُّعِ ذلك بنفسهِ وبأتباعه، فحصل به رَدْعٌ في الجملة، مع ضررٍ كبير بالغرامات والكلف، سيما لموالي العبيد، وقد يكون بعضهم بريئاً، وانفتح بذلك بابٌ آخرُ للتَّحصيل.

وسافر الأول ليلة الاثنين ثالث عشر ذي الحجة بعد المبالغةِ في غصبِ الـرقيقِ والقمـاش من الممـاليك والـرؤوسِ وغيرهم، بل وأخرج أصحابَ الخلاوي من مدرسة السلطان، ونزلوها والمحمل ليلة الثلاثاء بعد أنْ تَعَوَّقَ أميرهُ إلى أثناءِ اللَّيلِ بمكَّة لأجلِ قبضِ عادته من الشريف، وهي خمسةُ آلاف دينار ضاقَ الحالُ عنها، ثم سافر بعد جهدٍ إلى أن استوفاها بالينبع، وسافر معه نائبُ جدة، وترك أخاه طراباي بمكة لأجلِ الواصلِ لجدة من البَرِّ

الهنديٍّ من اليمن، ثم لم يلبث أن سافر إلى جدة في أول قافلة.

وخُتِم عليَّ في هذه السَّنةِ بالقاهرة عِدَّةُ كتبٍ من تصانيفي وغيرها «كالقول البديع» و«ارتياح الأكباد» و«دلائل النبوة» للبيهقي، وسمعها جماعةٌ، وجُلّها الشيخُ أبو العباس الغمري، وحدثتهم يوم ختمها من لفظي «بالقول المُرْتقي في ترجمة البيهقي».

وكان فيها بمكة أعجميٌّ يُدعى بالبهلوان، وصلَ إليها مع الركبِ المصري من تلك السنة، فحجَّ وتَخَلَّفَ بها مجاوراً، فجرَّ بقوسين عجز بعض الأتراك عن جرِّ أحدهما، ورمى إلى هاونٍ فخرقه، وكذا إلى صاجٍ، لكن لم تنفذ النشابة كلها منه، بل ضرب بيده وأصابعه مضمومة لباطن كفِّه يدَ الهاونِ مراراً حتى كسره، وشقَّ بيديه خفّاً طرياً لجمل، بل كسر ساقةَ على رأسهِ وساقه، وركب على ثلاثة أخشاب كالأَثافِيِّ[1]، ثمَّ رَفَعَ بسلسلةٍ في وَسَطِهِ حجارةً يقال إنها ثلاثين أو أربعين قنطاراً، وبالغ بعضُهم، فزاد، ووضع على أحدِ عاتقيه خشبة دُوم الدبى ثمرة المقل المكي واقفة طولها نحو سبعة أذرع، لا يقدر الواحدُ على حملها، ثم نفضها على مُقَدَّم فمه، وتَقف عليه، وأدار حبلاً متيناً على رقبته، ولوى طرفَهُ على عودٍ، إلى أن انقطع، إلى غير ذلك مما يطول.

وأنعم عليه التجارُ وغيرهم، بل أعطاهُ رئيسُها زيادةً على الدراهم ثوبَ صوفٍ أخضر، وأُركبَ فرساً، وزُفَّ بطبل الأمير وغيره، واجتازوا به المسعى، وسُرَّ بذلك، بحيث كتبَ به محضراً عند شهود باب السَّلام.

---

(١) الأَثافِي: حجارةٌ يُوضَعُ عليها القدور، مفردها: أُثْفِيَّة.

وبلغنا تَوجُّه الملكِ لكفِّ المماليكِ، بحيث أتلفَ منهم جماعةً، واقتفى أثـرَهُ الأتابكُ في مماليكه، وأنه وقع بين الدوادار الكبير وأمير آخور بسبب نوتيٍ، وكان الملك مع أوَّلهما، بحيث أرسلَ بالثاني إليه، فزادَ في إكرامه واحترامه.

وطلع قاصدُ صاحبِ قبرس بالجزيةِ والهدية، وبرز في أولِ ذي الحجة ثلاثة من المقدمين، ومنهم أمير آخور والشامي، فلم يشهدوا العيد، وكأنه فراراً من الجلبان ونحوهم ممن يُطالب بالأضحية في أشياء من هذا القبيل لم أُحَرِّرْهَا.

٢٣٨٦ـ وماتَ من الشَّافعية في مستهل ربيع الآخر قاضيهم بحماة فرج[١] ابن الأمير ناصر الدين محمد بن محمد الحَمَوي، أخو صاحبنا الحنفي الجمال محمد، ويُعرف بابن السابق ـ عن أزيد من اثنتين وثمانين. وكان فاضلاً، ذا إلمامٍ بالفقه وأصله، والنحو، والصَّرف، والعروض. محبّاً في الحديث وأهله، راغباً في مطالعة التاريخ والأدبيات، بحيث أفرد ملوكَ بلدهِ، وذيلاً لتاريخ المؤيد صاحب حماة. ونظمَ، وتَطارحَ مع الصَّدر ابن هبة الله. وزارني مع أخيه. وكتبت عنه من نظمه. وأجاز له الزين الزَّرْكَشِي وعائشة الكِنَانِيَّة وقريبتها فاطمة في آخرين. رحمه الله.

٢٣٨٧ـ وفي المحرم، عن ثمانٍ وستين، الزينُ عبدالرحمن[٢] بن محمد

(١) الضوء اللامع ٦/١٦٩.

(٢) الضوء اللامع ٤/١٢٧، ونظم العقيان/١٢٤، وبدائع الزهور ٣/٢٧٧، والسُّنْتَاوي: نسبة إلى سَنْتَا من أعمال الشرقية بمصر (قوانين الدواوين/١٤٥)، والتحفة/ ٣٢.

ابن حجي بن فضل السَّنْتَاوي، ثم القاهري الأَزْهَري، شيخ سعيد السعداء، وأحدُ صُلحاء مدرسي الوقت ومحققيهم ومفتيهم. مِمَّنْ بلغني أنه كتب على «الزُّبد»[1] و«ألفية النحو» وغيرهما، وكنتُ أُحِبُّه، ونعم الرجل كان. رحمه الله.

٢٣٨٨ـ وفي رمضان، عن بضع وسبعين، الشمس محمد[2] بن عيسى ابن محمد الإِقْفَهْسِيّ القاهري، ويُعرف بابن سمنة. ممَّنْ تميَّز في الفقه، مع مزيدِ ديانته وورعه وتَقَنُّعِه وانجماعه، وربما أقرأ الطلبةَ، بَل اختصرَ «نكت ابن النقيب على المنهاج»، مع زياداتٍ مَيَّزها. وكان لا يملُّ من المطالعة والعيادة، ويتفقدُ أحبابَهُ بالزيارةِ، وربما قصدني بها، ويلازمُ الاعتكافَ في رمضان بالأزهر، بحيث كان ضَعْفُه حين اعتكافه، وجِيءَ به لبيتِهِ، فماتَ بعد يومين، ونعم الرجل. رحمه الله.

٢٣٨٩ـ وفي المحرَّم، عن دون سبع وستين، الشهابُ أبو العباس أحمد ابن العَلَّامة الفقيه البدر محمد[3] بن أحمد بن عبدالعزيز، الأَبْيَارِي الأصل، ثم القاهري الصَّالحِي، أصغر إخوته، ويُعرفُ ـ كسلفه ـ بابن الأمانة. ممَّنْ لازمَ الاشتغالَ، وأجادَ الفَهْمَ، وشاركَ، وأمَّ بالظَّاهريةِ القديمة، مع حُسْنِ عشرةٍ، ولطافةٍ، وديانةٍ، وتواضع. رحمه الله.

٢٣٩٠ـ وفي جمادى الأولى، عن ثلاث وسبعين ونصف، الجمالُ أبو الحجاج يوسف[4] بن بدر الدين محمد بن يوسف السّيوطي، ثم القاهري، أحدُ النُّواب الفضلاء البارعين. مِمَّنْ لم يذكر عنه إلَّا الخير، مع بادرةٍ وقُوَّةِ

---

(١) هو للبارزي.

(٢) الضوء اللامع ٨/٢٧٦.

(٣) الضوء اللامع ٢/٧٥.

(٤) الضوء اللامع ١١/١٠٣.

نفسٍ، وهو بكنيته أشهر. رحمه الله.

٢٣٩١ـ وفي المحرم، وقد جاوز الستين، بدمشق، الشهابُ أحمد[١] بن خليل بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي الصَّالحي، ويُعرف بابن اللُّبُودي. مِمَّنْ تَفَنَّنَ، وشارَكَ، ونظم، وتكسَّب بالشهادة، وطلب وقتاً، فسمع وحصل الأسانيدَ والتراجمَ، وجمعَ قُضاةَ بلدهِ نَظْماً، ونثراً وغيره، وربما استمدَّ مني مراسلةً ومشافهةً، مع مزيدِ إجلالهِ لي، ومُكاتباته بالتَّعظيمِ الزائد، ولم أرَ هناك أنبلَ في الطَّلبِ منه، مع بُخْلِه بإفادةِ شيوخِ بلده، ونِعْمَ هو ذكاءً وفضلاً وتواضعاً وتودُّداً ولطافة. ولم يخلف بعده هناك من الأنسة بما أشرتُ إليه مثله. رحمه الله.

٢٣٩٢ـ وفي المحرم بدمشق أيضاً: ضياء[٢] بن محمد الحوراني الأَعْرَج، نزيل الشامية البرانية. ممَّنْ أقرأ الفقه، وكان صالحاً.

٢٣٩٣ـ وفي أوائلها، مُمْتَحَناً، بعد موتِ يعقوب وابن أخته، القاضي عيسى ابن شكر الله بالتَّعذيب، عن نحو الثمانين، فخرُ الدين عبدُالملكِ[٣] ابن علي بن علي بن مبارك شاه الصِّديقي البكري السَّاوِجي التِّبْريزي القزويني، ثم الشيرازي من بيت كبير، مع فضيلة، وتواضع، وتودُّد، وبشاشة، وبهاءٍ، بل يقال: إنه صنَّف. وهو ممَّنْ قدم القاهرة وأخذ عن الأمين الأقصرائي، وأرسله إليَّ، فأخذ عني، واغتبط بذلك، بل كتبتُ عنه

---

(١) الضوء اللامع ١/٢٩٣، وفيه: ويعرف بابن اللُّبُودِي وابن عرعر.

(٢) الضوء اللامع ٤/٢، وفيه: ضياء بن محمد الحاري الحوراني الشافعي الأعرج.

(٣) الضوء اللامع ٥/٨٦.

من نَظْمِه، وكانَ إذ ذاكَ فقيراً جدّاً، ولما فارقنا تَرقَّى لكونِ ابن أخته المشار إليه صاحب الحلِّ والعقدِ عند السلطانِ يعقوب. عفا الله عنهما.

٢٣٩٤- وفي المحرم بالقاهرة شيخ محمد[1] ابن النور علي البَعْقُوبي، ثمَّ القاهري المقرىء، أحدُ صوفيةِ الشيخونية، بل شيخُ قُبَّةِ السلطان التي بقرب المرج - ومدرس الدوادارية بخانقاه سرياقوس، ويُدْعَى حافظاً، وهو بها أشهر. مِمَّن أقرأ القراءات، وكان يبالغُ في تعظيمِ نفسه بها. واستقرَّ بعده في التدريسِ عبدالعظيم بن يحيى بن عبدالعظيم، وأما القُبَّة، فما علمتُ المستقرَّ بها أو وفرت.

٢٣٩٥- وفي أواخر صفر بدمياط، بالإسهال، شهيداً، وقد جاوز السِّتِّين، الزَّينُ عبدالسَّلام[2] ابن الشرف موسى بن عبدالله بن محمد البُهُوتِي الدِّمْيَاطي، إمام جامعها، البدري. وكان في الخيرِ بمكانٍ، أدَّب الأبناء دهراً، وحبّس[3] بخطه جملة. وقرأ على العامةِ في المواعظِ والرَّقائق. رحمه الله ونفعنا به.

٢٣٩٦- وفي ربيع الثاني، عن نحو الأربعين، في حياة أبويه، الفاضلُ

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٢٣٠. في الأصل والضوء اللامع: اليعقوبي بالياء آخر الحروف، وليس بشيء، فهو من بعقوبا بالباء الموحدة، مدينة معروفة شمال شرقي بغداد تبعد عنها ٦٠ كيلو متراً، وقد نص السخاوي على أنه ولد ببعقوبا من شرقي بغداد، وتحول منها مع أمه إلى روذبار همذان ثم إلى تبريز، ثم قدم القاهرة في أيام الظاهر جقمق.

(٢) الضوء اللامع ٤/ ٢٠٨.

والبُهُوتِيُّ: نسبة إلى بُهُوت من الغربية بمصر (التحفة السنية/ ٧٣).

(٣) جاء في الضوء: وكتب بخطه شيئاً كثيراً حَبّس جميعه على بنيه سوى ما كتبه بالأجرة من مصاحف وغيرها، وخطه جيد صحيح.

الخيِّرُ الشمسُ أبو النجا محمد[1] بن أحمد بن عبدالله بن رمضان القاهري، ويُعرف بالمُخْلِصي. أحد المكثرين من الاشتغال في القراءات وعلوم، وهو ممن أخذ عني قليلاً، ونِعْمَ هو. عوَّضهُ الله الجنة.

٢٣٩٧- وفي ربيع الثاني، عن أربع وأربعين تقريباً، الشمسُ محمد[2] ابن أحمد بن محمد بن عبدالله النحريري، ثم الدواخلي، نزيل جامع الغمري، وأحد أصحاب صاحبه أبي العباس. ممَّن اشتغل وفهم، ولازمني في «التقريب» وغيره، وسمع عليَّ أشياء، وأقرأ بعضَ بني شيخه، ثم بإشارته عمر بن البدري أبي البقاء ابن الجيعان، وأقبل أبوهُ عليه لعقلِهِ، فانتفع، وتَنَزَّلَ في سعيد السُّعَدَاء وغيرها. رحمه الله.

٢٣٩٨- وببيت المقدس، وقد توجه لزيارته، الشمسُ محمد[3] بن عباس بن أحمد بن عبدالرحمن المَرْصَفِي الخانكي، أحد الخيار من شهودها. ممَّن كتب بخطه أشياء، واشتغل، وقرأ عليَّ في سنة إحدى وسبعين بمكَّة «الشِّفا»، وحصَّلَ أشياء من تصانيفي، وأكثر التَّردُّد إليَّ بالقاهرة، وكان خَيِّراً، ليِّنَ الجانبِ، مشاركاً. رحمه الله.

٢٣٩٩- وبحلب في صفر، عن بضع وأربعين، عبدالقادر[4] ابن الشيخ

---

(١) الضوء اللامع ٦/٣٢٤.

(٢) الضوء اللامع ٧/٧٦.

والدَّوَاخِليُّ: قال السَّخَاوِيُّ في الضوء: نسبةً لمحلة الدواخل من الغربية.

(٣) الضوء اللامع ٧/٢٧٧.

والمَرْصَفيُّ: بفتح الميم وسكون الراء وفتح الصاد المهملة بعدها فاء نسبة إلى مَرْصَفَا من القَلْيُوبيَّة بمصر (مباهج الفكر/١٠٦).

(٤) الضوء اللامع ٤/٢٩٩ .

يوسف بن يعقوب بن شرف، الكرديُّ الأصل، الحلبيُّ. ممَّن اشتغل في كبره، وفضل، بحيث دَرَّسَ وأفتى، بل انتزع من شيخهِ عثمان الكردي القرناصية، وما حُمِدَ له هذا. رحمه الله.

٢٤٠٠- وفي ليلة سابع عشري رمضان، عن بضع وسبعين، عبدالرزاق[1] بن حسن الدَّنْجِيهي القاهري، نزيل سعيد السعداء، وبقية صُلحائها. رحمه الله.

٢٤٠١- وفي جمادى الأولى، وقد جاز السبعين ظنّاً، البدر حسن[2] الحصنيُّ الأعرج الواعظ. وكان ممَّن قرأ عليَّ، وطاف في الوعظِ على طريقهم. رحمه الله.

٢٤٠٢- ومن الحنفية في المحرم بالصحراء، فجاءة، الشيخ يوسُفُ[3] ابن أحمد الأَرْزِنْجَاني الروميُّ، ثم القاهريُّ، شيخُ التربة الدوادارية، ويُعرف بسنان. ممَّن كان يُقرىء في «المتوسط» وغيره، ويُعدُّ في الشُّيوخ، بَلْ

---

(١) الضوء اللامع ٤/١٩٣.
والدَّنْجِيهيّ: نسبة إلى دَنْجُويْه، ويقال لها دِنْجوَاي تقع بين دمياط وسَمَنُّود في منتصف الطريق بينهما (مباهج الفكر/ ١١٥).

(٢) الضوء اللامع ٣/١٣٢، وتحرف فيه «الحصني» إلى «الحسني».

(٣) الضوء اللامع ١٠/٣٠٢.
والأَرْزَنْجَانِيُّ: نسبة إلى أَرْزَنْجان ويقال لها أَرْزَنْكَان وهي قريبة من أَرْزَن الروم (معجم البلدان ١/١٥٠).
نقول: تقع الآن ضمن تركية في شرقيها.

كان قَدِمَ القاهرةَ قديماً. وسمع على شيخنا، ثمَّ بعد موته قرأ عليَّ مجالسَ من «البخاري» بحثاً واستفادةً، وكان إذْ ذاك نازلاً تحتَ نظر الكافياجي بالتربةِ، ثم بالشيخونية، وأقرأ بها، ثم سافر لبيتِ المقدس والشَّام، ورجع فقطنَ القاهرة، وزرتهُ في أثنائها للسُّؤال عن كائنةٍ جرتْ له مع البقاعيِّ بالشَّام، فبالغ في التّأدُّبِ معي. رحمه الله.

٢٤٠٣- وفي ليلة الحادي والعشرين من رمضان، عن ست وستين، فأزيد، الفاضلُ عبدالرزاق[١] بن يوسف بن عبدالرزاق، القبطيُّ الأصل، القاهريُّ، الشاذليُّ، ويُعرف بابن عجين أمه. ممَّن اشتهر بالفضيلةِ وسرعةِ الملل والانحرافِ[٢]، مع حُسْنِ محاضرةٍ، وإظهار تنسُّكٍ، وورعٍ وتعفُّفٍ، وتقلُّلٍ وتمشيخ، بحيث يُسْتَثْقَلُ، بل يُتَشَاءَمُ به، وربما نُسِبَ لأمرٍ فظيعٍ، ولا أبرِّئه من التزيُّدِ، كما أني لا أستبعدُ أنْ يكون نظمَ وكتبَ شيئاً. رحمه الله وعفا عنه.

٢٤٠٤- وفي شعبان، عن اثنتين وستين فأزيد، الجلالُ أبو اليسر محمد[٣] ابن أبي الفضل ابن العلاء علي بن محمد بن عمر القاهري، ويُعرف -كسلفه- بابن الرَّدَّادي، شبه الفجاءة. ممَّنْ أكثر الاشتغالَ قديماً وحديثاً على كبارِ الشيوخ، فَمَنْ دونهم، وقرأ عليَّ في «الصحيح» وغيره. ونابَ في القضاء، وربما أقرأ مع جمودٍ. ولم يُحمَدْ في كثيرٍ ممَّا رتبه أبوهُ لجهة

(١) الضوء اللامع ٤/١٩٦.

(٢) أي انحرافُه عَمَّنْ يترددُ إليه كما جاء في الضوء.

(٣) ذكره في الضوء اللامع ٩/١٥٨

البرِّ، ولذا رُوفِعَ فيه في سنة تسعين بسبب بعض المدارس، وألزمهُ السلطانُ بعمارتها مع تَبَرِّيهِ مما أُنهِيَ عنه.

٢٤٠٥ـ وفي منتصف صفر، عن بضع وسبعين، الصَّدرُ محمد[1] ابن الرُّومي أحدُ قدماء النواب بعد انقطاعه مدَّة ـ بالفالج وغيره بمحلٍّ سَكَنِه من المدرسةِ السيوفية. رحمه الله وإيانا.

٢٤٠٦ـ وفي المحرم، عن سبع وأربعين تقريباً، أبو اليمن محمد[2] بن محمد ابن الشيخ نور الدين علي بن محمد بن محمد بن حسين ابن البَرْقِي، شهيداً، خرج عليه بعضُ اللُّصوص بعد الإسفار قريباً من باب السِّرّ لجامعِ المغربي، فضربه وأخذَ عمامته، فانقطع لذلك أيَّاماً والدِّماء تنزفُ من رأسه، وكثـر الأسفُ عليه والثنـاءُ على عقلِه وتودُّدِهِ وجُودِه، بحيث كان هو القائم تكلفةً على ابن قريبة المحلي، حتّى إنَّه تزوج مَوْطُوءَتَهُ بعد موتِهِ، وبراعة مباشرته، حتَّى كان صاحبَ ديوان الزردكاش، مع كونهِ ممَّن اشتغلَ عند ابنِ عُبيد الله وغيره، وحفظ كتباً. رحمه الله وعَوَّضَهُ الجنة. وبعد أيامٍ قَدِمَ شقيقه الجـلالُ أبو الفضل مع الرّكب، وكان هو وعمتهما مجاورين، وأُمُّهما هي سبطةُ القاضي موفَّق الدّين أحمد ابن نصر الله الحنبلي.

٢٤٠٧ـ وفي منتصف ربيع الأول البدر أبو الفضل محمد[3] ابن الشيخ قاسم بن قُطْلُوبُغـا. وكـانَ حفظَ كتبـاً، وحضر دروسَ أبيهِ، ثم جلسَ مع

---

(١) الضوء اللامع ١٩٤/٩.

(٢) الضوء اللامع ١٠/٦.

(٣) الضوء اللامع ٢٨٤/٨.

الشُّهود، مع سكونٍ وتقنُّعٍ. رحمه الله.

٢٤٠٨- وفي شعبان، ظنّاً، مصروفاً عن النيابة من مدَّة، الشهابُ أحمد[1] بن القصِّيف.

٢٤٠٩- ومن المالكية في المحرّم، قاضيهم وخاتمة فقهائهم، البرهانُ إبراهيم[2] بن محمد بن محمد بن عمر بن يوسف اللَّقَّانِي، الأزهري، بعد تعلُّلٍ طويلٍ، عن دون الثمانين بقليل، مصْرُوفاً، وأظهر السُّلطانُ فَمَنْ دُونَهُ التَّأسُّفَ عليه. وكان ممَّنْ درّس بالأشرفية وغيرها استقلالاً ونيابةً، وانتفع به في الإقراءِ والإفتاءِ دهراً، مع قوماتٍ في القضاء سديدة، وعزماتٍ سديدة، منها في يومِ عقد المجلس عند الدوادارِ للكنيسةِ، كما بَيَّنْتُه في محلٍّ آخر، وفي كائنةِ البقاعي، حيث نُسِبَ إليه ذلك القول الشَّنيع والهول الفظيع في كلام الله عزّ وجل، وكذا فيما فعل بالتَّاج ابن شرف، وكذا مقاله حين وقع الميلُ للزينيِّ زكريا في قضاءِ الشافعية، ومنعه لابن القطب الخيضري من الكلامِ على النَّاسِ بالأزهر في عز أبيه، مع كونه يحضرُ ميعادَ بعض المتقنين من الفقراءِ، مع مزيد رغبةٍ في الإطعام، وفُتُوَّةٍ وشهامةٍ اقتضتْ له المسامحة لمن يَنوبُ عنه - كابن المخلطة - بالتّركِ، وتَعَصُّبٍ مع أصحابه، سيَّما مَنْ كان ببابه، ولكنَّه لم يُحْمَدْ فيما فعلَهُ مع أبي حامدٍ القُدْسي، وإنْ

(١) المشهور من بيت القصيف: علي بن أحمد بن هلال الدمشقي الحنفي المتوفى بمكة سنة ٨٨١. ترجمه المؤلف في الضوء اللامع ١٩٠/٥.

(٢) الضوء اللامع ١٦١/١، وفيه بعد يوسف: بن عطية - ورأيته بخطه مقدماً على يوسف بن جَميل - ككبير - القاضي برهان الدين أبو إسحاق المغربي الأصل القُهُوقي - بضم القاف ثم هاء وبعد الواو قاف - اللَّقَّاني ثم القاهري الأزهري المالكي.

وهو في شذرات الذهب ٣٥٨/٧، ونظم العقيان/٢٩ وبدائع الزهور ٢٧٧/٣، واللَّقَّانِي: نسبة إلى لَقَّانَة من أعمال البحيرة (مباهج الفكر/ ١٣٣).

كان غير مُحَبَّبٍ لكثيرينَ، ومع البرهان الأنصاري الخليلي، فإنه رامَ التوصُّلَ من القبة إلى الصَّالحية، وكان البرهانُ داخلها والباب مُغْلَقٌ، فطرقه فلم يفتحه، إمَّا لكونهِ لم يسمع أو لغير ذلك، فبالغ القاضي في الإغلاظِ عليه بكلماتٍ غير لائقة. وبالجملة، فمحاسنه أكثر.

واستقرّ بعده في التفسير والميعاد بالبرقوقية المستقرّ فيهما بتعيينٍ من السلطان في أيام صَرْفه الشهابُ ابن الصيرفي، وعملَ بعد كلامٍ كثير إجلاسةً فيها، وحضر معه البدريُّ والصَّلاحيُّ وكاتب السِّرِّ وغيرهم، ولم يُبْدِ كبيرَ أمرٍ، مع امتناعِ النَّاظر ـ وهو قاضي الحنفية ـ من الحضور، بل ومنع من الفرشِ والجلوسِ بإيوانها، وتكلّم بكلامٍ كثير، وأُضيفتْ باقي جهاتهِ لولده، واستنيبَ عنه في الأشرفية ونحوها. رحمه الله وإيانا.

٢٤١٠ـ وفي ذي الحجة: أبو عبدالله محمد[1] بن علي بن محمد بن علي ابن الأزرق المغربي بالقدس، كما قدَّمته في الحوادث.

٢٤١١ـ وفي جمادى الأولى، وقد جاز السبعين، الشَّمسُ محمد[2] بن أحمد بن عثمان التَّتائي الأزهري، ويُعرف بالهُنَيْدي. ممَّن اشتغل وأقرأ في الطِّباقِ، مع نظمٍ ومعرفةٍ بالتُّركي، وتكسُّب بالشَّهادة، وباشر لمثقال السَّاقي، ثمَّ للأشرف في إِمْرتهِ، ولكنه أبعده قبلَ سلطنتهِ، بل ضَرَبَهُ لجرأته. عفا الله عنه.

٢٤١٢ـ ومن الحنابلة، في صفر، عن ستِّين تقريباً، في حياة أبويه،

---

(١) الضوء اللامع ١١/٢٣٤، وسقط من الترتيب الهجائي.

(٢) الضوء اللامع ٧/٨.

الأمينُ محمد[1] بن محمد بن محمد بن علي المنصوري، نسبةً للمنصورية، بالبيمارستان. ممَّن حفظ كتباً، وعرض على شيخنا وغيره، وسمع في صغره مع الإثْمِيدي على ابن بَرْدَس وابنِ الطَّحَّان، وكذا على المحبِّ ابن نصر الله، وربما كان يُجْلِسُه حينَ السَّماع على فخذه أو نحوه. ثمَّ اشتغل وتَميَّز في الفقهِ وفي الشَّهادةِ والتَّوقيع، وتنزَّلَ في الجهاتِ. وناب في القضاء عن العزِّ الكناني، ثم عن البدر، واختصَّ بخدمتهِ، ورأيتهُ يرجِّحُه في الفَهْمِ والفروعِ على سائرِ جماعته، مع استحضار لكتابه، وتودُّدٍ وأدبٍ وهيئة وخبرة بالحشمة، وذكره بالإسراف على نفسه، ولكنه تاب في مرضه، وتأسَّفَ كثيرونَ عليه. رحمه الله وعفا عنه.

٢٤١٣- وفي رجب، بغزّة، وقد جاز الثَّلاثين، الزَّينُ قاسم ابن الشِّهاب أحمد الحَمَوي، ويعرف كأبيه بابن الخَدِر، وهو ابن أخي الشَّمسي المقرىء إمام قانم وغيره[2]. وكان قد قدم القاهرة في أوائلها راغباً في الاجتماعِ بي، فأشغله ضَعْفُه، وبادرَ إلى الرُّجوع، فأدْرَكَتْهُ مَنيَّتُه غريباً. رحمه الله وعوَّضه الجنة.

ومن سائر النَّاس.

٢٤١٤- في يوم عيد الأضحى، عن ثمانين فأزيد، شيخ قراء الجوق نور الدين أبو الحسن علي[3] بن رمضان ابن العَطَّار. وكان ـ كما بلغني ـ قدوةً في فنِّه، مع عقلٍ وخير وتكسُّبٍ بحانوتٍ في الورَّاقين، بحيث لم يخلف

(١) الضوء اللامع ٩/٢٦٢.
(٢) هو محمد بن أحمد بن علي الشيحي الحموي الحنبلي المتوفى سنة ٨٩٣.
(٣) الضوء اللامع ٥/٢٢١.

بعده في فنه مثله. وأبوه كان عطاراً من أهل القرآن. رحمهما الله.

٢٤١٥- والسَّيد أحمد ابن السّيد علي بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني، ابن أخي صاحب الحجاز في شعبان بأرض حَسَّان خارج مكَّة. وحزن عليه عمُّه، وجِيءَ به لمكَّةَ مع ابنيه السَّيدين بركات وهزَّاع في جماعةٍ، ثمَّ دُفِنَ عند أهله، وجاء أبوهما عمه، فحضرَ الختم. رحمه الله وعوَّضه خيراً.

٢٤١٦- وفي آخر شوَّال ابن[1] القاضي الحنفي ناصر الدِّين الأَخْمِيمِي، يقارب عشر سنين، شقيق آخر من ابنة العضدي السِّيرامي. وكانت جنازته في مستهل ذي القعدة مشهودةً بالقضاةِ والأمراءِ والمباشرين وغيرهم، لم يتخلَّفْ عنها كبيرُ أحدٍ، بل شيَّعه كثيرون إلى التربة. وكان بديعَ الجمالِ والذَّكاء. عوَّضه الله وكُلاًّ من أبويه الجنة.

٢٤١٧- وفي ربيع الأول بالخليل، شيخ القادرية به، أبو النجا محمد[2] ابن محمد بن علي بن حسن ابن شُتَيٍّ - بمعجمة ومثنّاة - كأُبَيّ - الدَّاري. وكان صالحاً، حافظاً للقرآن، إماماً بمسجد ابن عثمان الذي لا تقام الجماعةُ في غيرِ المسجدِ القديم بغيره.

وكذا كان أبوه صالحاً، بحيث يتبرَّكُ المحمومُ بترابِ قبره. رحمه الله.

---

(١) لم يذكر السخاوي في باب الأنساب من الضوء اللامع ٨٣/١١ عند نسبة الأَخْمِيمي ابناً لناصر الدين لكونه مات طفلاً.

(٢) الضوء اللامع ١٤٧/٩.

٢٤١٨ـ وفيه بالقاهرة، وقد جاز السِّتِّين، شيخ الزوار عبدالقادر[١] ابن صدقة ابن الشَّرف محمد، المُحَرَّقي الأصل القاهريُّ. رحمه الله.

٢٤١٩ـ وفيه بالخانقاه الجلالُ محمد[٢] بن محمد بن محمد بن محمد العباسي الخانكي، أحدُ صُوفيَّتها، ووالدُ المقرئ أبي الخير، عن بضعٍ وثمانينَ فيما قيل، وكان خَيِّراً، ثقيلَ السَّمع، منعزلاً عن النَّاس في أكثر أوقاته، متجرِّداً، عفيفاً، بحيث كان المتبولي يقول: لا أعلم بالخانقاه فقيراً غيره. وهو ممَّن تكرَّر حضُوره عندي في الإملاء، بَلْ سمعَ بمكة على التَّقيِّ ابن فهد، واجتمع بابن عيَّاش والكيلاني، ولم يَسْلَمْ من مُنْتَقِدٍ. رحمه الله.

٢٤٢٠ـ ويعقوب[٣] بن حسن باك سلطان العراقين، هو وشقيقه وأمهما، كما سلف.

٢٤٢١ـ وفي ربيع الآخر بمصطفى أبَاد من كُجْرات[٤] خاصة[٥] بن برّة الحُسيني الكُجْرَاتي، المدعوّ دُستُور خان، وزير محمود شاه بن محمد شاه صاحب كُجْرَات، ومؤتمنُ خزائنه، عن نحو السَّبعين. وذُكِرَ لي بمحاسنَ، بحيث لم يخلف هناك في الدَّولة مثله. ودُفن في وسطِ جامعهِ الذي أنشأه بأحمد أباد من أعمال كُجْرَات، وصُلِّيَ عليه صلاة الغائب، وفُرِّقَتْ لأجله

---

(١) الضوء اللامع ٢٦٨/٤.

(٢) الضوء اللامع ٢/١٠.

(٣) الضوء اللامع ٢٨٣/١٠، وهو يعقوب بن حسن بن علي بن قرايلوك عثمان أبو المظفر وهو في شذرات الذهب ٣٥٩/٧.

(٤) كُجْرَات: من أقاليم الهند.

(٥) الضوء اللامع ١٦٩/٣.

الرَّبعة. كلاهما تجاه الكعبة من التي تليها.

٢٤٢٢- وفي رجب، مزاحماً للخمسين أو جازها، السَّعدِي إبراهيم ابن الشّرف موسى ابن مخاطة[1] خال البدريِّ أبي البقاء ابن الجيعان وإخوته، والمتكلِّم في الصَّرْغَتْمُشِيَّة، وأمُّه أم ولد. ودُفِنَ بالقرافة. رحمه الله وعفا عنه.

وخلفه في التكلّم سميُّه ابن الفخر ابن السُّكر والليمون سبط البلقيني، وبديوان النَّاظر الآن.

٢٤٢٣- وفي ذي القعدة، وقد جاز الثمانين، ظناً، التَّقيُّ عبدالرَّحمن[2] ابن التَّاج عبدالوهاب بن نصر الله بن حسن، الملقَّب حسُّون بن محمد بن أحمد، الفُوِّيُّ الأصل، القاهريُّ، ابن أخي الصَّاحب البدري حسن، والمتوفى أبوه في سنة عشرين. ممَّنْ باشرَ نَظَرَ دارِ الضَّربِ بل والأوقافِ، ثم انفصل عنه بالعلاء ابن أقبرس في ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين، وفيها نَظَرَ جُدَّةَ بعد التَّاج ابن حِتّي، وكذا نظر ديوان المفرد، وغير ذلك، وتعطَّل دهراً. عفا الله عنه.

٢٤٢٤- وفي جمادى الثاني، وقد جاز السبعين، الشِّهاب أبو الخير أحمد ابن الموفق عبدالله[3] بن إبراهيم، المعروف بابن موفق الدِّين. بعد افتقاره جداً، ورغبته عن مباشرة نظر جيش الشَّام والأشراف وغيرهما، وكان أبوه رئيساً جَيِّدَ الإسلام، مع كونه غيرَ عريقٍ فيه. مِمَّنْ اعتنى بولده هذا في حفظ القرآن، وكتب وعرضها، ولم ينجب.

---

(١) الضوء اللامع ١/١٧٨.

(٢) الضوء اللامع ٤/٩١.

(٣) الضوء اللامع ١/٣٥٥.

٢٤٢٥ـ وفي صفر، عن اثنتين وخمسين، البدرُ محمد[1] ابن أبي الفضل بن موسى ابن أبي الهول، أخو عبدالقادر. ممَّن باشر في ديوان الأشراف وغيره.

٢٤٢٦ـ وفيه: الشِّهابُ أحمد الفَاقُوسِي، صاحب ديوان الأمير أُزْدَمُر تمساح.

٢٤٢٧ـ وفي المحرم أمين الدِّين ابن التَّاج عبدالرزاق ابن البقري أخو العلم يحيى وابنا عمّ الشرف والمجد، ويقال له: تُويج.

٢٤٢٨ـ وفي رجب إياس الأشرفي قايتباي، أحدُ الخواص من السُّقاةِ، والمستقرُّ في مشيخةِ الخُدَّامِ بالمدينةِ النبوية عِوَضَ الأميرِ شاهين، ولم يلبثْ أنْ مات.

٢٤٢٩ـ وفي ربيع الأول سنبل[2] الطواشيُّ الحبشيُّ الظاهري جقمق الخازن، بعد توعُّكٍ يسير، وصَلَّى عليه السلطانُ بالقلعة، ودفنه بتربتهِ، وخَلَّفَ شيئاً كثيراً.

٢٤٣٠ـ وفي صفر قانصوه[3] الأشرفي بَرْسبَاي، خالُ الدوادار الكبير أقبردي، وشادّ أوقاف مدرسة مولاه. بعد أنْ أَسَنَّ وعَمِيَ، ودُفن بتربة قُنُقْبَاي أم خوند جُلُبَّان بالقرب من تربةِ أستاذه. وذُكِرَ عنه عنفٌ وشِدّةٌ، مع تديُّنٍ.

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٢٨٠، وفيه: «محمد بن أبي الفضل بن موسى بن أبي الهون» ـ بالنون ـ.

(٢) الضوء اللامع ٣/ ٢٧٢.

(٣) الضوء اللامع ٦/ ١٩٨.

واستقرّ بعده في الشَّادِّيَّةِ مغلباي سُرق الأشرفي أيضاً.

٢٤٣١- وفي ربيع الثاني ياقوت[١] الحبشيُّ الكماليُّ ابن البارزي. وكان لا بأس به عقلاً وأدباً وتجملاً وإكراماً لمن لعلّه يتردّدُ له من الطَّلبة. ممَّن أهانهُ الملكُ، وهو لالةُ الكماليِّ ناظرِ الجيش وبَنِيه، وكنتُ أُحِبُّه. رحمه الله، وعَوَّضَه الجنة.

٢٤٣٢- وفي منتصف ذي الحجة، بعد فراغه من النسك، الخواجا الشهاب أحمد[٢] بن محمد بن أحمد بن عمر بن علي، الحوراني الأصل، الحموي، نزيل مكة، وأحدُ أعيانِ التجارِ المعروفينَ بالتواضع والانجرار في الخير والإقبال على ما يهمُّه، والبذل للزكاة. وهو ممَّن تكرر اجتماعُه بي، وسمع عليَّ بقراءة ابن أخيه وغيره، وأجاد الفضل، وله أتباع ووكلاء براً وبحراً. رحمه الله وحفظ تركته، ولطف بمن خلفه من ولدٍ وغيره.

٢٤٣٣- وإسماعيل السقطي الدمشقي، أحدُ التجار بمكة أيضاً.

٢٤٣٤- وفي ربيع الثاني، بمكة، أحد أعيان التجار - لو كان - العجمي الكيلاني . نزيل مكة، في حياة المعمَّرةِ أُمِّه، ودُفن بتربةٍ أنشأها، وكان حريصاً على الطوافِ وشهودِ الجماعة، كثيرَ الأدبِ، نَيِّراً، أبيضَ اللحيةِ، قليلَ العطاء، مع إكثارِهِ، ولكنه أوصى بثلثه، فانتفع بذلك. رحمه الله.

٢٤٣٥- وفي رجب، عن ستين، أبو البركات محمد[٣] بن محمد بن أبي

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٢١٤.

(٢) الضوء اللامع ٢/٨١.

(٣) الضوء اللامع ٩/٦٩.

بكر المصري، الشهير بالصَّالحي. وخُتِمَ على موجودِه، مع أنه خَلَّفَ أولاداً، ولكن الجزاءَ من جنس العمل. وكان ممَّنْ تَمَيَّزَ في الشروط، بحيثُ سافر مع ابن عبدالوارث إلى الشام نقيباً، وجلسَ بجامع الصالح، وبباب الولوي الأسيوطي، ثم أبعده جماعةُ مَنْ بَعْدَهُ، مع براعتِهِ، وكونِهِ لم يُذْكَرْ عنه في شهاداته إلا الجميل لأغراضهم، وكان ذلك حاملاً له على المرافعةِ فيهم، وعاد الضَّرَرُ في ذلك على المستحقين، ولَزِمَ من ذلك ترقِّيه في هذا النوع، وامتحن الناسُ به، ولو عاش لتزايد. عفا الله عنه.

٢٤٣٦ـ وفي شوال، عن بضع وسبعين، العز عبدالعزيز[١] بن أحمد بن يوسف القاهري الوفائي الوكيل، ويلقب بالفار. ممَّنْ برع، سيما حين فُشُوِّ النقصِ في القضاة، ثم استرسل، حتى استقرَّ فيما يُسَمَّى نَظَرَ الأوقافِ، بعد ابن العظمة، وتوسَّعَ في الظلم، وصُودِرَ، وذهب ما حصَّله وهو وكيلٌ أو جُلُّه، وعاد للوكالة، مع جمودٍ وركود حتى مات. ولم يخلف بعده في بابه مثله.

ومن النكت أنه شرع يوماً يعلمني بأنه أخذ في التقلل وهو فارٌّ من الناسِ، فرآني تبسَّمتُ، فقال: وأنا فار. عفا الله عنه.

٢٤٣٧ـ وفي رمضان، ظنّاً، بدمشق، عن ثمان وأربعين تقريباً، عمر[٢] ابن العز عبدالعزيز بن أحمد بن محمد الفَيُّومِيّ الأصل، القاهري. أحدُ الأذكياء. ممَّن نظم ونثر، ولم يتصوَّن، بل عُرِفَ بالسَّفهِ والفجور، ثم نَصَبَ نفسه وكيلاً في الخصومات، وضَرَبَهُ السلطانُ مرَّةً بعد أخرى، ثم نفاه، فدخل الشامَ، فمدح سامرياً بها يقال له صدقة بما يقتضي ـ فيما بلغني ـ

(١) الضوء اللامع ٤/٢١٦.   (٢) الضوء اللامع ٦/٩٢.

انحـلالاً، والأمرُ وراء هذا. وهو ممن أحضره أبوه على شيخنا، وتردَّد إليَّ يسيراً، ومَـدَحني بأبياتٍ لا أفخرُ بها، وحجَّ وجاور، وولد له هناك من كادَ يَلْحَقُه، لكون الولدِ سرَّ أبيه، وزار بيتَ المقدس . عفا الله عنه، وألحق به وَلَدَهُ.

٢٤٣٨- وفي صفر: ابنةٌ لصاحب الحجاز.

٢٤٣٩- ثم في جمادى الأولى أخرى.

وكانت الأولى خطيبةً لابن عَمِّها الشريف أحمد بن علي بن بركات، والثانية للسيد عنقا. عوضهما الله الجنة.

٢٤٤٠- وفي منتصف ربيع الأول زينب ابنـة القـاضي جلال الـدين عبـدالـرحمن ابن شيخ الإسـلام السراج البُلْقِيني[1] بعد عجزها لمزاحمتها الثمانين. وكانت قد حَجَّتْ وجاورتْ في الحرمين، ورأتْ عِزّاً لجمالها مع مزيدِ صفائها، وتَزَوَّجَها غيرُ واحدٍ، أولهم ابن عمها الولوي أحمد بن تقي الدين البلقيني، وآخرهم أبو الخير بن البساطي. رحمها الله.

٢٤٤١- وفي جمـادى الأولى، بعـد تعلل طويل، عن ثمـان وستين، فاطمـة[2] ابنـة الشمس محمـد ابن العـلاَّمة فقيه الشافعية البرهان إبراهيم البيجـوري، نزيلة القـراسنقـرية، وأخت الشهـاب أحمد العالم، وإبراهيم توأمهـا، وزوج الشهـاب ابن أبي السعـود. ممَّن حجّت وجـاورت معـه

---

(١) الضوء اللامع ١٢/٤١.

(٢) الضوء اللامع ١٢/٩٩.

بالحرمين، وتأَيَّمَت[1] بعده، وكانت خَيِّرةً. عَوَّضها الله الجنة.

٢٤٤٢- وفي ذي القعدة كمالية[2] ابنة عالم الحجاز البرهان إبراهيم بن علي بن ظهيرة المكي، قبل أن تتزوج.

٢٤٤٣- وفي رجب بالقاهرة، أيِّماً، حليمة[3] ابنة محمود بن عبدالرحيم الحموي، شقيقة الشيخ إبراهيم الواعظ، وهي أَسَنُّ. كانت مجاورةً لنا بمكّة في سنة أربعٍ وتسعين، بَلْ كانت تزورنا بَعْدُ في القاهرة وحَمدنَاهَا. رحمها الله.

٢٤٤٤- وفي شعبان، عن خمس وعشرين، فاطمة[4] ابنة الصَّلاحي محمد بن يحيى بن شاكر بن الجيعان، زوج أبي المحاسن يوسف بن عبدالرحيم ابن البارزي، أم أولاده. وكانت جميلةً، كثر الأسفُ عليها، سيما من أبيها. عوَّضَهما الله الجنة.

٢٤٤٥- وفي رمضان أم سيدي عمر بن البدري أبي البقاء ابن الجيعان بعد أن تَجَرَّعَتْ أَلَمَ فَقْدِه، وتركتْ ابنةً من سيدها، تحت التاج ابن عمِّ أبيها.

٢٤٤٦- وقبله بقليل سُرِّيةٌ أخرى للبدريِّ[4]، بعد أن ماتَ لها ولدٌ قبلها اسمه إبراهيم، وتركت ابنةً من سيدها تحتَ ابن عَمِّها الشهاب أحمد ابن

---

(١) في الأصل: «وتألمت» وليس بشيء، وما أثبتناه من الضوء اللامع، وهو الأَوْلى بالصواب.

(٢) الضوء اللامع ١٢/١١٨.

(٣) الضوء اللامع ١٢/٢٢.

(٤) الضوء اللامع ١٢/١٠٦.

الصَّلاحي، فشاركت التي قبلها. عوضهما الله خيراً.

٢٤٤٧- وفي ربيع الأول: عائشة[١] ابنة عمر بن محمد، أخت الخواجا ابن الزَّمن الدمشقي، وزوج الشمس البخاري شيخ الباسطية بمكة. وكانت صالحةً، صابرةً على زوجها وبنيه، ودُفنتْ بتربةِ أخيها بالمعلاة عند زوجها، وكانت سريعةَ اللحاقِ به، ثم أردفتْ بأخيها كما في القابلة. رحمها الله.

٢٤٤٨- وفي ربيع الأول، صغيرة، ستُ الجراكسةِ فاطمة ابنة الشرف ابن البقري، زوج الحنبلي، ثم ابن شعبان الجوهري. عوضها الله الجنة.

٢٤٤٩- وفي ربيع الثاني: أم الأمير تَانِي بَك الجمالي، وقد جازت الثمانين ظنّاً. وصلى عليها القضاةُ والأمراءُ وخَلْقٌ مع السلطان، ثم دفنت بتربةِ ولدها في آخرين من الرجال والنساء أُشير إليهم في «الشافي من الألم».

(١) الضوء اللامع ١٢/٧٩.

سنة سبع وتسعين وثماني مئة

استهلت وأنا بحمدِ الله وفضلِه بمكةَ، راجياً من الله سبحانه القَبُولَ والبركة، وتَجَدَّدَ لي فيها من التصانيفِ جزءٌ في ختم «سيرة ابن سيِّد النَّاس» وتَبْييضِ مؤلفي «التوبيخ لمن ذَمَّ التَّوريخ» في كراريس، ومسوَّدة ثانية لمؤلفي في «الفِرق»، وهو مجلد لم أستوفِ إلى الآن فيه الغَرَضَ.

وقُرِىء عليَّ فيها «الصحيح» أربعَ مرارٍ فأزيد، و«صحيح مسلم» ثلاثاً فأزيدَ، وكذا «الشفا» و«السنن» لأبي داود غيرَ مرَّة، و«الترمذي» و«ابن ماجه» و«السيرة» لابن هشام، ولابن سيِّد الناس، «ورياض الصالحين»، مع بحثِ «ألفيه العراقي»، وجُلِّ «شرحي» ، «وشرح الناظم»، ومن تصانيفِ شيخنا: «بلوغ المرام» و«مناقب الشافعي»، ومن تصانيفي: «القولُ البديع» و«التوجُّه للرب» و«الابتهاج» و«الهداية في ابن عربي»، وفي ختم كُلٍّ من «الصَّحيحين» و«الشفا» و«سيرة ابن هشام»، وبعضها أكثر من مرة، إلى غيرها من تصانيفي ومروياتي.

وكان لختم «الشفا» في إحدى مَرَّاته ـ لكونه بقراءةِ الصَّلاحي ابن قاضيها الشافعي ـ آنس مجلسٍ وأجمعه.

وكتبتُ أجايزَ[1] لأناسٍ مع بعضِ تقاريظَ وأسانيد يجتمعُ منها أزيد من مجلد.

(١) ويعني بها: إجازات.

وكان في مُحَرَّمِهَا عرسُ الصَّلاحي ـ المشارِ إليه ـ على ابنةِ خاله وحفيد عَمِّ جده، وأحد رؤوسِ أهلِ الحَرَمِ ورؤسائه الزيني عبدالباسط، فكانت اجتماعياتٌ عَلِيَّاتٌ، أهمها وصولُ السيد صاحب الحجاز وبنيه وجماعته لحضورِ العقد وغيره، والقضاة، وانفردَ الحنبليُّ عن رفاقه، والعلماء والمشايخ والفضلاء والباش والمحتسب والمماليك والتجار وسائر أهل الحرم من واعظٍ وخطيب وطبيب، إلَّا مَنْ شَذَّ، وفي تفصيلِ كلِّ ما أُنفق من حين الدفعِ إلى ما بعد الدُّخول طُولٌ.. جمع الله بينهما في خير.

وما تمَّ شوالها حتى أتَتْ بابنةٍ، وقلتُ لجدتها وأُمها: «إنَّ مِنْ يُمْنِ المرْأةِ تَبْكِيرها بالأُنْثى»[1]، «لا تَكْرَهُوا البَنَاتِ، فإنَّهُنَّ المُؤْنِسَاتُ الغالِياتُ»[2].

وكذا كان فيه عرسُ الشهاب أبي المحاسن أحمد ابن القاضي الحنفي الشرف أبي القاسم ابن الضياء على ابنةٍ لبعض تجار العجم.

ثمَّ بعد ذلك أعراس، أهمها عند نائب مقام الحنبلي أُدَيْنُ من طُوِيَ ذِكْرُه وأُخْيَر.

وتزوج أمير الراكز بمكة أقبردي التَّمَاسِيجِي أُمَّ الحسن ابنة التقي محمد ابن البدري محمد ابن شيخ الإسلام السراج البلقيني، بعد موت زوجته بنحو أسبوع في شعبان، ولم تكن متوجهةً لهذا.

وكـان بالقاهرة تعريس أبي الطيب ابن الشرفي يحيى ابن الريس بابنةٍ

---

(١) حديث موضوع ذكره أبو الفرج ابن الجَوْزي في الموضوعات.

(٢) حديث ضعيف: رواه أحمد في مسنده، والطبرانيُّ في الكبير عن عُقْبة بن عَامِر.

فقيههِ الزينيِّ عبدالخالق ابن العقاب الحنفيين.

وابن لمحمد جمال الدين بابنةِ المرحوم القاضي جلال الدين ابن الردَّادي الحنفي، ولم يلبثْ أن ماتت الأولى وزوج الثانية بالطاعون.

وكذا أعرس أحمد البدري حسن الطَّلْخَاوِي بابنةِ المرحوم الخطيب نور الدين ابن عبدالحق، وإبراهيم ابن الشمس محمد حفيد الأبناسي الكبير بابنة حسن المذكور، كلاهما في ليلة.

وممَّن تجدَّد له بمكة ولَدٌ فيها النجمي قاضي المالكية، مَتَّعَهُ الله به في عزٍّ وسعة.

ولم يلبثْ أن مات جدُّه لأمهِ السيد أصيلُ الدين، وكان بينه وبين الحنفي أخي زوجة أصيل شيءٌ، مع غيبةِ ولد المتوفى الذي لم تتم السنة حتى قدم مكة.

واستمرَّ التخالفُ الذي جَرَّ لتكدُّرٍ بين الشَّافعي والمالكي إلى أنْ زالَ بعد موتِ الحنبلي من المُقْبِلَةِ.

ثُمَّ ٱنْقَضَتْ تِلْكَ السِّنُونُ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

ثم عاد التخالفُ. وأبو الفضل ابن العفيفي عبدالله بن أبي الفضل.

ولم يلبث أن ماتت أُمُّ المولود، وهي سُتيتة ابنة الشمس محمد الحموي ابن قُرَيْع أخت هبة الله الذي لم تتم السنة حتى غرق كما سيأتي.

وأبو العباس ابن الشيخ المرحوم محمد بن قاوان، ولم يلبث أنْ ماتتْ

أمُّه أيضاً. وهي ابنةُ عمٍّ أبيها الشيخ حسين، بل ماتت أم الأب فتاة أبيه بعده.

ولم تتمّ السنة حتى سافر هو وصهره وصِبيّه الشريف إسحاق القزويني وصهره الآخر إلى القاهرة، فأقام الشريف بها، وسافر الآخران إلى حلب، إمّا إلى الروم أو غيره.

والصلاحي ابن الشافعي أنثى كما تقدم، وكانت ميمونة لظهورها يوم قدوم أبيها وجدها من جُدَّة.

وأختـه سعادة من عبدالقادر ابن النجمي ابنة أيضاً، وكانت كعباً على أبيها لِطَرْدِ أمها له وموت أُخته في غيبة أبيها.

ثم لم تتم السنة حتى جاؤوا، لكنْ دام الإبعادُ لولده، ثم سافرا لطيبة، وعاد الزوجُ في القافلةِ متمسكاً بصاحبِ الحجاز حين رجوعهِ من الزيارة، فما تهيَّأ.

وقـريبٌ منه أنه ثاني ليلة عقدِ ابن الحنفي تُوفِّيَ له أخٌ لأبيهِ ابن شهرٍ ونحوه، ولكنهم حرصوا على إخفاءِ ذلك.

وكذا موتُ زوجةِ العزي فائز، وهي ابنةُ عمه بعدَ ولادَتِها منه أُنْثَى، ولكن لم تلبثْ أنْ ماتت.

وخـرج عَربُ بني لام على المـلاقاةِ بالعقبة، وأخذوا شيئاً كثيراً، ومن جملته ما للباشِ المنفصلِ مما تحمله وظلمه، وقتل من المماليك عدَّة،

ومكثَ الحاجُ هناك ثلاثةَ أيام، ثم ارتحلا دفعة ليلاً، والغزاوي بعدهما، وكان في أخذ الملاقاة ذلٌّ لكثيرٍ من المترفِّهين المتجبِّرين كما اتفق في سنة إحدى وسبعين.

وقبض على بني سليمان شيوخ الطور، وأُودِعُوا المقشرة على مالٍ، إلى أنْ انبرمَ أمْرُهم، فأُطْلِقوا إلا من شاء الله وثيقة على باقي ما كُلِّفُوا به، وأُعيدوا بعد أن عين ابن الأعسر لها.

وجدد كل من الشافعي والمالكي نحو عشرة نواب، فممن ولَّاه أولهما عبداللطيف الجصفاوي، وفتح له مجلسٌ تجاه الكاملية ورفيقه النور البلبيسي، وجلس بمجلسهما عند بابِ خانِ الزراكشة بالقرب من الخيميّينَ بجانبِ مجلسِ موسى العزيزي، وعمر بن جامع أمين الحكم، وأبو الفوز ابن زين الدِّين، وركب البغلة، وجلس بقناطر السِّباع محلَّ ابن الفيومي، وبركات ابن أبي الرُّوس، وجلس بمجلس أبيه بالحسنية، والجلال ابن الأَبْشِيهي الذي صار من المدرسين، والشهاب النَّشِيلي الآخذُ لتدريسِ مسجدِ خان الخليلي، وجلس بالقرب من محل تدريسه، ويحيى ابن الشمس البرديني صهر الحنفي، ويقال: إنَّه المقتضي لولاية هؤلاء.

والشمس الحليبي، أحد المفتين المدرسين، بل صار أحدَ أربابِ النوابِ بالباب، وقيل: إنه خُصَّ بالتعازير[1].

وممَّن جدَّده قبل نقيبهِ الشمس ابن الغَرابيلي، وهو أمثلُ من جميعهم،

---

(١) التعازير: جمع تعزير.

وله مدَّة يدرسُ ويُصنِّفُ، بل قَسَّمَ في هذه السنة.

وكذا ابن الأَبْشِيهي بالأزهر، وأعجلهما الطاعونُ عن الختم بعد تهيئةِ الشاعر عبيد السَّلَمُوني قصيدةً لكلٍّ منهما، ولم يقبل اعتذار واحد منهما بعدم الكمال، بل أخذ منهما، ثم استدركا ما فاتهما من الختم في القابلةِ، وحضر ختم أعلمهما قاضيه وكاتبُ السِّرِّ والجماعة، وجلس المدرسُ بينهما، وكذا حضر ختم ثانيهما، ولم يحضر الحنبليُّ في واحدٍ منهما.

وممَّن ولَّاهُ المالكيُّ الشرفُ موسى بن عبدالغفار، والشَّمس الأبودري، وكان أولهما منع قَبْلُ، والشهابُ الفيشي أحدُ الأماثل، وجلس بمجلس الشوَّائين الذي كان فيه شاهداً عند الشَّريفِ الأَرْمِيُوني، والشُّموس المحمدون: التَّتائي، وجلس بالحانوتِ الملاصقِ لبابِ الشيخونية، والصردي والمعناوي نسبة للمعنيّة من البُحَيرة، والجمالُ يوسف الهاروني التتائي، ولم يتوجه لذلك. وكانت استنابتهم في ذي القعدة من التي قبلها، والظاهر أنَّ الشافعية فيه أيضاً.

وأفحشَ الشاعرُ السلموني في هجاءِ أكثرهم، بل تَعَرَّضَ لرؤوسهم، وتألَّمَ المالكيُّ لهم، وصار - فيما بلغني - يجيءُ إليه بعضُ مَنْ تولّى يسترضيه في تركِ التعرضِ له، والإعلانِ بأنه ليس منهم، ولا قوةَ إلَّا بالله. على أنَّ أكثرهم من طلبةِ العلم، وفيهم الفضلاء والمتميّزون في الصناعةِ، ولكن أكثرَ أوصافِ القضاة مفقودةٌ منهم، كجُلِّ رؤوسهم، ولذا يكثر الملكُ التأسفَ على أنظارِ مَنْ كان يراهُ من القُضاةِ في أوليته، كشيخنا ونحوه، ولقد أبعد النجعةَ، فمن ذا يصلُ لمرتبةِ المُنَاوي، فضلاً عن أولئك، بل للأسيوطي العارفِ

بطرقِ الرئاسةِ والسياسةِ، والحريص على موافاةِ أهلِ الحرمين ومُدَاراتِهم، والتنصيص على التفاتـهِ لجهاتِهم، والزائد البراعةِ في المكاتيب والكاتبين والتدبُّر فهماً بيقين، مع اعترافهِ بالتقصير، ومُراقبة الناقدِ البصير، وإنْ كان مَنْ هو بينهما أدين وأعلم وأمتن في المعارفِ وأحكم، وأعانهُ على ذلك عَدَمُ التفاتهِ لشيءٍ يَدَّخِرُهُ مما تَرِكَتُه وتركةُ أخيهِ المظلوم المألوم المقهور المنهُور شاهدةٌ له.

ولأجل تجديد مَنْ أُشيرَ إليهم، أمرَ الملكُ في القابلةِ بتخفيفِ النواب، سيما عند كائنةٍ وقعتْ فيها كما سيأتي لابن الصيرفي. وصار جلُّ كبارهم في وجَلٍ من ذلك، فعرض ما كان سبباً لتأخيرِ الوعيدِ عن الوقتِ المعين.

وفي أول صفر أكرم قضاة المدينة من الملك، ثم في ثالث ربيع الأول خَلَع عليهم، ورَسَم لكلٍّ منهم بخمسين ديناراً، وبالسفر حسبما أشرتُ لذلك كلِّه في التي قبلها.

وحَاصل مجلسهم مع الملك على ما اتفقتْ عليه حكاياتهم: أنهم لمّا قَدِمُوا مصرَ، سَلَّمُوا أولاً عليه، ثم نَزَلُوا، وأقاموا أياماً، ثم طلبهم في مجلسٍ حضر فيه القضاةُ الأربعةُ والمشايخُ، وبرزَ المشتكي بقصةٍ فيها خلطٌ، وتعرُّضٌ للأمير شاهين وعمر بن عبدالعزيز، وأنهما اختصا بأخذِ شيءٍ كثير من الصدقةِ، وأنَّ الشافعيَّ والشريفَ السمهودي يأخذ كل منهما مئة، بل ذَكَرَ الشافعيُّ لجماعة ابن عثمان أنَّ سلطان مصر يبعث لنا حَبَّاً مُسَوِّساً لا ينفعُ، ونحن داعونَ لكم بالنَّصر، فلمَّا قرىء هذا عليه، انزعج، وقال للشافعيِّ: إنْ كنتَ قلتَ هذا، فلا خَتَم الله لكَ بخير، ولا جزاك خيراً، ونحو

هذا من الكلمات.

ثم أمر المشتكي بالدعوى، فادَّعى على المالكيِّ أنه ضربَهُ بغيرِ حقٍّ، فقال: أنا ما ضربته إلَّا بأمرِ والدي، وهو كان القاضي. قال: ورَشد ابنتي مع كونها غير رشيدة، فقال: ما فعلتُ ذلك إلَّا بطلبها وشهودٍ مقبولين، فتلقى عنه الخطيب الوزيري الكلام، وقال: مذهب مالك أنَّ المرأة إذا تزوجتْ بالغةً تصيرُ رشيدة من غير ترشيدٍ، فعارضهُ بعضُ المالكية، وقال: مشهورُ مذهبِ مالكٍ مقيَّدٌ بما إذا أقامتْ عند زوجِها سنةً، فوثب المغربيُّ زوجها، وقال: إن لها عندي أربع سنين.

ولمّا لم يتحرر له في هذين الأمرين شيءٌ، ادّعى أن الشافعي فرض لابنة ابنته من المغربي فرضاً، ثم رجعَ عنه، وأنه صرف في دوائها شيئاً، فلم يقمه من الفرض، فسأله قاضي الحنفية بمصر: كم يبلغ ثمن هذا الدواء؟ فقال: نحو دينار، فقال: فتحمل قضاة المدينة إلى القاهرة في دينار؟! فقال الملكُ: إنما ألجأهُ لهذا الفقرُ، فأحسِنُوا له، وأنا أيضاً أُحسِنُ إليه، وكفى الله المؤمنين القتال.

وصرف عنهم ما كان يُتَوَقَّعُ من الأهوالِ ببركةِ سيِّدِ الأولين والآخرين، حيث أعرضَ الملكُ عن الاسترسالِ فيما غضبَ منه بيقين، وتمامُ ذلك أنه لم يلبث المشتكي أنْ مات، وما اندملَ جُرْحُه من تلك الكلمات.

وفي صفر: خلع على قاصد ابن حسن بك ملك العراق، ورجع لبلاده مكرماً، وما علمتُ في ماذا جاء، كما أنني لم أعلمْ في ماذا جاء قاصدُ كُلٍّ من محسن الملقب بالمُشَعشع ابن الملقب بالمهدي صاحبِ البصرة،

والمذكور بأنه أخَفُّ فساداً من أبيه، بحيث قرأ القرآنَ على الشيخ المرحوم عبدالله البصري نزيلِ مكة تحتَ نظرِ قاضيها البرهاني ابن ظهيرة، وعلي دولات.

وفي ثامن عشر صفر ضرب العماد إسماعيل الذي كان قاضي الحنفية بالشام بين يديه مقارع، لكونه ـ فيما قيل ـ أجاب بأنَّ القَدْرَ الذي استدانه وطُولِبَ به دَفعَهُ إليه، وقيل: إنه رامَ ضَرْبَ أمين الدين محمد ابن قاضي الحنفيةِ بدمشق الزين عبدالرحمن بن أحمد الحُسْباني، فشفع الدوادارُ فيه، وتوجَّه الأبُ لبلدهِ في تحصيل ما هو مطالَبٌ به، ولم يلبثْ أنْ ماتَ الابنُ بالقاهرةِ مع أخيهِ موفق الدين عبدالله بالطاعُونِ بعد أنْ أُصيبَ أبوهما في أثناء سفره من فرسه، وبقي ببلده وهو عُطلٌ، ودام كذلك.

وامتنع الحنفيُّ من عود الشهاب العباسيِّ للنيابةِ بعد رجوعه من الحج، ولزم من ذلك مرافعته فيه مع ابن الفرفور، وما أفاده شيئاً، وجلس النُّور علي ابن عبدالغني المنوفي الحنفي قريب الشيخ خالد بجامع الفكاهين.

واستقل البدرُ النويري الحنفيُّ بجامع الصَّالح، وصار النور الصُّوفيُّ يجلسُ ببيتهِ وبالصَّالحية. وكذا أُهين ناظرُ جيشٍ غزة أو حاجبها.

وبعد رجوع قاضي الشام الشهاب ابن فرفور من القاهرة في جمادى الأولى، وقد لبس أوله خلعة السفر إلى بلده ومحل ولايته، ورجوع البرهانيِّ ابن المعتمد معه بعد إهانته وتَشَتُّتِهِ، اتَّفق أنَّ ابن عم للزيني عبدالرحمن ابن العيني الحنفي ادَّعى على شخصٍ يقال له: ابن طولون، كان ينوبُ عن الحنفيةِ عند قاضيهم به الآن البرهان ابن القطب بشيءٍ لتركةِ المُشَارِ إليه،

فأجاب بتقدّم براءة، فقال القاضي: إنه لم يعين فيها المُدعى به، فردَّ عليه ابن طولون بشمولها له، وعدم افتقارها لتعيينه، ولم يحسن في الرَّدِّ، بل أقْبَحَ قولاً وفعلاً، وإنْ كان الحقُّ عندهم معه، فأمر بتعزيره، ثم بادر وأعلَمَ النائب، واجتمعوا بين يديه الغد بدار السعادة، فانتصرَ الشافعيُّ لابنِ طولون حنقاً من الحنفيِّ وكان بين القاضيين مالا خيرَ فيه.

فَجُهِّزَ قاصدٌ بذلك إلى القاهرة، وصادف كون الشهاب ابن حجي والعلاء البصروي فيها في مخاصمةٍ يَتَّهِمُ ابن حجي ابنَ الفرفور بالمباطنةِ عليه فيها، فكانوا كلمةً واحدة في الحطِّ على ابن الفرفور، وانتهز يُونُس الروميُّ الحاجب الفُرصة، لكونه ممن ظن تكلمه أيضاً فيه عند الملك، بحيث احتاجَ لدخولِ القاهرة والاسترضاء، فقرَّر - أعني الحاجب - غضب النائبِ، فَمَنْ دونهُ منه، ووافقه - فيما قيل - الأمراءُ كلُّهم وكاتب السِّرّ ومَنْ شاء الله إلا الدوادار الكبير، وفي كل هذا جلب كثير.

وكذا وصل عبدالنبي المغربي أحد جماعة البقاعي حين كان بدمشق القاهرة بسبب تركةٍ كان وصياً فيها، وذكر هُوَ لي أنه أنهي عنه أنها تزيدُ على عشرين ألف دينار، وأنَّ الملك لم يُصْغِ لذلك بعنايةِ ابن عاشر وغيره، ولما تَمَّ ذلك توجه من القاهرة لمكّة في البحر من الطور، فوصلها في الثمان.

وأخرجت السيدة بديعة حفيدة السيد القطب صفي الدين الإيجي من المنصورية المُستَبدلة للمرحوم كاتب السر، ولها ساكنةٌ فيها سنون، بحجة أنَّ البدريَّ كاتب السِّرِّ أمرَ بإنزاله فيها، وحَاوَلَتْ أن تُؤْخَذَ منها الأُجرةُ المعتادة، بل تزيد، ويَكْتَرِي له بيتاً، ولا يزعجها، فما أذعنَ، وقال: لا أحبُّ أنْ يبلغ كاتب السرّ أنني أخذتُ دراهم، مع أنَّه لو أعطاني مئة دينار ما قبلتُها،

ولعجزها رضيتْ بالإقامة في محل سفليٍّ منها لا يليقُ بآحادِ الخدم، فإنا لله.

وأعلى من هذا مرافعةُ الجمال المدعو نور الدين البرقاني السكندري في تجار إسكندرية، وأطلق لسانه في الكبير والصغير، حتى إنَّه تجرَّأ بعد وفاة التاجي ابن الفخري عبدالغني ابن الجيعان ابن عمّ البدري أبي البقاء رئيس الـوقت، وقال: إنَّ له حواصلَ بمصر وبولاق وغيرهما،بها من البهارِ ونحوه شيءٌ كثير، وإنَّ عبدالعزيز ابن القلقشندي وبركات ابن قرنميط أحد كُتَّابِ المماليك يعلمان ذلك، فطلبهما واستخبر منهما، وأمر البرقاني بتوجُّهه ومعه بعضُ الأتراك والشَّيخ جلال الدين ابن الأمانة أحد نواب الشافعيّة لكشفِ ما عيَّنـه وضبـطهِ، وأقاموا أياماً، وآلَ الأمرُ إلى المصالحةِ بألف حمل فلفل، مُضَافَةً لخمسة عشر ألف دينار، كانت انبرَمتْ قبل المرافعة، وبَيْنَا هُمْ في تحصيلها، إذْ فُجِعُوا بموتِ أولادِ الميتِ، فالتفت وقال لأبيه: إنما صالحتُ ورضيتُ بما تقدَّم رعايةً للأولادِ، وإلاّ فالمالُ كلُّه لي، وأمره بالنزول لبيت كاتبِ السِّرِّ إلى أن انتهى الأمرُ ثانياً إلى خمسة وعشرين ألف دينار.

ويقـال: إنَّ التَّـركة بهذا كلِّه استؤصلت عن آخرها، بل ذهب ما كان تحتَ يدِ المتوفى لورثةِ ابن الحتاتي وصهره عبد العزيز النِّفْيائي وغيرهما في ضمن هذا.

واستمرّ هذا التَّعيسُ يُرافع، حتى إنه في السنة القابلة لم ينفك عن ابن القَلْقَشَنْدِي وابن قرنميط، وصار يركب الفرسَ بالسَّرجِ وغيره. أهلكه الله. ثمَّ بلغنا ضربه مقارعَ في جماعة.

وكذا رافع علي ابن التاج عبدالوهاب السِّجيني، وتكلَّم في حقِّ فيروز

الزمام بسبب تركةِ خَشْقَدم، ولم يَحْصُلِ المرافع على طائل، بل تقهقر.

وكان كلٌّ من جلال الدين ابن الصَّالحي ويوسفُ ابن البرهان التلواني يُؤمِّلُ ارتفاعَ الترسيم عنه حين وقَع الطاعون، فخاب أملهما.

نعم، جيء في جمادى الثاني بالعماد العباسيِّ مباشر قَجْمَاس ـ كان ـ من قُوص، والفخر ابن نُسَيْبَة من ألواح بشفاعة عبدالرزاق الإمام وغيره.

أما أولهما، فأطلقه أصلًا، ووجد ابناً له بالغاً ماتَ بالطاعون، بل وآخر دونــه، وتلقـــاه مامية بالإكــرام، وســألــه أنْ يبــاشــر عنــده فأبى، قال: فَتُقْرِي مماليكي فأجاب، ووعده باستخلاصِ بيتهِ المبتاعِ في محنته وبغير ذلك ليجبر، كونه كان أحد مَنْ توجه في إحضاره من العباسة حين اختفائه.

وأما ابن نُسيبة، فدامَ في الترسيم بالقاهرة.

وأغرب مما وقع من عَدَم ارتفاع الترسيم عنه وعن الأولين، قيل: إنه وقع التحــريضُ على جبايةِ الأماكن، إما الباقية مِمَّا لم يُجْبَ أو استقبال أشهر أخر، وأنه اعتذر بموتِ أربابها، فقيل لهم: إنَّ الأماكن لم تَمُتْ، وبَانَ بهذا ـ إنْ صحَّ ـ بطلانُ ما لهجَ النَّاسُ به من كونِ نيته إذا تَمَّ الصُّلحُ بينه وبين ملكِ الرُّوم إعادة ما جُبِيَ لأربابه.

وكــذا لم يطلق الخــواجــا شمسُ الــدين ابن الخواجا المرحوم عيسى القَارِي، بل أُضيفَ إليه أخوهُ الخواجا النوري بعد رجوعهِ من الحج، وصارا كالمسجونين. فَرَّجَ الله كَرْبَهما، فهما حَسَنتان.

ووردَ عليهما بقية إخوتهما وغيرهم من عيالهم، لعلَّهُ فِراراً من الطاعون،

ورجاءَ الرقَّة عليهم.

وتـزوج أكبـرهم زوجةَ الشريفِ الهاشميِّ المتوفى سنةَ ستٍ بجدةَ بعد البدريِّ ابن الشرفيِّ الأنصاري المستبكر لها، وهي ابنة البدر ابن ظهيرة.

ولم يُفَكَّ الختمُ عن حواصلِ ابن الحوراني إلا بمبلغٍ كبير، بل ختم على حواصل ابن الزمنِ بعد موتهِ حتى يرضيهُ ابنهُ ومولاه وجماعته، وسافروا كلهم مع الـركب لذلك. وكذا على أماكنِ الشمس الجَوْجَري الخانكي، ورسم بحمل غير واحد من التجار.

وجاء بدويٌّ في ذي القعدة معه مرسومٌ للباش بالقبضِ على شخصٍ من أعيان تجـار الشـامية اسمه بدرالدين محمد بن أحمد، ويلقب ـ كسلفه ـ بالحِصْن، بسبب تركة لبني عمّه، ولم يلبثْ أن جيءَ به لمكَّةَ، وأظهر نائبُ جدة الحنقَ من الباش، محتجاً بأنَّ أمرَ البندر والتجار إليه، مع كونه لا ذنبَ له، والأمر لغيرهما.

ومـا كان بأسـرع من أنْ ضمن، وفـك عنه الترسيم إلى أنْ يرجع مع الركب، وتكلّف في ذلك للأميرين وأتباعِهما سوى ما تكلَّف للملك وغيره حين دخوله القاهرةَ، ولم يكنْ ذلك بمانعٍ لمجيءِ علي بن أحمد بن علي الشهير بخـدمـة بيبى راحات العَجُوز التي كانت زوجاً للشيخ عبدالمعطي المغربي من عدن، الذي كان فارّاً به من نحو سنتين أيامَ الموسم، وكأنَّهم طمَّنُوه[1]، سيَّما وقد ألبسه نائبُ جدة خلعةً، ولعلَّ للشريف إسحاق في ذلك شائبة مساعدة، فإنه سافر مع الركب، ورام أنْ يكونَ قائماً بأمرِ تجارِ العجم

(١) كذا في الأصل، والمؤلف إنما ينحو المذاهب العامية في كثير من الأحوال.

ونحوهم لخبرته بذلك.

وممَّن فَرَّ من مدد عبدالكريم الاسنوي ابن أخت الشَّرف الأنصاري، ولكنه لم يطمئن للمجيء، بل استمر بعدن، ولَم يلبثْ أن جاء الخبر بموتهِ في القابلةِ على أنَّ الملك يُكثر من قولهِ: حظي أقوى من حَظِّ الفارين، فإنهم فَرُّوا مني، فماتوا، وحُمِلَتْ إليَّ أموالُهم أو جُلُّها، ويشير إلى الشرفيِّ الأنصاري، والكماليِّ ناظرِ الجيش، والنوري ابن الجُرَيش وغيرهم.

وطالب الدوادارُ الكبيرُ الشهابي ابن العيني بما كان اقترضه منه حين التَّعَرُّضِ له، فأجابه بأنه دفعه للملكِ في جملةِ المأخوذ منه بمسوِّغٍ أبداه، فلم يقتنعْ منه بهذا، ولا سمحَ الملكُ بالموافقةِ عليه، فرسم على ولده، وجاء لبيت كاتبِ السِّرِّ، بحيث تعطَّلَ عليه ما كان عَزَمَ عليه من التوجُّهِ لمكَّة بحراً، ودفع القدر أو التزمَ به بعد إكرامه من الملكِ حين طلع له، وأحضر ولده، فخلعَ عليه، وقيل: إنه سمح له بالمجيء مع الركب، ثم بان بطلانه.

وكذا رسم على شيخ الخشابية بعد موتِ ابني التقي ابن الرسام، وتقريره في مُرَتَّبِهِ بالخشابية جماعة من الطلبة، أُدرج فيهم يوسف الذي كان سامريّاً وأسلمَ، وكمال الدين ابن أبي الصفاء الحنفي، وحَمِدْتُ تقريره للأمينيِّ ابن النجار، وبلغني أنَّ الترسيمَ كان من جهةِ ناظرِ الخاص بسببِ تركه بني ابن الرسام، ثمَّ أُطلق بعد أيام.

وكذا رسم على ابن جمال الدين ناظر الجمالية، وابن حجاج مباشرها، وعلى الدُّنجيهي جابيها، وشحنة الأزهر بسبب شكوى بعض مستحقِّيها، لمزيدِ إجحافِهم، بحيث عَمَّهم الضَّررُ والكدرُ بعد أنْ كانت في أيامِ

السفطي من أعمر الجهاتِ، فاعتنى بهم كاتبُ السِّرِّ حتى جلسوا بالجوهرية ـ ظنًّا ـ وتولَّى حسابهم ناصرُ الدين السَّفْطِي.

وبالجملة، فهذا شيءٌ لا انحصارَ له، وهو في بعضِه معذور، فإذا علمتَ بعضَ التجار وعلمتَ شُحَّهم على الفقراءِ وطردهم القبيح لهم، بَلْ وتَعَرُّضَ بعضِهم لجهاتٍ يصلُ للضعفاء من أهل البيمارستان المكي وغيره نفعٌ تافهٌ بالأخذِ على سبيلِ الغَلَبة، ومناكدته لضعفاءِ شركائه، رأيتَ أنه من أظلمِ الظالمين، وظهر لك صحةُ قولِ بعضِ أصحابنا: مَلكُنا قامعُ الجبابرة، ولكن هلك الصَّالح مع الطالح.

ورحم الله البُرْهَاني ابن ظهيرة حين أعرضَ عن حقِّه في مكانٍ خلف بيته بحارة قريش لقصدِ توسعتهِ، بحيثُ يتمكن الأحمال من المدور، مما كَثُرَ الدعاءُ له بسببه، ولكن جاء شخص يقال له: عمر ابن النيربي، ممَّن وصل مع الرَّكب الحلبي، فلم تستقرّ به الأرض حتى قطع الطريقَ من أعلاه، وأدخله فيما زعم أنه مُلكهُ، ولم يلتفتْ لتعطيلِ ما رامَ البرهانيُّ التوسعةَ به، فالله يقصمه.

ولقد كتب إليَّ بعضهم بما نصُّه: وفشا الظلم كثيراً جدّاً، بحيث خرجَ مخرج الضمان بالتزامٍ شهري، وكان هذا في جهة الاستدارية التي كانت تكمل جامكيتها في أوقاتٍ من الذخيرة، وما توفَّرَ في بعض الأوقاتِ يدخل الحاصِل، حيث كلف محمد بن بُريه والتاج ابن كاتب الدواليب وعبدالكريم اليهودي بحمل مبلغٍ كبير على التوزيع بينهم وبين غيرهم من جماعةِ الديوان.

وأنه ضُيِّقَ على الناسِ في أكل لحم الضَّأن، إما بحجة المماليكِ أو

غيرها، بحيث لا يوجد إلا خُفيةً، ومَن ظفروا به يَبيعُه نيئاً أو مَصْلُوقاً أهانوه، ومكثوا كذلك أياماً، ثمَّ أطلق لهم حين ابتداء الطاعون.

وأن كاتب السرّ التفت لسماع المرافعات ونحوها خوفاً من نسبته للتقصير. وأسأل الله أنْ يرحمَ والده ويكفيه أمرَ دِينه ودُنياه وبدنه.

وقد رَوَينا في ثاني عشر «المجالسة» للدينوري من طريق الأصمعي، قال: قال بعضُ الحكماء: أعظمُ الناس خطيئةً يومَ القيامةِ المُثَلِّث. قال الأصمعي: هو الرجلُ يسعى بأخيهِ إلى الإمام فيهلك نَفْسَهُ وأخاه والإمام.

ووقف أبناءُ الناس ونحوهم في مستهلِّ رمضانَ لطلب الكسوة، فكان منهم ابن داود أحدُ نوابِ الحنفية، فسأله: مَنْ أعطاكها؟ فقال: الله، فقال: على يَدِ مَنْ؟ فقال: بتقرير الملوك قَبْلكم، فقال: أي ملك؟ فقال: الظاهر جقمق، فقال: بواسطةِ مَنْ؟ فقال: ابن حجر، فقال: أثبت ذلك، فقال: مَن الذي يثبت على ديوانك؟ فَزَبَرَهُ وانصرفَ، ولكنه صرفَ للناسِ ثاني يوم لمّا علم سهولة ذلك كلّه.

وأخذ الأتابكُ من حاصلِ بعضِ أهلِ البرلس نحو ثلاثين حزمة خشبٍ نقي، ثم أحاله بما ألزمه بأخذه بالدبوس عن ثمنها، وهو خمسة وعشرون ديناراً على معلمي القباقبية، ثمن شجرة صفصاف، رماها عليهم من جُملة المغصُوبِ بتدبيرِ سالم وأتباعه فيما قيل.

وشُكيَ ابنٌ لعبد البر ابن الشحنة على ديون كأنه من باب الدوادار، وأُودِعَ السجن، وكانت بينه وبين المماليكِ حركة، وتحامى أبوهُ الركوبَ إلى

الشيخونية وغيرها لتعرض المماليكِ بسببه وإفحاشهم في شأنه وسبِّه.

وأُهينَ شُريف الفيومي الوكيل من أمير سلاح، وطرده. و كذا الدوادار الكبير من نائبها بسبب مرافعتهِ وكثرةِ مخاصمته، وقد طالَ عمره، وهال ضَررُه.

ورافـع نصـرانيٌّ في ناظـر الجـوالي، فسلَّمَهُ الملكُ إليه، كأنه لعلمهِ بوصول الأمور لبابه، أو عدم ثبوته لديه.

وفي مستهـل ربيع الأول كان بين الخطيب الوزيري المالكيِّ وقاضي مذهبه منازعةٌ في قتيلٍ وُجِدَ بإسطبلٍ لتركيٍّ أو نحو ذلك، زعم أنه مكن تلك الليلة فيه[1]، فقال الخطيب: هو لَوْث والآخر يمنعه، وأظهرا شاهداً لمقالهما.

وكان الحنفي بعد منتصراً للخطيبِ من إغلاظِ بعضِ المالكية عليه، بحيث تكرَّرَ حضورهُ لدرسهِ بالبرقوقية، وكاتب السرّ مع القاضي، بل المالكية أو جمهورُهم معه.

كمـا أنَّ كاتبَ السر مع ابن تقي في الشيخونية، وهو والدوادار الكبير كانا مع ابن قاسم عليه حين سَعْيهما في تدريسِ الأشرفية برسباي بمجرد طعنِ ابن اللقاني إلى أن عُوفيَ، وأصلح بينهما.

ثمَّ رغب الخطيبُ عن تصوفهِ وغيره بالأشرفية، ولم يلبثْ أنْ أعطي كاتب

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب: كَمَنَ ليله فيه بتقديم الكاف على الميم.

السر وظيفة أحدِ أولادِ الخطيبِ في المزهرية ـ مدرسة أبيه ـ بعد موته لابن الأذرعي، الملقب مامش، ووقع بينهما كلامٌ فيه من كاتب السِّرِّ مزيدُ جفاء، فما وسعَ الخطيبَ إلَّا التوسع عنده بأمير سلاح، فكلّمه حين اجتمعا في الاستعطافِ عليه، وأبدى له البدر عنه ما قد يكونُ عُذْراً له، بَلْ رُبما يثني عنه الأميرُ به فيما قيل.

على أنَّ الأميرَ كان من نحو سنةٍ فأكثر غضبَ عليه وتوسَّلَ عنده بأحمد ابن حاتم حين كان بالقاهرة، فمشى أمرهُ عنده، وصار ابن حاتم يقول عن الخطيب: إنه يُحْسِن يدخل ولا يحسن يخرج، ولست أوافقه فيهما، بل هو طائشٌ مائق لا يهتدي، ولا على استمرار يحسن يرتدي، وأدّاهُ ذلك إلى قِلَّةِ أدب علي ابن زوين كاشف الغربية، كان، عليه وهما سائران فيها إلى مكة.

وما سَهل بي هذا حين بلغني، سيَّما وقد تَلَطَّفَ أميرُ المحمل بالخطيبِ وأبي، بل كانت له حكايات في مكة والمدينة، منها ما يرجع للديانة، ومنها ما يرجع للمباحثة ستأتي الإشارةُ لشيءٍ منها في التي تليها.

ولما كان الاجتماعُ للمولدِ بالقلعةِ على العادة، أبطأ حضور الشافعي، فتأثَّرَ الملكُ، بحيث لم يَقُمْ له حين مجيئه إلا بتكلُّفٍ، ولا بَشَّ له، بل خاشَنَهُ قائلاً له: أنت في الشرقية.

وكذا كان المولدُ في محله المستفيضِ من مكة، ولم يتخلف عن المشي مع شافعيها ناظر المسجد الحرام كبيرُ أحدٍ.

وكنتُ ممن مشى فيه قصداً للتشرُّفِ والبركةِ، وذلك بعد إصلاح الطريق وتنظيفها، فإنه كان وقعَ في نهارِ ليلته مطرٌ غزير وسيلٌ قوي، جرى كالأنهار، بحيث دخل المسجدَ من أبوابٍ كثيرة، وما كنَّا نتوهَّمُ التمكن من التوجُّهِ، ولكنَّه في جنب البَرَكَةِ النبوية يسير.

وغضب الملكُ على بعض أجلابه، بحيث أمر بنفيه، فاشتد خوفُ بقيتهم، ولكنه بلغنا أنَّهم بَعْدُ أظهروا الغضبَ لعدم إعطائهم من أرزاقِ الهالكين، فقال لهم: إذا لزمتم التَمرُّن على الفروسية وغيرها مما كان أولئك لهم براعةٌ أو شبهها فيه، رَقَّيتُكم وأعطيتكم، أو كما قال، ثم فرق على كثيرينَ منهم.

وكذا أمر بلعب القرانصة[1] الرمح، فإن أجادُوا، فبها ونعمت، وإلاَّ نزلوا من مرتبة الخاصكية إلى الجمدارية، فتوسلوا بالأتابك عنده حتّى أعفاهم.

وأعطى الجُنْدَ ومَنْ له اسمٌ في بيتِ السلطان كُلَّ واحدٍ رأساً من الخيلِ يقومُ بكفايتهِ في نظيرِ ركوبهِ، وذلك بعد أمره ببيعها وبيعِ الكثير منها، ولذا أكثرَ العامةُ من ركوبِ الخيلِ والبغال، ونزل الحمير عن أثمانها.

ثم إنه بَعْدُ استقلَّ المبلغ الذي جيء به إليه في أثمان ما بيعَ ، وكلف

---

(١) جاء في القاموس في مادة قَرْنَصَ: الدِّيكُ فَرَّ وقَنْزَعَ أو الصواب بالسِّين، وقرنص البازي اقتناهُ للاصطياد فَقَرْنَصَ البازي لازمٌ متعدٍ.

والقَرَانيص: خُرَزٌ في أعلى الخُفِّ، الواحد قُرْنوس أو هو مقدم الخُفِّ. ويبدو أن القرانصةَ لعبة يلعبها فرسان على خيولهم وبأيديهم الرِّمَاحُ ويكونُ ثمةَ أهدافٌ يصيبونَها بها أو أشياء ينتظمونها برماحهِمْ أثناءَ عدو الخيول والفائز من ينتظمُ برمحِهِ أكبرَ عددٍ ممكنٍ.

ناظر الإسطبل وغيره ممن باشر ذلك لزيادة عليها توزَّعوها فيما بينهم، ثم أمر قانصوه الشامي بالسفر لإحضار الخيول التي صارت للعربان ونحوهم، فغاب أزيد من شهر ومعه ابنُ أبي يزيد، ثم حضر ومعه أصيل الشاطر في الحرامية كما سيأتي.

ولَهَجَ المصريون بوقوعِ الطاعونِ بحماةَ وطرابلسَ وغيرهما من تلك الجهات، وأنَّ أنطاكية خَلَتْ منه، وعمل بحلب وجاراتها، ثم ظهر بالشرقية كبلبيس والخانقاه في ربيع الثاني، وتزايدَ شأنُهُ في الثانية، بحيث زادَ على مئة في اليوم، بل قيل: إنه لم يبق فيها إلا النَّزْرُ.

وكان ابتداؤه بقطيا ثم الصالحية، بل ربما قيل: إنه كان فيه بالقاهرة، ولكن الجمهور على أنه لم يبتدىء بها وبمصر وبولاق ونحوهما إلا في جمادى الأولى، وأنه استمرّ يتزايدُ إلى أنْ كانت قُوَّتُه في الذي يليه، ثم أخذ في التناقصِ من رجب، وبقيتْ في شعبان منه بقايا إلى أن ارتفع فيه أصلاً، بل قال الجمال الكرماني وغيره: إنه نَقَّر في سابع رمضان كما اتفق في حلب، ولكن كان غالب مَنْ يطعن في رمضان يَسْلم.

وقرأتُ بخط بعض المُعتبرين: واستمرَّ الطعن إلى أثناء رمضان. قال: وهذا قلَّ أنْ يُعْهَدَ، فإنه ابتدأ من أثناء ربيع الآخر، ودخل غزَّةَ والرملة وبيت المقدس والخليل وتلك النواحي والشام وإسكندرية.

وكان دخوله بيتَ المقدس في نصف جمادى الثاني، فدام إلى أثناء شوال، وكانت شدَّتُه في شعبان، وأكثر ما بلغ في اليوم مئة وعشرة.

وأما الخليل، فأكثر ما بلغ به في اليوم لبضع وخمسين، وضبط جميع

المُتَوَفَّوْنَ به لألفٍ وأربع مئة، بل قيل: إنهم لا يقصرون عن ربع أهله. ودام في دمشق إلى أثناء شوال. والكتب في حصر أكثر ما انتهى إليه بالقاهرة مضطربة، فالمقلل عشرون ألفاً، والمكثر: خمسة وعشرون، وربما زاد.

وممَّن كان اعتنى بضبطِ ذلك، وصار يرسلُ إلى الأماكن مَنْ يبذل له الدراهم فيه: علبياي ابن نائب الشام برقوق، إلى أن عُدَّ هو في الأموات. رحمه الله.

وعنوانُ الأمرِ ما قيلَ: إنه ماتَ من سكان الظاهرية نحو خمسين من مئة على ما يحرر.

ومات فيه جمع من العلماء والفضلاء والأمراء والمباشرين، ولكن جلّه إنما كان في الرَّقيق والأبناء والغرباء كالمكِّيين والمدنيين والينابعة، وأما المماليك، فقرأتُ بخط بعضٍ من يُرْجَعُ إليه في ذلك أنَّ المتوفى منهم من مماليك الملك خاصة نحو أربعة آلاف، وحرره بعضهم بثلاثة آلاف وسبع مئة، بما فيهم من جلبان وغيرهم، والخاصكية الأعيان منهم تسعة عشر، ومماليك الأمراء لم يتخلف منهم إلَّا النادر، وقيل: إنه ضبطت الأبكار المخدرات، فكنَّ ثلاثة عشر ألفاً.

وحُكي أن جُلَّ الرؤساء كان يدور على مَنْ يقضي له حاجةً لفقدِ جماعته، ويتولى ذلك بنفسه.

وعدمت النعوشُ، حتى كان لا يتوصلُ إليها إلاّ بالترسيم والجاهِ، بل كان بعضُ الصغار من الأمواتِ يُجْعَلُ في دسقاري الجبن، ويركب من يحملها

بين يديه على حمارٍ، وربما تُحمل في أقفاص.

وباشر كثيرون غسلَ أمواتهم، وكذا عدمت سائرُ آلاتِ التجهيز، وارتقى سعرُ العلبكي الوطيء إلى ما يُتعجَّبُ، فضلاً عن المتوسط والعال، وكفن في الملحمة والخام، مع ارتقاء سعرهما أيضاً.

هذا مع كثرة المتطوعين بإخراجِ الموتى، والتوجُّهِ لفتح الأماكن القديمة المُعَدَّة لذلك، أو إحداثِ غيرها كالدوادار الكبير وكاتب السِّرِّ.

ولقد حَكَى لي مَنْ كان متولياً لذلك عنده أنه ارتقى في اليوم لخمسةٍ وسبعين، وتساهلَ مَنْ يحفرُ، بحيث ظهرتِ الروائحُ، بل ووجدت الأمواتُ بظاهرِ الأرض، إما لنبشِ حيوانٍ أو لغيره. وانتدب للتكسُّبِ بذلك أربابُ الصنائع والحرف والباعةِ ونحوهم.

ومن الغريب ما كُتِبَ به إليَّ أنَّ حبَّةً من الكمثرى اشتُريتْ بنصفِ دينار، وكذا شافهني به بعضُ القادمين، ولكن قال غيرهما: إنَّ هذا ثمن حَبَّتين، فَلَعَلَّهُ في وقتين، إلى غير ذلك من ارتقاءِ سعرِ البطيخِ الصيفيِّ لنصف دينار، والخيار البلديِّ ونحوهما من المبردات، هذا كلُّهُ مع عدم مكثِ المطعونين حتى تحصلَ حاجتهم لذلك.

وبالجملة، فأمرُ هذا الطَّاعون وراء الوصفِ، ويغلبُ على الظَّنِّ - بالنظرِ لما رأيتُه للمؤرِّخين - أنَّ مِنْ بعدِ سنةِ تسعٍ وأربعين وسبعمائة لم يقعْ مِثْلُه.

وفرَّ كثيرون منه، حتى من طلبةِ العلم، إما بأنفسهم، أو بإرسال بَنِيهم، كعبد البر ابن الشحنة وعشيرةُ ابنُ قريبة، فمنهم مَنْ تَوجَّهَ لمكَّةَ مع نائبِ جُدَّة

أو غيره ممن استمرَّ بمكَّة، أو ركب من الينبوع للمدينةِ، ومنهم لجبلِ الطور أو لغيره، وما سلمَ كثيرون من الإصابةِ، بل أُصيبَ بعضُهم في جميع من أرسله، كابن قريبة، فكتب إليَّ بعضُ الفضلاء أنَّه صحَّ له من طريقٍ صحيح أنهم طُعِنُوا بأجمعهم، فطردهم العربُ الذين التجأوا إليهم خوفاً من العدوى زعمـوا، فمـاتَ منهم واحدٌ في رجوعهم، قيل: فوق العباسة، فلم يوافق الجمال على حَمْله، فتركَ هناك إما بدفنٍ غير مُحْكَمٍ أو بغيره، ليحتالوا في حمله، فلما حصل العودُ إليه، وجد الوحشُ طلعَ به أو أكله أو نحو هذا، وليمَ فقيهُ الأولادِ في تقصيره في حمله، هـذا بعد أن أخذ منه للعرب أشياء من ثيابٍ ونحوها. قال: وهذا أقلُّ جزاء مَنْ خالفَ السُّنَّةَ التي يزعمُ تمسكَ شيخهِ بها، ولو قال: هذا جزاء مَنْ يَسْخَرُ بشيوخهِ ونحوهم، ويتهكم عليهم، بحيث يقول وهو بين يدي بعضهم: انظروا إلى هذا الكذب، وربما قال ما هو أبشع وأشنع مما هو حرامٌ إجماعاً، لكان أعلى من مخالفةِ السنة.

وخطب الكمالُ الطويل القادري بجامع الحاكم خطبةً بليغةً تَعَرَّضَ فيها لتقبيح هذا الصنيع بحضرة كاتبِ السر وغيره من أتباعهِ، بل قاسى أبوهُمْ قبل موتهم وبَعْدَهُ من كلامِ الناسِ ما يضيقُ الخناقُ عن سماعه، ويندمُ المسكينُ على ابتداعه وإيقاعه.

وحكي لنا أنَّ جماعة من بلد الكيمان من الغربية فَرُّوا إلى القصير، فلما وصلوا قنـا مَنَعهم أهلُهـا، فأووا إلى جزيرةٍ بوسطِ البحرِ، فماتُوا كُلُّهم إلا واحداً، فالله أعلم.

ووصـل لمكَّـة من جملةِ الفـارِّين من ممـاليك السلطان خاصـةً نحو

الأربعين، بل كان الملكُ رامَ إرسالَ أكبرِ أولادهِ براً مع الدوادار الكبير في ألفٍ من المماليك أو نحوها، فأشارَ أمير سلاح بتركهِ لما ينشأُ عنه من الضررِ، وكون بلادِ الحجاز لا تحتملُ ذلك. جُوزيَ خيراً.

وطُعِنَ جماعة من الأعيان أو مرضوا بغير طعنٍ، وخلصوا كالشافعي فيما قيل، بحيث نابَ عنه في الخطابةِ تارةً البهاءُ ابن المحرقي جرياً على الأغلب، وتارة نقيبه الشمسُ ابن الغرابيلي. قيل: وشكرَ الملكُ خُطبتَهُ، وكالجمالِ الكرماني، والأستادار وناظر الخاص، وكرتباي ابن أخت الملك، وقانصوه نائب برجِ إسكندرية، ومنصور ابن الظاهر خشقدم، وعلي ابن المؤيد أحمد.

وبقي جماعةٌ من المُعَمَّرين المقاربين المئة، كابن البساطي، والخطيب ابن أبي عمر الحنبلي، وأما مَنْ دُونَهم فكالعلاء التُّرْمَنْتي والمهمندار يعقوب شاه، والشمس الجلالي، والتاج ابن عربشاه الحنفيين، والعز الفيومي أخي شُريف، وابن سالم الحنبلي.

ومات لأناسٍ كثيرين من كانوا بهم مُبْتَهجينَ مسرورينَ، وتَخَلَّفَ لهم مَنْ ليس لهم إليهِ مَيْلٌ بوجهٍ، بل رُبَّما هم من جهتهم في أتمِّ كَرْبٍ كما اتفق للسيد الكمال ابن العز حمزة الدمشقي، ماتَ له جواهر مع أمهم، وتَخَلَّفَ له ابنةٌ كان يَستَثْقِلُها، ولقاضي الحنابلة بمصر عوضهم الله خيراً، فسبحان الفعَّالِ لما يُريد، لا رَادَّ لأمرهِ، ولا معقِّبَ لحكمهِ، بل له الحكمةُ البالغةُ، والنعمة السَّابغةُ، ﴿وعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، ٢١٦.

وتحامى كثيرون من المباشرين ونحوهم أشياء مما ذكر الأطباءُ أنها قد تكون أسباباً لوقوع هذا الدَّاء كالحمام، وتجنب ما يُرَطِّبُ البدن، وإدمانِ استعمالِ الخل، ودهن البنفسج، وطين الأرمن، واللادن، وماء الورد، وغيرها مما أرشدهم له رئيسُ الأطباء وغيرهُ، وأمرهم في كلِّ هذا أسهلُ مِمَّنْ فرَّ بنفسه أو بعياله من أشباهِ الفقهاء والطلبة.

ولقد كتب إليَّ بعضُ الفضلاء بما نصُّه: ولولا لطفُ اللهِ تعالى بالعباد، لتطرَّق إلى عقائدهم الفسادُ، وذلك أنَّ من الناسِ مَنْ رحل بأولاده نحواً من ثلاثةِ أيام وأقل، وأكثر ما رحل من رجل إلى جبل طور سيناء، وعادوا سالمين.

واتفق أن قلج ابن صاحب العلايا دَخل مكاناً بالقرب من قنطرة بابِ البحر مجاوراً للخليج الناصريِّ ومعه ستون إنساناً، واستعد للإقامةِ، وأغلق الأبوابَ وقلفطها، فامتنعَ الداخلُ عليهم والخارج منهم، ومكثوا على ذلك من أثناء جمادى الأولى إلى سلْخ رجب، ثم خرجوا كما دخلوا سالمين، وكاد يُفْتَتَنُ بذلك جَمْعٌ من العالمين.

وكذلك الأميرُ مرزا حُسين بن محمد السلطان حسن بك ابن علي بك ابن قَرَايَلُوك ابن أخي سلطانِ العراقين يعقوب بن حسن بك. تركَ عياله، وسكن في فم الخور ببستان هناك، واستمرَّ إلى أنْ فرغ الطعن، حتى إن زوجته وهي ابنةُ عمةِ السلطان المشارِ إليه القادمة عليه للديار المصرية مع أمها في ربيع الأول من التي قبلها فتزوج بها كما أسلفتهُ، ماتت بالقاهرةِ، فلم يحضر للصَّلاةِ عليها، ونجا مع الناجين، ثمَّ إنه حَجَّ مع الركبِ الأول وعاد، وكانت مَنِيَّتُهُ بالمدينةِ النبوية، ودُفِنَ بالبقيع.

وبلغني أنَّ السيد العلاء نقيبَ الأشرافِ بدمشق وأوحد الحنفية صار كُلَّما بَلَغَهُ أنَّ الطاعونَ ارتفعَ من مكانٍ يتحولُ إليه، وقدر أنه سلم، فأثَّر ذلك في جماعةٍ من المزلزلين.

وسعد جماعةٌ بما وصلَ إليهم من الإرثِ والوظائف، ولم يلتفتوا لكونهم من الأهلِ والمعارف، وكمدَ آخرون بفقدِ أحبابهم، وربما نشأ عنه التعرض لجنابهم، وكثر الموتُ فجاءة أو شبهها كما اتفق بمكة في حرشان ابن شميلة، وسالم بن توكّل، وعبد القادر بن زبرق، وطائفة ضبطتهم.

وشاركت مكةُ القاهرة في موتِ جماعةٍ من الغرباء، كالنقيبِ علاء الدين المحلي الحنفي، وأحمد المنوفي قريب النور الكلبشي، ومن ضبطته، وصُلِّي على خَلْقٍ من الغائبين في أوقاتٍ مختلفة، كابن لصاحبِ كِنباية، والتاج عبداللطيف ابن الجيعان، واحتفل شافِعيُّها لهما بالبخور وما جرتْ به عادَتُهمْ.

وفي ربيع الثاني جاء السيد صاحب الحجاز وأولاده ورئيسهم، بل قيم والده الزيني بركات وبعض عساكره، واجتمعوا مع الشافعيِّ والمالكيِّ، وأمير الراكزِ والمحتسب، والجمال محمد بن الطاهر بالحطيم، وقرئت ثلاثة مراسيم للشريف، ولولدِه الزيني والشافعي مؤرخة بتاسع عشري صفر، ومُحَصَّلها الإعلامُ بوصولِ كتبهم وإعادةِ أجوبتها مع الزين عُطيفة حاملها شفاهاً، وبشكر أميري الحج منهم، وبإرسال الخلعِ للشريفِ وولده وللشافعي بمكة وجدة وللباش والظاهر والمحتسب، ولبسوا كلهم.

وفي يوم الجمعة حادي عشره هَبَّتْ ريحٌ عظيمةٌ سقطت بها خوذة المنار

الأول لجامع الحاكم وعدة شرفات بجدة البحري وبازنج الباب البحري، وكذا شباك القبة بمدرسة حسن، فتكسَّرَ، ثم سبك إلى غيرها من عمد من منابر مدارس بالصحراء والقاهرة.

وفي جمادى الأولى استقر برد بَك الفقيه الخازندار الأشرفي وأحد العشرات في نيابة جُدَّة عِوَضَ تَنَم الخازندار لاستعفائهِ وسؤاله أنْ تكون النيابةُ لأخيه طَرَباي المُتَخَلِّفُ بَعْدَهُ في مكة، وذلك بعد إلباسها تَنَماً ثم أُمِرَ في المجلس بخلعها، وأُلبست للمشار إليه، وكأنه حين أظهر الكراهة للسفر أو لغير ذلك.

وأذن للكريمي عبدالكريم المقسي في السفر معه على عادته صيرفياً، بَلْ وضابطاً لأبي النجا ابن البقريِّ على عادته مباشراً، وعلى أولهما المُعَوَّلُ. خلّصه الله.

ثم في العشر الأخير منه لبس النائبُ خلعةَ السفرِ، وسافر حينئذٍ من المماليكِ السلطانية نحو خمسين، إلاَّ مَن استأذن، ومنع منهم ومن غيرهم من المباشرين والأعيان.

وممن سافر: فقيه النائب الشمس محمد بن إبراهيم السمديسي الحنفي شيخ الجانبكية، وعيال الشهاب الشِّيشِيني الحنبلي وبَنُوهُ، ومحجوره ابن باهو، ثم أدركهم هو والزين عبدالرحيم المنشاوي الحنفي شيخ القانبيهيّة وابناه، وأبو السعود ابن الشيخ مدين المالكي وجماعته، والشهاب الخانكي الحرفوش، ومعه ابنه وأمه وغيرهما، والشهابُ أحمد بن عبدالغني المنوفي القاهري الكاتب عند وفاء الجُغَينماتي، وأخو النور علي أحد نُوَّابِ الحنفي، والجالس عنده شاهداً، ولهما انتسابٌ في الجملة بالشيخ خالد شيخ سعيد

السعـداء، ويوسف ابن أختِ الشهابِ الفَيُّومِي، والشهابُ أحمد بن تَنْبَك ومعه أمه وأخته وزوجته وعيالهم، والتقيُّ وأخوه ابنا البدرِ القِمَنِي الوكيل، وعيالُ الناصريِّ محمد ابن جمال الدين، وامتنع ابنُهُ الكبيرُ من السفرِ معهم، فقدر موته، وبنو البدر حسن الرِّفَاعي.

ومن أهل الحرمين النجميُّ ابن ظهيرة، والنسيم عبدالغني المرشدي، وعثمان بن عبدالعزيز بن عبدالسلام الشراري الأصل المكي، وأخته وولدها ابن الأُصَيْبَعاتي، وقاضي المدينة الحنفي والمالكي، وكان كلٌّ منهم توجَّه مع الركب، فأدركهم الطاعون فرجعوا.

وكذا كان توجَّه بحراً العَلَمُ صالح ابن الضياء أخو قاضي الحنفية بمكة، فلمـا سمـع بالـطاعـون رجع من أثناء الطريق كعمر بن عبدالعزيز بن بدر المدني، ولم تتم السنة حتى مات.

ومن تجار إسكندرية: شعبان بن كبة، وابن أخته علي بن إبراهيم بن صدقـة جار الحنبلي، والشهير بجـدهِ، ونـور الدين علي ابن الفنيش والد صلاح الدين، وأبو الخير ابن سلامة، وعيالُ الشريف إسحاق صهر قاوان من بنيه وغيرهم، وعيالُ أبي الفتح بن كرسون، وكُلُّهم وصل لجدة،ثم لمكة إلا مَنْ مات منهم في الطريق، وهم عشرة من المماليك فأزيد، وبضعة عشر من جماعة ابن مدين، وثمانية من عيال ابن كرسون كابْنَيْهِ، وخصيٌّ كان عنده عزيزاً، ويقال: إنه ارتقى عَدَدُ مَنْ ماتَ من الواصلين من حين خُروجهم من القاهرة وإلى دخولهم مكة لمئتي نفس، وإلا من توجَّه من الينبوع للمدينة، وهم القاضيان الحنفي، والمالكي، والنجمي، وصالح، وابن تَنْبك بعد موتِ

ابنةٍ له، وعيال الرفاعي.

وكـان مسيرُ الواصلين لجدة براً وبحراً وإقامةً سبعة وثلاثون يوماً، ولم يلبثْ صالح وابن عبدالعزيز أنْ وصلا، أوّلُهما في أواخر رجب، وثانيهما في رمضان.

ثمَّ إنه مع عثمان أحد المذكورين مرسومُ الخليفةِ باشتراكه هو وأخوه علي، مع الزَّمَازِمَة[1] في مشيخةِ سقايةِ العباس وبئر زمزم، مع أنهما غير منسوبين للزمازمة إلَّا من جهةِ الأم، فأمُّ جَدِّهما عبدالسلام هي عائشة شقيقة إسماعيل وإبراهيم بني علي بن محمد بن داود، فباشرا ذلك بتمكينٍ من الشافعي ناظرِ المسجد الحرام، اعتماداً للمرسوم الذي جاء به من أثناء رجب، وتألم الزمازمةُ، ولم يجدوا مُعيناً، وبالغ الآخرون في استعطافِ الناسِ وجلبِ الخواطرِ إليهم والاستئناس.

وأرسل النسيمُ تنفيذَ أمرِ القضاةِ الأربعة لشيءٍ كان وقع الاشهادُ به مما لم يوافقْ عليه شافعيُّ مكة يقتضي مطالبةَ زوجةِ والده بما وضعتْ يَدَهَا عليه من تركته، فلم تُذْعِنْ، بحيثُ سافر مع الركبِ إلى القاهرة عوداً على بدء.

وكذا لما كان النجميُّ بالقاهرة، كان منتمياً للبدريِّ أبي البقاء ابن الجيعان، وطلع إلى السلطان، إمَّا مع عبدالرزاق أحد من يؤم به، أو مع غيرِه، قُبيلَ الغروب، فجلسَ معه، وقال: إنه بَشَّ له، وسأله: لمَ سُمِّيَ العيدُ عيداً والمحرابُ محراباً، وغير ذلك مما يحكيه، وانفصل عنه بدون

---

(١) الزَّمَازِمة: إنما تعني هاهنا الذين يتولون شئون سقاية بئر زمزم.

طائلٍ، ولكن تحمل معه البدري، وتحمل جرياً على عادته، سيما مع أهل هذا البيتِ، واستمر مقيماً بطَيْبَة مع زوجته الجديدة ابنة الفخري العيني.

وكـذا ابن تَنْبَـك ومَنْ معه، وعيال ابن الرفاعيّ، حتى رجعوا في ليلةِ الخميس تاسع عشري شوال مع القافلةِ التي رأسها قاضي الحنابلة بالحرمين السيد محيي الـدين الحسني الفاسي، وفيها من ساكنيها الفاضلُ المدرسُ الشمسُ البِلْبَيْسِيُّ، بل صادفَ القافلةَ زيارةُ صاحبِ الحجاز، فارتفقتْ في رجوعها بحسِّه. وقد كان بروزُ القاضي من مكة في ثاني عشري ربيع الثاني. رزقنا الله وإياه، بَلْ إياهم القبولَ والإقبالَ والإخلاصَ في الأفعالِ والأقوال.

واستمر النائب بجدة من ليلة سابع رجب إلى أنْ قدمَ لمكةَ في ليلة عشريه.

وقدم السيد صاحبُ الحجاز وابنه الزيني وجماعته في عسكرهم من جهةِ الشـرق، فلقوه هم وأميرُ الراكز بالزاهر، فَخُلِعَ على السيد وولده والأمير، ووصلوا بأجمعهم إلى المسجـدِ الحـرام، وتلقَّاهم الشافعيُّ وإسحاق وابنُ الـزمن، إلى أنْ جلسـوا بالحـطيم تحت زمـزم، وأُعطي السيد والشـافعي وإسحاق مراسيمهم، فقرىء الأولان خاصة وتاريخهما ثاني عشري جمادى الأولى، وفيهمـا تعـظيمُهما، وطَلَبُ مساعدتهما للنائبِ ومَنْ معه، وأنه مع النائبِ قائمة، وألبس كل من الشافعي وإسحاق وابن الزمن خلعةً، ومشى الناسُ مع الشافعي إلى بيته، وسافر وجماعتـه آخر يومهم لوادي مَرّ[1].

(١) وادي مَرّ: بالفتح ثم بالتشديد وهو مرُّ الظهران: وهو موضع على مرحلة من مكة المكرمة (معجم البلدان ٥/١٠٤).

ثم سافر الشافعيُّ وجماعته والنائبُ وجماعته لجدة، وتُحدِّث بوجودِ العلة فيها، وكأنه ـ إنْ صَحَّ ـ كانت في القادمين. نعم وقعت العلَّةُ المُتْلِفَةُ بغرقِ المراكب كما سيأتي على أنه لا مانعَ من دخولها جدة.

وأما مكة، فهي ـ وإن لم يُرْوَ حديثٌ في منعِ دخولِ الطاعون لها ـ فقد استُقرِىء عدم وقوعِهِ بها إلحاقاً لها بالمدينة النبوية الثابت الحديث فيها، وما ذُكِرَ من وقوعه فيها في سنة ثلاثٍ وتسعين وسبع مئة، ثم في سنة سبع وعشرين وثماني مائة، بَلْ قبل ذلك كُلّه في سنةِ تسعٍ وأربعين وسبع مئة، فإما أنْ يكونَ تُجوِّزَ في تسميته طاعوناً لكثرةِ الموتِ، مع كونهِ بغيره، أو لغير ذلك، أو هو على حقيقته لعدم ثبوتِ ما يمنعه.

وتكاملت المراكبُ في شعبان وهي تسعٌ من كاليكوت، واثنان من كنباية، وكذا من هرموز، وواحد من دابول، ووصلت عدة جلاب من الشام، فباعوا واشتروا، ثم رجع التجار لبلادهم بعد انتهاء أربهم شيئاً فشيئاً، وأول من سافر: الدابولي[1]، وآخرهم الكنبايتيان[2] والهرموزيان[3].

وسافر بين ذلك في صبح يوم الخميس ثاني عشري شوال مراكب كاليكوت، ولم يسافر من تسعتهم إلاّ خمسة، ومنها عُكيْرة وتابه، وكلاهما لابن الزمن، فغرقت التابه ثاني يوم صبح يوم الجمعة، والعُكيري آخره في ليلة السبت، وطرق الخبر لجدة به أولاً، ثم بالآخر، وفيهما من الخَلْق نحو ست مئة نفس، ومن الأموال ما يفوقُ الحصر. ونجا بنفسه من كُلٍّ منهما بالسنبوك طائفة، فمن العكيري بضعة وثلاثون نفساً، منهم أبو الفتح محمد

(١)، (٢)، (٣) أي: المراكب التي تؤول إلى تلك البلدان.

ابن الخـواجـا المرحوم الشمس محمد بن عبدالغني ابن كرسون المصاب أولاً، ومعه ابنٌ له مميز، وأحمد بن يوسف بن صدقة الحلبي، والخواجا علي ابن حسن صبي ابن مرعي، وأحمد بن محمد بن عثمان القروي المصري نزيل مكـة، ويُعـرف بالخياط وبـالشاعر، ومثقال لعلي ابن الطاهر وولده، وجوهـر النَّاخُوذَة[1] لابراهيم ابن الزمن، ومع كل من الأخيرين فاتية فيها ما معه من النقد.

ومن التابه دون العشرين، وممن علم بِعَيْنِهِ مِن غَرْقَى الأولى: محمد ابن عبدالقادر بن سليمان البرلسي صهر علي بن عبداللطيف وقريب ابن مرعي ويوسف ابن صدقة الحلبي، وابنه حسين، وأحمد القليوبي ابن أخي الخواجا علي الذي كان يتردد لجدة مع ابن رمضان وغيره، وهبة الله بن محمد بن قُريع الحموي.

ومن غرقى الثـاني محمد النَّشْتَراوي الشهير بالبُرُلُّسِي العطـار بباب السلام، والخواجا علي بن رجب الزيتوني.

وارتجت جدة ومكة لذلك، وكان ما يحاكي الطاعون في الجملة، سيما وقد جاء تلوه الخبر عن كسر مُرَوَّس لبدر الأشرفي الحبشي الذي كان اشتراه من أحد المراكب التسع في توجهه لجهة الطور بالقرب من الينبوع، ولكن حصل الطلوع بما فيه أو جله، وسافر مولاه من مكة له، ثم عاد.

---

(١) النَّاخُوذَة: قال في القاموس: النَّواخذة مُلَّاك سفن البحر أو وكلاؤهم معرَّبة الواحدة نَاخُذَاة اشتقوا منها الفعل وقالوا تَنَخَّذَ كتَرَأَّسَ (القاموس المحيط ١/٣٦٠).

وقبل ذلك تُحُدِّثَ بغرق جلبة أخرى تُعرف بابن عزوز من هذه الجهة، بل وفي شعبان غرقت جلبة واصلة من زيلع[1] فيها ركاب ورقيق وحبٌّ، ولم يَنْجُ منها إلَّا القليلُ جداً، وقال لي بعضُ مَنْ نجا منها عن بعضِ الصلحاء: إنه قال لبعض ركابها: مالَكَ وللبحرِ في هذه السنة، أو كما قال.

والطامةُ الكبرى غرقُ المسماري الآتي من السويس بالقرب من الطورِ كما سيأتي قريباً. ثم بعد ذلك قبل انتهاء السنة غرق مسماري لابن الأدمي فيه شيءٌ كثير جداً وخلق.

ووقع في عصر العشرين من ذي القعدة حريقٌ بناحية الشبيكة احترقت فيه امرأة، وصُلِّيَ عليها قبل العشاء. وكذا في أول النهار بعينه اشتعلت النار في مستوقد حمام زقاق الحجر، لكن لم يتلف بها أحدٌ. ولم تتم السنة حتى كسفت الشمسُ في ثامن عشري ذي الحجة كسوفاً خفيفاً، وصُلِّي لها وخطب. فأين المعتبرون من ذوي المصاحبة والمراقبةِ، فضلاً عن المارقة الجديرة بالمعاقبة. والله يحسن العاقبة.

ومن الجلاب الواصلة من جهة الشام جلبة في عصرِ مستهلِ شوال وفيها أناسٌ كثيرون من الحجاج وغيرهم.

ثم ترادفتِ الجلابُ، وتأخَّرَ كل من المسماريين عن الوقت الذي كان يُظنُّ مجيئُه فيه، وكثر الارتجاجُ بتأخيرهما، للاحتياج لما فيهما، إلى أنْ تحقق غرق أكبرهما، وفيه لأمراء الحاج والناس شيءٌ كثير يفوقُ الوصف،

(١) زَيْلَع: من موانىء بحر القُلْزُم (الأحمر) الجنوبية وهي تتبع الحبشة.

ومن الركاب نحو أربع مئة نفس، طلع منهم في السنبوك وغيره نحو الربع.

وارتفع سعرُ الدقيق والفول جداً، بحيث بِيعَ حِمْلُ الدقيق بعد سبعة دنانير ونحوها باثني عشر، بل بأربعة عشر، بل في آخر الأمر بثمانية عشر، وويبة الفول بدينار أو دُونه.

ثمَّ إنه كان وصولُ الشافعيِّ هو وجماعته من جدة لمكة في ليلة الاثنين سادس عشري شوال، وباشر ولدهُ الصلاحي الخطابةَ بجدة، سيما في يومي عيد الفطر والذي يليه، وكَثُرَ الثناءُ على تؤدته وحُسْنِ تأديته، وكان معه من طلبة أبيه وجماعته نبلاءُ وفضلاء، كما أنه أحسن حيث قرأ على والده بحضرة الأكابر وغيرهم، حتى كان ختمه «للبخاري» بالمسجد الحرام تجاه الكعبةِ في سادس عشري رمضان، وختم قبل ذلك «الشفاء» وغيره على كاتبه كما تقدم، وكان محروساً مأنوساً في كلِّه.

وربما كان والده يخطبُ بجدة بأتمِّ خشوعٍ وبكاء وخضوع وبهجة وتَضَرُّعٍ وتوجُّهٍ وتوجُّعٍ، ويديمُ الإمامةَ للصبح بجامعها، مما لم يفرح في هذه المدد بمثله. حظِيت يا جدة وبقيت لك سوق. كفاهما الله كل محذور، ولطف بهما في جميع الأمور، وحرس بيتَ الله ممَّن يرتفعُ على المنبر، ويكذبُ في يومِ عيد الفطرِ على رسولِ الله ﷺ، ويَشِينُ خطبته بذلك، بل ختم عند الشافعي بالمسجدِ الشريف «البخاري» و«النسائي» و«الشمائل» مما قُرِىء لسلطانِ الوقت والظاهر جقمق وناظر الخاص، وكانت لكلِّها ختومٌ معلومةٌ، ورسومٌ مفهومة، بأسانيدَ وأناشيد، وخلع مما فيه تعظيمٌ للسُّنَّة ونَفْيٌ للبدع.

واعلم أنه قد ماتَ من أربابِ الوظائفِ بجدة فيها معلمُ القبانية أبو بكر ابن علي بن مفتاح، ومعلم الدلالين أحمد الجوهري الأعرج، ومعلم العتَّالين عمـر المصري، فالأول كانت وفاتُه بمكة، والآخران بجدة، وحُمِلا إليها، ومُقَدَّمُ مُبَاشِرِيها لصاحبِ الحجاز من سنة تسعٍ وثمانين مولاه مفتاح المغربي السجـرتي، وكبير التجار، بل خاتمتهم الشمس ابن الزمن، وكل هذا مما يتوصلون به في هذه الأزمان لاستئصالِ الترك، بَلْ ربما يكلفون ورثتهم لما يعجزهم. ونحوه موت بركة شيخ مغاني المسفلة.

واستقـر أمير مجلس تاني بَك الجمالي أمير المحمل، وكرتباي قريب السلطان، وشاد الشربخاناه، والمتزوج ابنة المرحوم يشبك الدوادار الكبير، وهي ابنة ابنه المؤيد أحمد أمير الأول، وسافرا ومع كُلٍّ منهما من مماليكِ الملكِ عددٌ كثير.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشري ذي القعدة جُرِّدَتِ الكعبةُ على جاري عادتهم مما يُسَمُّونَهُ الإحرام(١).

ثم في ظهـره وردَ جماعةٌ من الحاج ومعهم أبو القاسم الهدوي سواء سواء، فارقوه من الينبوع ولم يخبروا بما يَسُرُّ. ثم في وقت الغروب من يوم الأربعاء قدم جماعة نحو عشرة، فارقوا من رابغ، ثم كان تمام دخول ركب الأول لمكة في يوم الجمعة ثامن عشريه ومعه زوجته.

وفيه الأمير شاهين الجمالي ليكون شيخَ الخُدَّامِ بالمدينةِ النبويةِ على

(١) وهو الثوب الذي يُجدَّد في كل عام، وما زالت هذه العادة سارية ومُتَّبعة في وقتنا الحاضر.

عادته ومعه ألف دينار ومئتا دينار مع قنطاري سكر لابن حاتم المغربي من الأتابك، بل وتَجَدَّدَ له في هذه السنة في منى بسوق العطارين مكان يشتمل على دكاكين وحواصل وطباق تجتمع من أجرته نحو سبعين ديناراً بهمَّةِ قاضيها الشافعي في تحصيله أولاً، ثم في بنائه ثانياً، ومع ذلك فعامله بما يليقُ به ليكون مُصَدِّقاً لما قيل: اتَّقِ شَرَّ مَنْ تُحْسِنُ إليه[1]، والأعْمَالُ بالنِّيَّات[2].

وحسين مرزا بن حسن بَاك، ومات في رجوعه بالمدينة، وتعطَّلَ عليه وعلى الملك ما كان العزمُ وقع عليه من الاستقرار به في مملكة العراق، كما تعطل أمر جمجمة بالنسبةِ لمملكة الروم، ممَّا كان الأجملُ والأكملُ والأنفعُ تركه عنده كما فعل في السيد علي بن بركات صاحب الحجاز، ولكنْ بلغنا أنَّ السيد رُميثة بن بركات خرج مغاضِباً لأخيه، ووصل إلى القاهرة من القصير قبل دخولِ الحج بثلاثة أيام ونحوها.

وسافر السيد عنقا للتكلم في شأنه، وبلغنا أنه عند الدوادار الكبير، بل نزل ببيتٍ لمثقال الحبشي عند باب البرقية، وانضمَّ عليه جماعة، وقرر له في كل يوم ديناران، وهو ملازم لبيته، ولم يجتمع بالملك إلى وقت تاريخه ربيع الثاني، والأمر كلُّه لله.

وأم الكمالي ناظر الجيش ابنةُ الكماليِّ ابن البارزي، ومعها ابنةُ ولدها

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة: لا أعرفه وعنه نقل العجلوني في كشف الخفا، وهو يشبه أن يكون من كلام بعض السلف ولا يصح حديثاً مع كثرة تداوله بين الناس.

(٢) حديث إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات: متفق عليه، ورواه كثير من أصحاب كتب السنن والمسانيد والمعجمات عن عمر بن الخطاب، وقد روي عن نحو سبعة عشر صحابياً، إلاّ أنه لم يصح إلا من طريق عمر رضي الله عنه، فهو فرد غريب باعتبار أول سنده، ومشهور باعتبار آخره.

المرحوم الكمالي ناظر الجيش المعقود لها على شاهين، ولم توافق على إرسالها معه للمدينة ليبني بها فيها، بل ولا أنها تتوجه بها في أثناء السنة للزيارة، بل حتى ينقضي الحجُّ من التي تليها.

وبيبرس الأشرفي إينال أحد العشراتِ بدل نانق، والمتكلّم في جهات المؤيد المقدم له.

وفي الركب ابن الشيخ إبراهيم الحموي الواعظ، وابنته زوج الشريف علي بن عبدالحق شيخ بَلْقَس[1] وأمها، وأخو إبراهيم الحموي، وأبو الوفاء حفيد القاياتي، وأخو أبي السُّعُود، ومعه ولده، والزين عبدالرحيم بن صدقة المُحَرَّقِي وولده، وعبدالرحمن ابن إمام الكاملية، وسقط في أثناء الطريق مِنْ على بهيمٍ، فانصدع رجله، وكاد يحمل بمكة، وأبو الغيث ابن كتيلة، وابن تقي الدين ابن وكيل السلطان، وعبدالقادر بن محمد ابن الشيخ عمر النَبْتِيتي، وعُبيد رفيق الخولي، والشمس البَتَنُوني رفيقُ الشهاب السُّنْباطي، وعبدالرحمن جابي الباسطية، وابنة عبدالرحيم ابن الجيعان، وأمها، والمحب ابن عبداللطيف السنباطي.

وأَخْبَرُوا بضيق الماءِ بعجرود، بحيثُ احتاجوا إلى الارتواء من السويس وغيره، وكان الماءُ بالسويس كثيراً، وبأن الربع الأول كان شديد المشقَّة، مع الرخاء بطول الدرب في البقسماط والزاد، وموت قليل في الجمال لشدَّة الحرِّ، وأنَّ الأمير شاهين دبَّر أميره في حسن السير، مع غَلَبَة المماليك بالتعقيب.

---

(١) بَلْقَس، ويقال لها بِلْقاس وهي من الوجه البحري بمصر.

ثم في يوم السبت دخلَ المحملُ وقاضي الركب الشَّارِمْسَاحِي وفيه من الحاج المحب ابن الشافعي زكريا، والخطيب الوزيري، وناصر الدين العجماوي، وكان على السحابة المزهرية، وإبراهيم المواهبي وولده، ومحمود ابن البرهاني ابن الديري، والنور علي النفيائي الأزهري، والشهاب النَّشِيلي، وأبو بكر الظاهري، وهو على صَرِ الشافعي، وأكمل الدين محمد ابن خير الدين الشَّنَشِي، وهو على صَرِّ الحنفي، وأسد النشيلي التاجر، وبدر الدين الحِجَازِي الميداني، وأحمد ابن السماك، وعلي بن زُوَيْن كاشف الغربية كان.

وممن وصل مع أحد الركبين: مجلي، والشريف ابن الشهاب الدقاق المصري، وجلال زوج ابنة ناظر الجوالي النور علي البَتَنُوني، ومعه زوجته وأمها، وعلي بن ناصر الدين بن بدير وأخوه، وعبدالله الشُّبْرَاوِيشي، وعبدالله الصعيدي، وابنة أبي بكر ابن البرقي زوجة ابن عمها المرحوم أبي اليُمن، وسورباي التركية أم ولد الحنبلي، وأبو الخير ابن الزريكشي ومعه أبو جلال الرسول وابنهُ وزوجتاهما، والشريف الصبّان المصري، وصهره الشريف عبدالرحمن القباني، والشهاب ابن الشيخ حسين المديني خطيبها، وأخو إبراهيم الماضي، ومحمد العسيلي ومعه زوجته، ومات ابنهما في منى، وحمله أبوهُ إلى المعلاة، فدفن بها عند خاله.

ثم قدم الغزاوي وفيهم شخص مُعْتَقَدٌ بينهم يقال له: محمد الجلجولي، ثم الحلبي، وفيه المحيوي عبدالقادر ابن الأبَّار الشافعي وغيره من فضلاء الحنفية، بل قيل: إن فيه ابنة ابن حسن باك أخت حسين مرزا، وابن أَزْدَمُر نائبها.

ثم الشامي، وفيه أبو البقاء ابن عبدالرحيم ابن البارزي، وعبدالرحيم ابن الموفق العباسي.

ومـع المقـادسة الشمس محمد بن أبي العباس الواعظ وعمه خليل، وحسن بن الشويخ، والشمس ابن يُونس. أحدُ من وَلِيَ قضاءَ القدس وغيره.

وممَّن قدم من البحر: الزينيُّ خليل بن محمد ابن أخي أمير المؤمنين الآن، وصحبته الشهابيُّ القَسْطَلاني، وكان وصولهما مكةَ ليلةَ الجمعة تاسع شوال.

وكذا قدم قَبْلَهُ بيسيرٍ البدرُ القِمَنِي الوكيل، ومعه زوجته، وأفاد أخباراً، وبعده عبدالقادر بن أبي البقاء الغُزُولي، ومعه أخته وغيرها، وأخبر أنه مُسَلِّمُ حمل أمير المحمل، فهو من جماعته، ونور الدين علي الجراحي على حمل لكاتب السِّرِّ أصناف وغيرها سلَّمه للجمال محمد بن الطاهر، وبدر الدين البنجوري على حمل لابني سالم، وابنه ابن شيرين، لتحركهما للمجيء، ثم بطل كغير واحـد ممن بلغنـا مجيئهم، كالقـاضي الحنفي وزوجتـه ابنة العضدي السيرامي، وعلي ابن المؤيد أحمـد إينـال، والنجم ابن عرب، والشرف يحيى الدَّميسي، وخالد النحوي، ثم بطل كما بطل عزم محمد بن عنان أحد الصلحاء من أهل بَرْهَمَتُوش[1]، وكذا ممن جاء بحراً عبد الرحمن الحموي رفيق السلموني.

واستمر ترادفُ القادمين من البحر إلى يوم الصعود، فكان منهم البدريُّ ابن أحمد ابن الفخر ابن أبي الفرج زوج ابنة الشرفيِّ الأنصاري، ويحيى ابن

---

(١) بَرْهَمَتُوش: قرية كانت تتبع الشرقية من مصر (قوانين الدواوين/ ١١٠، والتحفة السنية/ ٢٤).

البرهان إبراهيم الأنصاري، ونور الدين علي العزي. ومِمَّن وصل يوم الصعود، ولكن لم يمكنه الإدراك: الفاضل الشهاب المنزلي ابن القطان، ثم كان دخوله مكَّة في ليلة الخميس تاسع عشر ذي الحجة، والشريف غياث الدين، أخو نقيب الأشراف، ودخل مكة بُعيده، ومن العجب أنه لم يعتمر لعجزه - زعم - عن السَّعي، بل والطوافِ، ثم رجع في البحر أيضاً. وتوالى المجيء بعد ذلك وقبله. شكر الله سعيهم.

وكان الوقوف يوم الثلاثاء، إذ أولُه بتكملة العدد الاثنين، وليلة الأحد كان الغيمُ المُطْبقُ، ولم يتحدث أحدٌ برؤيتهِ من القادمين والقاطنين، ولم أرَ جمعاً أكثر منه فيها، واتفق أهل مكة على ذلك.

وحصل في يوم عرفة بها هواءٌ قويٌّ، ثم مطر، ونزلت حينئذٍ صاعقة بأرضها مات منها بعض العربِ سوى من أُغميَ عليه منهم. وحصل بمكة مطرٌ في يوم العيد، وزال عن قرب، ثم عاد في ثالث عشره بمكة.

وسافر الأول مساء الجمعة، والمحمل مساء السبت، والغزاوي صباح الإثنين، والحلبي ليلة الأربعاء، والشامي ضُحى الأربعاء سابع عشره، وجمع كثيرون من اليمانيين وغيرهم ليلةَ الجمعة الماضية قريباً، ثم السيد عنقاء بالأجوبةِ عن قريبه صاحب الحجاز وغيره للملك وغيره بعد ذلك ليدرك الحج في الينبوع. وممَّن سافر من مكة مع الركب: النجمُ ابن ظهيرة وولده عبد القادر، وأبو الطيب النَّقَاوِسي المغربيُّ، وكان مجاوراً بها سنةً، وعيان بن بيان، وكان مجاوراً أيضاً، وأقاموا بالمدينة. والشهابُ ابن حاتم المغربي، والفخر أبو بكر السُّلمي، ونسيم الدين عبدالغني ابن المرشدي، وعبدالقادر

ابن أبي اليُمن، ومحمود الفومني الحنبلي، والسيد غياث الدين شيخ رباط ابن الـزمن، وأحمـد بن حسين الفتحي، والشمس محمد بن عبدالسلام، والنور البحيري المالكي، وهما مع الشريف إسحاق.

ثم في البحر: العَلَمُ صالح ابن الضياء، أخو قاضي الحنفية بمكة في آخـرين برّاً وبحـراً من التجـار وغيرهم، بل رجع ـ كما أسلفته ـ الشريف الحنفي أخو نقيب الأشراف ـ كان ـ بالقاهرة.

ثم جاءت الكتبُ من الينبوع، وفيها أن مُبَشِّرَ الحاج خرج عليه جماعةٌ من عنـزة بعـد أكري، فجرحوه في أماكن، وأخذوا قماشه وما كان معهم، فتبعهم أهلُ الدرك قبلَ استقرارهم، فألقوا ما أخذوه سوى الدراهم.

وبادر بعضُ شيوخ بلي يقال له: شاهر ابن [. . . .][1] إلى تجهيز قاصدٍ بالكتب، والـظاهر تأخر وصوله عن المعتاد أياماً، وفيها أنَّ مملوكين للأمير ـ أظنه أمير المحمل ـ تخاصما، فقام الأمير عليهما، فتغيبا، وذلك عند بركة طاز، فرسم على أهلِ الدرك، فحصلوهما، ولكن لم يتمَّ الأمرُ إلَّا بعد سفر الركبِ، فترك معلومهم، وأمر أنْ لا يدفعَ لهم إلا بعد إحضارهما.

وقـاسى الحـاجُّ في الـرجوع شدَّةً بسببِ فرارِ بعض المقومين، وعجز بَعضهم، بحيث يرمي راكبه تعززاً حتى يُرضيه ولا يجدُ له محملاً، فلا يَسَعُهُ إلا الكـري مع غيره، وربما لا يجدُ، فيكتري مَنْ يكونُ مع المصري مع الغزاوي، كلُّ ذلك بسبب العليق وغلُوِّه، أو عدمه، فإنه بيع أولاً كل ويبيتين

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل.

بدينار، ثم رجع إلى ويبة، وعند الرحيل لم يوجد.

وكذا ارتقى الدقيق لتسعة عشر بعد اثني عشر فأقل، والجمال خاويةٌ. وعلى كلِّ حال، فَلَطفَ الله وجمَّل.

ولما وصلوا لسطح العقبة من السنة الجديدة، حصل للأول مع عرب بني لام لقية، وأخذوا منه جماعة، رأى المحاملية مواشيهم وأدباشهم مرمية بالطرق، ولم يتمكنوا من أخذ الملاقاة كما سيأتي. وكانت الأماكنُ قبيل الموسم وبعده في غاية الغلو والعزة، سيما التي حول المسجدِ، لكثرةِ الخَلْق، وسُكِنَتْ دُورٌ وعشش لها مُدَدٌ لم تُسْكَن، وارتفق أربابُها بذلك.

ومن الحوادث فيها: استقرار قيت الرجبي البشمقدار والياً عوض سميِّه قيت الساقي لوفاته.

وكذا أُعطي شادبك بن مصطفى الدوادار الثاني تقدمة مغلباي لوفاته أيضاً، وسكن بيته، وكان رام التخلِّي عن الإمرةِ حين ضعفه وانقطاعهِ عند الشيخ قَرَنْدَل بجامع كراي، فما وافقه الأمراء، وقاموا عليه حتى قبل، واختار الإقامة ببرجِ الملكِ بإسكندرية لحراسته، قصداً للخيرِ وانجماعاً عما يشاهده مما يعجزُ عن دفعهِ، مع مزيدِ شجاعته وفروسيته، بحيث كاد الانتصار للأتابكِ من أمير آخور في التجريدة.

وصار عوضه ماماي الأشرفيُّ بعد رجوعهِ من حلب، إذْ توجَّه لتسكين الفتنةِ بين أهلها ونائبها، ومعه المُحِبُّ القَلْعيُّ، وتوفي بها دواداراً ثانياً.

وأُعطي جَان بلاط تقدمة جانم قريب السلطان بعد موته، وتزوج ابنةَ

المؤيد ابن الأشـرف إينال، ثم توفيت بحبة بالطاعون، ودفنت بتربة جدها بالصحـراء، وعُقِدَ له على ابنةٍ للزينيِّ ابن مزهر من أمه، واستبدل له بيت الزيني عبدالباسط المقابل لمدرسته مع تلك القصور والديار بنحو ثلاثة آلاف دينار أو أقل. جلُّ ذلك بعد قدومهِ هو ومَنْ كان معه كالفاضل البدر بن جمعة الحنفي إلا القليل لفنائهم في حلب ونحوها بالطعن حين كان موجوداً به من الروم.

وترادفتِ الأخبارُ بإكرامِ ابن عثمان جداً للأمير، بحيث رامَ أولَ ما قدِمَ عليه إجلاسه تجاهه على مرتبةٍ، فامتنع وأمَر أمراءه بالخروجِ، فحلفَ عليهم ليرجعوا، وناله من الهدايا والإنعام مالا يُوصَفُ، مع تقدمتهِ أيضاً له ولأركانِ مملكته، وتكرر اجتماعه معه، وقال له حين الوداع: سَلِّمْ لي على والدي، يعني به الملكَ، وأمير كبير، وأمير سلاح، وأمير آخـور، والدوادار الكبير، وأرسل لكلهم بهديةٍ مع مفاتيح القلاع التي سلمها إليه قُصَّادُه الذين رجعوا في خدمتهِ لقلعةِ الكولك بعد إخراجِ نائبه منها، وكانت محمولةً مع بعض جماعتهِ على يديه معاً في كيس أصفر، وسُرَّ المسلمون وغيرهم بذلك، وجاء الكَفُّ عما كان يذكر أن التجاريد سببه. والله يحسن العاقبة.

وسافر من المدنيين عفيف بن مُسَدَّد وأخوه إلى الرُّوم من ناحية دمياط لعدم وجُود أربهما في القاهرة، وسلمهما الله، وجاء كتابهما من أثناء الطريق، فسُرَّ أهلهما.

وتكـررت الإشاعةُ في القاهرة بأخذ ابن عثمان لرُودس، وما صحَّ لي ذلك، فالله أعلم.

واستقر في نيابةِ القدس مع نَظَرِ الحرمين جان بلاط الأشرفي بعد موتِ أخيه خضر بك، وشُكِرَتْ سيرتُه كأخيه بالنسبة لمن قبلهما. واستقرَّ في قضاء المالكية بالقدس بعد ابن الأُزَيْرَق بركات ابن الشيخ محمد ابن الشيخ خليفة.

وفيه بدمشق بعد الشهابِ المدينيِّ أبو عبدالله محمد الطولقي المغربي، وقيل: إنَّ عبدالنبي المغربي سعى فيه خفية، واستبعدته. نعم، هو قد دخلَ القاهرةَ كما قدمته.

واستقر الكمالُ الطويلُ في تدريسِ جامع أصلم بعد ابني التقي ابن الرسام وعبدالحق السُّنْبَاطي في التدريس بالمنصورية بعد موت ابن النجمي يحيى بن حجي ببذل مئة دينار للأمير، سوى البذل لمن ساعده حسبما أخبرني به المُحِبُّ ابن عبداللطيف السنباطي، ومعلومه ألف. قال: وحصل له من وظائفِ صهره الجَوْجري وظيفتان فيهما نحو ألف، ومع ذلك فبمجرد إشاعةٍ باطلة سعى - فيما قيل - في وظيفتي، مع كوني رغبتُ عن حصةٍ منها للحنبلي المباشر لتدريسها والغِنَى غِنى النفس[1].

وممَّن سعى: الشمسُ القِمَني والمُسَلمي، والتمس في أوائل شعبان الجلال ابن الأسيوطي من أمير سلاح الإرسال لأزبك الخازندار رأس نوبة النوب ناظرها في تقريره، فامتنع وقال: إيش كنتُ أنا؟ ثم لم يلبث أنْ جاء كتابي في أول رمضان، فتأكد الخِزْيُ لهم، ثم أشيعتِ الكذبةُ ثانياً، وسعى القِمني أيضاً، فقال له الناظر: أنا لا أقررُ أحداً إلا بعد تَحَقُّقِ الموتِ، ولم يبلغنا ذلك من ثقةٍ. وقد وصفه الأميني إمام الغُمري بأنه من الفُسَّاق، وأنَّ

(١) من الجائز أن يقال: الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْس، والغَنِيُّ غنِيُّ النَّفْس.

الله خَيَّبَ آمالهم، وحمد الله على ذلك.

وكذا كتب إليَّ الكرماني مُلَمِّحاً بذلك، وأنه أُشيع موتُ كثيرٍ في مكة، بحيث توفي فيه لقاضِيها الشافعي بضعة عشر ولداً، فلم يلبثْ أنْ جاء كتابي المشار إليه في رمضان، فحصل به من السرور مالا يُوصَفُ.

وسافر كلٌّ من عبدالرحمن ابن أبي شريف والزين عبدالرحمن ابن النجمي ابن جماعة من بيت المقدس للسعي فيما كان مع الجلال ابن المحب ابن جماعة قريب ثانيهما من مشيخة الخانقاه والخطابة، فاستقرَّ في الخطابة الزين ابن جماعة، وفي الخانقاه الآخر، ببذلٍ منهما.

واستقرَّ في مشيخة تربةِ الدوادار لشغورها بموت سنان قبيل شخص رومي كان يقرىء بخان الخليلي، وفي تدريس المالكية بالبرقوقية عِوَضَ ابن النور السَّنْهُوري أحمد المغربي شقير، أحد الفضلاء بسفارةٍ بعض الأمراء.

واستنزل المحبُّ ابن جرباش الحنفيُّ المظفريُّ محمود الأمشاطي عن تدريس الفقهِ بالظاهريةِ القديمة، وباشره، فتحامقَ في بحثٍ على عادته مع البدرِ العلائيِّ أحد طلبة المكان فيما بلغنا. وكذا استنزل أبو النجا ابن الشيخ خلف نزيل فُوَّة وأحد أعيانِ فُضلاءِ الشافعية، وقد قدمَ القاهرة الجمالُ إبراهيم ابن القلقشندي عن التحدث في المدرسةِ الصيرمية بالجملون المجاورةِ لرأس سوق أمير جيوش، ولزيارة جامع الحاكم، وعمل فيها مواعيدَ اسْتُحْسِنَتْ كما استحسنت منه حين كان يعملها بجامعِ الأزهر، والتمس منه بعضُ الناسِ عَمَلَها بجامعِ الغمري، ففعلَ في يوم الثلاثاء من جمعتين، وكذا عملها في غيره من الجامع، ثم سافر لفُوَّة محلِّ إقامته. نفع الله به.

ثم كان في السنة الآتية ما سيأتي، مِمَّا حصل لابن الأسيوطي فيه أوفرُ خِزْيٍ.

وشرع محمد ابن الفاخوري نزيلُ جامع الغمري في القراءةِ على الشمس ابن خليل في «سيرة ابن هشام» لمزيدِ إلحاح القارىء عليه في ذلك، وربما حضر ابن الواقف ومعه نسخة. ولا قوة إلّا بالله.

وكذا أقرأ الشافعي في «ألفية الحديث»، بل شرع في تعليق مختصرٍ عليها يستمدُّ فيه من «شرحي». والقارىء هو البدرُ ابن البهاء المشهدي، وصار الشهابُ المتبوليُّ أحدُ فضلاءِ النوابِ، والجمالُ المنوفيُّ وغيرهما يكتبونَ في شرحي لها لأجل حضورهم.

وكذا شرع فيها، أو في التي تليها، في حاشيةٍ على «شرح جمع الجوامع» كما فعل في الذي قبله. والله الموفق.

وفي رمضان: قرأ ابن قريبة بين يدي كاتب السر «باب التسبيح عند التَّعب»، فرَدَّ عليه مَنْ حضر كناصرِ الدين ابن الطَّحَّان ـ وقد أذِنَ له صاحبُ المجلس في الحضور على رغم أنف القارىء ـ ردّاً فاحشاً، وقالوا: إنَّما هو «عند التعجُّب»، فكابر وزعم أنَّ عنده في النسخةِ كما قرأ، ولكنه لم يمكِّنهم من رؤيتها، والأمر في ذلك لا يصل لضحككهم عن آخرهم. وبعدُ كاد أن يتماسك ابن روق والحليبي بالأطواق لشيءٍ وقع في المجلس، فأصلح صاحبُ المجلس بينهما، وأحسن إليهما. وتكلَّم أبو الفوز أحد القضاة الجدد في ختم «البخاري» بالقلعة بشيءٍ، فلم يُلْتَفَت إليه، ثم ثانياً وثالثاً، إلى أن قال له إبراهيم الدميري: اسكت، فلم يفعل، فقال له: إنْ لم تسكت

وإلَّا ضربتُ عنقك، ودعمه المالكي بقوله له: أقلُّ ما فيه التعزير، ولكن كتب الشافعي بأنه لا يلزمه، ولا التعزير.

وفي ظهر يوم السبت ثامن عشره هرب مرعي شيخ عرب البحيرة من برج القلعة بقيوده بحيلة دَبَّرها.

وكذا فيه ضُرِبَ أصيل الذي تكرر منه نقب المقشرة مراراً وإفساده وسرقته، وآخر الأمر قتل أحد صبيانها، وخرج من بابها هو وجماعة تواعَدَ معهم على حمية وقتَ الإسفار، واستمر في هربه إلى أن أمسكه قانصوه الشامي في سَرْحته لإحضار الخيول من العُربان - كما تقدم - في جماعةٍ من المفسدين ضرباً عظيماً فوق مئتي شيب وخمس مئة على مقاعده ونحوها، فماتا من يومه بالمقشرة.

وفي يوم الخميس منتصف شوال، وهو السادس عشر من مُسْري[1] - كسر السَّدّ، وتولى ذلك الأتابكُ بعد أن أُشيعَ أن ابن الملك ينزلُ لذلك، وتوقف الأتابكُ لهذه الإشاعةِ، بحيث تأخَّر إلى بعد الصبح، ولم يصل الماءُ لبابِ القنطرة إلا قربَ الظهر لتأخرِ الأمير، والبحر زائد، والرَّخاءُ كثير جداً، سيما في الغلال، فكلها رخيصةٌ: القمحُ والفولُ، كل إردب بعشرة أنصاف، وبيعَ قمحُ الطحان كل إردب بنصف دينار، بل كل ثلاثة مما دونه بدينار، وبعض الشعير أرخص من بعض القمح، ولكن وقع التحجير - كما تقدم - وقتاً في اللحم، وتوقَّفَ النيلُ قبل الوفاء خمسةَ أيام، ثم بعده أيضاً.

وكتب إليَّ بعض المتحرزين: القمح بمئة وعشرين، والشعير بمئة

(١) مسرى هو اسم لأحد الشهور القبطية.

وثمانية عشر، والفول بأربعة وثمانين، والأرز بخمس مئة، والبسلة بمئتين وأربعين، وكذا الحمص. والقنطار من السكر المصري بثمانية دنانير، ومن النبات بتسعة، والعسولات بأنواعها رخيصة.

ولم يلبث أنْ قرأتُ ببعض المطالعات أنه شَرَّق بعض أراضي مصر، وظهرتْ ثمرتهُ في التي تليها، بحيث تَحَسَّنَ ثمنُ القمح والغلال، فالقمح بمئة وثمانين، وكل من الفول والشعير بمئة وخمسين، والأرز بخمس مئة، وعيّن القطر المكرر بألفٍ، والنبات بألفٍ وأربع مئة، والنحل[1] بألف ومئة، وأنَّ الشيرج[2] بتسع مئة، والرطل من اللحم الضّأن بثمانية، ومن البقري بستة، والبرسيم قليل، ووقوفُ الحال متزايدٌ، والأمنُ في الطرقات كثيرٌ، والناسُ مُتَخَوِّفُونَ من الغلاء، ومقهورون من الرماياتِ والظلمِ، فللهِ الأمرُ.

وفي ليلة الأحد تاسع ذي القعدة و الناس في صلاة العشاء قامت ضجَّةٌ من بابِ الصَّفا زائدةُ الوصف، ظنَّ كثيرونَ أنها بسبب مجيءِ سيلٍ، بحيث قطعَ أكثرهُم الصلاةَ، وكانت غوغاء زائدةُ الوصفِ، جُلُّها من النساءِ، ثم بان أنَّ سببها مجنونٌ خاض بينهم، وأخذ طفلاً فبركَ عليه.

وفيه استقر العلاءُ علي السنباطيُّ ابنُ الإمامِ المؤيد في نَظَرِ الطُّورِ عِوَضِ علاء الدين ابن أسنْدَمُر.

واختفى الأستادار تغري بردي القادري لمرافعةِ بعضِ جماعة الديوانِ فيه، مع كونه عَمَّر بلاد الجهة واجتهد، ولم يتعاطى شيئاً منها، بحيث كان

(١) قوله: والنحل بكذا يعني عسل النحل.

(٢) والمقصود هو السِّيرج وهو زيت السمسم، كما يلفظه أهل الشام.

من أحسن المباشرين، ويقال: إنه توجه لبغداد عند سيدي عبدالقادر الكيلاني، وأُضيفت الأستادارية للدوادار الكبير، وتكلم عنه فيها نيابةً دواداره تغري برمش السيفي كسباي المعلم، بل في جميع ما كان مع تغري بردي من أنظارٍ ونحوها كالبيبرسية والسعيدية ووَقْف الصَّالح والقرافتين، وقيل: إنَّ المباشر للأستادارية عن الدوادار خازنداره كرتباي وأحد مماليك يشبك الدوادار، وفي الأنظار تغري برمش.

وكذا استمرّ إضافة الوَزْرِ للدوادار الكبير، واستقر في نَظَرِ الدولة، إما فيها أو في الآتية عبدالقادر المشطوب كما كان قديماً، مع إظهارهِ الكراهة والعجز بعد أن وضع قاسم شغيته للضربِ، مع أنه لم يبق فيه كبير رمقٍ لطولِ الترسيم عليه وإهانته ببابِ الدوادار، لكونه لم يذعِنْ للاعترافِ بما قيل: إنَّ البباوي أودَعَهُ عنده وهو خمسة آلافِ دينار، ثم أُقيم على أنَّه يرضيه. واستمر المشطوبُ يباشرُ بباب الدوادار أيضاً، ورسم على المُعَامِلين على خمسةِ آلاف دينار، فراجع البدري أبا البقاء الدوادار بحضرة السلطان، وبالغ حتى رجعت إلى ألفين، وله - فيما بلغني - تلفُّتٌ لإضافة الخاصِّ إليه. وكثر تَحَدُّثُ الناسِ بذلك، بحيث ضعف جانبُ متولِّيه قليلاً، إلى أنْ علم عدمَ ميلِ الملكِ لذلك، مع تَلَطُّفِهِ معه في الخلاءِ، والتَّمَقُّتِ له في الملأ، وهو في جَهْدٍ جهيدٍ، وضَررٍ ما عليه مزيدٌ، بَلْ ليس بينهم مستريح، والآخرةُ أمرها إلى الله.

وجاء الخبرُ من الشام في أواخر الشهر بموتِ كل بني السيد كمال الدين ابن حمزة، وأكبرهم - واسمه عزالدين محمد - جاز البلوغ، وكان في النجابةِ بمكان، وسائرُ عياله وأم بنيه ابنة القاضي علاء الدين ابن قاضي عجلون،

ولم يتـأخر له سوى أمّه أخت التقي ابن قاضي عجلون، وأمها، وابنةٍ بِكْرٍ، كان قد تَزَوَّجَ أمها بمصر، لم يكنْ له ميلٌ إليها، واقتضى له ذلك الرجوع من مكةَ لمصرَ، لا لبلده، لكونهِ رُوفعَ فيه مرة بسبب والد زوجته، فخشيَ الآن من التعـرُّضِ له بسببها أيضاً، فأكرمه كاتبُ السِّرِّ، وطلع إلى الملك مرةً بعد أخرى، وعاد لبلده في أثناء الآتية. أحسن الله عاقبته، فنعم الرجل.

وفي يوم الأحد ثامن عشري ذي الحجة كُسِفَت الشمسُ قُرْبَ العصرِ، ودامَ ذلـك دونَ ساعتين، وصَلَّى خطيب مكّـةَ له على العادة، وتخلَّل بين صلاته، وخطابته صلاة العصر.

ومن الحوادث أنَّ زينَ العابدين ابن أخي طَلَّق أُمَّ ولدهِ ابنة الشمس ابن رجب، وتَحَمَّـلَ أبـوها بالولد ثلاثَ سنين، وتزوجتْ بعبدالباسط بن سعيد الورَّاق، واجتمع هو وأمه على طلاقِ أخته قُرَّة العين من زوْجها ابْن البدر بن قاسم، وتحمَّلَ أخوها بصدَاقِها، وسكن المخاميلُ الثلاثة ببيتنا، وتألم كُلٌّ من الحنبليِّ والشيخ أبي العبـاس لذلـك، وتـوجَّه الأمينُ ابن النجار والشهابُ الحنبلي ابن النجار لأبي الزوج ومعه ولده، وعرضا عليه عَوْدَ العصمةِ، وأنْ يُزالَ جميع ما يتضَرَّرُ به، فأبى، ولم يوافق. قال الأمين: ولو تكلمت في إخـراجِ أمهما من البيتِ، أُجِبْتُ بنعم، وبأنها خرجت، ولكن لا أعلمُ ما بداخل البيتِ، بل بلغنا أنها سكنت بزوجٍ لها من المسدين بالبيتِ الذي يعلو قاعتي، وأظهروا أن أختَ زوجةِ البدر سكنت في قاعة العِيال مدّةً، ثم تحولت بعد أنْ كانت أرادت السُّكنى بالرُّواق الذي يعلو قاعة الكتب، فلم يوافق الحنبليُّ وأبو العباس على ذلك، وكل هذا مُخْتَلَقٌ، فالتي تَجَرَّأتْ على هذا أمه، لا تلك.

قال عبدالرزاق: والأحوال ما هي مليحةٌ، وقد تفاقمت الأمورُ بغيبتكم، ولذا كتب إليَّ أبو العباس ما نصُّه: وتَفَضَّلُوا برفع العتبِ عليَّ، فإنَّ مرجعَ الأمورِ للحنبليِّ، وسَتَرِدُ عليكم كُتُبه مُفصلةً، ولست أهلاً لِمُشَافهتكم بما سيردُ عليكم. قال: وأرجو من الله أنني أقوم بما أُطيقُه مما نَدَبتُموني إليه، سوى ما يتعلَّقُ بزين العابدين وأخته.

ثم قال الأمين: إنَّ أبا العباس لكثرةِ اشتغالِهِ بالسفرِ نَدَبَهُ لدخولِ قاعتي، بسببِ تنفيضِ الكتب ونحوه، وأنه يدخلُ إليها ومعه زين العابدين. وأن الشيخ نور الدين الكلبشاوي نزيل جامع الزاهد استعار من «دلائل النبوة» بإشارة الحنبليِّ، وأنَّ الحنبليَّ وأبا العباس ومعهما الأمين والشهاب دخلوها وأخرجوا ما طلبته من الكتبِ بعد جَهْدٍ، لأنه ـ كما زعم الأمين ـ بين الفهرَسْت والمثال الذي أرسلته مخالفةٌ، فالله أعلم.

وأنهم كشفوا رواقَ ابن الأخ المجاورِ لنا لتفقدِ ما نُسِبَ لزين العابدين فيه، وأحكموه بحسبِ جهدهم، وصاحبُ البيتِ أدرى بما فيه.

ومما بلغني أنه باع جهاز أخته أو جُلَّه، مع تعاطيه لحصةِ أخيه من الوظائفِ، بل ربما ارتقى لغير ذلك. والله المستعان.

ومنها: أن الملك توعَّك، فماج الناسُ، فكلمه أمير سلاح في ذلك، فنزل من القلعةِ، واجتاز من الشارعِ إلى الصحراء، ثم طلع القلعةَ، ثم لم يزل متعلِّلاً. عافاهُ اللهُ من كلِّ بليَّةٍ.

وأرسل ليُجْلَبَ له مماليك من جركس ونحوها عِوَضَ الهالكين، كما

أُرسلَ غيرُ واحدٍ من أعيان المصريين تلويحاً وتصريحاً ـ بتحصيل رقيقٍ لهم من مكة، بحيث أَخْفَى الضعفاءُ، بَلْ وبعض الأقوياء أرقاءهم لتعدي مَنْ شاء الله مِمَّن بها من المماليكِ ونحوهم بغصبها وأخذها غَلَبَةً وقهراً، سيما وقد جاءت الأخبارُ بأن الرقيقَ من السودان جلب لمصر وهو بوزن الذهب والفضة.

وبادر ابن الزمن ومَلَكُ الموتِ محيطٌ به لإرسال جملةٍ من الرقيق والطواشية(١)، وأظن غيره تبعه في ذلك.

ومنها: أنه كان قد تغير كلٌّ من الأتابكِ وأمير سلاح والدوادار الكبير لأسباب من أمير آخور، فأمر بالصُّلح معهم، فركب لصهره الأتابك إلى بيتهِ ومعه غالبُ الأمراء، فألبس الأتابكُ كلاًّ من الأمراء خلعةً، وزاد المُصَالح فرساً بكنبوش. وكذا فعل مع أمير سلاح والدوادار، بل مَدَّ لهم سماطاً عظيماً، كان فيه ابن علي دولات وغيره، وأنعم عليه الملكُ بعشرةِ آلافِ دينارٍ في خرابِ بلده أبو تيج التي كان سبب غضبه مع الدوادار، فلم يرضَ، وقال: أنا ألزمُ الخدمةَ بنفسي، وأما مماليكي، فيخدمون عند الأمراء، وكأنَّ هذا كان قبل الصُّلح مع الدوادار.

على أنه من قريب في أواخر شوال من الماضية ـ كما قيل لي ـ كان بينهما شيءٌ بسبب سمسارٍ، فطلع أمير آخور إلى أستاذه، وأظهر الغضبَ والتخلِّي عن الخدمة، فغضبَ منه أستاذُه، ونزل عن غير بلوغ أربٍ، وأُشيعَ أنَّه متأهِّبٌ لإدراكِ الحج، فما تَمَّ هذا، وجاءه مغلباي عن أستاذه يأمُره بالتوجه

(١) الطَّوَاشيَّة: كلمة من الدخيل تعني الخِصْيَان.

معه إلى الدوادار، ففعل، فأغلق باب المبيت، فتَسَوَّرَ عليه بعض المقدمين حتَّى فتحه، ودخل عليه فاصطلحا.

ومن أخبار اليمن مما كتب به إليَّ الكمال الذؤالي: أن القاضي شمس الدين يوسف بن يونس المقرىء رئيس العلماء باليمن مقيمٌ بزبيد نائباً عن السلطان لرجُوع الناسِ إلى كلامِه وانقيادهم إليه، والسلطانُ ببلاد الجبل، وبنو عَمِّه الذين قاموا عليه قد تلاشى أمرُهُمْ، وزالتْ شوكتهم، وهم مُبعدون في أطرافِ البلاد، قد ذهب خيالهم، وقُتِلَتْ رجالُهم، وخَرِبَتْ دِيارُهم، فالله تعالى يصلحُ أمرَ المسلمين ويصلح سلطانهم.

وكتبتُ مع المبشرين للحنبلي فقط، ثم مع الركب لكلٍّ من الشافعيِّ والحنفيِّ والحنبليِّ والبدري أبي البقاء، وكاتب السر، والشريف شيخ القجماسية ومظفر الدين محمود الأمشاطي، والبدري حسن ابن الطولوني، وتغري بردي الأستادار، والجمال الكِرْمَاني، وأبي العباس ابن الغَمْري، والبرهان النُّعْماني، والشهاب المَتْبُولي، وعبدالحق، والشهاب ابن عز الدين السُّنْبَاطِيِّين، وعبدالرزاق الحَنَفي نزيل تربة قَانِبَاي، وشيخها عوَضَ ابن الشُّمُنِّي، والتقي السُّبْكِي، والرَّضِي صهر الحنبلي، والزين ياسين، والشموس: ابن خليل، والسَّمَنُّودي، والبُلْبَيْسي الفَرضَي، والأمين ابن النجار، والصَّلاح القَلْيُوبي، وعبدالخالق، وعبدالرازق، والنور الطَّرابُلُسي، والمحيوي ابن مُغَيْزِل، وأبي القاسم المَغْربي نزيل الظاهرية القديمة، والسَّعد ابن السُّكَّر والليمون، وابن قاسم السُّكَّري، ووفاء ابن الجَوْهَري، وأخته، والخُولي، وابنة ابن شِيرين، وابن أخي زين العابدين. وكلّها صحبة يحيى أخي الشمس الحنفي نزيل الظاهرية القديمة إلاَّ النُّعْمَاني، فمع

القَسْـطَلاَّني، وإلاّ الطُّولُوني وعبدالرزاق، فمع المجد إسماعيل المَقْسي، وإلا ابن العز السُّنْبَاطي، وأبي القاسم المغربي، فهما وثالث للحَنْبَلي مع السيد عَنْقَـاء في كتب الشافعي، وإلا الأستادار: فمع ابن السَّقطي، وإلا الأمْشَاطي، فمع بعضهم.

وكذا كتبت مع الشاميين للشهاب ابن المحوجب، ووفاء الجوهري مع إبـراهيم بن البَيْطار، ثم جاء وأَعْلَمَ بفقدهما، فكتبتُ غيرهما، وقبل ذلك للمحب أبي الفضل ابن الإمام، والسيد العلاء نقيب الأشراف.

وكتبت للشمسي ابن جلال ومسعود المغربي وغيرهما بالمدينة النبوية، وللكمالي ابن أبي شريف ببيت المقدس بالوصيةِ، على يوسف ابن الوجه، ولقـاضي زبيد محمـد بن عبدالسلام الناشري، وفيه الجوابُ عن أسئلته، ولحمـزة الناشري، والكمال الذُّؤالي المُكَشْكَش، وأجبته عن مسائله. كلُّ هؤلاء أجوبة عن مكاتباتهم، وفيهم مَنْ تكررت مكاتباته طول السنة.

وفاتني مِمَّنْ كتبَ إليَّ ولم أكتبْ له الشهابُ ابن الأُقيطع عالم البُرُلُّس[1] منه، والصدر عبدالمنعم ابن العلاء بن مفلح من دمشق، والشهاب الخانكي رفيق ابن بيرم من القاهرة، وكلهم يبالغون في الثناء والاستيحاش نظماً ونثراً حسبما أثبتُّ المهمَّ منه في موضعٍ آخر، والكثيرُ منهم يقول: حاصل ما عبّر به بعضُ السـادات منهم: إذا شهـد مولانـا عُموم نفعه لعبادهِ الحاصل له بأرض مصر، رأى ما يحصُل له من المشقَّة في جانب ذلك مضمحلٌّ، لأنَّ المَطالِبَ عليها مَهالك، ويقطعون النَّظر عمَّا وراء ذلك. انتهى.

(١) البُـرُلُّس: من ثغور مصر يقع على البحيرة المسماة باسمه.

وبلغني عن الشيخ علي الجبرتي أنه في كثيرٍ من أوقاته يقول: لو كان بمِصْرَ خَيْرٌ أو لأهلهـا التفاتٌ إلى الخيرِ ما أرادَ الله فراق فلان لها ولهم. وحكى بعضهم عن شخصٍ أثنى عليه أنه رأى النبيَّ ﷺ جالساً على كرسي أبيض من بلور لا ينهضُ لوصفِ نورهِ، والشيخ إبراهيم الحموي جالسٌ على كرسيٍّ بين يديه وهو يقرأ، حتى قرأ نحو خمسة أحاديث، وأنا واقفٌ بجانب النبي ﷺ حذاء الكرسي وهو ﷺ يُشير إليَّ بالجلوس. انتهى.

وأما مَنْ تُوفِّيَ بها لا على جهةِ الحَصْرِ لكثرتهم، وأنتَ بالخيار بين أن تقول[1]:

فتوفي بمكة: النقيبُ العلاء المحلي، وعبدالقادر بن زبرق الحنفيان.

وبالمدينة: أبو الجود المدعو بركات الصوفي، المنسوب لبني الجيعان.

وببيت المقـدس: الجـلال محمـد ابن المُحِب أحمد بن إبراهيم بن جماعة، أحد خطبائه.

وبالخليل: عبد القادر بن عمر الجعبري، أحد شيوخه.

وبمصر: ولد شيخه البرهاني النعماني.

وبالقاهرة: الشمس الشَّرِنْقَاشِي، وشيخ قرَّائها الشمس ابن الحُمصاني.

---

(١) هذه الوفيات سيذكرها المصنف مرة أخرى.

وبدمشق: قاضيها المالكي الشهاب المِريني، ونقيب أشرافها الشهاب أحمد بن عَجلان ظناً فيهما.

وبحلب: قاضيها المالكي الشهاب أحمد بن جُنغل، وقارىء الحديث أبو بكر بن أبي ذر ابن الحافظ.

وباليمن: إبراهيم بن جعمان.

أو تقول ما سلكنا في هذا الكتاب:

فمن الشافعية:

٢٤٥٠ـ البرهان أبو الوفاء إبراهيم ابن النور أبي الحسن علي بن عمر ابن حسن التِّلْوَانيُّ الأصل القاهريُّ الأقمري[1]، عن خمسٍ وثمانين، وقد اشتغل قليلاً في الفقه والعربية، وأجازَ له ابن الكُوَيْك والجمالُ الحنبليُّ، وباشرَ التدريسَ بالمَقْسي والحاجبية، وتزوَّج من ذرية واقفها، وامتحن بسبب أوقافه، بحيث رغب عن جهاته، كمشيخة الرباط بالبيبرسية، وتجرَّعَ فاقةً، مع لينِ جانبهِ، وحُسْنِ مُلْتَقَاهُ. رحمه الله وعوَّضه الجنة.

٢٤٥١ـ وفي رجب، عن أربع وثمانين، الشمسُ محمد بن علي بن عبدالله بن إبراهيم بن سليمان الجَوْجَرِي الخانكي[2]، والد زوجة عبدالحق

(١) الضوء اللامع ٨/١٩٢.
والجَوْجَري: نسبة إلى جَوْجر من الغربية بمصر (التحفة السنية/ ٧٥).

(٢) الضوء اللامع ١/٨٤، ويُعرف بمحب الدين وبرهان الدين.
والتِّلْوَاني: نسبة إلى تِلْوانة من أعمال المنوفية (مباهج الفكر/ ١١٣).

السُّنْبَاطي، وأحد الأفراد في المباشرات والإقدام. ممَّن تموَّل وحصَّل الدُّورَ والحجرات، وأثارَ العجاج، إلى أن امتحن وثبت وأثكلَ، وهو كذلك، وَلَداً، ثم آخر فيها اسمه علي، زادَ على العشرين، وكان مشاركاً في الجملة، ولذا قَدَّمته هنا. واحْتِيطَ على جهاته. عفا الله عنه.

٢٤٥٢ـ وبطيبة في أوائل شعبان بعد تعلُّلٍ طويل، عن نحو ستٍّ وسبعين، ودُفن بالقربِ من قُبَّةِ السيد عثمان عند زوجتهِ التي كان حَوَّقَ عليها مما أنكر عليه المجدُ أبو البركات وأبو الجود، واسمه إسماعيل، ومحمد ابن عبدالرزاق بن موسى الصوفي، الكاتب المقرىء الشهير بالانتماء لبني الجيعان، ويُعرف قديماً بابن كاتب قاعة الذهب[1]. ممَّن اشتغل بالفقه، والعربية، والأصلين، وغَيرها، وفهم وجَوَّدَ القرآن، وسمع الحديثَ، وبرع في الديونة، وكتب في جهات، ثم أعرض عن ذلك، وأكثر التردُّدَ بين الحرمين على خيرٍ واستقامةٍ وميلٍ للأصوات الليِّنة، ونُفْرَةٍ ممَّن يخرج؛ وبرٍّ وتلاوةٍ وتقشُّفٍ، ولم يزل في ازدياد من ذلك. وهو ممَّن سمع مني، وكان زائدَ الاغتباط بمحبتي. رحمه الله ونفعنا به.

٢٤٥٣ـ وباليمن في صفر، عن نحو السِّتِّين، الإمامُ المفننُ المدرسُ، الفريدُ في محاسنه، والمُجيدُ لما يستخرجه بذكائه من مَعَادنه: البرهانُ إبراهيم ابن الشَّرف أبي القاسم بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عمر بن جعْمان ـ بالفتح ـ الصّريفي الذُّؤالي[2]: من بيتِ الفقيه ابن عجيل. كتب

(١) الضوء اللامع ١١/٥، في باب الكنى.

(٢) الضوء اللامع ١/١١٧

والذُّؤَالي: نسبة إلى ذُؤَال وادٍ مشهور يسيل من جبال رَيْمة الأشابط ويصب في البحر الأحمر=

إليَّ بترجمته صاحِبُنا ورفيقُه الكمالُ موسى المكشكش، وأنَّه كان كثيرَ التَّحسُّرِ على عدم لقائي، فرحمه الله، وعوَّضنا وإياه الجنة.

٢٤٥٤ـ وفي جمادى الثاني، عن نحو الثمانين فأزيد، السِّراج عمر[١] بن محمد[٢] الدَّهْتُوري، نسبة لدَهْتُورَة بالقرب من زفتا من الغربية، ثمَّ القاهري الأزهري ابن أخت صهره الشيخ عمر الزفتاوي. أحد الخيار من قدمائه. ممَّن يصحِّح عليه الأبناء ألواحهم، وربما أقرأ لكثرة دَبْكه وتوجُّهه للاستفتاء لما يعرض لَهُ من مشكل وغيره، وتوسَّع في ذلك جدّاً، ولو مِنْ آحادِ مَنْ ربما يكونُ من طلبته، وربما استفتى الزين زكريا، بحيث اجتمع عنده جملةٌ من ذلك، سيّما عن شيخنا ونحوه ممَّا وقَفَهُ مع ما حبّسه من كتبه، بل صنَّف في مسألة الدهشة ومنسكاً لطيفاً جداً لداخل مكة مُتمتعاً، ومنظومة في قراءة أبي عمرو، وهو ممن لازم المناوي، بل أخذ عمَّن أقدم منه، كالونائي والقاياتي، مع جموده، وتجرّع الفاقة، حتَّى إنه أقرأ في مكتب الأيتام لخير بك من حديد بالقرب من مدرسته بزقاق حلب، وكان يذهب إليه ماشياً، فلما عجز، صار يركب. والغالب عليه الخير، ولذا أكرم بالشَّهادة، بل توضَّأ قبل موته بلحظة، قائلاً: وضِّئُوني لعلِّي أَلْقَى الله على طهارةٍ. رحمه الله ونفعنا به.

٢٤٥٥ـ وفي رجب، عن ستٍّ وثمانين، شيخ القرّاء، وأحدُ الكتابِ الشمسُ أبو الفتح محمد[٣] بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر المنوفي

= من ساحل الطائف ما بين وادي سهام ووادي رِمَع (معجم المدن والقبائل اليمنية/ ١٦٩).

(١) الضوء اللامع ٦/١٣٦.

(٢) بعد «محمد» بياض قدر كلمة، ولم يزد في الضوء اللامع عما هنا.

(٣) الضوء اللامع ٧/١٩٠، ونظم العقيان/١٤٣، وبدائع الزهور ٣/٢٩٢، والسِّرْسِي: نسبة إلى سِرْس من المنوفية (التحفة السنية/ ١٠٥).

السِّـرْسي الأصـل، القاهري، ويُعرف بابن الحمصاني، حرفةِ جدِّه لأمه. انتفع به خلقٌ، واستقرَّ في تدريس القراءات بالشيخونية، وفي الإمامة بجامع طولـون، وكان خيِّراً، ساكناً، متواضعاً. مِمَّن مَسَّهُ مكروهٌ من الجلالِ ابن الأسيوطيِّ مع كونه في عدادِ طلبته، فصبر. وله روايةٌ عن الوليِّ ابن العراقي، رحمهما الله.

٢٤٥٦- وفي أوائله، أو أواخر التي قبلها، بطَنْتَدا، عن قريب الثمانين، الشَّمسُ أبو الخير محمد[1] بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن يوسف بن بطالة من بيت مشيخةٍ وجلالةٍ، مع همَّةٍ، وفُتُوَّةٍ، وقِدَمِ اشتغالٍ. رحمه الله.

٢٤٥٧- وفي صفر بدمشق: أحدُ مدرِّسيها والمفتين بها الشمسُ محمد[2] ابن العماد إسماعيل بن محمد الدمشقي ابن خطيب جامع السُّقَيِّفة. ممَّن تميَّز في الفقه، مع المشاركةِ في غيره، ونيابته في القضاء، ولكنه توجّه - فيما بلغني - للتصوّف وسلوك الديانةِ والانجماعِ عن الوظائف، وكان ذلك قبل مصاهرته للنابلسي. وقد وصفه ابن عيد بالشيخِ الإمام العلامة القاضي صدر العلماء والمدرسين، عين البلغاء المعتبرين، نخبة الفقهاء المُتبحِّرين. رحمه الله.

٢٤٥٨- وفي رجب، عن ست وأربعين، بدون طعن، لكن بورمٍ في رجليه بعـد أنْ حَجَّ في التي قَبْلَهـا على طريقـةٍ جميلة مرضية: الشمسُ

(١) الضوء اللامع ٢٢٦/٩، وهو الجوهري الأصل الفيشي الأحمدي الشافعي.
(٢) الضوء اللامع ١٤٣/٧.

محمد[1] بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد، الغَزِّيُّ الأصل، الشَّارِنْقَاشي، ثم القاهري الأزهري، أحد أعيان الفضلاء وخيارهم، وأقربهم إلى التَّثَبُّتِ والورعِ والانجماع. ممَّن دَرَّسَ بالأزهر سنين، ونابَ عن بني شيخه الجَوْجَري في تدريسِ المؤيدية، واختصَّ بجوهر المعيني، وأسكنه مدرسته التي أنشأها في غيط العدَّة، وأقرأ بها. وهو ممَّن حضر عندي في الإملاء، وكنتُ أُحِبُّه. رحمه الله وإيانا.

٢٤٥٩ـ وفي المحرم بالمُوَيْلِحة راجعاً من الحج، عن إحدى وخمسين، الشهـابُ أحمد[2] بن داود بن سليمان بن صلاح البَيْجُوري، ثم القاهري الأزهـري. أحـد فضلائهِ ومُدَرِّسيهِ. مِمَّنْ أكثر الاشتغالَ والاعتناء بالرواية، بحيثُ نَبُهَ فيها قليلاً، ودار على البقايا، وضبطَ الأسماء، ولازمني كثيراً، وكتبَ عنِّي في الإملاء، وحصَّلَ بعض تصانيفي، وتكسَّبَ بالشهادة، وكان قانعاً حامداً مرضياً. رحمه الله وإيانا.

٢٤٦٠ـ وفي جمادى الثاني بالقاهرة حبيبُ الله[3] بن الحسين بن علي السُّنْغُري اليَزْدِي. فاضل، له دخولٌ في بعض العقلياتِ، ولا وجاهةَ له في الشرعياتِ مع أنه قرىء عليه في «البخاري» بالأزهر، وأطراهُ غيرُ واحدٍ ممن كان يجتمعُ عليه للأخذِ عنه. وهو مِمَّنْ ينتمي لمرزا بن حسن باك، بحيث جعل له راتباً مما كان يصلُ إليه من الملك، بل توسَّط هو وغيرهُ في الإنعامِ عليه من قبله، ثمَّ خمـدَ وركـدَ بعد أنْ حجَّ، ودخل دمياط، وتزوَّج عدَّةً،

---

(١) الضوء اللامع ٨/٢٠٣.
والشَّارِنْقَاشِي: نسبة إلى شَارِنْقَاش من الغربية بمصر (التحفية السنية/ ٨١).
(٢) الضوء اللامع ١/ ٢٩٧.
(٣) الضوء اللامع ٣/ ٨٨.

وأطمع بعض متوسطي التجار حتَّى أخذ ما كان بيده، فأتلفه في أسرعِ وقتٍ، وأقام بتربة الدوادار وقتاً، ورَمَاهُ بعضُ فضلاءِ ناحيته بقوادحَ وأنَّ أباه مِن آحاد المكَّاسين. وبالجملة، فقد أرام الاجتماعَ بي، فصرفه الله. عفا الله عنه.

٢٤٦١ـ وببيت المقدس: أحد خطبائه وشيوخ التصوف بالخانقاه الصلاحية الجلالُ محمد[1] ابن المُحِبِّ أحمد ابن القاضي البرهان إبراهيم ابن شيخنا الجمال عبدالله بن جماعة ابن أخي النجمي شيخ الصلاحية. ممَّن اشتغل في الفقه والنحو. رحمه الله.

٢٤٦٢ـ وفي شعبان، عن نحو الثمانين، الشيخُ محمد[2] ابن الجمال يوسف الكيلاني، نزيل القاهرة، وحالق لحيته، بحيث يقال له قرندل. ويقال: إنَّه كان من أكابرِ العلماء، مع ميلهِ للتصوف، وموافقتهِ لأهل السُّنَّة والجماعة. استقر به الملك شيخاً للقبةِ التي بالصحراء بعد تمنُّعٍ وتورُّعٍ. ومن شيوخه الظهير الأردبيلي.

٢٤٦٣ـ وبحلب عند ابن أجَا، إذْ سافرَ إليها صحبة مامية في سادس المحرم، عن إحدى وأربعين، المُحِبُّ أبو الفتح محمد بن محمد[1] بن محمد بن علي بن عبيد بن شعيب، الدِّيَسْطِي الأصل، ثم القاهري، خازن بيت المؤيدية نيابة، ويعرف بالقلعي. ممَّن اشتغل وتميَّز، وكان عديلَ

---

(١) الضوء اللامع ٦/٢٨٦.
(٢) الضوء اللامع ١٠/١٠١.
(٣) الضوء اللامع ٩/٢٤٦

والدِّيَسْطِي: بكسر الدال المهملة وفتح الياء التحتية المثناة وسكون السين المهملة ثم الطاء المهملة نسبة إلى دِيَسْط من الغربية بمصر (مباهج الفكر/ ١٢٢).

الخطيبِ الوزيريِّ على أختِ زوجتهِ. لطيفاً عاقلاً، حسن العشرة. سمع مني المسلسلَ وغيره، وبلغني أن من نظمه:

وأَهْـيَفَ ذي دَلاَلٍ كالـغُـصْـن حينَ يَـمـيلْ
فَكُـلَّمَـا مَاسَ عُجْـبَـاً أضحـىَ الـمحـبُّ قتيلْ[1]

٢٤٦٤ـ وبها في شعبان، بالطاعون، في قبة بيته: أبو بكر[2] ابن صاحبنا الموفق أبي ذر أحمد ابن الحافظ الحجة البرهان أبي الوفاء سبط ابن العجمي. ممَّن اشتغل على أبيه، وأسمعه معنا على ابن مقبل وحليمة ابنة الشهاب الحُسيني، وتَدَرَّبَ في قراءةِ الحديثِ، بحيث خلفه فيها، وكانت جنازتُه حافلةً جداً، ولم يتأخر من بيتهم سوى ولد صغير لهذا. رحمه الله.

٢٤٦٥ـ وبالقاهرة في جمادى الثاني: الجمالُ محمد[3] ابن العزّ عبدالعزيز ابن العماد أحمد بن محمد الفيوميُّ الأصلِ، المكيُّ، ثم القاهري. ممَّن اشتغل قليلاً، ولازم الزينَ زكريا، فاستنابهُ، وأنكرها الملك فَمَنْ دونه، ولم يقتصر على مُجَرَّدها، بل عملَ له نوبة بالباب، وربما خطب تارةً بالحاكم، وتارةً بالأزهر. وكان أبوه في أوَّلِ تَرَعْرُعِه زَوَّجَهُ ابنة الشَّريفِ الوفائي حين كان قاضياً، طمعاً في جلوسه عنده شاهداً، فلم يحصل اتفاقٌ، بل مَزيدُ شقاقٍ.

---

(١) كذا ولا يخفى ما فيه من ركاكة.

(٢) الضوء اللامع ١٦/١١، وهو أبو بكر بن أبي ذر أحمد بن إبراهيم بن خليل الحلبي.

(٣) الضوء اللامع ٥٩/٨.

٢٤٦٦- وفي جمادى الثاني، عن سبع وستين فأزيد، الزين أبو بكر[١] بن رجب بن رمضان بن أبي بكر القاهري، الحسيني سكناً، السَّاسي - بمهملتين - حرفة أبيه. ممَّن اشتغل وتميَّز في الفرائض، ولازمني في قراءةِ الكثير، وجاور معي، وكتب جملة من تصانيفي بخطه المنسوب، وقرأ على العامة، بل أخذ عنه بعضُ الطلبةِ في الفرائض، وربما خطبَ وتكسَّبَ بالشَّهادة، وببيع القت وغيره في ناحيته. وكان صالحاً. رحمه الله وعوَّضه الجنة.

٢٤٦٧- وفي رجب: السِّراج عمر[٢] ابن الجمال عبدالله بن محمد بن سليمان الدمياطي، ثم القاهري. ممَّن اشتغل وتردَّد للكافياجي وغيرهِ ككاتبه، بل كتب بعض تصانيفنا، وجَوَّدَ الخط، وقرأ في الجُوَق، وأقرأ في الطِّباق، وخالط الناسَ، سيما الخدامَ ونحوهم، وحجَّ غير مرَّة، وفي كلامهِ توقفٌ. سامحه الله..

٢٤٦٨- وفي [. . . .][٣] بالقاهرة، غريباً، النُّور علي[٤] ابن البدر حسين ابن محمد بن العُلَيف المكِّيُّ. ممَّن تميَّز في النظم، وعملَ القصائدَ مَدْحاً ورثاءاً، وصقل نظمه في الغربةِ، وتجرَّعَ فيها فاقةً، ودام سنين، وكان يلازمُ التردُّد إليَّ. عوَّضه الله الجنَّة.

---

(١) الضوء اللامع ١١/٣١، وفيه زيادة: ابن خطاب وقال عن نسبه السَّاسي لكون أبيه من السَّاسَة.

(٢) الضوء اللامع ٦/٩٨.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) الضوء اللامع ٥/٢١٥، وفيه بعد محمد: بن حسن بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم نورالدين بن البدر بن العليف المكي الشافعي سبط القطب أبي الخير بن عبدالقوي.

٢٤٦٩- وفي جمادى الثاني بالقاهرة، غريباً أيضاً، عن ثلاث وعشرين فأزيد، الوجيه عبدالرحمن[1] بن أبي القاسم بن أبي بكر بن فهد الهاشمي المكّي، في حياةِ جَدَّتهِ لأُمِّه. عوَّضها الله الجنَّة.

٢٤٧٠- وفي أوائلها قاضي إدْكُو بها: نور الدين علي بن محمد بن عبدالرحمن الغُوَيطي. ولم يكن محموداً. سامحه الله وإيانا.

٢٤٧١- وفي ربيع الأول، غريباً، بكمران[2] من اليمن، عن خمس وخمسين، المحب أبو البقاء محمد[3] بن عبدالملك بن عبداللطيف ابن الجيعان. ممَّن باشر في جهاتٍ، مع انجماعهِ عن كثيرين، ورغبتهِ في الحديث، بحيث كتبَ من تصانيفي «القول البديع» وغيره، وسمع منِّي ومن الدِّيمي، وحجَّ غير مرَّة وجاور.

٢٤٧٢- وكذا مات أخوهُ الزينُ عبداللطيف[4] في جمادى الثاني بالقاهرة، مطعوناً. رحمهما الله وعفا عنهما، في آخرين من النُّجباء:

٢٤٧٣- كمحمد[5] الفرغل ابن الشمس محمد بن محمد بن شفيع

---

(١) الضوء اللامع ٤/١١٨، ونصه: عبدالرحمن بن الشرف أبي القاسم واسمه محمد بن أبي بكر واسمه أحمد بن التقي محمد بن محمد بن أبي الخير الهاشمي المكي، ويُعرف كسلفه بابن فهد.

(٢) كمران اسم لجزر تقع بقرب الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر وهي تتبع الآن السعودية.

(٣) الضوء اللامع ١١/١٠، في باب الكنى.

(٤) الضوء اللامع ٤/٣٣٠.

(٥) الضوء اللامع ٩/٢٧٤.

البكري الدلجي ـ ممن فهم ـ في جمادى الثاني.

٢٤٧٤ـ والنجم محمد[1] ابن الزين عمر بن ناصر الدين محمد بن محمد بن سليمان البكري الدمشقي، ثم القاهري، قريب العلاء ابن الصّابوني. ممن له حذقٌ.

ومن الحنفية:

٢٤٧٥ـ في شعبان، عن بضع وثمانين، اعتماداً على مقالة بالقاهرة: خيرُ الدين أبو الخير محمد[2] بن محمد بن داود، الروميُّ الأصل، القاهري، نزيل المؤيدية، وأقدم الجماعة، ويُعرف بابن الفَرَّاء، حرفةِ أبيه. ممَّن درس قديماً، وعمل في الفقه، والأصلين، والعربية، والصرف، والمعاني، والبيان، والمنطق، وغيرها، وانتفع به الفضلاءُ طبقةً بعد أخرى، مع عدم توجُّهه لشيءٍ من الوظائفِ التي وصل إليها من لعلَّه أفضل من كثيرٍ منهم، وأقدم، بل يُظْهِر الإعراضَ عنها، وامتهان نفسه، وطرحه للتكلُّف، واشتغاله بالتَّكسُّبِ، بحيث حصل دنيا وكتباً، مع قلَّةِ مصروفه واقتصادِه في سائر شؤونه وانفراده في جُلِّ عمره. وهو ممَّن لازمني في الإملاء، وحمل عني «القول البديع» وغيره من تصانيفي، وأخبرني أنه وقفَ كُتُبَهُ وعدَّةَ عقاراتٍ اشتراها على جهاتٍ وقُرباتٍ، ولم يَسْلَمْ من الكلام. رحمه الله وعفا عنه وإيانا.

٢٤٧٦ـ وفي جمادى الأولى، عن ستٍّ وخمسين، بمكة، العلاء علي[3] بن محمد بن خضر بن أيوب المحلي، ثم القاهري، نقيبُ الزين

---

(١) الضوء اللامع ٨/٢٦٢. (٢) الضوء اللامع ٩/٨٢.
(٣) الضوء اللامع ٥/٣٠١، وفيه زيادة بعد أيوب: بن زياد.

زكـريا، ومَنْ كان يُعرفُ بابن الجندي. ممَّن فضل وتميَّز، مع حذقٍ وأدبٍ وبراعةٍ في الشُّروط، واستقرّ في تدريسِ جامعِ طولون بعد شيخهِ النِّظام، ولم يتهنَّ به، فلم يلبث أنْ رسم عليه مع جماعةِ قاضيه، وتزايدَ قَلَقُه، وبادر بعد الخلاصِ إلى التَّوجُّه للحجِّ عن الغيرِ في موسمِ التي قبلها، وتخلف مجـاوراً على طريقـة جميلةٍ. وربمـا أقرأ، وكـان يحضرُ عند قاضيها في «الكشـاف»، وعنـدي، بل أخذ عني «الابتهاج» من تصانيفي، وامتدحني بشيءٍ من نظمه. كلُّ هذا بعد أنْ كتب عني بالقاهرة «التوجه للرَّبّ». ومن لطيفِ قوله وقد أنكر بعضُهم أَخْذَهُ عني أنه أخذَ عمَّنْ أَخَذَ عنكم، فهو تلميذُ تلميذِكم، يشيرُ إلى أنَّ المُنْكِرَ أخذَ عنه. رحمه الله، وأرضى عنه أخصامَهُ، وعوّضه الجنة.

٢٤٧٧ـ وفي الـطاعـون ببيت المقدس، نائب إمام الصخرة يوسف[٣] السُّليماني. وكان فاضلاً صالحاً.

٢٤٧٨ـ وبمكّـة في شوّال شبه الفجاءة، عن بضع وستين، المحيوي عبدالقادر[١] بن عبدالرحمن بن محمد بن يعقوب الشيباني المكّي ابن زبرق. ممَّن اشتغل قليلاً، ولـم ينجب، وقد صاهره الغياثُ أبو الليث ابن الضِّياء على ابنته، ولم يُحمد في وصيَّته ولا في طريقته. عفا الله عنه.

٢٤٧٩ـ وفي أوائلهـا، عن إحـدى وثـلاثين فأزيد، الفـاضـلُ الأصيلُ يحيى[٢] ابن المحب محمد ابن الشَّرف يونس بن محمد بن عمر البَكْتمريُّ

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٣٤٠.

(٢) الضوء اللامع ٤/٢٧١، وفيه بعد يعقوب، ابن اسماعيل. (٣) الضوء اللامع ١٠/٢٦١

الأصل، القاهريُّ، سبطُ ابن الزين قاسم، وحفيد أخي السَّيف عالمي الحنفية. ممَّن تميَّز، وفهم العربية، ولازمني في الصَّرغَتْمُشِيَّة، وحمدتُ سكونَهُ وأدبه وفهمه. عوَّضه الله وإيانا الجنة.

•٢٤٨٠- وفي رجب، الفاضل علي باي[١] ابن نائب الشَّام برقوق الظَّاهري[٢]، أحد الأذكياء . ممَّن زاحم به في القراءة والنَّظم والكتابة، مع اعتناء بنفيسِ الخيلِ والثيابِ، وقد اجتمع بي مرَّةً، وتردَّد إليه غير واحدٍ من الفضلاءِ، وقال لابن الأسيوطي: ما استكثرته على مثله مما أثبته في ترجمته. رحمه الله وعوَّضه الجنَّة.

ومن المالكية:

٢٤٨١- في المحرم، عن بضع وسبعين، بقيةُ بيتِهم، الشِّهابُ أحمد[٤] ابن الشَّمس محمد ابن القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله السَّكَنْدَرِيُّ الأصل المصريُّ القاهريُّ، ويُعرف ـ كسلفه ـ بابن التَّنَسِيّ. ممَّن اشتغل وفهم، ونَبُلَ، ثم أقبل على التجارةِ، وسافر فيها فنتج، وعُدَّ من ذوي الوجاهاتِ، سيما مع بَيْتُوتَتِه وبهائِه ونُورانِيَّتِه ومديدِ قامتِهِ، وذِكْرِه بعليِّ الهمَّة والفتوة. واختص بغير واحدٍ من الأكابرِ، كعظيم الدولة ناظرِ الخاص، وبعده انهبط جداً، وأقام بالبرقوقيةِ على هيئة إملاق. عفا الله عنه وإيانا.

٢٤٨٢- وفي مستهلّ صفر، عن ثمانية وأربعين وأزيد من شهرين،

---

(١) بدائع الزهور ٣/٢٨٨. (٢) الضوء اللامع ٢/٨٩.

بمكّة، العلاّمة السِّراج أبو اليَسَر[1] - بفتحتين - مُعَمَّر - كمحمَّد - بن يحيى بن أبي الخير محمد بن عبدالقوي. ممَّن تميَّز في الفقه، والتفسير، والأصلين، والعربية، والمعاني، والبيان، والعروض، والمنطق. وأكثرَ من ملازمتي للحديثِ روايةً ودرايةً، قراءةً وسماعاً، وامتدحني، وتصدَّى للإقراء بالحرمين وغيرهما، فانتفع به. وكتب على «القَطْرِ» شرحاً بديعاً، قَرَّضْتُه مع الجماعةِ، بَلْ شرعَ في الكتابة على مختصَرهم. وهو مُتْقِنٌ في كلِّ ما يبديه نظماً ونثراً، كثير المحاسن والإنصاف والأدب. حَسَنُ العشرة، متين العقل، مع مزيد الاحتمال والتواضع، شريف النّفس، قَلَّ بمكَّة في مجموعهِ مِثْلُه. وكنت عنده بمكانٍ. عوَّضه الله الجنَّة وإيانا.

٢٤٨٣- وقاضي دمشق فيها - ظنّاً - الشِّهاب أحمد[2] بن محمد المَريني المغربي. ممَّن يُذكر بمشاركةٍ في الفقه والتَّعليقاتِ، مع سلامةِ فطرةٍ وعِفَّةٍ، بحيث يُعتقد مع التَّثبت إلاَّ في أوقافِ المالكية، فيُنسبُ لتقصيرٍ فيها، وكأنه لبذله حين يُرام عزله.

٢٤٨٤- وقاضي حلب الشهاب أحمد بن جُنْغُل.

٢٤٨٥- ومن الحنابلة بالطَّاعون في جمادى الثاني، عن خمس عشرة سنة، النجيبُ النسيب صلاح الدين محمد ابن قاضي المذهب البدر محمد بن محمد بن أبي بكر السَّعدي[1]، وأمّه من بيت الشيخ خلف الطُّوخي ابنة

---

(١) الضوء اللامع ١٠/١٦٢ وفيه زيادة: المكي المالكي.

(٢) الضوء اللامع ٢/٢١٨.

والمَريني: نسبة إلى بني مرين بالمغرب.

عم والده. ممَّن كان يحضر مع أبيه الدروسَ، ويقوم عنه بأشياء، وتنَزَّلَ في جهاتٍ لذكائهِ، وفطنتِه، وسكونِه، وعقلِه، وحيائهِ، وتوجَّعْنَا لأبيه. وأرسلتُ له تعزيةً. عوَّضهما الله الجنَّة.

٢٤٨٦ـ وكذا مات بعده في رجب أخوهُ الشهابُ أحمد من أَمَةٍ بيضاء اسمها سُوربَاي، وجَهَّزها أبوه، فحجَّتْ، ثم عادت، وكتب لها.

وتخلَّفَ له ولدٌ ثالثٌ اسمه عبدالرَّحيم، ماتت أمُّه ـ وهي حبشية ـ في هذه الأيام، سوى ابنته فاطمة زوجة نقيبه الرضي الإسحاقي. بارك الله فيهما.

٢٤٨٧ـ والسيد عبدالعزيز[1] ابن الشَّمس محمد بن موسى بن محمد بن علي القادري، أخو زوجة تَغْرِي بَرْدِي الأستادار.

٢٤٨٨ـ ومن المباشرين ونحوهم في ربيع الأول، عن نحو أربع وأربعين، أحدُ الأعيان المتكلمين في الخزانة، التَّاج عبداللطيف[2] ابن الزين عبدالغني بن شاكر بن الجيعان، في حياة أبويه.

٢٤٨٩ـ ثم ابناه أمير حاج[3] و [. . . . .][4].

٢٤٩٠ـ وأخواه عبدالمحسن،

---

(١) الضوء اللامع ٤/٢٣٣.

(٢) الضوء اللامع ٤/٣٢٩، وبدائع الزهور ٣/٢٨٦.

(٣) لم نجده وإن الذي في الضوء اللامع ٢/٣٢٢، أمير حاج بن عبدالرحمن ابن عبدالغني ابن شاكر وهو قَطعاً غيره.

(٤) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل.

٢٤٩١- وعبدالرزاق.

وبذلك انقرض نَسْلُهما.

بل مات من هذا البيت سوى مَنْ قدَّمته:

٢٤٩٢- أبو الفتح،

٢٤٩٣- ويحيى، ابنـا الصلاحي محمد ابن الشرفي يحيى بن شاكر، وأكبرهما عُشَاريٌّ.

وكنا سررنا ببقاء أخيهما الشهاب أحمد، فلم يلبثْ أنْ لَحِقَ بهما في القابلة.

٢٤٩٤- ومات عبدالقادر بن عبدالرحيم ابن المجدي عبدالرحمن أخي شاكر، مع ابن أخته من تقي الدِّين ابن الرَّسَّام.

وانقرض نسل المجدي من الذكور.

٢٤٩٥- والأمين محمـد[1] ابن قاضي الحنفية بدمشق - كان - الـزين عبدالرحمن بن أحمد بن محمد، الحسباني الأصل، الدمشقي هو وأخوه عبدالله.

٢٤٩٦- وفي صفر خارج مكَّة مفتاح[2] المغربي السحرتي، أكبر أهلِ دولة صاحب الحجاز، والمُقَدَّمُ عنده في مباشرةِ جدة من سنة تسع وثمانين.

---

(١) الضوء اللامع ٧/٢٨٦. (٢) الضوء اللامع ١٠/١٦٦.

٢٤٩٧ـ وفي رجب فجاءة بمكة، حرشان[1] بن شُمَيْلة الحُفَيْصِي الجُدِّي.

٢٤٩٨ـ وفي ذي الحجة بالمدينة عقب قُدومه لها من غيبة: عمر[2] بن عبد العزيز بن [illegible] ، صاحب تلك الحركات [illegible] الواقع في كثير [illegible]

الشِّهاب أحمد المقيم الآن بمكَّة، وأثني عليه.

٢٥٠٢ـ وفي رجب ـ بعد تعلُّلٍ طويل، عن خمس وخمسين، بمكَّة، في حياة أمه: السيد أصيلُ الدين عبدالله بن أولياء بن مُجْتَبَىٰ بن حمزة الكَرْمَاني، ثم المَكِّيّ، والد حسين، وزوج أخت الحنفي، ووالد زوجة المالكي. وله اشتغال على مذهب الشافعيِّ، وكتابةٌ حسنة. رحمه الله وعوَّضه الجنَّة.

ومن الأمراء ونحوهم.

٢٥٠٣ـ في ربيع الثاني، يشبك[1] جنب الظَّاهري جَقْمَق رأس نوبة ثاني. وصلَّى عليه الملكُ، وكان ضخماً متهتِّكاً، بحيث قيل: إنه ماتَ وهو ثَمِلٌ.

٢٥٠٤ـ ومُغلبَاي[2] الشريفي. أصله للظاهر خشقدم، ثم أعتقَهُ الأشرفُ قايتباي، وتنقَّل حتَّى صار والياً، ثمَّ سافر فعدمت إحدى عينيه، فلمَّا قدم جَبَرَهُ وصَيَّرهُ أحدَ المقدمين، وأعطى الولاية لقيت الساقي.

٢٥٠٥ـ وآخر[3] شاركه في الاسم والنسبة، وهو من العشراتِ من مماليك السلطان.

= ويُعرف بابن الخُطَيِّب ـ بالتصغير ـ

(١) الضوء اللامع ١٠/٢٧٦، وبدائع الزهور ٣/٢٨٥.

(٢) الضوء اللامع ١٠/١٦٥، وبدائع الزهور ٣/٢٨٨.

(٣) الضوء اللامع ١٠/١٦٥، وبدائع الزهور ٣/٢٩٣.

٢٥٠٦ـ وفي جمادى الثاني، جانم[1] قريب الملك، ونائب قلعة حلب، ثمَّ ارتقى للتَّقدمة، ورامَ الملكُ تزويجه بابنتهِ، فعاجلتهما المنيَّة.

٢٥٠٧ـ وفي جمادى الثاني، قيت[2] السَّاقي الواليْ، أحد العشرات. وكان فارساً.

٢٥٠٨ـ وقَانْصُوه[3] الأشرفي إينال، أخو نائب حماة سيباي، وأحد العشرات أيضاً.

٢٥٠٩ـ وخير بك[4] الأشرفي إينال، ويُعرف بغُمغم، أحد العشرات أيضاً.

٢٥١٠ـ ونَانق[5] المؤيدي أحمد، أحد العشرات أيضاً. وكان حَسَنَ الشَّكالة ضخماً.

٢٥١١ـ وبَرْسِبَاي[6] الأشْرَفي الخازندار. ممَّن يُذكر بعقلٍ وخيرٍ.

٢٥١٢ـ وأقْبَاي[7] الخَشْقَدمي أحد العشرات الشجعان، ويُعرف

---

(١) الضوء اللامع ٦٥/٣، وبدائع الزهور ٢٨٨/٣.

(٢) الضوء اللامع ٢٢٥/٦، وبدائع الزهور ٢٨٨/٣.

(٣) الضوء اللامع ١٩٨/٦. (٤) بدائع الزهور ٢٨٨/٣.

(٥) الضوء اللامع ١٩٧/١٠، وقد وقع فيه خطأ «ناصر» والصواب ما أثبت هاهنا. وهو في بدائع الزهور ٢٨٨/٣.

(٦) الضوء اللامع ٨/٣، وبدائع الزهور ٢٨٧/٣.

(٧) الضوء اللامع ٣١٤/٢، وبدائع الزهور ٢٨٩/٣.

بسنجق، لكونه كان حامله في المَقْتَلةِ العثمانية، وكان طُوالاً مهاباً، تظهر عليه الشجاعة.

٢٥١٣ ـ وقَانِ بَرْدي[1] الأشرفي الخازندار أيضاً، من خواصِّ مماليكه،

٢٥١٧- وأخوه ناصر.

٢٥١٨- وبمكة شهيدةً في رمضان بعد تعلُّلٍ، عن نحو التِّسعين، الوالدة آمنةُ[1] ابنةُ الشيخ شمس الدين محمّد بن علي بن محمّد بن عبدالرحمن العدوي القاهري المالكي، ودُفنت بالمعلاةِ بين قبورِ الأسيادِ الصفيِّ والعفيفِ الأَنْجَبَيْن وذويهما والتقي ابن فهد وذويه في مشهدٍ حافلٍ. ورؤيتْ لها منامات حسَنةٌ، وكانت جديرةً بذلك لصلتها لِرَحمِها وصفائِها وتجرُّعِهَا، فَقْدَ ولديها في غيبتها، وحَجُّها معي عشرَ حجج، ومجاورتها بالحرمين، ومحافظتها على الصَّلواتِ والصَّوم، وشَمِلَتْهَا إجازةُ غيرِ واحدٍ من المعتبرين، بَلْ سمعتْ على شيخنا وغيرِهِ، ولم تخلف كبيرَ شيءٍ، فما وصلَ من تَرِكَةِ ثاني وَلَدَيْها قَسَمَتْهُ بين بَنِيه، ولم يصلْ لها من إرثِ أكبرهما شيءٌ.

وكانت مع إكرامها بالشَّهادة بالبطنِ وبالغربةِ في قبرها ليلة الجمعة فرحمها الله وجزاها أوفرَ الجزاء.

٢٥١٩- وبالقاهرة، عن أزيد من سبعين، ظنّاً، بلقيس[2] ابنة التَّاج محمد ابن الجلال عبدالرحمن ابن السِّراج البُلْقيني شقيقة القاضي أبي السَّعادات. رحمهما الله وعوَّضهما الجنَّة.

٢٥٢٠- وبمكَّة بعد تعلّلٍ مدّةً في مستهل شعبان: عزيزة[3] [....][4]

---

(١) الضوء اللامع ١٢/٤.

(٢) الضوء اللامع ١٢/١٤.

(٣) ما بين الحاصرتين بياض بالأصل.

(٤) الضوء اللامع ١٢/٨٢، وهي عزيزة ابنة شعبان مهتار الركبخانة الأشرفية إينال.

زوجة أقْبردي التماسيحي أمير الراكز بمكّة، وابنة مرضعة جهة الملك الآن.

٢٥٢١- وفي ربيع الأول، عن نحـو ست وعشـرين، فاطمـةُ[1] ابنـةُ البرهاني إبراهيم بن علي بن ظهيرة، زوج ابن عَمِّها العِزِّي بعد تعلُّلها عقبَ نفاسها، وكثر الثَّناءُ عليها. عوَّضها الله الجنَّة، وأخلفها في ولدها منه خيراً.

٢٥٢٢- وفي صفر، فاطمة[2] ابنة الأمير صاحب حَلْي وزوج أبي بكر البوني.

٢٥٢٣- وفي رمضـان، كمالية[3] ابنة الشيخ أبي حامد محمد بن أبي الخير محمد ابن أبي السُّعود محمد بن ظهيرة.

٢٥٢٤- وفي ربيع الثّاني، أم الحسين[4] ابنة الشيخ نجم الدِّين محمد ابن النَّجم محمد بن ظهيرة، في غيبةِ أبيها.

٢٥٢٥- وبـالطَّاعون في القاهرة أمُّ الحسن[5] ابنةُ الجمالِ محمد بن إبراهيم المرشدي المكّي.

---

(١) الضوء اللامع ١٢/١١٤.

(٢) الضوء اللامع ١٢/١١٤.

(٣) الضوء اللامع ١٢/١٢٢.

(٤) الضوء اللامع ١٢/١٤٣.

(٥) الضوء اللامع ١٢/١٣٦.

سنة ثمان وتسعين وثماني مئة

استهلت بالثلاثاء عن رؤية من غير تردّدٍ ولا روية، وأنا بحمدِ الله وفضله، بمكّة معدنِ الخيرِ ومحله، ولم أنفصل عنها في مجموع السنة إلّا أشهراً للزِيارة ـ كما سيأتي ـ كأنها سنة.

وكان ممَّا قُرِىء عليَّ بمكة، كلٌ من «الصَّحِيحَيْن»، و«الموَطأ»، و«السنن» لأبي داود، و«الشفا»، و«الأذكار»، و«الأربعين»، كلاهما للنووّي، و«العمدة»، و«الترغيب» للمنْذري، و«المجالسة» للدينوري، ومؤلّف العراقي في «المولد النبوي»، وجُلُّ «المشارِق» لَلصّغاني، و«المشكاة» للتبريزي، والبَعْضُ من «المصابيح»، ومِن «بُلُوغ المَرام» لشيخنا، و«البردة»، و«الهمزية»، كلاهما للبُوصيري.

ومن مؤلفاتي: «غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج»، و«الابتهاج بأذكار المسافر الحاج»، و«الإعلام بالتوبيخ لمن ذمَّ التوريخ»، و«رفع الأرق والقلق بجمع المبتدعين من الفرق»، و«الهداية في ابن عربي»، وفي البحث إلى القسم الثالث الإجازة من شرحي على «التقريب»، وقطعة من «القول البديع»، ومن لفظي بعض تأليفي في ترجمة النووي، والكثير من القسمين مما لم أستحضره الآن.

وبطيبة الكثير من «البخاري» مع جميع «ثلاثياته»، وجميع «صحيح

مسلم»، والكثير من «النسائي»، وجميع «الترمذي»، وكذا «الشمائل النبوية» له، غيرَ مرَّة، و«الموطأ»، و«مسند الشافعي»، و«الشفا»، و«العمدة» و«أربعي» النووي، ثلاثتها غير مرة، والحزب المنسوب للنووي، وجُل «الأذكار» له، و«لطائف الحكم» لابن عَطاء الله، وجميع «الشّاطبية»، و«البوصيرية»: «البردة»، و«الهمزية» كلاهما غير مرَّة.

ومن لفظي غير مرّة: المسلسل، وثلاثة أحاديث من عشارياتي، والمسلسل بالمحمدين، وبسورة الصّف، وبالعيد، وبلباس الخرقة، والبَعْض من الكتبُ الستة، ومن كلٍّ من «الموطأ»، و«مسند الشافعي»، و«شرح معاني الآثار» للطحاوي، و«الشفا»، و«الأذكار»، و«الرياض»، و«التنوير في إسقاط التَّدبير» لابن عطاء الله، و«شرح ألفية العراقي» للناظم، و«شرح النخبة» لشيخنا، و«المقاصد الحسنة»، و«القول البديع». وكلاهما من تصانيفي، وتكرّر تحديثي بكثير منها.

وسُمِعَ عليَّ من تصانيفي - أيضاً - جميع شرحي «لألفية العراقي»، و«لتقريب النووي»، كلاهما بحثاً، و«المقاصد الحسنة»، و«مناقب العبّاس»، و«الإيضاح المرشد من الغي»، و«غنية المحتاج»، والبعض من مؤلَّفَيَّ في ختم «البخاري» و«الشفا»، وكلّ ما ذُكِرَ من تصانيفي بالمدينة النبوية.

وحضر مجلسي قُضاتها، وشيخ الخدام، ومَنْ شاء الله من فضلائها وأعيانها، أهلها والقادمين عليها، ومدح غير واحد بالقصيد وغيره، وكتبتُ للفريقين أجايزَ ونحوها في نحو مجلد.

وكان وصولُ الحاج إلى القاهرة في أوّل شُهورها على العادة بعد تجهيز

ملاقاة هائلة إليه للعقبة، بحيث - لكثرتها - تَيَسَّرَتْ أنواعُها، وقَلَّتْ أثمانها، وكفَّ الله بَني لام عنها بعد خروجهم لِنَهْبِهَا بسطحِ العقبة لتجهيز الملك صحبتها لحفظها ستينَ مَمْلُوكاً

وافْتُتِحَت في هذا الشهر بمكة الدُّروسُ، وذلك خلاف طريقة المصريين، فلا تُفْتَتَحُ دروسُ المدارسِ إلاَّ في صفر.

ودَرَّس من الغرباء الفقيه مجلي، وله عادة سابقةٌ بذلك، وفقيه الشافعية بحلب المحيوي عبدالقادر ابن الأبار[1]، بل وتَكلَّمَ على العادة في رمضان، فأجاد ما شاء، والأوحد الشهاب المنزلي ابن القطان، والزين عبدالرحيم بن صدقة[2]، وقرأ ولَدُهُ على العامَّةِ، في آخرين.

ومن المالكية. عبدالنبي المغربي، والخطيب الوزيري، وحضر كلٌّ منهما عند القاضي في المدرسة الأشرفية.

[انتهى ما وُجِدَ من «وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام» للعلاَّمة الحافظ خاتمة الحفاظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي الشافعي. تغمّده الله برحمته ورضوانه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم][3].

---

(١) الضوء اللامع ٤/ ٢٩٠.

(٢) الضوء اللامع ٤/ ١٧٨.

(٣) ما بين المعقوفتين ورد في آخر النسخة بخط متأخر مغاير، وهي ليست من الناسخ.

